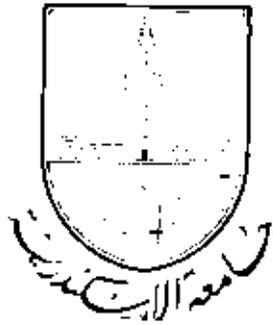


مجلة كلية الآداب



المجلد الثامن عشر

١٩٦٤

تعلم هذه المجلة من مكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية
بالشأن ، وتوجه الكتابات الخاصة بالأساسية العلمية إلى
هيئة تحرير المجلة

مطبعة جامعة الإسكندرية

١٩٦٥

11

فهرس

صفحة	المحتوى والتفراطة
١	لأستاذ الدكتور محمد محمد حسن
	من محفوظات دير سانت كاترين
٤٩	للكنور حسن صبي
	تعليمات على بعض الاشارات الانارسية فى الأشعار العربية
٦٣	للكنور طه ندا
	دير سانت كاترين - دراسة فى تاريخه الحديث
١١٧	للكنور محمد محمود السروجى
	الاكتساح والنحت بواسطة الرياح
١٥٧	للكنور جوده حسين جوده
	دراسة فى وثائق العصرين الفاطمى والأبوى
١٧٩	للكنور جوزيف نسيم يوسف
	أندريا ترانتيوس
٢٠٩	للكنورة فاطمة سالم سيف

1

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100

المتنبي والقرامطة

لمؤستاذ الدكتور محمد محمد حسين

الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

وبعد ، فقد شغل المتنبي الناس في حياته وشغل النقاد بعد موته . وبالرغم من مرور ألف عام على اشتغالهم بحياته وبشعره ، لا يزال فيهما بعض الظواهر الغامضة التي تحتاج إلى تفسير ، أو التي لا يزال مجال الدراسة مفتوحاً لمزيد من الفروض التي تفسرها . ومن أبرز تلك الظواهر ظاهرة تأخذ نظر المتصفح لشعر المتنبي منذ النظرة الأولى ، وهي الثورة العارمة التي تغطي شعره كله ، لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحات ديوانه . وقد كان الناس يطمثون إلى أن هذه الثورة . ظهر لمرض نفسي يشبه الجنون ، جعل المتنبي في نقمة دائمة على الناس ، ملوكهم وغانمهم . وهي نقمة لا يبررها عندهم إلا هذا الجنون . ولكني أريد أن أفترض أن هذا الذي اطمأن إليه الناس في تعليل تلك الظاهرة غير مسلم . وأريد أن أحاول البحث من جديد عن تعليل لهذه الظاهرة . وأريد أن ألتصم ذلك التعليل في صلة المتنبي بالقرامطة . وقبل أن أبدأ كلامي في الموضوع لا أرى بطلاً من التعريف بالقرامطة . فمن هم القرامطة ؟

القرامطة شعبة من شعب الباطنية أو الشيعة الاسماعيلية ، الذين برزوا على مسرح التاريخ الاسلامي في أواخر القرن الثالث الهجري ، والذين كانوا يتظاهرون بالدعوة لآل البيت وإنصاف المظلومين من الظالمين والمحرومين من المرفين ، ويبطنون الاحقاد وهدم الاسلام ؛ بل هدم العقائد الدينية كلها ، باستدراج الداخلين في دعوتهم في مراتب ودرجات سرية يسلمونهم فيها من عقائدهم ، حسب ما يرونه من استعداد التابع لهم ، حتى يفتروا به إلى الكفر بكل الأديان والتحرر من كل التكالييف وإباحة كل المحرمات .

وكتب التاريخ على اختلافها مملوءة بأخبار القرامطة ومعاربتهم للخلافة
 العباسية وغاراتهم الخيرية على الأمصار والمدن ، وفضائلهم التي ارتكبوها
 مع قوافل الحجاج وفي الكعبة نفسها . ولكن نشأتهم وعقائدهم وحقيقة
 أهدافهم يحيطها كثير من الغموض - شأن كل الدعوات السرية - وأكثر ما نعرفه
 عنهم في هذه الناحية مستمد مما كتب عن الشيعة الإسماعيلية الذين يطلق عليهم
 اسم الباطنية - والقرامطة كما قلنا شعبة منهم - نجد ذلك في كتب الفرق ،
 مثل (الفرق بين الفرق) للبغدادى (المتوفى سنة ٤٢٩) و (التبصير في الدين)
 لتلميذه وخته عماد الدين الاسفرايينى (المتوفى سنة ٤٧١) و (الفصل في
 الملل والأهواء والنحل) لابن حزم الأندلسى (المتوفى ٤٥٦) و (الملل والنحل)
 للشهرستانى (المتوفى سنة ٥٤٨) . وقد ازدادت معرفتنا بعقائد الباطنية في
 السنوات العشرين الأخيرة ، بعد ظهور عدد من الكتب التي ألفها
 علماء هذه الطائفة ودعاتها . وإن كان من الواضح أن هذه الكتب لا تمثل
 الجانب السرى المدام من المذهب . فهي مكتوبة للعامّة ممن يراد استدراجهم
 وإدخالهم في المذهب . ولا تزال أكثر كتب الدعاة مجهولة أو متورة في
 خزائن الشعب المتخلفة الباقية من هذه الطائفة في الشام واليمن وشرق إفريقيا
 وفي باكستان والهند ، ولا سيما طائفة البهرة (١).

وأقدم ما وصلنا في الكلام عن مذاهبهم هو ما كتبه الحسن بن موسى
 النوبختى (من علماء الشيعة الإمامية في القرن الثالث الهجرى) في كتابه
 « فرق الشيعة » . ومن أقدم ما وصلنا عن أخبار القرامطة (كشف أسرار
 الباطنية وأخبار القرامطة) لمحمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادى البجلي .
 وبعد هذا الكتاب أخطر ما كتب عن القرامطة والباطنية عامة ، لأنه
 ينفرد بين سائر ما كتب عنهم بأن مؤلفه قد دخل في مذاهبهم واندمج
 في صفوفهم ، ثم انسلخ منهم حين عاين كفرهم وضلالهم ، وكتب كتابه
 تنبيها للمسلمين إلى خطرهم (٢) .

(١) طائفة الإسماعيلية ص ٥٤ - ٥٧ ، ١٧٨

(٢) كشف أسرار الباطنية ص ١١ ، ٤٢ - ٤٤

ودعاوى الشيعة عموماً - ومنهم الاسماعيلية والقرامطة - تبدأ من يوم
الغدِير - غدِير خم - الذي يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم عهد فيه
إلى علي عند عودته من حجة الوداع سنة ١٠ هـ . وذهب غلاتهم إلى أن النبوة
قد ملئت من النبي منذ ذلك الوقت وأصبحت لعل رضي الله عنه (١) .

والشيعة كلهم - على اختلاف فرقهم - يقولون إن الامامة تورث
ولا تكتسب ، وأنها قد تسلمت في عقب علي ، كلما مات إمام نص علي
من خلفه بوحي من عند الله لا محل فيه لاجتهاد البشر .

وفساد دعاوهم يبدأ من ابن سبأ اليهودي الأصل ، الذي يعتبر اليد
المحرّكة من وراء الفتنة التي انتهت بمقتل عثمان رضي الله عنه ، والذي يعتبر
كذلك اليد المحركة لفتنة علي ومعاوية حين اتدمر هو وصحبه في صفوف
جيش علي . فتدّ زعم أن روح الله حلت في علي ، وأقمم على التشيع عناصر
غريبة عن الاسلام حين زعم أنه حي لم يموت وأنه يعود في آخر الزمان ليملأ
الأرض عدلاً كما ملئت جوراً (٢) ثم كان ظهور الاسماعيلية الباطنية
على يد يهودي آخر هو عبد الله بن ميمون اقتداح أخطر تطور خرج بالدعوة
من النور إلى الظلام ، ودخل بها في سراديب الخفاء (٣) .

وتبدأ دعوى الاسماعيلية استحقاق الامامة بوفاة الامام جعفر الصادق
ابن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب
سنة ١٤٧ . فقد انقسم الشيعة من بعده إلى فريقين :

(١) الامامية : ان الذين سلسلوا الامامة من بعده في ابنه موسى
الكاظم وفي أبنائه من بعده ، إلى الامام الثاني عشر محمد بن

(١) فرق الشيعة ص ٧٢

(٢) مختصر الفرق بين الفرق ١٤٢ - ١٤٤ .

(٣) الحاكم بأمر الله ص ٥١ - كشف أسرار الباطنية ص ١٧ - ابن الأثير ٦ : ١٢٥

من حوادث سنة ٢٩٤ . وقد اختلفت الآراء في دية . فمن قائل إنه مجوس . ومن قائل إنه يهودي
ومن قائل إنه نصراني ديواني . وأية ما كان الأمر فجهنم المورخين متفقون على أنه كان
يكفر الاسلام والغرب ، ويصل على دم دينهم ودولتهم . راجع الحاكم بأمر الله ص ٤٨ - ٥٢ .

الحسن العسكري ، الذي دخل المرداب بزعمهم في مدينة سامرا (شمال بغداد) سنة ٢٦٠ . ويظل فيه إلى أن يعود فيملاً الدنيا عدلاً كما ملك جوراً .

(ب) والاسماعيلية : الذين قالوا بامامة إسماعيل بن جعفر الصادق وإمامه أبنائه من بعده . وهم يزعمون أن جعفر عهد بالامامة إلى ابنه إسماعيل الذي توفي في حياة أبيه . وفي زعمهم أن الامامة تنتقل إلى ابنه محمد بن إسماعيل لا إلى أخيه موسى ، وفيهم من يزعم أن إسماعيل لم يميت في حياة أبيه ، ولكن أباه أذاع هذا الخبر تمويهاً على الخليفة العباسي . ومن الثابت تاريخياً أن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ترك المدينة إلى بلاد الديلم (جنوب بحر قزوين) . ولم يسمع عنه شيء بعد ذلك (١).

والواقع أن التاريخ لم يعرف شيئاً اسمه (فرقة الاسماعيلية) حتى أواخر القرن الثالث عندما ظهرت حركة القرامطة في البحرين والشام . وذلك بعد دخول الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري المرداب - بزعم الاسماعيلية سنة ٢٧٠ (٢) . وكان ظهور القرامطة إيذاناً بظهور الاسماعيلية على مسرح السياسة ، بعد انقطاع أخبار ولد إسماعيل بن جعفر قرناً كاملاً، يزعم الاسماعيلية أن أئمتهم كانوا فيه مستترين خوفاً من بطش العباسيين . وهذه الفترة هي المعروفة عند مؤرخهم بدور السر (وهو يبدأ بوفاة جعفر الصادق سنة ١٤٧ وينتهي بظهور عبيد الله المهدي بالمغرب سنة ٢٩٦) ولم يستطع

(١) طائفة الاسماعيلية ص ١٤ .

(٢) راجع في ابن الأثير ج ٦ : ظهور أبي سيد الجنابي في البحرين سنة ٢٨٦ ، وظهور ذكرويه بن مهرويه في الشام سنة ٢٨٩ . ومن المؤرخين من يرجع نشأة الدعوة الباطنية إلى أيام المأمون ويجعل ثورة بابك (الخرمي) من ثورات الباطنية والقرامطة . وقد كان الاثنان القائد العباسي المشهور يخفي ولاده كتم ، ثم ناله المنصم حين اكتشف حقيقته - التصوير في الدين ص ٨٤ ، مختصر انشراح بين اغرق ض ١٨٣ .

الاشماعيلية أن يقدموا لنا ضرورة صحيحة متفقاً عليها بينهم عن أئمتهم في هذه الفترة . فالخلاف بينهم كثير حول عددهم وأسمائهم (١) .

ونشأة فرقة الاشماعيلية (التي تنسب إليها الدولة الفاطمية) موضع خلاف بين مؤرخي السنة والشيعة على السواء . والخلاف حول نشأة هذه الفرقة يتصل اتصالاً وثيقاً بالخلاف حول نسب الفاطميين ، الذي ظل موضع جدل بين الباحثين القدماء والحديثين منذ ظهوروا حتى الآن . فمترق من العلماء والمؤرخين يؤيد نسبهم إلى الحسين رضي الله عنه - وهم قليل (٢) .

(١) طائفة الاشماعيلية من ١٤ - ٢٢ .

(٢) صحح نسبهم ابن الأثير وابن خلدون والمقرئزي . وابن الأثير - مع تصحيحه نسبهم - يروي أخباراً غاية في البشاعة من أعمال اقرامقة ، مع ما هو معروف من أنهم فرع من الدعوة الفاطمية . وابن الأثير لا يعتمد في تصحيح نسب الفاطميين إلا على قوله . وسألت أمة بحاجة من العلويين في غنم - يقصد صاحب مصر - فلم يرتابوا في صحته . ولكنه لا يورد أسماء هؤلاء الذين سألهم . بينما يذكر أسماء الأشراف والعلناء الذين وقعوا المحضر العامي "تلميح في نسب الفاطميين" كما ينقل عن الأمير عبد العزيز صاحب تاريخ إفريقيا والمنغرب أن نسبهم معروف في اليهودية . ولا يعتمد ابن الأثير - عدا ما ذكره من شهادة بعض العلويين الذين لم يذكر أسماءهم - إلا على شعر منسوب لشريف الرضي يقول فيه :

ما مضى على الحران وضدى مشرك جارم وأنف حي
أليس السدل في بلاد الأعاصي ويصير الخليفة العلوي
من أيوه أبي ومولاه مولا ي إذا غاش البيعد القصى

ح أن ابن الأثير نفسه قد ذكر بعد ذلك في قصة هذا الأبيات أن الشريف الرضي أنكر نسبة المحضر إليه حين عاتبه أبوه فيه . ولكنه امتنع عن تكذيبه عند الخليفة خوفاً من بطش (الديلم والمصري والهاة في البلاد) - ابن الأثير ٦ : ١٢٥ - ١٢٦ حوادث سنة ٢٩٦ . أما ابن خلدون فهو - مع إقراره بصحة نسبهم - يتر بكفرهم وإناسيتهم . ويقول إن صحة نسبهم لا تنسب منهم من الله شيئاً في كفرهم - إنناكم بأمر الله ص ٤ - نقلاً عن مقدمة ابن خلدون - أما المقرئزي فهو في رأيه قائل عن شيخه وأستاذه ابن خلدون ومثأثر به . ومع ذلك فهو القائل في خطبه عن مراتب الدعوة الفاطمية اتسع ما لا يشك معه في أن دعوتهم تنسب بالملك فيما إلى الكفر . بأحاط كل التكليف بعد تأرطها ، واعتقاد أن الغلاسة أصل طبقة من الأنبياء - الخطط ج ٢ ص ٢٢٧ - ٢٢٥ .

من حصص في سورية -- هي المركز الأول لقيادة هذه الحركة . وقد ظلت كذلك إلى أن انتقلت منها القيادة إلى شمال إفريقيا ثم إلى مصر . وكانت أسرة ميمون القداح رأس هذه الحركة تعيش في «سلمية» في هيئة تجارة ، ويخفون حقيقتهم على غير المقربين من أتباعهم ويرسلون دعواتهم إلى جميع البلاد الإسلامية للتبشير بقرب ظهور المهدي المنتظر (١) . أما جهاز الدعوة فقد كان يقوم على تقسيم العالم الإسلامي إلى مناطق تسمى كل واحدة منها (جزيرة) ، مثل جزيرة مصر ، وجزيرة العراق ، وجزيرة فارس ، وهكذا . وعدد الجزر اثنا عشرة جزيرة ، يقوم على كل منها رئيس للدعاة يسمى (حجة) ، وكان يساعد الحجّة ثلاثون (نقيباً) . وكل نقيب منهم يتصل بأربعة وعشرين (داعياً) ، منهم اثنا عشر داعياً ظاهراً واثنا عشر داعياً محجوباً مستتراً . وبذلك نرى أن عدد أفراد هذا الجهاز يقرب من (٨٧٠٠) . وذلك باستثناء عدد آخر من الدعاة يعملون مع الإمام في مقره ، وتتكون منهم هيئة القيادة العليا . وقد قدر النوحى عدد أتباعهم في القرن الثالث في الكوفة واليمن بنحو مئة مائة ألف (٢) .

وكان لكل طبقة من طبقات هذا الجهاز عمل خاص لا تتعداه . فداعى النهار - أو الداعي لكاسر ، أو الداعي المكالب - وهو أدنى طبقات هذا الجهاز مثلاً ، وظيفته التي لا يتعداها هي تشكيل الجماهير في عقيدتهم وانتهاز كل فرصة أمامهم لالقاء الأسئلة الدقيقة على العلماء والفقهاء . وهي أسئلة تدور حول مشكلات الدين . أو تستتر بعض المتشابه من آيات القرآن . يلتقى هذه الأسئلة في مزاولة كأنه طالب علم يريد الافادة . فإذا ظهر

(١) بل لقد كان الإمام صالفة منه في التستر يسمى الدعاة باسمه ويقسمهم بقبه . وفي هذه المبالغة في التستر يرجع خروج القرامطة من طابخته . فقد استطاعوا أن يبرفوا اسم الإمام . وقتلهم صاحب هذا الاسم وبارك حركتهم . فلما عادوا إليه مرة أخرى وجنوا شخصاً آخر يحمل الاسم نفسه . فشك زعماء القرامطة في الإمام وفي البصرة نفسها . وتكررت القصة نفسها مع أبي مهناهم الشيبى داعية الفاطميين الذي أسس دولتهم في المغرب . فهم بالمروج عليهم حين رأى أن الإمام الذي ظهر في المغرب غير الإمام الذي تأمله من قبل في (سليبة) ودعا إليه . وكاد يتبع في حركته لو لم يبادر عبيد الله المهدي إلى قتله وقتل أخيه أبي العباس - طائفة الأسماعيلية ص ٢٥ - ٢٦ ، ١٥ (٢) فرق الشيعة ص ٧٦ .

عجز العلم والنقد حول الناس يلتمسون عنده الجواب زادهم حيرة يزيد من الأسئلة دون أنه يجيب . مثل : لم جعل الله السموات سبعاً ولم يجعلها أكثر أو أقل ؟ ولم أوجب الغسل من المني مع طهارته واكتفى بالاستنجاء من البول مع نجاسته؟ ولم كانت الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة؟ وما معنى الحروف التي في أوائل السور؟ ومن هم حلة العرش اثمانية؟ إلى مثل هذه الأسئلة التي يستطيع القارئ أن يراجع نماذج منها في خطط للقريري (١) . يوجه الداعي مثل هذه الأسئلة للعلماء كأنه يطلب الاستمادة ، ويوجهها للناس مظهراً حيرته كأنه يشك في العقيدة . يفعل ذلك وهو في الوقت نفسه يظهر النسك والتعبد . ويبدو أمام النبي سنياً منطوقاً ، وأمام الشيعي شيعياً متعصباً ، وأمام الصوفي صوفياً من الأقطاب . فإذا انس من أحدهم ميلاً إليه وتطلعا إلى الخروج من هذا الشك بالعلم اليقين ، أو صلة بعد مراوغه وتتمنع وتدلل إلى داع أرق منه مرتبة ، مهولاً للقرينة قبل أن يلقاه في غزارة علمه وتضلعه الذي يزول عنده كل شك . كل هذا والغمر الذي وقع في شباكهم لا يعلم الصفة المذهبية للداعي . ولا يزال يتنقل بين الدعاة في مختلف المراتب ، كلما استوثق منه داع . نقله إلى الأعلى منه . ويخطأ به خطوة جديدة في المكاشفة بأسرار المذهب (٢) .

وتختار الإمام من رؤساء الجزر مجلسه الذي هو بمثابة القيادة العليا للدعوة وعلى رأسه (داعي الدعاة) ، الذي يعتبر أعلى مرتبة ظاهرة . وإلى جانبه ذلك توجد مناصب أخرى سرية تعتبر ضمن هذا الجهاز الأساسي الذي يحيط بالإمام . مثل (حجة الإمام) الذي لا يعرفه أحد حتى داعي الدعاة نفسه ، و (باب الأمور) الذي لا يعرفه إلا الإمام نفسه ، و (داعي البلاغ) . وأعمال هذه الرتب ووظائفها وأسماء الذين شغلوها لا يزال سرّاً لم يكشف عنه البحث حتى الآن (٣) .

(١) المجلد ٢ من ٢٢٧ عند كلامه عن وصف الدعوة ورتبها .
 (٢) طائفة الإسماعيلية ١٣٣ - ١٣٥ - ديوان المؤرخين في الدين ص ٥٤ - البصير في الدين ص ٨٣ - ٨٧ .
 (٣) طائفة الإسماعيلية ص ١٤٠ - ١٤٢ .

وكانت الدعوة تجرى على نسق الجمعيات السرية كالماسونية في مراتب متدرجة في الأهمية عددها تسع . ينتقل فيها التابع طبقاً لاستعداده وثقته القائم على الدعوة في صدق استجابته وإخلاصه وقدرته على كتمان الأسرار . ويقطع على نفسه عند دخوله في الدعوة الأولى عهداً يتعهد فيه (بأن لا يفشى لهم سرّاً ، وأن لا يظاهر عليهم أحداً ، وأن لا يطلب لهم غيلة ، وأن لا يكتهم نصحاً ، ولا يوالي لهم عدواً) . ثم يطالبه الداعي بعد ذلك بمبلغ من المال يقدره ، حسب ما يعرفه من حالته المالية ، وهو رسم الدخول في الدعوة (١)

وقد أورد لنا المؤرخون المتأخرون مثل التويري والمقرزي ما أدركوه من بقايا تراث الشيعة شذوراً ضافية من محتويات الدعوة السرية وتفصيلها . والذي يقرأ ما جاء فيها يدرك بوضوح أن الدعوة الباطنية تذهب إلى أبعد من التبشير بالمذهب الفاطمي والدعوة لآل البيت . فهي تستحيل في آخر الأمر إلى عقيدة فلسفية حرة مشبعة بالالحاد وإنكار الديانات كلها (٢) .

وقد كان التأويل هو الباب الذي يدخل منه الباطنية إلى أغراضهم الهدامة . ذلك أنهم يزعمون لأتباعهم أن لكل ظاهر عروس تأويلاً باطنياً لا يعرفه إلا الراسخون في العلم وهم الأئمة . وعندهم وحدهم يؤخذ هذا العلم الذي يرثونه خلقاً عن سلف . وزعموا أن علم الباطن من عند الله ، خص به علي بن أبي طالب ، فخص النبي بالتزويل وخص علياً بالتأويل (٣) . وورث الأئمة من نسله التأويل . والباطنية يشركون مع فرق الشيعة الأخرى في ولاية الامام (أي معرفته والانقياد التام له واعتقاد عصمته) ويجعلونها أساساً للعبادات كلها لا تصح غيرها (٤) . ولكنهم ينفردون دونهم بما

(١) راجع نظام الصورة ودرجاتها ، ونص العهد الذي يؤخذ على الداخل في حنظ المقرزي (مطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٤) ج ٢ ص ٢٢٧ - ٢٣٥

(٢) الحاكم بأمر الله ص ٢٦٦ .

(٣) طائفة الإسماعيلية ١٦١

(٤) ابن إن من غلاتهم من أمر أتباعه بطرح جميع التكاليف الدينية ، يزعم أن الامام هو المشول الأول عن أتباعه ، وهو الذي يتحمل بدلم الحساب ما داموا يطبقونه ويعتقدون إسنه - طائفة الإسماعيلية ص ٨١ .

بضفونه على الامام من صفات لا تعرفها فرق الشيعة الأخرى ، وهي صفات ترفع أئمة الشيعة الباطنية إلى مرتبة لا تكاد تمت فيها للبشرية بصلة . ففى تأويلاتهم الباطنية أن الامام هو (وجه الله) و(يد الله) و(جنب الله) ، وأنه هو الذى يحاسب الناس يوم القيامة فيقسمهم بين الجنة والنار . وهو (الصراط المستقيم) و (الذكر الحكيم) و (القرآن الكريم) (١) وتأويل الصلاة عندهم هو الاتجاه القلبى للامام . وتأويل الصوم هو عدم إفشاء أسرار الدعوة . وتأويل الحج هو زيارة الامام (٢) . وجعلوا أسماء الله الحسنى التى جاءت فى القرآن الكريم أسماء لما سموه (العقل الكلى) زاعمين أنهم ينزهون الله عن جميع ما يليق بمخلوقاته من الأسماء والصفات . وأطلقوا على (العقل الكلى) اسم (المبدع الأول) أو (السابق) . وهو فى زعمهم المرموز إليه فى القرآن بـ (القلم) . ثم قالوا أن (العقل الكلى) أبدع (النفس الكلية) أو (المبدع الثانى) أو (التالى) ، وهو فى زعمهم المرموز إليه فى القرآن بـ (اللوحة المحفوظ) ، وقالوا إن (اللوحة) له صفات (القلم) نفسها ، وهى أسماء الله الحسنى — جل وعلا — ولكن القلم أفضل بالسبق . وقالوا إن (القلم واللوحة) أو (السابق والتالى) اشتركا فى إيجاد جميع المخلوقات . ومن هذا نرى أن كل ما يقوله المسلمون عن الله سبحانه وتعالى خلقه الباطنية على (العقل الكلى) . ثم ذهبوا — حسب عقيدتهم فى المثل والمشول — إلى أن العقل الكلى فى العالم العلوى يقابله الامام فى العالم الجسمانى . فكل صفات (العقل الكلى) هى أيضاً صفات للامام . لأن الامام (ممثل) للعقل الكلى . فالامام إذن هو الواحد الأحد الفرد الصمد المنتقم الجبار .. الخ . ويبدو ذلك واضحاً جلياً فى شعر شعرائهم الذى مدحوا به الأئمة (٣)

(١) طائفة الإسماعيلية ص ١٥٦ - ١٥٧ - ديوان المزيدي النين ص ٦٩ - ٧١ ، ٨١ - ٨٩ .

(٢) طائفة الإسماعيلية ص ١٦٤ - ديوان المزيدي ص ٨٨ - ٨٩ .

(٣) طائفة الإسماعيلية ص ١٥٧ - ١٥٨ - ديوان المزيدي ص ٩٤ - ٩٦ - الحاكم بأمر الله ص ٢٧١ - وراجع نظرية المثل والمشول فى ديوان المزيدي ١٠٩ - ١٠٨ وراجع الحظ القرينى ٢ : ٢٢٢ فى كلامه عن الدعوة الثانية وما بعد .

وواضح من ذلك كله أن عقائد الباطنية مزيج عجيب من المذاهب والآراء الفلسفية القديمة . لذلك كان من أصح ما وصفت به أهداف هذه الدعوة ما قاله رينهارت دوزي R. Dozy في برنامج عبد الله بن ميمون حين وصفه بأنه يهدف إلى الجمع بين أحرار المفكرين الذين لا يرون في الدين سوى وسيلة لاستعباد الشعوب ، وبين الغلاة من جميع الطوائف . وأن يجعل من المؤمنين السذج آلات صماء تمد المثشككين بالقوة ، وأن يتخذ من هذا الجهاز الضخم وسيلة لرفعه أو رفع أبنائه في الوقت المناسب إلى الملك . لذلك لم يبحث عبد الله بن ميمون عن أنصاره الحقيقيين بين صفوف الشيعة الخالص ، ولكن بين الثنويين وطلاب الفلسفة اليونانية . ولم يكن يعتمد إلا على الطائفة الأخيرة . وإليهم وحدهم كان يفضى بسره ، وهو أن الأئمة والأديان والأخلاق ليست إلا ضلالاً وسخيرية . وأن باق البشر - أو الحُمُر كما يسميهم - ليسوا أهلاً لنهم هذه المبادئ . وكان يحرص أشد الحرص على أن لا يتجاوز المتدينون الذين يخدمون بدعوته ويخلصون له الطاعة المرتبة الأولى من دعوته (١) .

أصبح أتباع الدعوة الباطنية - والقرامطة منهم على الخصوص - قوة رهيبة تبعث الرعب في القلوب منذ القرن الرابع . ففاضت كتب التاريخ بأخبار غاراتهم الوحشية المدمرة على المدن الآمنة وعلى قوافل الحجاج . ومن أفظعها ما رواه ابن الأثير في حوادث سنة ٣١٧ من غارة أبي طاهر القرمطي على مكة يوم التروية - وهو اليوم الذي سبق وقتة عرفة وفيه يتجمع الحجاج في مكة للخروج إلى منى - وهب الحجاج وقتلهم في المسجد الحرام وفي داخل الكعبة ، وقلع الحجر الأسود وإنفاذه إلى هجر (٢) وقلع باب البيت والميزاب وطرح القتلى في بئر زمزم وقسم كسوة الكعبة بين أتباعه (٣) .

(١) انتهى كلام دوزي ملخصاً . نقلاً عن « الحاكم بأمر الله » ص ٢٨٥ .
(٢) « وقد ظل في حيازتهم مائتين وعشرين سنة قبل أن يهودوه في سنة ٣٣٩ - راجع ابن الأثير في حوادث هذا العام ٦ : ٣٣٥ .
(٣) وفي تاريخ أبي النداء : « المختصر في أخبار البشر » تفصيل أكثر لقتلهم في هذا اليوم .

وزاد في خطورة الباطنية أنهم كانوا يتصمون بجهاز دقيق التنظيم يعتمد على تخطيط محكم . فكانوا يعيشون في سر ، لا يعرف أحد حقيقة مذاهبهم . وعندما توافى القرص كان يظهر للناظر أن عدداً كبيراً منهم يعملون في بلاط الأمراء والحلفاء ويندسون بين صفوف العامة دون أن تعرف حقيقتهم ، فكانوا في مراكزهم هذه يمهّدون السبيل لسيادة دولتهم في انتظار الوقت الملائم (١) .

والواقع أن سلوك الفاطميين والقرامطة كما تمثله كتب التاريخ من أقوى الدلائل على عدائهم للإسلام والمسلمين . فمن ذلك جرائم القرامطة الوحشية التي تصور تعظماً إلى دماء المسلمين . ومنه اجتماعاتهم الصاخبة التي يبيحون فيها نساءهم لرفقاء الدعوة ، إلى جانب ما شاع من إباحتهم للواط (٢) . ومنه توسع الفاطميين في استخدام اليهود والنصارى ؛ وفي توليتهم الوزارة وتحكيمهم في رقاب المسلمين وبلطهم غاية التسامح لهم والتكريم ؛ في الوقت

(١) طائفة الإسماعيلية ص ٩٢ وما بعدها - ابن الأثير ٦ : ١٧٧ حوادث سنة ٣١٢ في ساعلة ابن الفرات وزير المعتضد للقرامطة ، ٦ : ١٩٤ حوادث سنة ٣١٦ في اظهار القرامطة أنفسهم بعد غارات أبي طاهر على السواد .

(٢) تراجم أشلة لغارات أبي طاهر الفرمطي على الحجاج في ابن الأثير سنة ٣١٢ ، ٣٢٣ ، ٦ : ٢٤٩٥١٧٧ . ومثال آخر في غارة ذكرويه عليهم سنة ٢٩٤ - ٦ : ١١٥ . وتراجم أشلة في غارات القرامطة على المدن في المرجع السابق - غارتهم على الكوفة سنة ٢٩٣ (٦ : ١١٤) ، سنة ٣١٥ (٦ : ١٨٦) ، سنة ٣٢٥ (٦ : ٢٥٩) وعلى بلاد الجزيرة سنة ٣١٦ (٦ : ١٩١) وعلى دمشق سنة ٢٩٠ (٦ : ١٠٤) وعلى مدن الشام سنة ٢٩٢ (٦ : ١١٣) وعلى المدن والقرى في البحرين سنة ٢٨٧ (٦ : ٩٤) .

وراجع في إباحتهم الفروج وإتيان الذكران وترك الصلاة والصيام وغيرها من التبادات مختصر الفرق بين الفرق ص ١٧٥ . تاريخ ابن الأثير في حوادث سنة ٣٢٢ عند كلامه عن مذهب الشلفغان الذي أحدث طغياً غالياً و التشيع (٦ : ٢٤١ - ٢٤٢) ، سنة ٣٢١ عند كلامه عن قتل أبي سعيد الجنابي حين راود غلامه عن نفسه في الحمام (٦ : ١٤٧) . وراجع قصة المرأة التي وقعت في مسكر القرامطة حين كانت تبحث عن رلدتها الذي استفروه ، في حوادث سنة ٢٩٠ (٦ : ١٠٥) . وراجع كذلك ما رواه محمد بن حاتم الهادي الميماني مما غابته بنفسه من فضائهم في كتابه (كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة) ولا سيما ص ١١ - ١٦ . وراجع كذلك التريغني في كتابه (فرق الشيعة) ص ٧٤ .

الذى كانوا يضيّقون فيه على أهل السنة إلى حد الاضطهاد . حتى لقد قال شاعرهم (الرضى بن البواب) حين عظم نفوذ اليهود وشغلوا مناصب الدولة في عهد المستنصر ، وكانت أمه أمة في بيت أبي سعيد التستري اليهودى (١) .

يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم وقد ملكوا العز فيهم والمال عندهم ومنهم المستشار والملك يا أهل مصر لقد نصحت لكم يهودوا فقد تهود الملك

وبما ترويه كتب التاريخ في هذا الباب قصة المرأة التي عرضت للعزير بن المعز في موكبه مادة يدها بورقة كأنها ظلامه . فلما قضيا وجد فيها (بالذى أعز اليهود بمنشا والنصارى بعيسى بن نسطوروس ، وأذل المسلمين بك ، إلا ما كشفت ظلامتى) - وكان العزير قد ولاهما الوزارة - وطلبوا المرأة فاذا هى هيكلم من جريد النخل (٢) . وبما تحفظه كتب التاريخ تنصيب الحاكم بأمر الله خاليه النصرانيين بطريركين لطانفتيهما في بيت المقدس وفي القاهرة (٣) .

وما ترويه كتب الفرق عن حرصهم الشديد على كتمان دعوتهم وعدم تصريحهم للعامة بعقيدتهم ، واستعمالهم أمجدية خاصة في تدوين أسرارهم . مع تلويهم وظهورهم في كل بيئة بما يناسبها ، وتقربهم إلى كل جماعة بما يلائم عقائدهم وطبائعهم . كل ذلك يؤكد أنهم أصحاب دعوة سرية هدامة ، وأن أهدافهم الحقيقية تختلف عن ظاهر أقوالهم وأعمالهم (٤) .

• • • •

- (١) تاريخ العروة الفاطمية ص ٢١٠ .
- (٢) الحاكم بأمر الله ص ٨١ .
- (٣) الحاكم بأمر الله ص ٨٦ . وراجع أشلة في كتاب (تاريخ العروة الفاطمية) ص ٢٠٢ - ٢١٥ . وراجع أشلة لتقدم مع أهل السنة من المسلمين في ص ٢١٩ . وراجع كذلك كتاب (الحاكم بأمر الله) ص ٨٠ ، ٨١ ، ٨٦ .
- (٤) راجع في تطور دعوتهم وتلويها كتاب (طائفة الاثناعشرية) ص ١٤٧ - ١٥١ . وراجع في استعمالهم أمجدية خاصة (ديوان المؤيد في الدين) ص ١٣١ .

هؤلاء هم الباطنية والقرامطة كما صورتهم كتب التاريخ والفرق وما ظهر للناس من كتبهم . فأين مكان المتنبي من هذه الصورة ومن هذه المبادئ ؟

لم تنجبه عناية الذين أرخوا للمتنبي من الأقدمين إلى هذه الزاوية من حياته وشعره . أما المحدثون فقد اختلفوا في شأنها . فذهب بلاشير إلى أن المتنبي لم يكن قرامطياً ، ولكنه تأثر بآراء القرامطة (١) . وذهب ما سيئون إلى أنه كان قرامطياً (٢) . واتبع طه حسين رأي بلاشير وبالغ فيه ، فبنى كتابه عن المتنبي على أنه كان داعية قرامطياً . وناقش عزام أدلة الذين ذهبوا هذا المذهب ، وانتهى إلى أن قرامطية المتنبي دعوى يعوزها الدليل (٣) . أما نحن فمرجع أن المتنبي كان عدواً للقرامطة خاصة ، وللباطنية على وجه العموم ، وأنه ظل يناصبها العداوة ، وظلت هي تربيص به وتكيد له ، حتى ظفرت به وقتلته . ونحن نتمتع في حكمنا هذا على تدبير شعره في ضوء ما عرفناه عن الباطنية والقرامطة ، وفي ضوء ما نعرفه عن ظروف عصره السياسية والاجتماعية ، وفي ضوء ما يفرضه إليه تحجيص الروايات المتضاربة التي وصلت إلينا عن حياته .

فالقيم التي مجدها المتنبي في شعره تتعارض مع مبادئ الباطنية والقرامطة بل هي تناقض المبدأ الأساسي الأول في النظرية الشيعية ، وهو «الولاية» . والمقصود به عندهم كما قدمنا هو ولاية الإمام . فيجب على الشيعي أن يعرف إمام عصره وأن يؤمن بإمامته ، بكل ما هو معروف عندهم من صفات الإمامة ، وفي مقدمتها العصمة ، وأن يخلص له وينقاد لأوامره . والولاية عندهم ركن أساسي من أركان الدين ، بل هي الركن الأول الذي تبطل بطلانه بقية الأركان . والباطنية - ومهم القرامطة - يغلون في ذلك غلواً

(١) دائرة المعارف الإسلامية - مادة «المتنبي» .

(٢) ذكرى أبي الطيب ص ٢٥٧ .

(٣) ذكرى أبي الطيب ص ٢٥٥ - ٢٦٠ .

يخرجهم عن الإسلام إلى الشرك كما رأينا . فالإمام عندهم له صفات الرسل . بل له الصفات التي يجعلها المسلمون من أسماء الله الحسنى - جل وعلا - والإمام لا يبلغ هذه المرتبة بالاجتهاد في تزكية نفسه وتطهيرها . ولكنه يرثها بنص من الإمام السابق الذي يعتمد في ذلك على الوحي . فالنظرية الشيعية - والباطنية على وجه الخصوص - تعتمد على الوراثة ولا مكان فيها للكسب . فسبيل الشيعي إلى المثل الأعلى هو التغنى بآل البيت الذين هم منه وعدته وذخره ، والتعلق بهم ، والتفاني في الانقياد للإمام . وشعر المؤيد في الدين داعي الدعاة مثل حتى لتصوير هذه القيم . وقد وصف ذلك الشاعر الذي كان يشغل أكبر منصب من مناصب الجهاز الظاهري الباطنية الفاطمية ، مقابله الأولى للخليفة الفاطمي المستنصر وصفاً تبدو فيه هذه القيم في أجلى صورها ، فقال في كتابه (السيرة المؤيدية) (١) :

«وكنت في مسافة ما بين السقيفة الشريفة ، والمكان الذي ألمح فيه أنوار
الطلعة الشريفة النبوية . فلم تقع عيني عليه الا وقد أخذتني الروعة وغلبتني
العبرة ، وتمثل في نفسي أنني بين يدي رسول الله وأمير المؤمنين مائل ،
ووجهي إلى وجههما مقابل . واجتهدت عند وقوعي على الأرض ساجداً
لولى السجود ومستحقه أن يشفعه لساني بشفاعه حسنة ينطقه ، فوجدته
بعجمة المهابة معتوداً وعن منزلة الخطاية معزولاً ومكثت محضرته ساعة
لا ينبعث لساني بنطاق ولا يهتدي لقول . وكلمما استرد مني الحاضرون كلاماً
أزدت إعجاباً ، ولعقبه العي اقتحاماً . وهو - خلد الله ملكه - يقول : دعوه
حتى يبدأ ويستأنس . ثم قمت وأخذت يده الكريمة فترشفتها ، وتركتها
على عيني وصدري ، ودعيت . وخرجت» .

أما المتنبي فهو يعول فيها بتغنى به من قيم على الكسب ، ولا يقيم وزناً
للوراثة . بل يصرح بأن الأحساب لا تغني عن صاحبها شيئاً إذالم يكن صاحب
الحسب متصفاً بالخلق الذي يصدق نسبة ويزكيه . فالذين يتقاربون في انطبائع

(١) ديوان المؤيد في الدين ص ٣٧ .

والخلق هم الأقرباء وأو تباعدت بينهم الأنساب . والذين يتباعدون في الطباع والأخلاق ليسوا بأقرباء وإن جمعت بينهم الأنساب . فالعلوى عند المتنبى علوى بأعماله لا بنفسه . يقول في قصيدة مدح بها أحد أشرف العلويين في الرملة ، بعد تمتع من جانبه ، وإلحاح من وإلى الاخشيديين في المدينة (١) .

نصرت علياً يا ابنه ببواتر
إذا لم تكن نفس النسيب كأصله
وما قربت أشباه قوم أباعد
من الفعل لاقل^٢ لما في المضارب
فإذا الذي تغنى كرام المناصب
ولا بعدت أشباه قوم أقارب
ويقول من قصيدة في مدح كافور الاخشيدى (٢) .

وأنف من أخى لأبي وأمى
أرى الأجداد تغلبها كثيراً
ولست بقانع من كل فضل
عجبت لمن له قد واحد
ومن يجد الطريق إلى المعالي
ولم أر في عيوب الناس عيباً
إذا ما لم أجده من الكرام
على الأولاد أخلاق اللتام
بأن أعزى إلى جد همام
ويبدو نبوة الفصيم الكتهام
فلا ينذر المطى بلا سنام
كنتص القادرين على التمام

وتتلخص القيم الخلقية التي مجددها المتنبى وملاً بها شعره في صفات العفة المترفة عن الشهوات ، والمروءة والفتوة والاباء وتحمل تكاليف الجهاد . وهي كما رأينا صفات لا يقيم لها القرمطى وزناً . فالداعي الباطنى يحصر كلامه في التغنى بالامام وفي جمع القلوب عليه . وهو يرى أن هذه القيم الخلقية لا تغنى عن صاحبها شيئاً إذا لم يتول الامام . فإذا تولى الامام فالأحرف عنها ليس بلذى خطر . بل شريعة الباطنيين وانقراضة نبيح لأتباعها المحرمات وتسقط عنهم التكاليف كما رأينا .

(١) انديوان - نشر هزام - ص ٢٠٩ .

(٢) انديوان - نشر هزام ص ٤٧٥ .

يقول المتنبي في إحدى قصائده الشامية في انطاكية (١) :

إني على شغفى بما في حُرِّها لأعف عما في سراييلها
وترى المروعة والنثوة والأبو ة في كلِّ ملبحة ضرائها
من الثلاث الماتعاني لذني في خلوتي لا الخوف من تبعها
ومطالب فيها الهلاك أتيتها ثبتت الجنان كأنني لم آتها

ويقول في إحدى كافورياته (٢) :

والسر مني موضع لا يناله نديم ولا يفضي إليه شراب
واللخود مني ساعة ثم بينا فلاة إلى غير اللقضاء نجاب
وما العشق إلا غرة وطماعة يعرض قلب نفسه فيصاب
وغير فؤادي للغواني رَمِيَّة وغير بناني للزجاج ركاب
تركنا لأطراف اتقنا كل شهوة فليس لنا إلا بين لعاب
أعز مكان في الدنيا سرج سابع وخير جليس في الزمان كتاب (٣)

ويقول من قصيدته التي مدح بها دكبير بن لشكرووز قائد جيوش الخلافة
لأنجاد الكوفة (٤) :

حب كفى بالبيض عن مرهفاته وبالسمر عن سمر اتقنا غير أنني
عدمت فؤاداً لم تبت فيه فضلة لغير الثنايا الفر والحدق النجل
ذريتي أنل ما لا ينال من العلا فصعب العلاءي الصعب والسهل في السهل
تريدين لقبان المعالي وخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل

(١) الديوان ص ١٧٠

(٢) الديوان ص ٤٧٨ .

(٣) وهذا نجد الكتاب مصدراً للثقافة عند المتنبي . ومصدر الثقافة والمعرفة عند
القرمطي هو الإمام وما يسمونه علم الباطن وهو عندهم علم الحقيقة .

(٤) انديولن ص ٥١٩ .

والمتنبى مع ذلك لم يمدح من العلويين إلا رجلين ، أحدهما العلوى
الذى كان يقيم فى الرملة ، والذى أشرنا إلى أبيات من القصيدة التى مدحه
بها ، والآخر هو محمد بن عبد الله العلوى الذى كان يسكن الكوفة .
وقد مدحه فى صباه قبل أن يرحل عن العراق إلى الشام (١) .

بل نحن على العكس من ذلك نجد فى شعره تعريضاً ببعض العلويين
وتهكاً بهم . فهو يتهم بعض العلويين فى (طبرية) بأنهم أدياء ، فيقول من
قصيدة له فى مدح التنوخيين بالشام . وكان قد رحل عنهم إلى طبرية .
ولكنه لم يلبث أن عاد ساخطاً على العلويين الذين بها (٢)

لولاك لم أترك البحيرة (٣) والتغـ ورؤ دقـ وماؤها شـم
ثم يقول بعد أبيات وصف فيها جمال البحيرة وما يحفها من مناظر خلابة :
يشيها جربها على بلد تشينه الأدياء والقـزم
ويقول فيهم من قصيدة أخرى مدح فيها الحسن بن عبد الله بن طنج -
وهو ابن أخى الأحميد - فى الرملة (٤) .

وفارقت شر الأرض أهلاً وتربة بها علوى جده غير هشام
ويقول فى التعريض بآخرين يدعون النسب العلوى : فيتهكم المتنبى بجهلهم

(١) الديوان ص ٢٠٩ ، ٢٠٢ وقد جاء فى القصيدة الأولى :

كذا الغاطيون تشدوا أكفهم أمر اعماء من خطرط الروايب

وقد فهم بعض الباحثين من هذا البيت أن المتنبى يذكر الغاطيين أصحاب الدولة المعروفة
فى المغرب ومصر . والنواقع أن المتنبى لم يتصد من كلمة (غاطيين) إلا العلويين . وقد عرض
المتنبى بالغاطيين فى أكثر من موضع فى شعره

(٢) الديوان ص ٨٤

(٣) بحيرة صبرية

(٤) الديوان ص ١٩٥

لأن الذى يدعون الانتساب إليه ليس له نسل (١) .

أماكم من قبل موتكم الجهل وجركم من خفة بكم الخلل
ولو كنتم ممن يدبر أمره لما كنتم نسل الذى ماله نسل
ويقول ، حين باغته أن بعض مدعى العاربة قد أعدوا له كينا فى
(كفر عاقب) (٢) :

أتانى وعبد الأدياء وأنهم أعدوا الى السودان فى كفر عاقب
فلو صدقوا فى جدهم ملذرتهم فهل فى وحدى قولهم غير كاذب ؟

فهل المقصودون بالتعريض هم أدياء طبرية الذين أشار إليهم من قبل
كما فسره ابن جنى ؟ ذلك جائز . ولكن (كفر عاقب) التى يذكر الشاعر
أنهم قد أعدوا له فيها كيناً قرية من أعمال حلب . وأين حلب من طبرية ؟
أم أن الشاعر يعرض فى شعره بالاسماعيلية من دعاة الفاطميين الذين كانوا
منشرين فى كل مكان : وفى الشام ومصر على وجه الخصوص ؟ من الجائز
على كل حال أن يكون المقيمون فى طبرية من عملاء الاسماعيلية ودعاتهم ؟
وإلا فكيف يتصور أن ناساً يسكنون فى طبرية يعدون كيناً فى حلب ما لم
يكونوا متمينين إلى إحدى العصابات أو الجماعات الدقيقة التنظيم ؟ .

شعر المتنبي مملوء بذكر هؤلاء الكائدين الذين تعقبوه فى كل مكان ،
وطاردوه فى كل بلد ذهب إليه من بلاد الشام ، حتى تركوه فى قلق لا يعرف

(١) الديوان ص ١٩١ . ولم يسم الديوان المقصود بهذا الشعر . ولكنه أشار إلى أن المقصود
هم بعض العلويين من ولد العباسى طبرية . وأكثر الأعلام الواردة فى هذه الفترة التى سبقت
اتصال المتنبي بسيف التوالة مجهول . وأياً ما كان المقصود بالآيات فهى فى الوقت نفسه
صالحة لأن تكون فى الفاطميين ، فهم يسمون الانتساب لعمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق .
والشايخ لا يعرف لعمد هذا نسلاً .

(٢) الديوان ص ٢٠٩

معهم طعم الاستقرار . يقول من قصيدة له في ابن عمار الأسدي - وكان يل
تعال طرية للخلافة العباسية (١) :

ألفتُ ترحلى وجعلت أرضي فتودى والغريرى الجملالا (٢)
فاحاولت في أرض مقاما ولا أزمعت عن أرض زوالا
على قلق كأن الريح تخفى أوجهها جنوباً أو شمالا
أرى المنشاعرين غروا بذي ومن ذا يحمد الداء العضالا
ومن بك ذا فم مُر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

ويقول ، وقد مر بمدينة (جرتش) متعجلاً ، يعتذر إلى صديق له بها (٣)

لا تنكرن رحيلي عنك في عجل فأنى لرحيلي غير مختار
وربما فارق الانسان مهجته يوم الوغى غير قال خشية العار
وقد منيت بحماد أحاربهم فاجعل نذاك عليهم بعض أنصاري

ويصور المتنبي هؤلاء الأعداء الذين يترصدونه في أسفاره ، فيصفهم
بأنهم لصوص يقطعون الطريق ويعيشون في أعماق الصحراء ، يرتدون
ثياباً بالية لا تكاد تستر أجسادهم ، ويعيشون على ما يجدونه في الصحراء
القاحلة من بيض الضب . فاذا مر بهم أخذوا يتفرسون فيه ويسألونه عن
اسمه ، وكأنهم يشكون في أنه هو المتنبي . فيبالغ في التظاهر بالجبن وعدم
الخبرة بالقتال ، وبالجهل وعدم القدرة على إعراب الكلام . ومع ذلك
يكاد ما طبع عليه من انقصاح أن يفضحه . وكأنما كانت متاعب المتنبي
وكثرة أعدائه وتعرضه للخطر تأتيه من فطنته ومن غباء الناس ، ومن إدراكه
ما لا يدركون . يقول في إحدى قصائده الشامية بأنطاكية (٤) .

(١) الديوان ص ١٢٨

(٢) القته غيب الرحيل . انظر فحل كرم تنسب له الاصل . الجلال العظيم

(٣) الديوان ص ١٥٢

(٤) الديوان ص ١٥٥ .

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن
 وإنما نحن في جيل مواسمية
 حول بكل مكان منهم خلق
 لا أقرى بلداً إلا على غرر
 ولا أعاشر من أملاكهم ملكا
 ... ومدقعين بسُروت (١) صحتهم
 خراب بادية غرقى بطونهم
 يستخرون فلا أعطيهم خبرى
 وخطّة من جليس أتقيه بها
 وكلمة في طريق نخت أعرها

ويقول في إحدى كافورياته ، مصوراً ترصد أعدائه له وهو في طريقه إلى مصر (٢) :

فلولم تكن في مصر ماسرت نحوها
 ولا نبحت خيل كلاب قبائل
 ولا أتبع آثارنا عين قائف

وبصور هربه من مصر وسط جماعة من غلمانته المدربين على القتال (٤) :

تبدل أيسامى وعيشى ومبزل
 وأوجه فتیان حياء تلمسوا
 وليس حياء الوجه في الذئب شيمة
 إذا لم تجيزهم دار قوم مودة

بقلب المشوق المسهام المتيم
 كأن بها في الليل حملات ديلم
 فلم تر إلا حافراً فوق منسم

بجائب لا يفكرون في النحر والسعد
 عليهن لا خوفاً من الحر والبرد
 ولكنه من شيمة الأسد الورد
 أجاز القنا . والحرف خير من الود

(١) السبوت الأرض انى لا نبت نجا

(٢) مكن الضب بيضه .

(٣) الديوان ص ٤٥٦

(٤) الديوان ص ٥٤٧ . وراجع كذلك قصيدته البية ص ٥١٠ . وراجع في وصف الرحلة

ص ٤٨٨ - ٤٩٦ .

من هم هؤلاء الأعداء الذين ملؤوا حياة المتنبي وشعره ، وترصدوه في بلاط الملوك والأمراء ، وفي رحلاته في الصحراء ؟ وهل كانوا يعادونه لأسباب شخصية أم لأسباب سياسية ؟ إن سلوك المتنبي ومزاجه الخاد كان خليقاً أن يثير عليه كثيراً من العداوات . ولكننا لا نستطيع أن نخلى هذه العداوات والمكاييد من الدوافع السياسية . ف شعر المتنبي مملوء بالثورة على الظلم وعلى الأوضاع الفاسدة التي كانت سائدة في عصره (١) ففي صباه المبكر في الكوفة تجده يقول (٢) .

الى أي حين أنت في زى محرم وحتى متى في شقوة وإلى كم
وإلا تمت تحت السيوف مكرماً تمت وتقاس الذل غير مكرم
فنب واثقاً بالله وثبة مساجد يرى الموت في الهيجاجنى النحل في التم
ويقول في شامياته الأولى (٣) .

لأتركن وجوه الخيل ساهمة والحرب أقوم من ساق على قدم
والظعن يحرقها والزجر بقلقها حتى كأن بها ضرباً من اللطم
بكل منصت مازال متظري حتى أدلت به من دولة الخدم

وفي البيت الأخير تعريض بخلافة بغداد التي يسميها (دولة الخدم) . وفيه تصريح بالاعداد لثورة يتولى هو قيادتها . بل هو يذهب في التصريح إلى أبعد من ذلك فيقول :

ميعاد كل رقيق الشفرتين غداً ومن عصي من ملوك العرب والمعجم
فان أجابوا فما قصدى بها لم وإن تولوا فما أرضى لها بهم

(١) جعل له حسين هذا الشعر الشائر مظهراً لتأثر الشاعر بمنصب القرامطة .

(٢) الديوان ص ٢

(٣) الديوان ص ٢٨

ويقول في قصيدة يمدح بها صديقاً له كان يسكن في جبل (جَرَش) (١):

لا افتخارٌ إلا لمن لا يضام	مُدركٌ أو محارب لا ينام
ليس عزماً ما مرض المرء فيه	ليس هماً ما عاق عنه الظلام
واحتمال الأذى ورؤية جانبي	ه غداءٌ تَضَوَّى به الأجسام
ذلك من ينبط الدليل بعيش	رب عيش أخف منه الحمام
كل حلم أتى بغير اقتدار	حجة لاجيء إليها اللثام
أقراراً ألسذ فوق شرار	ومراماً أبغى وظلمى يرام ؟
دون أن يشرق الحجاز ونجد	والعراقان بالقفا والشام ؟

ويندد الشاعر في قصيدة أخرى من قصائده الشامية بحياة الترف والفسق التي يفرق فيها الملوك والأمراء ، مهدداً بالانتقام (٢)

ولا تحمين المجد زقفاً وقينة	فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
علّ لأهل الجور كلُّ طيمرة	عليها غلام ملء حيزومه غير (٣)

ويصور سخطه على ما آل إليه أمر الخلافة ، بعد أن محكم فيها الضعفاء والجهال من جنود الترك نبغوا وأفسدوا وأحرقوا أنفسهم في الترف (٤)

ولما الناس بالملوك ولا	تفزع عُرب ملوكها عجم
لا أدب عندهم ولا حسب	ولا عهد لهم ولا ذم
بكل أرض وظنهما أم	تُرعى بعيد كأنها غم
يستخشن الحرّ حين يلبسه	وكان يُبرى بظفره القلم

(١) الديوان ص ١٤٩ . جرش في جنوب شرق طبرية ، وفي شمال عمان .

(٢) ديوان النقي ص ١٧٤ .

(٣) الطيرة الغرس الوثابة . الحيزوم الصدر أو الصدر . الضمير الملقه .

(٤) ديوان النقي ص ٨٤ .

ويقول مصوراً ترف الحكام وضعف همهم (١) :

فواد ما تليه المدام	وعمر مثل ما تهب الشام
ودهر ناسه ناس صغار	وإن كانت لهم جثث ضخام
أرانب غير أنهم ملوك	مفتحة عيونهم نيام
بأجسام تبحر القتل فيها	وما أقرانها إلا الطعام
وخيل ما بخر لها طعين	كأن فنا فوارسها تمام (٢)
ولم أر مثل جيرانى ومثلى	لمثلى عند مثلهم مقام
بأرض ما أشبهت رأيت فيها	فليس يفوتها إلا الكرام
فهلا كان نقص الأهل فيها	وكان لأهلها منها التمام

ويقول في إحدى مدائحه لسيف الدوثة ، موازناً بين جده في حرب الروم ، وبين لشوم وعبيهم :

ألمى المسالك عن فخر ذهبت به شرب المدامة والأوتار والعود (٣)

ويقول في القصيدة التي بعث بها إليه من الكوفة ، حين استدعاه بعد عودته من مصر فاعتذر :

ما الذى عنده تدار المنمايا كالذى عنده تدار الشمول (٤)

في ظل هذا الشعر الثائر نستطيع أن نناقش قصة ادعاء أبي الطيب النبوة التي لقب من أجلها فيما يقولون بالمتنبي . وقد ناقش عبد الوهاب عزام هذه الدعوة مناقشة علمية وافية في كتابه «ذكرى أبي الطيب» انتهى منها إلى أن القصة تقوم على شائعات لا نصيب لها من الصحة . وأن التهمة التي

(١) الديوان ص ٩٢

(٢) التمام نبت ضعيف .

(٣) الديوان ص ٤١٧ .

(٤) الديوان ص ٤٢٧ .

سجن من أجلها الشاعر في (حصص) هي الدعوة للخروج على السلطان .
كما انتهى إلى أنه سجن بعد استيلاء الاخشيديين على الشام سنة ٣٢١ وأنه
ظل في السجن إلى ٣٢٤ . وقصيدة المتنبي المشهورة :

أبا خدد الله ورد الخددود وقد قدود الحمان القدود

التي بعث بها من سجنه إلى والي حمص من قبل الاخشيد (إسحق بن كيطغ)
سنة ٣٢٤ خير شاهد على ذلك . فقد لخص فيها التهم الموجهة إليه حين قال (١)

وتقبل عدوت على العالميه بن بين ولادى وبين اتعود
فالك تقبل زور الكلا م وقدر الشهادة قدر الشهود
فلا نسمن من الكاشحين ولا تمنان بمحك اليهود (٢)
وكن فارقاً بين دعوى أردت ودعوى فعلت بشأو بعيد

في هذه الأبيات ثلاث حقائق بارزة :

(أ) أنه متهم بالعدوان على جماعة المسلمين .

(ب) أنه سجن بتهمة التحريض على الثورة .

(ج) أن خصومه الذين وشوا به يهود ، أو هو ينزهم بأنهم يهود .

يدفع الشاعر التهمة الأولى بأنه كان في ذلك الوقت صبياً صغيراً .
وربما كان معنى ذلك أن التهمة الموجهة إليه كانت في فترة صباه في العراق
وربما كانت هذه التهمة هي الاشتراك في بعض غارات القرامطة . وقد
كانت كثيرة على الكوفة التي اتخذوا معسكرهم في قرية قريبة منها
على ما ذكرناه . وسنعود إلى مناقشة هذه المسئلة .

(١) اديوان ص ٤٦ .

(٢) المحك اللجج في الخصومة والمنازعة في الكلام .

ويدفع المنتهي التهمة الثانية بأن هناك فرقاً بين الثورة وبين إرادة الثورة .
وينبغي أن يحاسب الناس على ما فعلوا لا على ما يريدون أن يفعلوا . لأن
الذي يريدون فعله علمه عند الله .

ثم هو يدفع التهم الموجهة إليه جميعاً بأنها من تلفيق خصومه الذين يصفهم
بأنهم يهود . وقد ذكر المنتهي اليهود في ثلاثة مواضع أخرى من شعره :
أشار مرة إلى يهودى يدمس له عند بدر بن عمار، ووصفه بأنه يبطن اليهودية
ويظهر الاسلام . وصرح في موضع آخر باسم ذلك اليهودى وهو (ابن كروم)
ووصفه بأنه أعور . وأشار في موضع ثالث إلى يهودى كان يمشى بالتميمة
والفساد بين التوحيين في اللاذقية (١) .

وقبل أن نقف عند هؤلاء الكائدين من اليهود الذين نجحوا في الإيقاع
بالشاعر والزج به في السجن ، وقبل أن نقف عند نبشهم تهمة الاشتراك
في الاعتداء على جماعات المسلمين ، نجب أن نتمضى مع شعر المنتهي لنلاحظ
أن في هذا الشعر ما يدل على أنه كان يسعى جاداً إلى الثورة ويعد لها . وقد
سلك إلى ذلك طريقين . سلك طريق العنف أولاً ، فأدى به إلى السجن .
وسلك طريق السياسة ، بالاتصال بأصحاب السلطان محاولاً أن يتميلهم

(١) الديوان ص ١٣٧ ، ١٥٣ ، ٦٧ وذلك قوله :

رأته المشير عليك في بضعة فاسر بمن بأولاد السرة
وإذا اتقى طرح الكلام مرضاً في مجلس أحد الكلام اتق من
... أسى الذى أسى بربك كافراً من غيرنا معنا بنضك مؤمناً

وقوله : (ص ١٥٣)

فيا ابن كروم يانصف أعمى وأن تنضب فيا نصف البصر
تعادينا لأننا غير لكن وتجنسنا لأننا غير صور

وقوله عن لسان التوحيين في ابن عم طم مات زعم ذلك اليهودى أنهم شتموا فيه : (ص ٦٧)

رئى ابن أيتنا غير ذى رسمك فباعدنا عنه ونحن الأتارب
وعرض أنا جاشون بمسوته وإلا قرارت طرضية القواضب
أليس صحيحاً أن بين بنى أب لنجل يهودى تسدب العقارب

أو أن محظي عندهم منصب ذي نفوذ يعينه على تحقيق أهدافه . ويبدو من شعره بوضوح أنه كان يسعى لأهداف سياسية معينة يتكتمها ولا يصرح بها .

أقام المتنبي في أول عهده بالشام في قرية تسمى « نخلة » قرب بعلبك . وهناك أخذ يعد نقرأ ممن اجتمع إليه للقتال . ودعا الناس إلى دعوته . ولكنه لم يجد منهم إقبالا على الاستماع إليه . ولذلك شبه نفسه بينهم بالمسيح بين اليهود ، وبصالح في عمود (١) .

ما مقامى بأرض نخله إلا	كقمام المسيح بين اليهود
مفرشى صهوة الجواد ولك	ن قميصى مسرودة من حديد
لأمة فاضة أضاة دلاص	أحكمت نجها بدا داوود(٢)
أنا في أمة - تداركها الله	ه - غريب كصالح في عمود

ويتذكر المتنبي هذه الأيام في آخر عمره وهو عند عضدالدولة في شيراز . ويبدو من شعره أنه كان قد قضى فترة من الوقت في البادية ، بصيف بين حمص وخصاصة ، وبشتو في الصحصجان ، وسط جماعة يتدربون على القتال ، ويعيشون حياة بدوية تعتمد على النهب والغارات ، وعلى ما يتصيدونه من وحش الصحراء (٣)

أحب حمصا إلى خصاصة	وكل نفس تحب تحياها
حيث التقى خدها وتفاح لبنا	ن ونغرى على حياها(٤)
وصفت فيها مصيف بادية	شتوت بالصحصجان مشتاها
إن أعشبت روضة رعيها	أوذكرت حملة غزوناها
أو عرضت عانة مفرجة	صلدنا بأخري الجياد أولادها(٥)

- (١) انديوان ص ١٣ . ولذا ذكر أن (نخلة) كانت قرية لبني كلب . وأن بني كلب من القبائل التي استقرها القرامطة - ابن الأثير ٦ : ١١٣ - ١١٤ حوادث سنة ٢٩٣
- (٢) لأمة فضة درع واسعة فضفاضة . أضاة برائة كالغدير . دلاص لينة لمصا .
- (٣) انديوان ص ٥٥٢ .
- (٤) التفسير الأول لصاحبه ، والثاني للسخر .
- (٥) عانة قطيع من حر الوحش . مفرجة متفرقة .

والحيسل مطرودة وطاردة نجر طولى القنا وقصراها
يعجبها قتلها الكفاة ولا ينظرها الدهر بعد قتلها

والمواضع التي أشار إليها المتنبي في هذه الأبيات حول حصص هي المواضع التي قبض عليه فيها في أول حياته فأودع السجن .

وابتغى المتنبي الوسيلة إلى تحقيق أهدافه وجمع الناس على دعوته الثائرة بالاتصال بشيوخ القبائل من البدو فلم يلق منهم استجابة . وصور رحلاته الشاقة وخيبة مساعده في كثير من شعره الشايف على وجه الخصوص . يقول في إحدى هذه القصائد (١) :

أوانا في بيوت البدو رحلى وآونة على قنص البعير
أعرض للرماح الصم نجرى وأنصب حر وجهي للهجير
وأسرى في ظلام الليل وحدي كأني منه في قمر منير
فقل في حاجة لم أفرض منها على شغفي بها شروى نقير
وقلة ناصر جوزيت عنها بشر منك يا شر الدهور

وحاول المتنبي أن يتصل بدوى النفوذ والسلطان يطلب منهم إمداده ومساعدته بالسلاح والرجال حيناً ، ويطمع في أن يظفر بولاية تعينه على تحقيق أهدافه حيناً آخر . طمع عند كافور أن يوليه ولاية أو يعينه بجيش وبدأ ذلك منذ التقصيدة الأولى فقال (٢) :

وغير كثير أن بزورك راجل فيرجع ملكاً للعراقين والبا
فقد تهب الجيش الذي جاء غاربا لسائلك الفرد الذي جاء عاقياً

ثم ألح المتنبي على طلبه في كل قصائده . فقال (٣) :

(١) الديوان ص ١٥٣

(٢) الديوان ص ٤٣٩ .

(٣) ص ٤٤٤ .

فارم بي ما أردت مني فإني
وفؤادى من الملوك وإن كا
أسد القلب أدى الرواء
ن لسانى يرى من الشعراء
وقال (١) :

إذا لم تنظ بي ضيعة أو ولاية
فجودك يكسوفى وشغلك يلب
وقال (٢)

قالوا هجرت إليه الغيث قلت لم
إلى الذى تهب اندولات راحته
إلى غيوث يديه والشآبيب
ولا يمن على آثار موهوب
وصرح فى هذه القصيدة بأن رحلته ليست لجمع المال . فقال يصف
فرسه :

تهوى بمنجرد ليست مذاهبه
لبس ثوب ومأكل ومشروب
وقال فى قصيدة أخرى (٣) :

وما رغبتى فى عجد أستفده
ولكنها فى مفخر أستجده

ومنى المتنبى بالفشل فى كل محاولة حاولها لتحقيق أهدافه . وأدرك
آخر الأمر أنه لم يملك الطريق الصحيح إلى هدفه ، حين ابتغى إليه الوسيلة
بالاتصال بدوى السلطان عن طريق مدحهم وتمنقهم . وعرف أن السيف
وحده كان هو الطريق الصحيح . ولكنه كان يعود فيحدث نفسه فى حسرة
قائلا : إن آماله تحتاج إلى المال والجهد ، وهو لا يملك المال ولا الجاه .
وما أشقى الطموح إذا أعوزته الحيلة ، فكانت همه وآماله أكبر من إمكانه .

يقول من قصيدة له بمصر فى كافور (٤) :

(١) ص ٤٦٤

(٢) ص ٤٤٦

(٣) ص ٤٥٠

(٤) الديوان ص ٤٥٠ .

وأتعب خلق الله من زاد تهمة
فلا ينحلل في المحمد مالك كله
ودبره تدبير الذي المحمد كفه
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله
وقصر عما تشبهى النفس ووجدته
فينحلل مجد كان بالمال عقده
إذا حارب الأعداء والمال زنده
ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

ويقول بعد رحيله من مصر في قصيدته (١) :

حتام نحن نصارى الليل في الظلم
ولا يحس بأجضان يحس بها
وما سراه على ساق ولا قدم
فقد الرقاد غريباً بات لم ينم

وهي قصيدة تقطر حزناً ومرارة .. وقد غاودته فيها آراؤه الثائرة
التي رأيناها في شعر شبابه الشامي .. ففيها يقول :

ما زلت أضحك إلى كلما نظرت
أسيرها بين أصنام أشاهدها
حتى رجعت وأقلامي قوائل لي
أكتب بنا أبدأ بعد الكتاب به
أصغتنى . ودوائى ما أشرت به
من اقتضى بسرى الهندى حاجته
لنى من اختضبت أخفاقها بدم
ولا أشاهد فيها عفة الصنم
المجد لل سيف ، ليس المجد لل قلم
فإنما نحن للأسياف كأنخدم
فإن غفلت فداى قلعة الفهم
أجاب كل سؤال عن أهل بلتم

ويحتم الشاعر قصيدته الحزينة بقوله :

وقت يضيع وعمر ليت مدته
أنى الزمان بنوه في شيبته
في غير أمته من صالح الأمم
فسرهم وأتينا على الهرم

ما هي هذه الأهداف الخطيرة التي ظل المتنبي يسعى وراء تحقيقها
طوال عمره فذاق فيها السحن وعاش حياته مشرداً مهتداً ؟ إننا لا نجد في

(١) الديوان من ٥١٠ .

شعر المتنبي إشارة صريحة لها . فهو يراها أخطر من أن يصرح بها
كما يقول في قصيدته التي رثى بها جدته :

يقولون لي : ما أنت في كل بلدة؟ وما تبغى؟ ما أبغى جل أن يُسمى

ولكن شعره ناطق بأنه كان يسعى إلى أمر عظيم ، تعلم من الكيد المنظم
والدسائس التي أحاطت به في كل مكان وترصدت له في كل طريق أن
يحرص على كتمانها .

يقول في إحدى قصائده الشامية في مسهل حياته (١) :

ومن يبغ ما أبغى من الخمد والعلل نساو الختايّ عنده والمقتائل
ألا ليست الحاجات إلا نفوسكم وليس لنا إلا السيوف ومائل

ويقول ، وقد مر بمكان يعرف بالفراديس ، فسمع زئير أسد (٢) :

أجارُك يا أسد الفراديس مكرّم فتسكن نفس ، أم مهان فسلم؟
ورائي وقد اوى عداة كثيرة أحاذر من نص ومنك منهم
فهل لك في حلقى على ما أريده فإني بأسباب المعيشة أعرف
إذا لأناك الرزق من كل وجهة وأثريت مما تغنمين وأغم

ويقول ، وكأنه يهدد الذين تقرب إليهم بالمدح فلم يعينوه على تحقيق
أهدافه (٣) :

لله حال أرجبها وتخلّفتي وأتفضى كونها دهرأ وعمطني
مدحت قوماً وإن عشنا نظمت لهم قصائدأ من إناث الخيل والحصن

ويقول في إحدى مدائمه لسيف الدولة (٤) :

(١) الديوان ص ٢٧

(٢) الديوان ص ١١١

(٣) الديوان ص ١٥٥

(٤) ص ٣١٠

أهم بشيء واللبالي كأنها تطاردني عن كونه وأطارد
وحيد من الخلال في كل بلدة إذا عظم المطلوب قلّ المساعد

ما هو هذا الشيء الذي هم به ويسعى إليه ولا تساعده الظروف على تحقيقه
إنه ليس مطلباً شخصياً . فالمطالب الشخصية لا تطلب بالسيف ولا تحتاج
إلى الأعداء ، ولا يحارب أصحابها بهذا الأملوب المنظم . وإذا كانت سياسية
فهل كانت مؤيدة للقرامطة كما ذهب إليه طه حسين وبعض المستشرقين ؟
أم كانت معادية للقرامطة ، تريد أن تنبه الناس إلى خطر دعوتهم ، وإلى
أن حقيقتها تخالف ما يظهرون للناس منها - ولتقراهم المعذبين على وجه
الخصوص - حين يزعمون لهم أنهم يريدون أن ينتصروا للمظلومين المحرومين
من المترفين الظالمين ، ويمجدون عليهم بالآية الشريفة التي اتخذوها شعاراً
يكبونه على أعلامهم البيضاء : « ونريد أن نمسح على الذين امتضعفوا
في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين » (١) .

إن الذي يدقق النظر ويطيل التأمل في حياة المتنبي وفي شعره يستطيع
أن يجد شواهد كثيرة على عداوته للقرامطة والباطنية . فالمتنبي قد عاش
حياة قلقة لم يذق فيها طعم الاستقرار إلا عند الحمدانيين . وقد أشار ابن
الأثير في مواضع متفرقة من تاريخه إلى جهاد الحمدانيين للقرامطة على وجه
العموم ، وإلى جهاد أبي الهيجاء والد سيف الدولة لهم على وجه الخصوص (٢)

(١) ابن الأثير ٦ : ١٩٤ حوادث سنة ٣١٦

(٢) نفس حوادث سنة ٢٩٠ تحدث عن مطاردة الحسين بن حمدان (م سيف الدولة) للقرمطي
صلح الشامة في بادية الشام وأسرهم وقتله (٦ : ١٠٨) . وفي حوادث سنة ٢٩٣ تحدث
عن مطاردة الحسين بن حمدان للقرامطة في بادية السماوة وهزيمتهم (٦ : ١١٣ - ١١٤) .
وفي حوادث سنة ٢٩٤ تحدث عن إيقاعه بأصحاب بكرويه بن مبرويه في الشام (٦ : ١١٧ - ١١٨) .
وفي سنة ٣١٢ تحدث عن سراسة أبي الهيجاء بن حمدان (والد سيف الدولة) طريق الكوفة لمحج
وأسر أبي طاهر القرمطي له (٦ : ١٧٧) . وفي حوادث سنة ٣١٥ تحدث عن استيلاء أبي طاهر
للقرمطي على الأنبار وتهديه ببنداد ، وإشارة أبي الهيجاء بن حمدان على مؤنس المنذر أن ينقطع
انقطاع المرصلة إلى بنداد . وبذلك نجت العاصمة من القرامطة .

وقد مضى سيف الدولة على آثار أبيه في مجاهدة القرامطة . ففي سنة ٣٣٧ أغار القرامطة على حمص وأسروا إليها أبا العثائر بن حمدان (ابن عم سيف الدولة) ، فهض إليهم وأوقع بهم واستنقذ ابن عمه . وفي ذلك يقول المتنبي ، مشيراً إلى جيش القرامطة (١) :

وجيش إمام على ناقة صحيح الإمامة في الباطل

ويتكلم بزعم القرامطة . وكأنه كان يزعم لاتباعه أن الوحي ينزل عليه ، ويمثوه عليهم ويخدعهم بما خدعهم به الزعيم القرمطي السابق الملقب بالشيخ ، حين كان يزعم أنه إذا أشار بيده إلى الجهة التي فيها عاربه انهزموا (٢) وكانما كان أتباعه ينخدعون بكلامه ، فيتقدمونه وهو راكب فوق جملة وعليه ثياب فضفاضة ذات أكمام واسعة ، كأنهم جماعة النحل الخائض أمام العاسل :

فأقبلن ينحزن قدامه نوافر كأننحل والعاسل
ولئن لأعجب من أمل قتالا بكم على بازل
أقال له الله لا تلفهم بماض على فرس حائل
إذا ما ضربت به هامة براهها وغناك في الكاهل ؟ (٣)

ويشيد المتنبي في قصيدة أخرى بمجاهد سيف الدولة وجهاد أبيه في مناصرة

(١) الديوان ص ٢٥٨ .

(٢) ابن الأثير . حوادث سنة ٢٩٠ (٩ : ١٠٤) .

(٣) وإلى مثل ذلك أشار أبو فراس في حرب سيف الدولة لقرمطي الذي كان يسمى بالمرقع حين أغار على حمص) وأسروا أباوائل تغلب بن حمدان . فهض إليه سيف الدولة وأوقع به وقتله . وعاد يحمل رأسه فوق رجه . وذلك قول أبو فراس الحمداني : (يتيسه الدهر للعالين ١ : ٢٤ في أخبار سيف الدولة) .

وأنتقد من من الحديد ونقله أباً وائل والدهر أجدهع صاغر
فأب ورأس القرمطي أسامة له جسد من أكعب الرمح ضامر

الخلافة العباسية وشد أزرها ضد القرامطة الذين كانوا يعملون على تقويضها
فيقول (١) :

فأنت حمام الملك والله ضارب وأنت لواء الدين والله عاقد
وأنت أبو الهيجا بن حمدان يا ابنه تشابه مولود كريم ووالد
أولئك أبواب الخلافة كلها وسائر أملاك البلاد الزوائد

ويشيد في قصيدة أخرى بمناسبة سيف الدولة للخلافة العباسية ، مندداً
بدولة البويهيين الشيعة التي يسميها (دولة الكفر) (٢).

لأمر أعدته الخلافة للعدا وصحته دون العالم الصارم العضبا
فإن كان يرضى اللوم والكفر ملكه فهذا الذي يرضى المكارم والربا

وينهكم المنتهى في موضع آخر بالدولة العباسية التي يتبعها سيف الدولة
والخاضعة للشيعة البويهيين (٣).

فيا عجباً من دائل أنت سيفه أما يتوقى شفرتي ما تقلدا ؟
ومن يجعل الضرغام للصيد بازه تصيده الضرغام فيما تصيدا

ويشير في قصيدة أخرى إلى جهاد أبي الهيجا - والد سيف الدولة -

(١) الديوان ٣١٠ .

(٢) الديوان ص ٣١٨ . وقد تلمظ البويهيون على الخلافة منذ سنة ٣٣٤ ، وضربت ألقابهم
على القنود . وقد كان البويهيون من غلاة الشيعة . وكانوا يتعصبون لمذهبهم الشيعي . وقد حملوا
الناس على الاحتفال بأعياد الشيعة ، مثل التذبير وعاشر المحرم . وكان العداء مستحكماً بين البويهيين
وبين الحمدانيين . وكان هذا العداء راجعاً إلى تناقضهم من ناحية ، وإلى ما بينهم من خلاف ملصق
من ناحية أخرى . وقد هم سز اندوق بن بويه بتحويل الخلافة من النباسيين إلى الطوليين . ثم رجع
من ذلك لاعتبارات سياسية تبهد إليها بعض خواصه - تاريخ الأمم الإسلامية (الفترة العباسية)
للخضري . الطبعة الرابعة ص ٣٧٨ ، ٣٨٢ .

(٣) ص ٣٥٨ .

في حرب القرامطة ، حين كان يتولى حراسة طريق الكوفة للحج سنة ٣١٢
فيقول (١) .

ابن المعمر من نجد فوارسها سيفه وله كوفان والحرم

ويشير إلى غارات القرامطة على أطراف ملك سيف الدولة فيجعلهم
أعداء للإسلام كالروم الذين يجاهدونهم سواء بسواء حين يقول (٢)

أنت طول الحياة للروم غاز فتي الوعد أن يكون القفول
وسوى الروم خلف ظهرك روم فعلى أي جانتيك تميل

ويستخر المتنبى من دعوى المهدي والرجعة ، التي يشيعها الباطنية
والقرامطة ، لأنها تصرف الناس عن معالجة الفساد بالكفاح في سبيل الإصلاح ،
وتعطفهم بالأوهام . فيقول في إحدى قصائده لعضد الدولة في شيراز (٣) .

فان يكن المهدي من بان هديه فهذا وإلا فالهدي ذا . فذالمهدي؟
يعلنا هذا الزمان بذا الوعد ويخدع عما في يديه من النقد
هل الخير خير ليس بالخير غائب أم الرشدي غائب ليس بالرشدي؟

وذلك كله صريح في عداة المتنبى للباطنية والقرامطة . فاذا أضفنا إليه
ما سبق أن لاحظناه ، من وصفه خصومه الذين يكيّدون له بأنهم أدياء
تارة وبأنهم يهود تارة أخرى ، مع ما هو معروف من اتهام الفاطميين
بأنهم يهود ادعوا النسب العلوي . وهي تهمة شائعة في عصرهم ، كما يبدو
من المحاضر التي دونتها الدولة العباسية (٤) . ومن كتب الفرق . وإذا أضفنا

(١) الديوان ص ٤١٧ .

(٢) الديوان ص ٤٢٧ .

(٣) الديوان ص ٥٤٧ .

(٤) كتب أول هذه المحاضر في عهد الخليفة العباسي القادر بالله سنة ٤١٢ - وهو معاصر
لحاكم بأمر الله الفاطمي . وقد وقع المحضر كبار الفقهاء والقضاة وبعض زعماء الشيعة .
ريثصن المحضر العن في نسب الفاطميين ، وأنهم ديهانية ينسبون إلى ميون بن ديسان القداح ، =

إليه كذلك ملاحظناه من القيم الخلفية التي تعلق بها ومجدها ودعا إليها وأكثر من ترديدها ، وهي قيم تناقض العقيدة الأساسية في مذهب الإسماعيلية بكل فروعها - ومنها القرامطة - ، تأكد عندنا من ذلك كله ما ذهبنا إليه من أن المنفي كان يناهض القرامطة ودعاة الباطنية .

والواقع أن الشكوى التي يفيض بها شعر المنفي أليق بعدو القرامطة منها بالداعية القرمطية . فالداعية القرمطية لا يشكو ولا يتعجل النتائج ، لأن الدعوة كانت تسير على نظام مرحوم بطريق سرى لا تجهر فيه بالشكوى من قلة النصير ، ولا تعلق فيه العداة للناس . ولأن دعاة الباطنية - ومنهم القرامطة - كانوا ينشئون منشئة خاصة ، تكسبهم خبرة بطائع الناس والمجتمعات ، وقدرة على الدخول إلى قلوبهم من أقرب الطرق وأجها إليهم . وكان الكتمان أبرز صفاتهم . وإنما الأليق بهذه الثورة أن تكون تعبيراً عن ضيقه بفساد المجتمع والحكام ، الذي مهد الطريق لدعوة القرامطة ويمكن لها ، وعدم استجابة الناس له حين يتجههم إلى خطر القرامطة والفاطميين فتقلعهم البلادة والغباء والخوف عن الاستجابة لدعوته ، وحين يجد كثيراً منهم واقفاً تحت سيطرتهم عن رهبة أو غفلة . وحين يقصد الأمراء وأصحاب النفوذ والسلطان فيجدهم مشغولين عن الجهاد وتكاليفه بالترف والشهوات .

ولو كان المنفي داعية قرمطياً كما ذهب إليه بعض الباحثين لعاش كما يعيش كل دعاة القرامطة متخفياً لا يعرف الناس حقيقة ميوله . ولما واجه هذا الكيد المنظم في كل بلد حل به وفي كل طريق سلكه ، وهو كيد لا يصدر إلا عن جماعة واسعة الانتشار دقيقة التنظيم . وأعداء القرامطة ليس لهم رابطة منظمة . وقد واجه المنفي دعاية محكمة في الشنيع

-وأهم كفار زنادقة وفساق ملاحدة ، أسود الفروج وأحلو الخمر وسبوا الأنبياء وأدسوا البربرية . ثم صدر ببغداد محضر آخر سنة ٤٤٤ يتضمن المطاعن نفسها ، ويزيد عليها أن الغاطسين يرجعون إلى أصل يهودي أو مجوسي ، ثم صدر محضر ثالث يؤكد المحضرين السابقين سنة ٤٤٨ - تاريخ الدولة الفاطمية من ٤٠٩ - ٤١١ ، الحاكم بأمر الله من ٥٥ - ٥٦ .

ولكن قصيدة واحدة في ديوان المتنبي من قصائد صباه في الكوفة
تعارض هذه الصورة التي استخرجناها من سائر شعره ، وتدل دلالة
صريحة على أن الشاعر من غلاة الشيعة الباطنيين الذين يؤمنون بالحلول .
ونعني بها قصيدته (١) .

كفى، أرائي- وبك- لومك ألوما هم أقام على فؤاد أنجباً

وهي قصيدة أخفى الشاعر اسم المدوح فيها ، واكتفى بالديوان في
في تقديمها بقوله : (وقال وهو في المكتب بمدح إنسانا، وأراد أن يستكشفه
عن مذهبه) .

يقول المتنبي في هذه القصيدة لمدوحه المجهول :

يا أيها الملك المصفي جوهرأ من ذات ذي الملكوت أسمى من سما
نور نظاهر نيك لا هويته فتكاد تعلم علم ما لن يُعلمنا
أنا مبصر وأظن أني نائم من كان يعلم بالإله فأحلما
كبر العيان على حتى إنه صار اليقين من العيان توهما

هذه الأبيات صريحة في دلالتها على أن صاحبها يؤمن بما يذهب إليه
الباطنية الاسماعيلية في أئمتهم . وهي تذكرنا بوصف داعي الدعاة مقابله
الأولى للمستنصر القاطمي ، الذي ذكرناه من قبل . والمدوح بهذه القصيدة
غير معروف ، لكن من المحتمل أن يكون أحد دعاة القرامطة في الكوفة .
ولعله (أبو الفضل) الذي ورد ذكره في كتاب أبي القاسم عبدالله بن
عبد الرحمن الأصفهاني الذي ألفه لبهاء الدولة بن بويه (إيضاح المشكل
في شعر المتنبي) ، حيث قال إن أبا الطيب (كان في صغره وقع إلى
واحد يكنى أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة . فهو مه وأضله كما ضل) (٢)

(١) الديوان ص ٨ .

(٢) ذكرى أبي الطيب ص ٣١ ، ٣٧ .

وهذه القصيدة هي نقطة البدء التي بنى عليها كلامهم كل من ذهب إلى
تقرمط المتنبي من الباحثين (١) .

واقصيدة على كل حال لا شك في دلالتها . وليس لنا بد من أن نقول
إن المتنبي كان واقعاً تحت سيطرة القرامطة - الفكرية على الأقل - حين
كتبا . وبدعونا هذا إلى أن نتساءل : هل كان هو وحده واقعاً تحت سيطرة
القرامطة ، أم كانت أسرته تشاركه في اعتناق هذا المذهب ؟ إننا لانعرف
شيئاً عن أسرته ولا نعرف أباه ولا نعرف أمه . وقد تحاشى المتنبي ذكرهما
في كل شعره رغم ما ووجه به من تحدى خصومه . ولا نعرف عن جدته
إلا القصيدة التي رثاها بها ، وما رواه الخطيب البغدادي من أنها كانت همدانية
صحيحة النسب ، وكانت من صالحات النساء الكوفيات (٢)

وما دام التاريخ قد سكت عن هذه المسئلة . وما دام شعر المتنبي
يقف منها موقف الصمت . فليس لنا بد من أن نتملا هذه العجوة في قصة
حياة شاعرنا بالفروض . فهل نستطيع أن نفترض - مع ما نعرفه من نلظ
القرامطة على الكوفة ، واتخاذهم معكراً في البيادية القروية منها (٣) - أن
القرامطة قد نجحوا في استدراج واند المتنبي ووالدته الفقيرين ، إلى مذهبهم
الذي كان يستدرج أمثالهما من الفقراء بما يعدهم من عدل ورخاء في ظل المهدي
المنتظر ، فرحلا مع ابنهم الصغير إلى أحد معسكراتهم؟ وشاركوا في غارات

(١) روى طه حسين على ذلك أن المتنبي قد اضطر للجلاء عن الكوفة بعد جلاء القرامطة ، فذهب
إلى بغداد داعية للذهب القرمطي . وقد بنى الباحث ذلك على أنه مدح محمد بن عبد الله الطوسي
بقيديته (أغلا بدار سيك أنيلما) ووصف فيها فراره من الكوفة سيراً على الأقدام . والتواريخ
أن المنبوح بهذه القصيدة لم يكن في بغداد ، ولكنه كان في الكوفة ، كما حققه عبد الرهمن حزام
(ذكرى أبو الطيب ص ٤٩) . وربما كان ما ذكره في القصيدة من وصف رحلته سيراً على
الأقدام وصفاً لعودته من البيادية إلى الكوفة .

(٢) ذكرى أبو الطيب ص ٣١ ، ٣٧ .

(٣) تاريخ الدولة العباسية ص ٣٨٦ .

القرامطة على الكوفة ؟ وأن الصبي الصغير حين شب وعقل قد اطلع
 على عازيهم في هذا المعسكر بعد أن عاش فيه سنين ، فهرب إلى جدته
 التي كانت تعيش في حزن يأكل قلبها على مصير ابنتها . وامتلأت نفس
 المتنبى بالسخط على المجتمع الذي عاش فيه ، بكل ما فيه من قساد وظلم .
 سخط على الحياة اللاهية المترفة التي يجيها أصحاب الجاه والسلطان ،
 والتي يقابلها في الناحية الأخرى حرمان شديد وفقير مدقع . وسخط على
 الانحلال والفساد الذي يفرق فيه الأغنياء المرفون . وسخط على الانحلال
 والفساد الذي يُدفع إليه الفقراء المعدمون . وسخط على استخزاء الناس وضعف
 همهم وتفاهمهم وانشغالهم بشهواتهم . واعتبر ذلك الفساد بكل مظاهره
 وألوانه مشولاً عن تطل المذاهب الهدامة التي تختفي خلف شعارات براءة
 تعمل من ورائها عناصر غريبة على المسلمين وعلى العرب ، تريد أن تضرب
 الإسلام والعرب في وقت واحد . كانت نفس المتنبى تفيض بهذا السخط .
 وكانت هذه الآراء تدور في رأسه ، وتضج الحقد الذي عملاً صدره
 والسخط الذي يغلي في أعماقه . وكانت جدته الحازمة المنكوبة تحيط برعايتها
 وإرشادها ذلك الصبي الصغير الذي أصبح كل ما بقي لها في الحياة . ولكن المتنبى
 لم يطق حياة الدل والعار . ولم يستطع أن يواجه المجتمع الكوفي الصغير ،
 الذي يتساءل في كثير من الدهشة التي يخالطها الإشفاق ، والتي لا تخلو
 في بعض الأحيان من العمز واللمز ، عن اختفاء والد المتنبى ووالدته . رحل
 المتنبى إلى الشام يحمل بين جنبيه كل ما أنضجته التجربة القاسية من حقد
 ومن سخط . ويعمل في رأسه كل ما وعى من حقائق في مجتمعه وفي مجتمع
 القرامطة وما سمع من جدته . ولم يقدر في فورة شبابه واندفاعه قدرته
 وامكانه . وظن أن الأمر يسير ، وأنه يستطيع أن يفعل شيئاً يغير به الوضع
 القائم . ولم لا يفعل ويأب الخمد في عصره مفتوح لكل طموح ولكل مظاهر ،
 من جنود الترك الذين كانوا يشبون من منازل الخدم إلى مقاعد الرياسة ،
 ومن مشايخ القبائل وأصحاب الدعاوى والدعوات الذين كانوا يشبون فجأة
 وفي سهولة ويسر إلى مراكز الامارة ، ولا يلبثون أن يستقلوا عن الخلافة
 وأن يصبحوا ملوكاً في إماراتهم المستقلة .

بدأ المتنبي يتصل في الشام بمشايع القبائل والأمراء، يتقرب إليهم بشعره مادحاً ، ويحاول أن ينههم إلى خطر القرامطة والدعوة الباطنية ، وإلى فساد الأوضاع الاجتماعية القائمة ، وأن يضمهم في جبهة واحدة تقف في وجه هذا الخطر الذي يزحف عليهم من الشرق بالقرامطة ومن الغرب بالفاطميين . ولكن دعاة القرامطة والفاطميين وعملاءهم كانوا يتعقبون المتنبي الشاب ويرصدونه ، ويحيطونه بمكائدهم ودسائسهم التي استمرت إلى نهاية عمره وانتهت بمقتله .

هذا المعسكر القرمطي الذي نفرض هرب المتنبي إليه مع والديه وهو بعد صبي صغير ، يذكرنا بما رواه الطبري وابن الأثير في حوادث سنة ٢٩٠ من خبر المرأة العراقية التي غاب عنها ولدها فخرجت تنشده حتى وقعت عليه في معسكر القرامطة ، وما وصفته من حياة الشيوع الجنسي الذي كان هؤلاء القرامطة يعيشون فيه ، وما كان من ضرب ابنها لها بالسيف حين هربت من هذا المعسكر (١) .

وهذا الفرض الذي ذهبنا إليه يمكن أن يفسر كثيراً من الغموض في حياة الشاعر وفي شعره . فهو يفسر لنا صمته عن ذكر أبيه وأمه . ويفسر لنا ما رواه الخطيب البغدادي وابن الأنباري والبلدعي من أن الشاعر قد خرج إلى البادية فعاش مع الأعراب سنين ، ثم عاد إلى الكوفة بدويّاً قحاً (٢) . ويفسر لنا البيت الذي جاء في قصيدته الدالية التي وجهها إلى إسحق بن كبلغ من صحنه ، وهو قوله :

وقيل عدوتُ على العالمِ ن بين ولادى وبين القعود
فالتهمة التي أثارها خصومه وقتذاك فيما يبدو هي أنه اشترك مع أسرته وهو بعد صبي صغير . - في غارة أو عدوان على جماعة المسلمين .

(١) ابن الأثير ٦ : ١٠٥ حوادث سنة ٢٩٠ ، الطبري ٨ : ٢١٩ .

(٢) ذكرى أبي غالب ص ٤٠

ويفسر لنا ذلك الفرض كذلك ما جاء في تقديم القصيدة الدالية السابقة من أن الشاعر قد أسقط بعض شعره ، وكانت هذه القصيدة مما أسقطه من شعر الصبا (١) . ويفسر لنا أيضاً إشارته في إحدى قصائده عند سيف الدولة إلى جماعة عاش بينهم في صباه ، بين (العديب) و(بارق) و(الثوية) - وهي مواضع في ظاهركوفة - ووصف حياتهم بالخشونة . فهم يفتشون الأرض ، ويلجئون ما يمتنعون من وحش الصحراء بما يقى من سيوفهم التي كسروها في رعوس من قتلوا من الناس (٢) .

تذكرت ما بين (العديب) و(بارق) تجرّ عوالينا وعمرى السوابق
وهجة قوم يدبحون قنيصهم بفضل ما قد كسروا في المفارق
وليسلا توسدنا (الثوية) تحته كأن تراها عنبر في المفارق

ويفسر لنا هذا الفرض كذلك بعض ما جاء في القصيدة التي رأى بها جدته . ففي هذه القصيدة ظواهر كثيرة تلفت نظر الدارس (٣) :

فالمثني قد جاء لزيارة جدته بعد غيبة طويلة في الشام . ولم يشأ أن يدخل الكوفة ، وكتب إلى جدته أن نوافيه في بغداد . فلما باغتها كتابه بعد بأس من لقائه حمت وقتلها المفاجأة أوقتها :

أناها كتابي بعد بأس وترحة فانت سرورا بي قتت بها عمّا
والمثني يشر إلى أنه قد ترك جدته مطالباً بثأرها فوق الوقت نفسه ثأر له ، ففاته الثأر وفاته جدته :

طلبت لها ثأراً ففانت وفانني وقد رضيت لي لو رضيت لها عمّا
فأصبحت أستسقي الغمام لقرها وقد كنت أستسقي الوعى والقنا الصمّا
هيبي أخذت الثأر فيك من العدا فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمى

(١) ديوان أبي الطيب المثني ص ٤٦ . وقد أثبتنا الشاعر من بعد إجابة لرغبة بعض أهل الأدب

(٢) الديوان ص ٣٨٦ .

(٣) الديوان ص ١٥٩ .

ويشير المتنبي إلى ما تشبهه كثرة أسفاره وتقله بين البلاد من تساؤل
عن حقيقة أهدافه . ويقول إن أهدافه أخطر من أن يصرح بها :

يقولون لي ما أنت في كل بلدة ؟ وما تبغني ؟ ما أبغى جل أن يسمى

ويقرر المتنبي - في قصيدة رثاء : يحيم عليها حزن عميق - أنه سيمضي
فيما بدأه ، حتى ينتقم لها ويأخذ بثأرها :

لئن لذ يوم الثامتين بيومها لقد ولدت مني لآثانهم رعماً
... ولكنني مقتصر بذبابه ومرتكب في كل حال به القشما
وجاعله يوم النساء تحتي وإلا فلت السيد البطل القرما

والمتنبي في هذه القصيدة يضمن على جدته كل ما فقدته من صفات
الأبوة والأمومة معاً . ففيها حنان الأم حين يقول :

لك الله من مفعوعة بحبيها قتيلة شوق غير ملحتمها وصبا

وفيها حزم الأب وقوة إدراكه وقدرته على التوجيه حين يقول

فوا أسفا أن لا أكب مقبلا لرأسك والصدر اللذني ملكا حزما

هذه القوضى الخلقية والإباحة الجنسية التي اطلع عليها المتنبي في معسكر
القرامطة هي التي تركت في نفسه ذلك الأثر العميق والكراهية الشديدة للخمر
واللذاء التي تبدو واضحة في سيرته وفي شعره . وهو في الوقت نفسه يعلل لنا
قصيدتين بالغتين في الإفحاش ، وقف أمامهما الرواة والدارسون حائرين ،
وعما قصيدته في إسحق بن كياغ في طرابلس ، وقصيدته في ضبة بن يزيد
العيني الأسدي (١) . والإفحاش فيهما صريح عار ، يقوم على اتهام كل
من المهجورين في عرضه وفي عرض أمه وعرض زوجته . فهل كان ذلك
تعريضاً بقرمطية المهجو ؟ من الثابت أن أحد المهجورين - وهو ضبة -

(١) الديون ص ٢١٨ ، ٥١٤ .

كان قرمطياً . فالذين أغاروا على الكوفة ، حين كان المنبي فيها بعد عودته من مصر سنة ٣٥٣ كانوا من قرامطة بني كلاب ، أخوال ضبة (١) والذين خرجوا مع ضبة ، وترصدوا المنبي وقتلوه في عودته من شيراز إلى بغداد كانوا من قرامطة بني كلاب أيضاً (٢) .

إن هذا الإفحاش المكشوف في الهجاء يذكرنا بشعر أبي القاسم الواسطي في منشا اليهودي ، الذي كان والياً للعزير الفاطمي في الشام (٣) . وربما كان شيوع مذهب القرامطة في الشام وفي العراق في القرن الرابع الهجري هو المسئول عن ذلك السيل الفاحش من الهجاء المكشوف الذي يملأ كتاب (بتيمة الدهر) .

وبعد ، فقد طال الحديث وامتد ولم نبلغ ما نريد . فلعل باحثاً يتفرغ لتتبع صلات المنبي بالقبائل والأماكن التي ذكرها في شعره من ناحية ، ولوقوف هذه القبائل والأماكن من دعوة القرامطة والإسماعيلية الفاطمية من ناحية أخرى . وهو عمل شاق طويل ، ولكنه مفيد . وقد يؤكد تأكيداً قاطعاً ما ذهبنا إليه من فرض .

وأعود في آخر الأمر فأختم هذا الحديث بالكلمة العميقة المعنى البالغة الدلالة في تصوير تواضع العلماء وبراعتهم من الغرور ، وإقرارهم بالقصور . وهي الكلمة التي تعود علماؤنا أن يجتموا بها كل رأي يذهبون إليه حين يقولون « والله أعلم » ..

والسلام عليكم ورحمة الله ..

أضيت في كلية الآداب بجامعة البصرة في يوم السبت ٢١ رجب ١٣٨٢ (٧ ديسمبر ١٩٦٣)

(١) الديوان . حاشية ص ٥١٩ .

(٢) الديوان ص ٥٨٧ .

(٣) تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٠٢ - بتيمة الدهر للعلامة ج ١ ص ٣٣٦ ، ٣٤٩ إلى ٣٥٥

المراجع التي ورد ذكرها في الحواشي

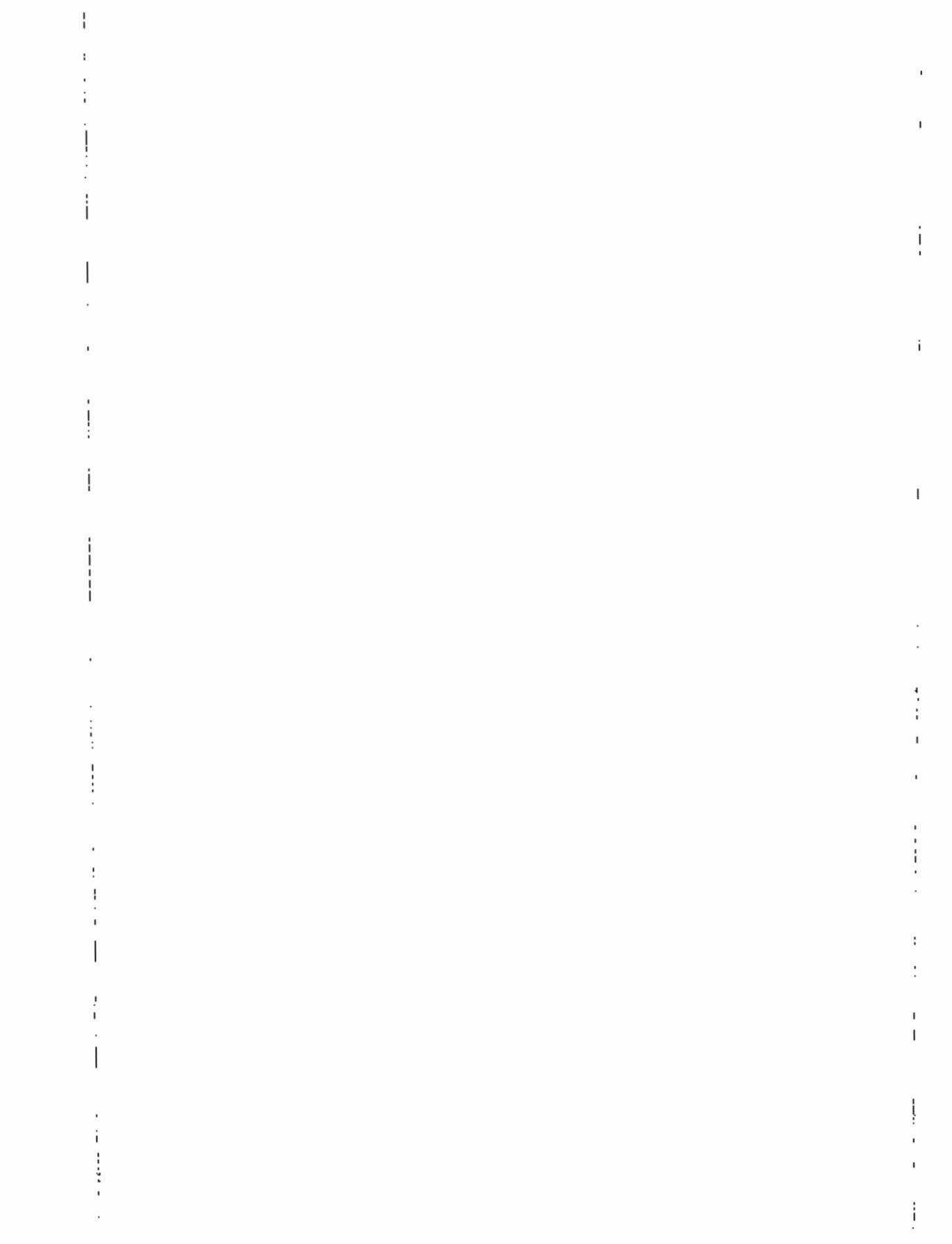
- ١ - تاريخ الأمم والملوك (ج ٨) للطبري - مطبعة الاستقامة بمصر ١٣٥٨ - ١٩٣٩ م
- ٢ - تاريخ الدولة افاطية - لمن ابراهيم - الطبعة الثانية ١٩٥٨ م .
- ٣ - التبصير في الدين - للاصفرائلي - مطبعة الأنوار بمصر ١٣٥٩ - ١٩٤٠ م .
- ٤ - الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة افاطية - محمد عبد الله عثمان . الطبعة الثانية ، لجنة التأليف ١٣٧٩ - ١٩٥٩ م .
- ٥ - الخطط القرظي : راجع (المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) .
- ٦ - ديوان أبي الطيب المنفي - تحقيق عبد الوهاب مزام - مطبعة لجنة التأليف ١٣٦٣ - ١٩٤٤ م
- ٧ - ديوان المفيد في الدين داعي الدعوة تقديم وتحقيق محمد كامل حسين - مطبعة الكاتب المصري عام ١٩٤٩ م .
- ٨ - ذكرى أبي الطيب - لعبد الوهاب مزام - الطبعة الثانية ١٣٧٥ - ١٩٥٩ م .
- ٩ - أصبح أفندي من حيشة المنفى - للديهي - مكتبة عرفة بدمشق ١٣٥٠ هـ .
- ١٠ - طائفة الإسماعيلية - محمد كامل حسين - مطبعة لجنة التأليف - ١٩٥٩ م .
- ١١ - فرق الشيعة - للبرنجي - المطبعة الحيدرية في انجف ١٣٥٥ - ١٩٣٦ م .
- ١٢ - الكامل في التاريخ (ج ٦) لابن الأثير - المطبعة المنيرية بمصر ١٣٥٣ هـ .
- ١٣ - كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة - محمد بن مالك المهادي الهادي - مطبعة الأنوار بمصر ١٣٥٧ - ١٩٣٩ م .
- ١٤ - محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية (الدولة العباسية) لمنصري - الطبعة الرابعة ١٣٥٣ - ١٩٣٤ م .
- ١٥ - مختصر الفرق بين الفرق لبينادي (استصدار ارسني) - مطبعة الهلال بمصر ١٩٢٤ م .
- ١٦ - مع المنفى - لطف حسين - المعارف بمصر ١٩٦٢ م .
- ١٧ - المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (ج ٢) للقرظي - مطبعة النيل بمصر ١٣٢٤ هـ .
- ١٨ - بقيقه انعم - لشعالي - مطبعة سجاوي بمصر ١٣٦٦ - ١٩٤٧ م .

استدراك

لا بد لي من الإشارة إلى بحثين يتصلان جداً بالموضوع ، لم يتيسر وجودهما بين يدي حين كتبت كلمتي هذه . وهما بحث محمود محمد شاكر الذي نشر في مجلة المقتطف (عدد يناير ١٩٣٦) وبحث عبد الحسن الحسني الذي نشر بالإنجليزية في مجلة جامعة بشاور بالباكستان سنة ١٩٥٤ .

أما محمود شاكر فقد افترض في بحثه أن المنفي طوى النيب ، اضطره العلويون وأضطروا جدته إلى إخفاء هذا النيب ، بعد أن فرقوا بين الزوجين (أب المنفي وأمه) لأسباب مجهولة وبني بحثه حل ذلك . ووجه كل ما في شعره من ثورة إلى أنه منى لمكايد العلويين من ناحية ولعصيته العربية وكراهيته للأعاجم الذين تسلطوا على الدولة وأفسدوها من ناحية أخرى . وفي البحث نقد طلي دقيق لكثير من الروايات التي تردد ما حكاكه خصوم المنفي لشويه سيرته .

أما عبد الحسن الحسني فقد بنى بحثه حل أساس اقتصادي . وفسر فيه ثورة المنفي حل أنها ثورة للعرب في الصراع الاقتصادي الذي كان يدور بينهم وبين الأعاجم بقصد السيطرة على الطرق التجارية في الشمال بين العراق والشام ، وفي الجنوب بين العراق والخليج العربي . والقراطة عنده أحد هؤلاء الأعاجم خصوم العرب .



من محفوظات دير سانت كاترين

العلاقات بين الأعراب ورهبان دير سانت كاترين

بشبه جزيرة سيناء في القرن السابع عشر

للكونرس من صهي

يعيش البدوي في شبه جزيرة سيناء حتى اليوم حياة بدائية بسيطة . وليس هناك ما يدعو إلى الظن بأنها تختلف كثيراً عما كانت عليه منذ أقدم العصور . ولكن مما لا شك فيه أن بناء دير سانت كاترين في عهد الإمبراطور البيزنطي جستنيان في القرن السادس قد أدخل قليلاً ببعض مظاهر الحياة الرقمية التي كانت سائدة وقتئذ . فوجود الدير حتم قيام علاقات بين الأعراب والقائمين بأمر الدير .

وبظهور الإسلام ومجيئه إلى مصر كان لابد للدير من أسس تنظم علاقاته مع المسلمين المحيطين به . ورغم أن الإسلام قد نظم العلاقات بين المسلمين وأهل الذمة ، فإن رهبان الدير بصرون على أن هناك عهداً من الرسول بحماية الدير . ويستند الرهبان إلى ذلك العهد ، حتى اليوم ، في التمسك بحقوقهم التي لم ينازعهم فيها أحد .

هذا العهد - كما تذكر مخطوطات الدير - أملاه الرسول صلى الله عليه وسلم وكتبه على بن أبي طالب بخطه في مسجد النبي في الثالث من الحرم في السنة الثانية من الهجرة . وعليه توقيع الصحابة ومن بينهم خلفاء المستقبل أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب . وتوجد بالدير ثمان نسخ مخطوطة باللغة العربية لذلك العهد . كتبت في أزمنة متفاوتة وهي تختلف في النص ولكنها متفقة في المعنى .

والعهد موجه إلى كافة النصارى أجمعين وإلى الأمة الإسلامية وفيه يعطى الرسول صلى الله عليه وسلم النصارى عهد الله وميثاقه ، ان يحجبهم وأن يذب عنهم وعن كنائسهم وبيوت صلواتهم ومواضع الرهبان في الجبال والوديان ، وألا يهدم بيت من بيوت كنائسهم ولا يدخل شيء من مال كنائسهم في بناء مسجد من مساجد المسلمين . كذلك لا تفرض على الرهبان والأساقفة ولا من تعبد منهم جزية ولا غرامة ولا يلزم من نفرد منهم للعبادة في المواضع المباركة مما زرعه ولا خراج ولا عشر ولا قيام بجزية (١)

ولم يشك أحد من خلفاء وسلاطين المسلمين في صحة ذلك العهد (٢). وتذكر مخطوطات الدير أنه بعد مجيء السلطان سليم إلى مصر ، ذهب إليه الرهبان وعرضوا عليه « العهد النبوي الشريف » ، « ففرح بها أكثر من تملكه لمدينة القاهرة » (٣) وقد ذكر العهد في مراسيم أصدرها السلطان التركي محمد الثاني في عام ١٤٥٧ ، والسلطان سليم في عام ١٥١٧ . والسلطان عبد العزيز في عام ١٨٦٨ ، والسلطان عبد الحميد في عام ١٩٠٤ (٤)

وذلك العهد وتلك الفرمانات والأوامر العديدة المتتابعة التي أصدرها حكام وسلاطين مصر وتركيا على ممر العهود ، تضع دير سانت كاترين وسكانه وممتلكاته تحت الحماية الخاصة لخلفاء المسلمين وحكامهم وسلاطينهم . ومن هذا يتبين أن علاقات الرهبان مع السلطات الإسلامية على ممر العصور كانت رائعة . ولم يكن أحد من الحكام مجرؤاً على ايقاع الظلم أو الخيف بهم . حدث مثلاً في قلعة الطور في شعبان عام ١٠٩٣ هـ (١٦٨٢ م) أن حضر

(١) مخطوطات «ديرسانت كاترين» . أرقام ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ ، ١١

(٢) Rabino, M. H. L., Le Monastere De sainte - Catherine Du Mont Sinai
Le caire, 1938, p. 40.

(٣) مخطوط رقم ٢٢٥٣ (يوناني) - (حوليات وسبعادات . ص ٤٢) ، أنظر أيضاً : كتاب تاريخ الدير - مخطوط عربي كتب عام ١٨٢٥ م - مكتبة الدير - رقم ٦٩٢ (عربي) - ص ٢

Rabino, op, cit, p. 40. (٤)

« سيدى محمد بن الشيخ عمر الزكور مستحفظان قلعة الطور والناظر على المسجد الكائن بالقلعة » وادعى « محضرة فخرالأغوات ومعون أرباب السعادات الأمير صفر اغا آغات قلعة الطور » أن بداخل بساتين الرهبان بالطور نجول وقف على المسجد المذكور ، وأن على الرهبان تمهد وحراسة ثمره وتنظيف أرضه ... الخ .. وأنكر الرهبان ذلك . فأمر الحاكم الأمير صفر الناظر باثبات كلامه . فلم يستطيع اثبات ذلك لا بالشهود ولا بسجلات القلعة . « فصح وثبت لدى المحاكم أن ليس عليهم شيئاً من ذلك » . وكتب لم حجة شرعية بذلك (١) :

ولكن ذلك لم يمنع البدو أحياناً من الاعتداء على الدير أو ممتلكاته ورهبانه حينما تسع الفرصة بذلك . وهناك مخطوط يرجع إلى القرن السابع عشر أفرد معظمه لاثبات الاعتداءات التي حدثت في فترات من ذلك القرن والمجالس التي عقدت بشأنها . وكان الاعتداء يتم بأشكال مختلفة . فقد يعتدى الأشقياء من البدو على الرهبان بالضرب أو السب ، أو هدم جزء من حائط الدير أو « دخول الكرم بالنصب .. وهز الشمس وخرط اللوز » . أو قطف الثين والعنب أو طلب الطعام ، والحصول عليه بالقوة ، (٢) أو أخذ الأجرة بالقوة (٣) . وكلما زادت حوادث الاعتداء - وكانت تتفاوت بين التهامة والخطورة - كلما كثرت شكاوى الرهبان إلى الحاكم يذكرونه بمعهد الرسول وحمايته لهم ، فتصدر الأوامر والقرمانات مؤكدة العهد ومجددة آياه ومتوعدة بالعقاب الذى قد يصل إلى حد الاعدام - لمن تسول له نفسه مخالفة الأوامر العالية ومس الدير أو ممتلكاته أو سكانه بسوء . وعلى ذلك يمكن القول أن هذه

(١) مخطوط رقم ٢٢٥٢ (يونانى) - ص ٢٦

(٢) مخطوط رقم 2318A (يونانى) صفحات ١٢٢ و ١٤٦ و ١٢٨ و ١٥١ . كتب في سنوات ١٠٢٩ و ١٠٣٧ و ١٠٥٩ هـ . (١٦١٩ ، ١٦٢٧ ، ١٦٤٩ م) .

(٣) يقول المخطوط عن انتصاب أمير الحراسة مقدماً « أخذها بالنصب لأن النفرة كانت معه سلف » .

(انظر مخطوط رقم ٢٢٥٨ (يونانى) . سنة ١٠٤٢ هـ (١٦٢٣ م) . ص - ٩١ .

الفرمانات من حيث قلة عددها أو كثرتها - إنما تعكس حالة الاستقرار أو الفوضى في المنطقة . فن القرن السادس عشر ، وعقب الفتح العثماني لمصر ، تحتوي مكتبة الدير على ثلاثة وخسين فرماناً . بينما لا تحتوي في القرن السابع عشر الا على فرمان واحد كتب في شعبان سنة ١٠٩١ هـ (١٦٨٠ م) . أما في القرن الثامن عشر فلا تحتوي المكتبة الا على ثمانية فرمانات واحد منها يرجع إلى أوائل القرن (١٧٠٨) والسبعة الباقية كتبت في الفترة ما بين عامي ١٧٧٢ ، ١٧٩٨ م . أما في القرن التاسع عشر فهناك عشرة فرمانات صدر معظمها في عهد محمد علي . (١)

والبدو في المنطقة كانوا - وما يزالون - يرتبطون بالدير ارتباطهم بالماء والزرع أيها وجدوا . فأجيال البدو تجمي وتروح ، وتندثر قبائل وتظهر أخرى ، والدير باق صامد شامخ . فهو مشيد على شكل قلعة متينة ليقاوم البشر والزمان معاً . والدير بأملأكه وحدائقه ورهبانه يمثل جزءاً من حياة أهل المنطقة . والعلاقة بين الدير والبدو هي علاقة مصلحة مشتركة قبل كل شيء . فالدير يستخدم البدو كقوة بشرية يحتاجها لمختلف الخدمات . ومكتبة الدير خاصة بالاتفاقات والمعاهدات مع مشايخ العربان على ممر العصور . وهو ما تعبر عنه مخطوطات الدير بلفظ «شورة» أو «شورى» وهذه اتفاقيات يلتزم فيها المشايخ بالتزامات معينة وتحدد مسؤولياتهم وأعمالهم . وبمقتضى قرارات تلك «الشورى» يعطى الرهبان إلى حقوقهم ازاء الاعراب ويأمنون على أنفسهم تجاههم . تقول المخطوطات مثلاً أن «محمد ابن كليب الصالحى من طائفة العوارمة حصل منه أسية عليهم بالدير وأخذ منهم ألف نصف فضة» ولكن المجلس يعقد بحضور «شيخ العرب صقر منصور صيام العابدى شيخ عربان العابد» ويدفع المبلغ إلى الرهبان . (٢) وبعض تلك «الشورات» أو الاجتماعات كان يحضرها كبار مشايخ العرب . ويسمونها حينئذ «شورة

(١) هذا استنتاج محوط بالتحفظ . فذلك هي فرمانات المكتوبة بالعربية ثم أن هناك احتمال بضياح أو تلف بعض ما وجد بالدير من وثائق في هذه الفترة أو تلك .

(٢) مخطوط ٢٢٥٨ (بولاق) - ص ٣٢٤ (١٠٨١ - ١٦٧٠ م) .

عظيمة » ، كذلك التي حضرها شيخ العرب موسى بن الأمير محمد المسور شيخ عربان العابد المصريين والساميين (١) . ولم تذكر المخطوطات مكان عمدة هذه الشورات . ولكنها غالباً ما كانت تعقد داخل الدير - كما يؤكد الرهبان الذين عاصروا هذه المجالس إلى عهد قريب . وذكرت المخطوطات في بعض المواضع أن الرهبان ذهبوا إلى بيوت الاعراب للتشاور معهم في بعض الأمور (٢) .

والبدو في المنطقة يفخرون بوجود الدير بين ظهرانيهم . وهم يعتبرونه ديرهم ويعتزون بالأماكن المقلدة التي تحوطه : فهناك الأماكن المقلدة التي نزل بها سيدنا موسى ، وعلى وجه الخصوص ذلك الجبل الذي يؤكدون أن سيدنا موسى قد كلم عنده الله سبحانه وتعالى .

وعلى كل تلك الأسس قامت العلاقة بين الدير ورهبانه وبين البدو بالمنطقة . وهؤلاء كانوا متعددي القبائل في الفترة موضوع البحث . وبعض تلك القبائل لا يزال موجوداً حتى اليوم كقبيلة الجبالية : ومن هذه القبائل التي ذكرتها المخطوطات أولاد سعيد والصوالحة والقلقاء ، وهذه كانت تتسكك بحقها في توريد الملح للدير ، وكذلك أولاد واصل . ثم « غفراً » الدير أي حراسه من العوارمة والزهرات والعلقات . (٣) أما الجبالية فكانوا « فلاحين » الدير أي عماله . كذلك كانت توجد قبائل العابد وعربان أولاد على العوارمة والبراغشة .

(١) مخطوط رقم ٦٨٨ (عربي) - ص - ٤٠ (كثبت عام ١٩٢٣ ١٥٢٦٨م)

(٢) مخطوط رقم ٢٢٥٨ (يوناني) - ص ١١٥ - دون تاريخ (قرن ١٧٠١) .

(٣) فرج بعض أفراد قبيلة العلقات بحدود جنوباً في وادي النيل وسكنوا المنطقة المعروفة حالياً بالنوبة باسم وادي العرب . ويبدو في تلك الأيام - بمناسبة تهجير أهل النوبة إلى الشمال قيل أن تضرر مياه نهر النيل في أراضيهم - جدل حول مجرى قبائل لمرية إلى ذلك الجزء من النوبة وقضارت أموال الناس هناك . ولكن لا يزال البعض منهم يذكر أن قبائل العلقات جاءت من سيناء حيث كانت تقيم إلى جوار دير سانت كاترين تقبل العبارة وتصل في حراسة رهبان الدير من قطاع الطرق .

أنظر : جريدة الأهرام - ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٦٢ - ص ٣ (تحقيق عن : كيف تمضي حياة الناس في منطقة بلاد العرب بالنوبة) .

وكان الرهبان يتمتعون بمركز ممتاز ونفوذ واضح بين قبائل البدو . وهم يتمتعون بذلك النفوذ عن طريق أحكام المجالس التي يعقدونها مع مشايخ الأعراب . ويرجع جانب من ذلك النفوذ أيضاً إلى حاجة البدو اليهم ، كما أن جانباً آخر منه كان وراثياً تقليدياً . فقد تنازمت الأمور بين الأعراب والرهبان وهنا يهدد الرهبان باغلاق الدير . ويعلم الأعراب بعزم الرهبان على اغلاق الدير والتوجه إلى القاهرة والتفرق في الطور والعودة إلى بلادهم فيزعجون أشد الانزعاج . فهم يعتبرون الدير ديرهم (١) ويطلبون من الرهبان البقاء بالدير وعدم اغلاقه . ويبدون استعدادهم للعمل على راحتهم وتهيئة سبيل العيش والاقامة لهم كيفاً يرون (٢) . ويتكرر تهديد الرهبان بهجران الدير في القرن الثامن عشر أيضاً . يعرض الرهبان أن « يفوتوا الدير والبلاد » ويجب الأعراب « لا يارهبان نحن ما نرضاه ولا نريد في خراب الدير والبلاد وكرومنا » (٣) . وأحياناً كان الرهبان يقومون بتنفيذ هذا النوع من المقاطعة مع الأعراب فيكون بمثابة درس لهم . وقد حدثت تجربة من هذا القبيل في أوائل القرن السابع عشر إذ ترك الرهبان مزارعهم وكرومهم دون عناية لعدة سنوات . وكان للدير بساتين وأملاك في الوادي والجبل وفي الطور وفي فيران ، كما كانت لهم أوقاف في غزة (٤) . والبدو في حاجة إلى ما يهبه لهم الرهبان من محصولها ومن أجر نظير خدماتهم لهم وحراستهم لها . ولم يكن الأعراب - من ناحية أخرى - ليجرؤن على تعمية تلك المزارع فهي أملاك للدير . ولذلك ، يجيء الأعراب إلى الرهبان يسألونهم رضاهم وإعادة تعمية الدير . وقد جاء في مخطوط يرجع إلى عام ١٠١١ هـ .

(١٦٠٢ م) :

(١) مخطوط رقم ٢٢٥٣ (يونان) - ص ٦٣ - (١٠٩٢ - ١٦٨٢ م)

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) مخطوط رقم ٢٢٥٨ (يونان) ص ٨٢ - (١١٣٩ - ١٧٢٦ م)

(٤) انظر مخطوط رقم ٦٨٨ (هرن) ص ٢٩ (١٠٨٠ - ١٦٦٩ م) وكذلك مخطوط

رقم ٢٢٥٨ (يونان) ص ٣١٨ (١٠٣٣ - ١٦٢٢ م) .

« أن الغفران كلموا الرهبان من يم عمار (ة) كرم الطور
لأن الرهبان كان لهم واحد وعشرين سنة لم عمره لأجل أن
العربان غفراً وغيرهم كانوا يتعبوا الرهبان ويشوشوا عليهم .
ولا يخلطوا الرهبان يرتاحوا في عمارت الكرم فتركوه كل هذه
المدة من أجل خناق العرب . وبعد مدة قاموا الغفران وقالوا
للرهبان نحن نربحكم كل راحة .. بس عمروا الكرم حتا
ينتفع الدير ويترزقوا المساكين من محبة الرهبان . وأما نحن
لكم حلينا شرط الله وما أعز من الله أحداً أن الذي لنا لم
نطلب منه شيئاً الا برضا خاطركم .. » (١)

وعلاقة الرهبان بقبيلة الجبالية - وهي علاقة تقليدية ترجع إلى ما قبل
القرن السابع عشر بقرون - تمثل جانباً من تمتع الرهبان بنفوذهم في المنطقة .
كان للدير خدم من « الجبالية فلاحين الدير (٢) » . وكان على هؤلاء « الجبالية »
خدمة الدير والرهبان وخدمة ما يتعلق بهم من البساتين بالاتفاق مع الرهبان .
وهم يقومون بذلك العمل كأباؤهم وأجدادهم كما جرت عليه التقاليد وبأجر
متفق عليه . ومن المفروض أيضاً أن يتولى ذلك العمل أبناؤهم وأحفادهم من
بعدهم . وكانت هناك اتفاقيات معينة بين الرهبان والجبالية ، يرجع بعضها
إلى ما قبل القرن السابع عشر ، وتحدد نوع العمل والعلاقة بين الجانبين
ونوع العقاب الذي يوقع على من ينكث بالعهد من الأعراب . ومما جاء في
صدد تلك العقوبات :

« ويوم أن يزل واحد مع الرهبان يسوق عليه على قدر
زلته ويشوروا عليه ويأخذ الراهب من الجبالي عشرة غروش
لأجل الزلة الذي عملها . والثوارين لهم سبع روس معزة

(١) مخطوط رقم ٢٢٥٣ (يونان) ص ٢٤ (١٠١١ - ١٦٠٢ م) .

(٢) نفس المرجع السابق - ص - ٢٩ - (١٠٨٠ - ١٦٦٩ م) .

يأكلوهم ويشيلوا من قرية من كل ركن أربع حجارة ويسوقوا
عليه على قدر زنته والحابين ارفاقه يقطعوا أيده لأجل أنه خاين
وان استجار في أحد ماله جيرة من العرب وغيرهم ..» (١)

ويستند الرهبان في علاقاتهم مع « الجبالية » وخدمتهم لهم جيلا بعد جيلا
إلى ما يذكرونه في مخطوطاتهم عن ارسال « يوستينيانوس » أي جستنيان
لمائة رجل من عبيد الروم نساءهم وصبيانهم - عقب بناء الدير مباشرة -
ليكونوا في خدمة الدير ورهبانه . (فأرسل « يوستينيانوس » إلى البحر الأسود
إلى بلاد الافلاخ وجاب مائة عيلة وحرمتهم وأولادهم وأرسلهم إلى مصر
وكتب إلى الحاكم المتولى في مصر تاودروس حتى أنه يرسل مائة عيلة من
عنده رجلا وحرمتهم وأولادهم) (٢) . وكان الرهبان يسردون قصة عبيد
الدير هذه للأعراب في المجالس التي تعقد لفض النزعات بينهم وبين الأعراب
وتنظيم العلاقة بينهما وتحديد نوع العمل . وتستطرد المخطوطات قائلة
أن الامبراطور بني هؤلاء العبيد خارج الدير في الناحية الشرقية منه بيوتا
للسكنى في مكان يبعد عن الدير ثمانية أميال . (٣) أما عن مصيرهم فتذكر
المخطوطات :

« وحتم الملك المعظم يوستينيانوس بأن يكونوا عبيداً إلى الدير
هم وحرمتهم وأولادهم إلى أبد الأبدين إلى أن الله يرث الأرض
وما عليها حتى يحرسوا ويخدموا الرهبان والدير في كل خدمة
وأنهم يكونوا في طاعة الدير والرهبان لكي لا يخالفوا أبداً» (٤)

(١) مخطوط رقم ٦٨٨ (عربي) ص - ٢٩ - (١٠٨٠ - ١٦٦٩ م) .

(٢) كتاب تاريخ الدير مخطوط رقم ٦٩٢ (عربي) ص - ١ - ٢ . (١٨٢٥ م) .

(٣) نفس المرجع السابق .

أنظر كذلك مخطوط رقم ٢٢٥٢ (يوناني) - ص - ٤٢ . (القرن ١٧) . ولا كذلك المخطوط
أيضا قصة «غلمان الدير» ويقول ان موقع مساكن هؤلاء العبيد كانت تسمى - وقت كتابة
المخطوط - بدير العبيد . وبسؤالنا الأهالي عن تلك المنطقة اجابوا أنها تسمى الآن (دير القجارى)
أى دير الفقراء .

(٤) المرجع السابق ص - ٢ .

ويستطرد الرهبان في قصتهم فيقولون أن هؤلاء العبيد توالدوا وتكاثروا ثم جاء الاسلام وصار أولادهم مسلمين ويسمون غلمان الدير . كذلك يقولون أنه لما جاء السلطان سليم إلى مصر ذهب إليه العبيد وقالوا أنهم دخلوا في دين الاسلام وطلبوا منه أن يطلق سبيلهم ويعتقهم من العبودية . « فرحب سليم برجعهم من الضلالة إلى دين الاسلام ولكنه رفض عتقهم من عبوديتهم » (١). ويقول الرهبان أن سليم لم يكف بذلك بل أضاف إلى أعباء هؤلاء العبيد أعباء أخرى « اكراماً للدرأويش والفقراء والمساكين الموجودين بالحرم الشريف » (٢) . وبعد حوالي مائة سنة استعان العبيد بالرهبان لدفع هذا الظلم عنهم . وبعد مدة انفق الرهبان أموالاً كثيرة في سبيل ذلك - ولم تظهر المخطوطات أوجه صرف هذه الأموال بالدقة - استطاع الرهبان رفع سائر الظلم والسخرية الذي كان السلطان سليم قد ألزم العبيد به (٣) . ويقول الرهبان كذلك في مواضع أخرى من مخطوطاتهم أنه بمجيء الاسلام تطاحن هؤلاء العبيد وتباحثوا فقتلوا من قتل وهرب من هرب إلى الشام وأسلم من أسلم منهم فخرّب الرهبان منازلهم بعد أن أسلموا وتفرقوا لثلاثين عاماً . أما الذين بقوا فكانوا قليلين ولم يستطيعوا حماية أنفسهم من الأعراب . وبعدئذ تم الاتفاق بين الرهبان والأعراب على أن يعطى الرهبان كروم الدير إلى الأعراب وكذلك يسلّمون صبيان الدير إلى قبيلة الحماصة كوديعة (٤) .

ولكن الرهبان على أية حال لم يذكروا تواريخ محددة أو تضييحية لتلك الوقائع . إنما هذه كانت قصصاً يرددونها للأعراب الذين يبدو أنهم غالباً ما كانوا يصدقون رواياتهم . وحتى عند اختلاف الأعراب مع الرهبان على أمر ما - وقد يصل إلى حد اتهام الأعراب للرهبان بقتل أحدهم - يكتفى الأعراب بطلب قسم الرهبان مثل عادة العرب . فيحلفونهم « أربعة

(١) مخطوط رقم ٢٢٥٣ (يونان) - ص ٤٢ .

(٢) ، (٣) - نفس المرجع السابق .

(٤) كتاب تاريخ الدير - مخطوط رقم ٦٩٢ (عرب) - ص ٤ .

وأربعين كلمة أنهم سالمين من جلال (أى القتيل) المذكور : ثم ينصاقون على اتفاق معين (١) .

وكان البدو أيضاً يقومون بخدمات متعددة للدير . فكانوا يجيئون للدير باحتياجاته من ثبونة وحطب وغير ذلك . ويبدو أنه كان هناك بعض من الاختصاص لكل قبيلة في تزويد الدير بنوع من الثبونة أو حبلها . وفي « الثورة » المعروفة عام ١٠٨٧ هـ تذكر المخطوطات « وقاموا العرب والرهبان بدو كلموا أولاد واصل حتى يجيئوا الملح لا (ن) الملح عليهم قالوا نحن الملح ولاكن الربع بنصف فضه ما بيكفى قاموا عملوا لهم الرهبان الأردب بثلاثين فضة .» (٢) ولكن ذلك النظام يجب أن يكون برضا الرهبان والاتفاق معهم . ويحدث أحياناً أن يصر الأعراب على جلب حطب قد لا يكون الدير بحاجة إليه . حينئذ يبدأ الصدام : فالأعراب يريدون أجرهم والرهبان لا يقبلون الحطب . وتعتقد « الشورى » للفصل في الأمر وغالباً ما يمثل الأعراب لوجهة نظر الرهبان (٣) .

إلى جانب ذلك عمل البدو « غفرة » أى حراماً للدير واقوافل الرهبان من الدير لتطور أو العكس . وهؤلاء كانت لهم أجور يتفق عليها عن كل رحلة . وجاء في إحدى الاتفاقيات حول حراسة البدو لنقوافل أنهم « رضوا واسترضوا من الرهبان بالعادة القديمة السالفة بالغفارة والزواد عن كل خطوه أربعة أنصاف فضة وربع دقيق بالطلعة والرجعة ورطل زيت طيب لا غير ..» (٤) وكان الرهبان أحياناً يعهدون بأمر الحراسة إلى قبيلة بأكملها على أن تتقاسم الأجر فيما بينها وبشروط خاصة . ومن هذه الشروط :

- (١) مخطوط رقم ٢٢٥٨ (يونان) - ص ٣٢٤ (٥١٠٦٩ - ١٦٥٨ م) .
- (٢) مخطوط رقم ٢٢٥٣ (يونان) - ص ٢٣ - (١٠٨٧ هـ - ١٦٧٦ م) .
- (٣) نفس المصدر السابق .
- (٤) مخطوط رقم ٢٢١٨ (يونان) - ص ٦٥ (١٠٢٨ هـ - ١٦١٨ م) . وأيضاً نفس المرجع - ص ٧٢ (١٠٤٦ هـ - ١٦٣٦ م) .

«... وأن غفرة الصوالحة على الرهبان كل سنة في آخرها
فضة مصرية انصاف ثمانين وأربع ثياب خام مخلاوى عوضاً
عن ثوبين نابلسي خام يقسموها فيما بينهم . وكذلك غفره
العليقات مثلها .. وكذلك غفرة أولاد سعيد مثلها ...
واشترطوا على نفوسهم حراسة الدير المبارك والذب عن
الرهبان بنفوسهم وردع من يتعرض لهم بالأسا والنشويش
وأن لا أحداً من العربان يتدخل الدير بسلاح ولا يسكن ولا يبات
منهم أحداً جواً للدير ولا يدخل منهم للدير ولدا .. الخ» (١)

وأجر الحراسة كان يمنح عن سنة . ويختلف في القيمة من سنة إلى
أخرى . تبعاً للاتفاقيات مع الأعراب . ففي عام ١٠٥٥ هـ (١٦٤٥ م) مثلاً
كان أجر الحارس السنوي ٣ أو ٤ فضة ، وكسوة تتكون من «شاش غزاوى
وطافية» (٢) وقد يعطى الأجر عن كل ثلاث سنوات (٣) . وكان تسليم
الأجر والكسوة يتم بشهادة الشهود ويثبت كل ذلك بسجلات الدير . وقد
يعهد الرهبان بحراسة الأديرة من سيناء إلى شيخ واحد يلتزم بذلك . وهنا
تكون واجبات الشيخ شاملة لحراسة الأديرة والرهبان وقوافلهم الآتية
من مصر إلى الدير وإلى الطور والزائرين كانوا يحضرون للحج إلى الدير .
وجاء في اتفاقية خاصة بالتزام من ذلك النوع :

«أن الشيخ زهو المذكور أنه ارتضاه برضاه واختياره
أنه يكون غفيراً للدير طور سيناء بسويت الغفرة الذين تقدموه
وأشهد عليه الشيخ زهو المذكور أنه تدرك بالدير ودرج
الدير ودرج الطور ودرج العنزة وجميع الرهبان وما لم
من الكتابيس والغيظان بالجبل والدير وبساحل الطور وادى

(١) مخطوط رقم ٢٣١٨ (يوناني) ص - ٦٥ (١٠٢٨ هـ - ١٦١٨ م) .

(٢) مخطوط رقم ٢٢٥٨ (يوناني) - ص - ٤١ (١٠٥٥ هـ - ١٦٤٥ م) .

(٣) نفس المرجع السابق .

فيران وقبولهم والمشجزة من مصر المحروسة إلى الدير وإلى
الطور الجميع عاد في دركه وفي عرضه وفي لزمه .. (١)

وفيها مختص بالأجر ، يتم الاتفاق على أن « جماعة الرهبان المذكورين
جعلوا إلى المقام العالى الشيخ زهو المذكور في كل سنة مائة وخمسون نصف
فضة معاملة مصر المحمية من غير زيادة ولا كسوة ولا شاي (شئ)»
كثير ولا قليل .. (٢)

وفي الاتفاقيات التي كانت تعقد بين الرهبان والأعراب حول حراسة
الدير وملكاته كان الأعراب يتعهدون بضمان بعضهم « ضمانة بنى عقبة » (٣)
وفيها أيضاً توضح واجبات الحراس والتزاماتهم وأجورهم بكل دقة .. فمثلاً :

« عليهم حفظ الكرم ورهبانه وانمارة ومهما يفسرق من
الكرم يكون عليهم ويلتزموا به .. ولا يدخل الكرمه منهم
سوى ثلاثة أنفس وثلاث أولاد لا غير ... ولا يدوروا
بالليل وحدهم جوار الكرم ولا يتلطفوا شئ من البلع وكل
شاي أن يقط من البلع ومن الثمر على الأرض ليس لهم
به شاي لا قليل ولا كثير ولا ينفضوا الرهبان الثمر ويقع منه
شاي خارج عن القلعة لا يغيروا يحفظوه ولا يأخذوا منه
شاي ... (٤)

فداجة الدير إذن إلى خدمات الأهالي ، والمصالح المشتركة بينهما ،
قد حتمت قيام علاقات مبنية على أساس من حسن الجوار . ولعل ذلك
قد دفع بالرهبان إلى تخصيص جزء من ديرهم ليكون مسجداً للمسلمين
داخل القلعة ذاتها .

(١) مخطوط رقم ٢٢٥٨ (يوناني) - ص ٢٣٨ . (١٠٧٢ - ١٦٦١ م) .

(٢) نفس المرجع السابق .

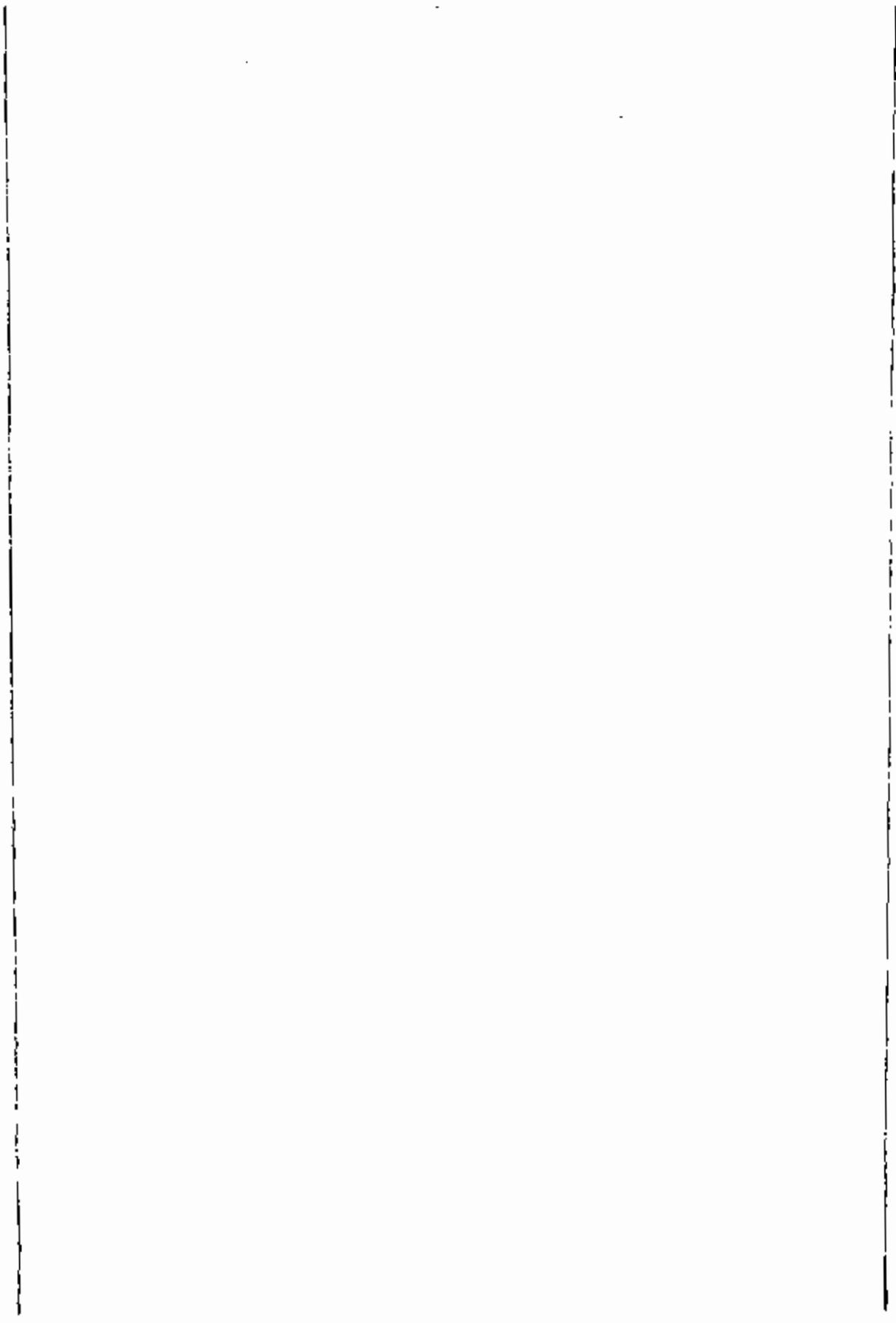
(٣) مخطوط رقم ٢٢١٨٨ (يوناني) ص - ١٢٠ . (١٠٧٢ - ١٦٦١ م) ؛ مخطوط رقم

٢٢٥٨ (يوناني) ص - ١٠٥ (١٠٧٢ م) ، ونفس المرجع ص - ٣١٥ (١٠٥٩ م) .

(٤) مخطوط رقم ٢٢٥٨ (يوناني) - ص ٣١٥ - (١٠٥٩ - ١٦٤٩ م) . هناك أيضاً

اتفاقيات مشابهة جاءت بنفس المصروف صفحات ٩٧ - (١٠٥٩ م) ، ١٠١ (١٠٦٨ - ١٦٥٧)

١٠٢ (١٠٧٦ - ١٦٦٥ م) ، ١١٦ (١٠٥٣ - ١٦٤٣ م) .



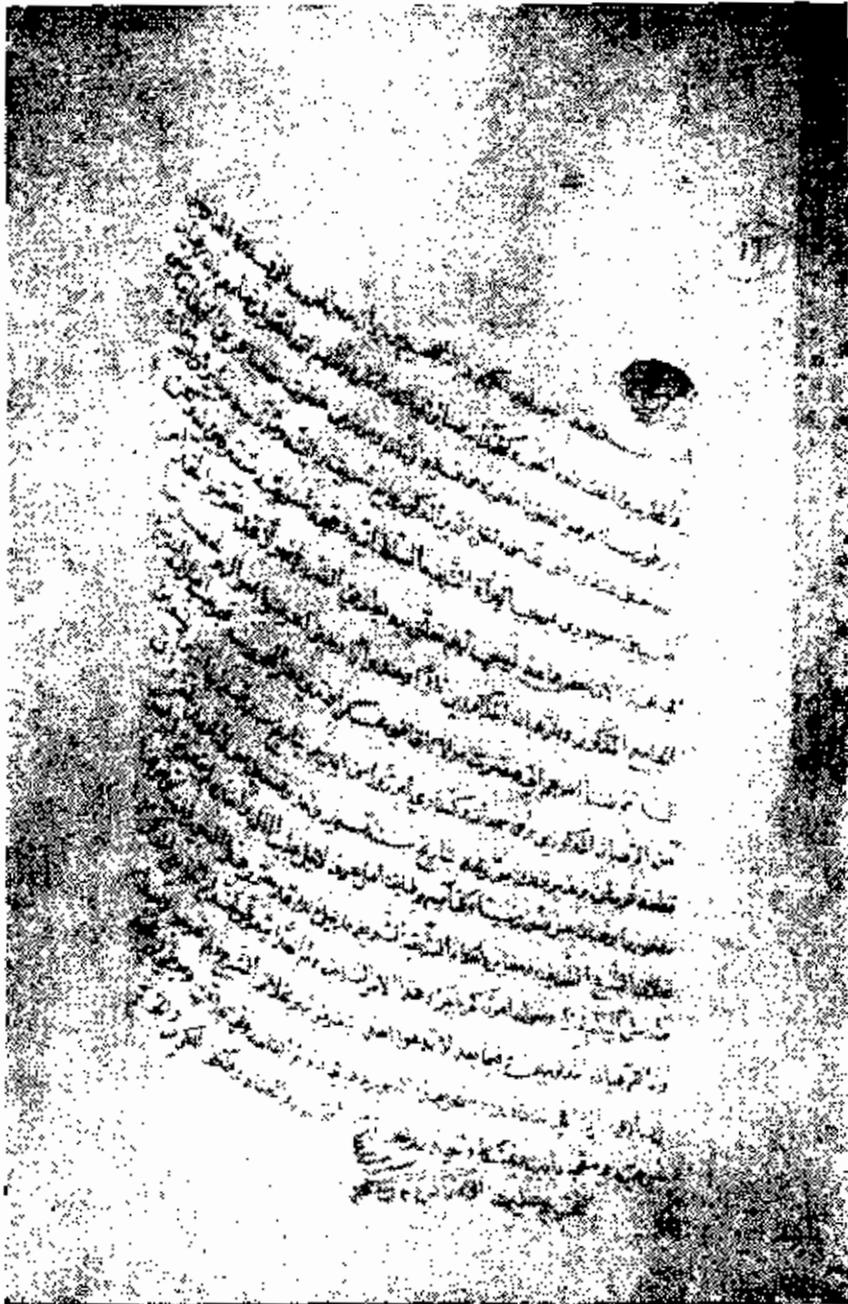


الحمد لله الذي جعل في كل شيء
 حكمة وعبرة لمن يعقل
 والحمد لله الذي جعل في كل
 خلق عيبا لمن ينظر
 والحمد لله الذي جعل في كل
 علم نورا لمن يتفكر
 والحمد لله الذي جعل في كل
 عمل ثوابا لمن يعمل
 والحمد لله الذي جعل في كل
 دين سبيلا لمن يتبع
 والحمد لله الذي جعل في كل
 امر حكمة لمن يفكر
 والحمد لله الذي جعل في كل
 خلق عيبا لمن ينظر
 والحمد لله الذي جعل في كل
 علم نورا لمن يتفكر
 والحمد لله الذي جعل في كل
 عمل ثوابا لمن يعمل
 والحمد لله الذي جعل في كل
 دين سبيلا لمن يتبع
 والحمد لله الذي جعل في كل
 امر حكمة لمن يفكر

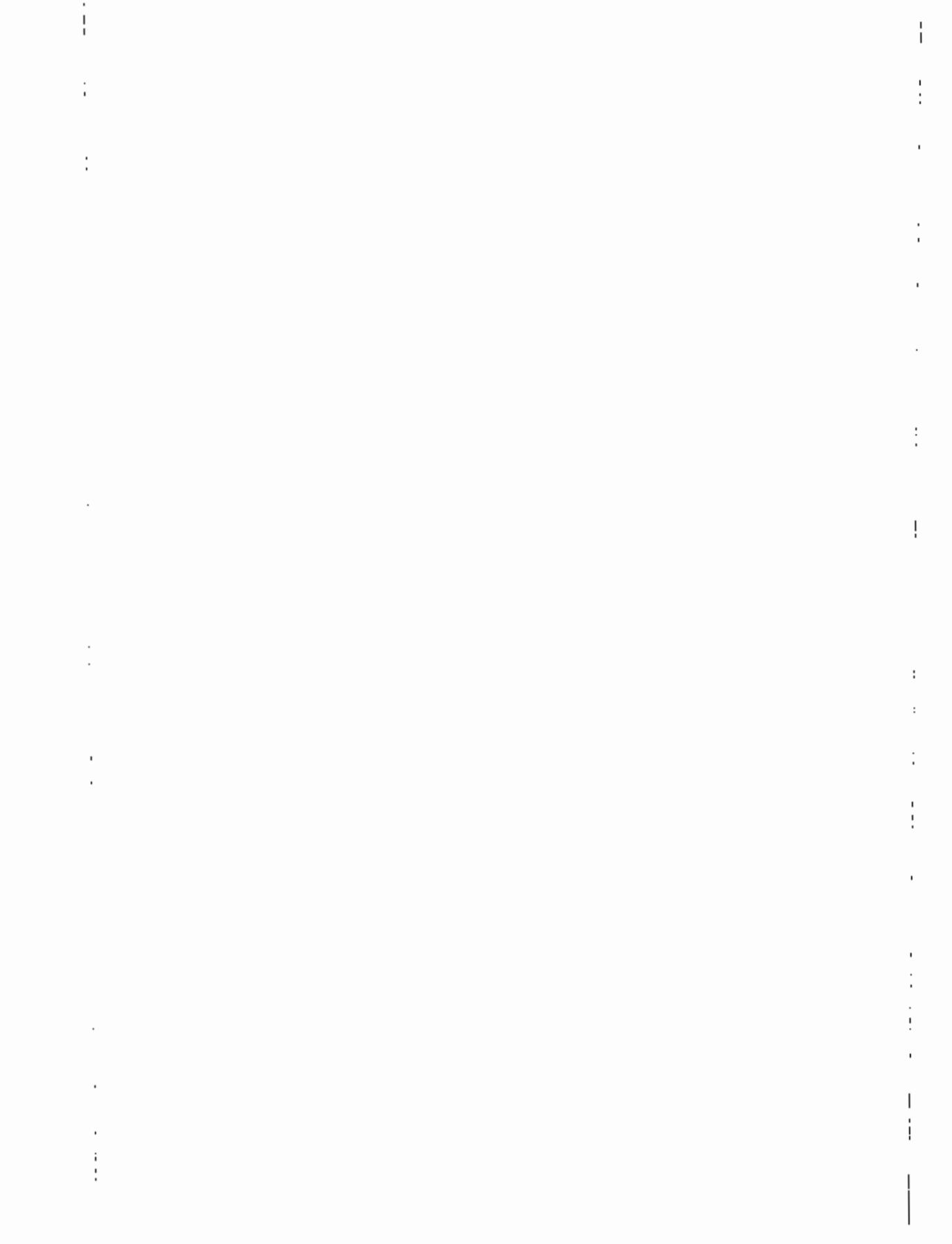


1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100



لوردان كتيب في ٢٠ رجب سنة ١١٢٠ هـ. (٥ أكتوبر سنة ١٧٠٨)
(من محفوظات دير سانت كاترين)



1

2

3

4

5

6

7

8

9

10

11

12

13

14

15

16

17

18

19

20

21

22

23

24

25

26

27

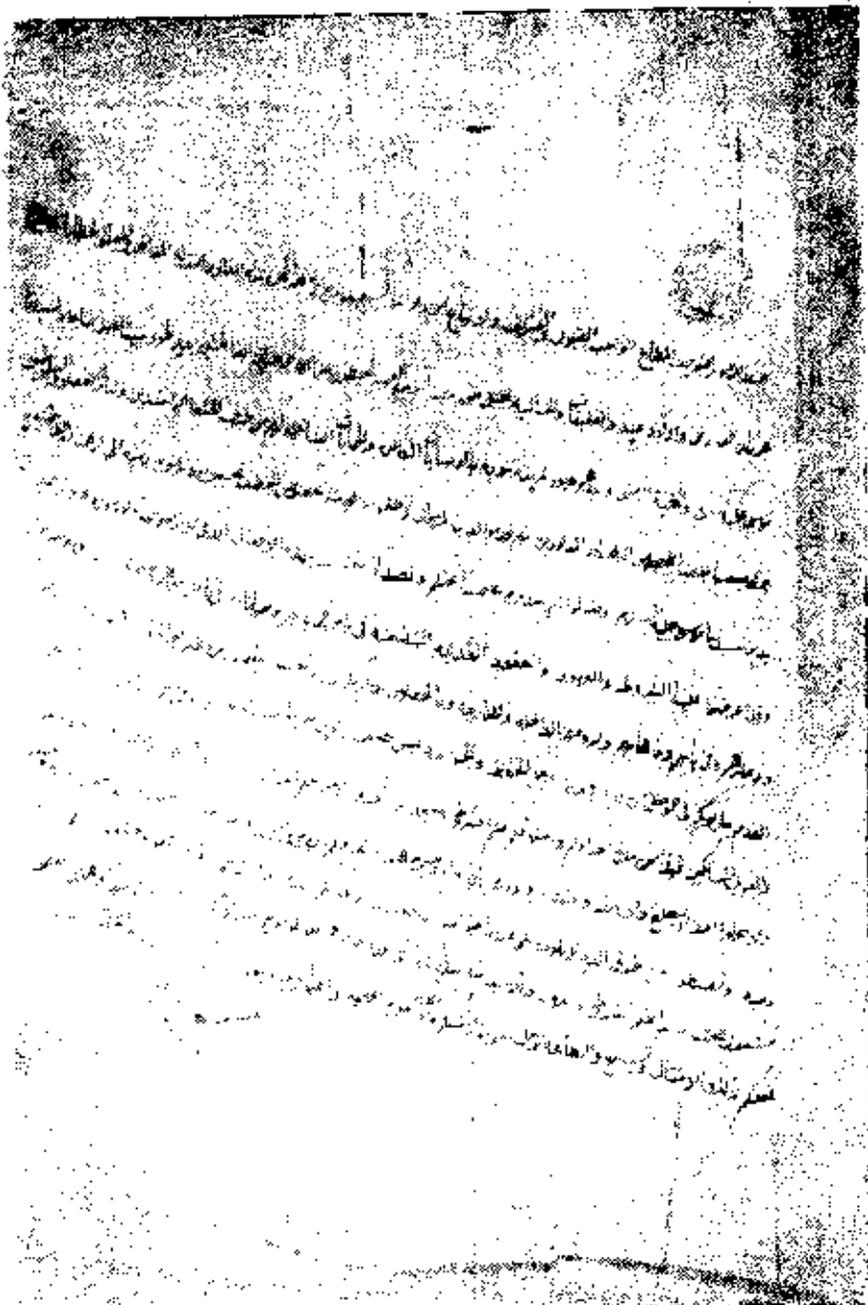
28

29

30

31

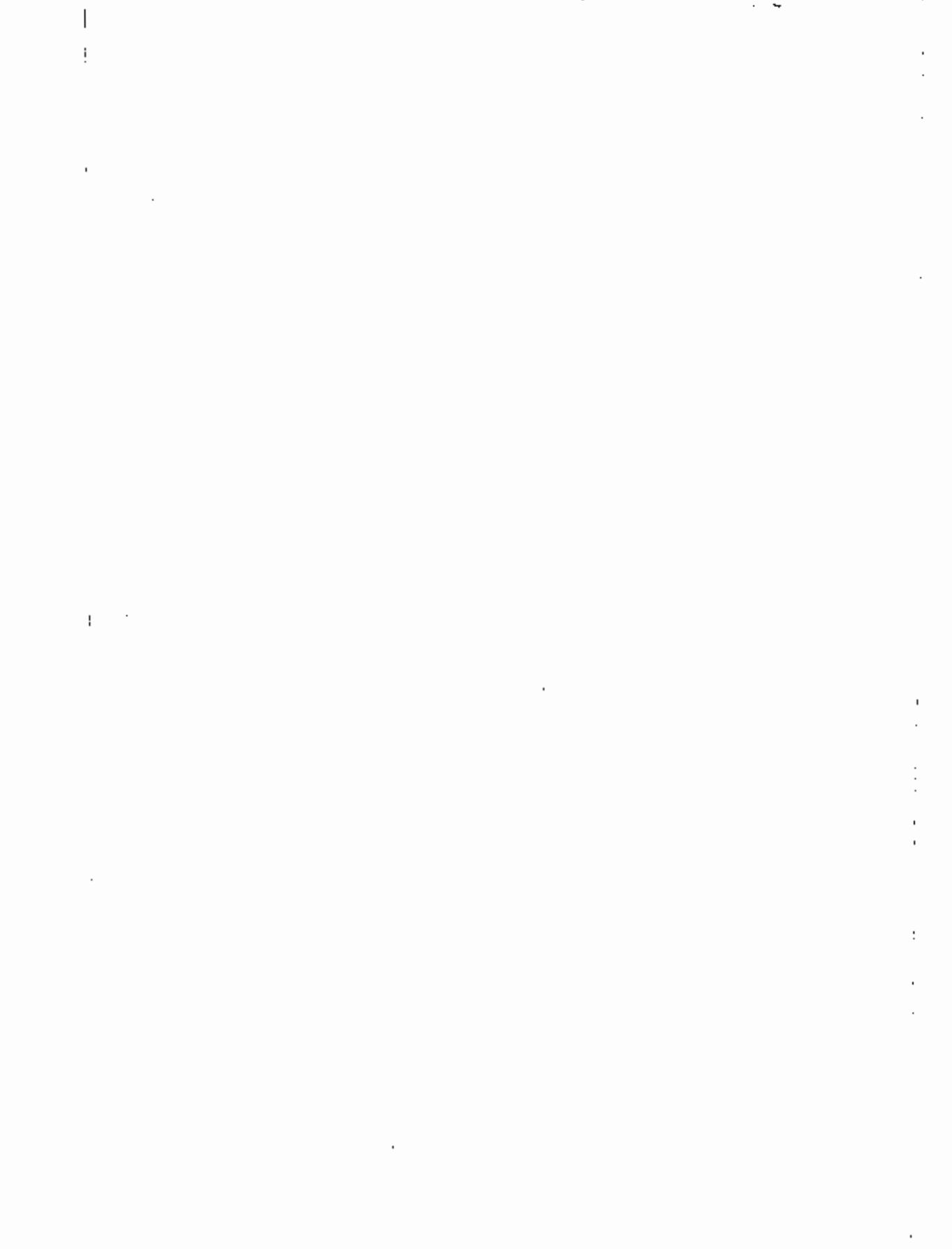
32



سوسوم محمد علي بن مشايخ عربان الموادي وأولاد سعيدة وتعليقاته الخيرية . . . يؤكد
أن وحيان أدير . . . يدهم عهد شريفة نبوية بالوصايات الكاملة والمنهيات اشمله هم من طرف
الخلفاء الراشدين وسائر الفضلاء والسلاطين يؤكد بعضها بعضا ويهدد من يعتدى على أدير
بالانتقام والإعدام . (كتيب عام ١٢٣٤ هـ - ١٨١٨ م)

(من محفوظات دير سانت كاترين)





تعليقات على بعض الإشارات الفارسية

في الأشعار العربية

للدكتور طه ندا

- ١ -

اتصل العرب بالفرس من قديم الزمان . ومع أن العرب استطاعوا عند الفتح العربي أن يسيطروا على الفرس وأن يقضوا على ملكهم إلا أن الشخصية الفارسية مع ذلك لم تفن في شخصية العرب الفاتحين ، وإذا كانت الشخصية الفارسية قد كُتبت وخضعت للقوى القاهرة أكثر من مرة إلا أنها كانت على الدوام حية لم تمت ولم تفن . ولقد خضعت بلاد الفرس للإسكندر وخلفائه من بعده فترة طويلة ومع ذلك استطاعت أن تنهض . ثم كبت مرة أخرى أمام العرب الغزاة ولكنها نهضت بعد ذلك من جديد . ومن الطبيعي أنها في خلال هذه الغزوات كانت تتأثر بالغزاة الفاتحين لكنها لم تفقد شخصيتها ، بل أنها كانت رغم خضوعها للغزاة تؤثر فيهم كما تتأثر بهم ، فكان لها بذلك دورها الإيجابي .

وإذا كان من العسير أن نتبع على وجه التحقيق مظاهر الاتصال بين العرب والفرس في الأزمنة المتقدمة فن السير كلما تأخر الزمن أن نحدد هذه الاتصالات ونبين نوع العلاقات التي كانت تربط بلاد العرب وبلاد الفرس بناء على ما لدينا من نصوص في كتب التاريخ أو الأدب .

وربما كانت أقدم الإشارات التي بقيت لنا في النصوص عن هذه الصلات مازعه العرب ، وجاراهم فيه الفرس ، من انتساب الضحاك

اليهم (١) . وسيأتي من الشعر العربي ما يدل على هذا (٢) . أما العرب فقد أعجبهم ما كان عليه الضحاك من القوة والبطش والجبروت ففخروا به ونسبوه اليهم . وزعموا أنه الضحاك بن صلوان بن عمليق بن عاد وأنه حارب الملك حميد (٣) في أرض بابل حتى ظفر به واستولى على ملكه ثم قتله (٤) . أما الفرس فقد ساءهم ما كان عليه الضحاك من الظلم والاستبداد وقتل الأبرياء فارادوا أن يطهروا تاريخهم منه فجعلوه عربياً واعتبروه دخيلاً على بلادهم وتاريخهم . وهكذا تنظر إليه الشاهنامه التي لا تفيض في تاريخه وحوادثه بما يتناسب مع مدة حكمه التي زعمت أنها ألف سنة .

ثم تتجدد العلاقة بين العرب والفرس أيام أفريدون (٥) الذي خلف الضحاك في الملك . وتروى الشاهنامه أن أفريدون أراد أن يزوج أولاده الثلاثة فظل يبحث عن من يلقن بهم من النساء حتى دلوه على بنات ملك اليمن الثلاث . فأرسل اليه يخطفهن لأولاده (٦) وتمت بذلك المصاهرة بين العرب والفرس .

ويمتد تاريخ ملوك الحيرة وصلتهم ببلاد الفرس إلى أيام ملوك الطوائف (٧) . ويذكر اليعقوبي أن أهل اليمن لما تفرقوا قدم مالك بن فهم بن غنم بن دوس أرض العراق في أيام ملوك الطوائف ، واستطاع أن يسيطر على بعض العرب من معد وغيرهم وأن يتملك عليهم عشرين سنة (٨)

-
- (١) سيرد الحديث عنه بالتفصيل . راجع ص ١٦ ، ١٧ ، ٤٠ .
(٢) راجع ص ١٦ ، ١٧ .
(٣) هو الملك الرابع من ملوك الدولة البيشداوية أولى دول الفرس . وتزعم الأساطير أنه ملك سبهاة سنة .
(٤) الأخبار الطوال ص ٥ ط المساعدة بمصر .
(٥) راجع الحديث عنه ص
(٦) الشاهنامه : ص ٦٥ ج ١ ط بروخيم تهران .
(٧) سكرتار إيران من سنة ٢٥٠ ق . م حتى سنة ٢٢٦ م .
(٨) تاريخ اليعقوبي : ص ٢٣٦ ج ١ ط بريل .

ويزداد الاتصال بين العرب والفرس على مر الأيام ويأخذ هذا الاتصال مظاهر مختلفة تجارية أو إدارية أو حربية .

وعندما تولى أمر الفرس في عهد الدولة الساسانية سابور الثاني وسابور ابن هرمز المعروف بسابور ذي الأكتاف كان صديراً صغيراً (٣٠٩ - ٣٧٩م) فطمع العرب في مملكته وتدقت جوعهم الى بلاده يغيرون ويسلبون . ولم يلق العرب أمامهم مقاومة تردهم لصغر سن الملك وقتذاك . ولكنه لما بلغ أشده عزم لينتقم من العرب أشد انتقام . وقد كان ، حتى انه كان يخلع أكتاف من يقع في يده من أسرى العرب . ومن هنا سمي سابور ذا الأكتاف . ومع ما كان يمتلئ به قلب سابور من كراهة العرب فانه كان - كعادة ملوك الفرس - يستخدم منهم في بلاطه كتاباً ومترجمين ومستشارين له في الشؤون العربية . ومن بين كتابه العرب لقيط بن يعمر الأيادي وله ذكر فيما بعد (١) .

وإذا تركنا الحيرة وجدنا أن نفوذ الفرس كان يمتد الى أنحاء أخرى من شبه الجزيرة العربية . وفي اليمن كان العنصر الفارسي منتشراً . وهذا العنصر من سلالة الجند الفرس الذين جاءوا بلاد اليمن في عهد ملكها سيف بن ذي يزن . وكان أهل اليمن قد ضجوا من احتلال الأحباش لبلادهم وسوء سيرتهم فيهم فخرج سيف بن ذي يزن حتى قدم الحيرة على النعمان بن المنذر وطلب وساطته عند كسرى لتصرفه على الأحباش . وقد أجابه كسرى الى ما طلب وأرسل معه جيشاً بقيادة وهرز بن الكايجار الذي أمعن في الأحباش ثقيلاً وقضى على مسروق آخر ملوكهم في اليمن ، وولى مكانه سيف بن ذي يزن . ولكن سيفاً أخطأ حين احتفظ في بطانته بعدد من هؤلاء الأحباش الموتورين منه بطبيعة الحال والذين انتهزوا فرصة سائحة فقتلوه . وعندما بلغ كسرى مقتل سيف أعاد وهرز الى أرض اليمن فقتل من بقي بها من الأحباش وظل يحكم اليمن الى أن مات ودفن هناك . وخلفه في حكم اليمن يادان الذي

(١) راجع ص

استمر يحكم باسم الفرس حتى جاء الاسلام . ومن اشهر في الاسلام
من سلالة هؤلاء الفرس طاوس بن كيسان ، ووهب بن منبه ، ووضاح النخعي .

وكان أهل الحجاز كذلك على اتصال بالفرس ، فكانوا يتاجرون معهم
ويترددون على أسواق الحيرة التي كانت تجذب تجارهم اليها . وقد كون
أبو سفيان وغيره من كبار قريش ثروة طيبة عن هذه الطريق .

* * *

فلما جاء الاسلام كان للفرس نفوذهم في المجتمع الإسلامي الجديد .
وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان سلمان الفارسي واحداً ممن اعتمد
عليهم الرسول في حروبه . وكان النضر بن الحارث (١) بما أوتيته من العلم
بأخبار الفرس وملوكهم وأساطيرهم يحاول أن ينافس النبي عليه السلام
في اجتذاب العرب اليه . وكان يقول : أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثاً
منه فهلم الي فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورسم
واسينديار .. الخ (٢) . ويروى التلقيني فيما نقله عن محمد بن عمر المدائني
انه قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفهم اللغات كلها وإن كان عربياً
لأن الله تعالى بعثه الى الناس كافة ولم يكن الله بالذي يبعث نبياً الى قوم
لا يفهم عنهم ولذلك كلم سلمان بالفارسية وساق بسنده الى عكرمة
أنه قال مثل ابن عباس هل تكلم رسول الله بالفارسية قال نعم . دخل عليه
سلمان فقال له درسته وسادته (٣) . قال محمد بن اسمعيل أظنه مرجحاً وأهلاً (٤) .

(١) كان النضر ابن خالة النبي ، جناب البلاد واتصل بالعلم والحكمة وحصل كثيراً
من العلوم كالفلسفة والحكمة والطب . وكان كثير الأضحية فقهياً ، واشترك مع جند المشركين
بقيادة أبي سفيان في يوم بدر . وانتهى أمره الى الأسر والقتل .

(٢) سيرة ابن هشام . ص ٢٢١ ج ١ ط المطبى ١٩٢٦ .

(٣) درسته بالفتح بمعنى المعنى والمساحة . وسادته هذه الصورة لم أتين مدلولاً وربما كانت
محريراً . وإذا كانت درست بضم الدال بمعنى صحيح ومستقيم وكامل . الخ وكانت وسادة
بمعناها العربي فمن المحتمل أن يكون سلمان قد قصد أن يحجى الرسول عند دعوته بما معناه «طاب
مجلسك» وطل كل حال فليس في هذا النص ما يفيد معرفة الرسول بالفارسية .

(٤) صحيح الأضحية : ص ١٦٦ ج ١ ط دار الكتب ١٩٢٢ .

وفي عهد عمر رضي الله عنه كان للفرس شأن كبير في الحياة الاسلامية العامة . وعندما تحير عمر في إحصاء الغنائم التي كانت ترد عليه وكيفية توزيعها أشار عليه واحد من الفرس بتدوين الدواوين وكان هذا مبدأ اتخاذ الديوان . ولم تستطع الدولة الاسلامية الناشئة أن تستغنى عن خبزة الفرس الذين أسلموا وبقي الدهاقين يؤدون خدماتهم للدولة الجديدة ، فكانوا يقومون بجمع الضرائب ، وإسكاف الدفاتر الخاصة بها ، وتحديد الضريبة المفروضة على كل ممول ، كما كانوا على العموم ينفذون كل ما يطلب اليهم ويمثلون الدولة في أقاليمهم . وظل العرب يعتمدون الى فترة طويلة من الزمن على ما وضعه لهم هؤلاء من النظم الخاصة بالشئون الادارية والمالية . ونتج عن هذا أن دخل اللغة العربية كثير من الألفاظ والاصطلاحات الفارسية الخاصة بهذه الشئون ، بل أنهم أمدوا الأوربيين أنفسهم ببعض الاصطلاحات المصرفية . ومن الأمثلة على ذلك كلمة « Cheque » (١) .

واعتمد العرب على الفرس في ميادين أخرى غير الميادين المالية والادارية . وابن الأثير يذكر مثلاً أن مهندساً فارسياً اسمه روزبه بنى لسعد بن أبي وقاص قصر الكوفة من آجر بديان الأكاسرة بالحيرة (٢) ويقول الطبري ما مؤداه أن سعداً بنى قصرأ بحمال محراب مسجد الكوفة اليوم وجعل فيه بيت المال ، ثم أن بيت المال نقب عليه وأخذ من المال فكتب سعد الى عمر يخبره بخبر سرقة بيت المال ، وهنا يتقدم لسعد دهقان من أهل همدان يقال له روزبه ابن بزرجمهر يعرض عليه أن يبني له بيت المال ويبني له قصرأ ثم يصل ما بينهما كأنهما بديان واحد ، فوافق سعد وتم على هذا الخط بناء قصر الكوفة من نقض آجر قصر كان للأكاسرة في ضواحي الحيرة (٣) .

وكان زهير بن سليم من رجال سعد في حرب القادسية . وعندما قتل النخاريجان أحد قواد الفرس في تلك الحرب سلبه سواريه ودرعه وقبائه

(١) بالفارسية «چك»

(٢) ابن الأثير : وقائع سنة ١٧ .

(٣) الطبري : حوادث سنة ١٧ ص ١٥٠ ج ٣

ومنطقته وقدمها لسعد فأغتمه اياها وأمره أن يلبس ملابس النخارجان فكان زهير بذلك أول من لبس من العرب السوارين (١) .

وكان العرب في حروبهم مع الفرس يقابلون عدوا لهم به معرفة سابقة ولهم بأراضيه خبرة اذ سبق لهم أن ارتادوا تلك البلاد والأراضي وقاموا بغزوات متقطعة عليها ، كما كانوا بالاضافة الى كل ذلك على علم بأحوال الفرس السياسية والاجتماعية . ويمكن أن نعتبر واقعة ذى قار (٦٠٤ - ٦١٠م) من الوقائع ذات الأثر البعيد في نفسية العرب اذ أحسوا بعد انتصارهم فيها أنهم قادرون على إلحاق الهزيمة بدولة كبرى كدولة الفرس مما شجعهم بعد ذلك على مناوشتها وأطمعهم في أراضيها .

وفي عهد بوران دخت بنت كسرى برويز التي حكمت حوالى سنة ٦٢٨ م (٢) انتهز العرب فرصة ضعف الفرس الذين لم يجدوا الرجل الكفء الذى يتولى ملكهم فولوا عليهم امرأة ، وأخذوا يتسلطون الى أراضي الفرس بقيادة المنثى بن حارثه الشيبانى ، وسويد بن قحطبة العجلي . وكان المنثى يغير على الأراضي الفارسية من ناحية الحيرة ، وسويد من ناحية الأبله . ولم يكن هذان البطلان يلقيان مقاومة تذكر فدعاهما ذلك الى التوغل في أراضي السواد . وكان ذلك أيام الخليفة ابى بكر . فلما جاء عهد عمر لم يعد الأمر مجرد إغارات كذلك التى يقوم بها المنثى ، ووجهت الجيوش المنظمة الكبيرة لحرب الفرس .

وكان العرب في حروبهم مع أعدائهم يعرضون عليهم شروطهم قبل المناجزة . ولم تكن هذه الشروط تتجاوز واحداً من ثلاثة : الاسلام أو الجزية ، أو القتال . وكان على عدوهم أن يختار واحداً من هذه الثلاثة فان أسلم تركوه ورجعوا وخلفوا فيه كتاب الله ، وان لم يقبل الاسلام ديناً فعليه أن يفتدى نفسه بالجزية ، فان لم يقبل الأولى أو الثانية لم يبق هناك

(١) لأخبار بطران - ص ١٢٢

(٢) كانت مدة حكمها ستة أشهر فقط .

مفر من القتال . وكان العرب يقبلون على القتال بنفس راضية مطمئنة فلما الاستشهاد ودخول الجنة ، وإما النصر والظفر بغنائم الأعداء وأرضهم وأبتائهم وأموالهم . وعلى العموم فقد كان لإسلام الأعداء أحب إلى العرب من غنائمهم ، ومقاتلتهم أحب إلى العرب من مصالحهم (١) . وكما قال المغيرة بن شعبه لرستم قائد جيوش الفرس «يدخل من قتل منا الجنة ويدخل من قتلنا منكم النار ويظفر من بقي منا بمن بقي منكم» (٢) .

وتقابل العرب مع الفرس في غزوات صغيرة أول الأمر (٣) إلى أن كانت حرب القادسية وفيها هزم الفرس وولوا هاربين إلى المدائن ففتحها العرب هي الأخرى وظلوا يطارودهم حتى كانت وقعة نهاوند سنة ٢١ هـ / ٦٤١ م . وبعدها كان أمر ما بقي من البلاد حيناً فظنقوا يفتحون البلدة تلو البلدة وظل يزدجرد آخر ملوك الساسانيين يفر أمامهم من مكان إلى مكان حتى قتل سنة ٣١ هـ / ٦٥١ م لعهد عثمان بن عفان بعد أن ملك عشرين سنة قضى منها ست عشرة في محاربة العرب (٤) .

وكان من نتائج هذه الفتوح أن أصبح المجتمع يتكون من ثلاث طبقات طبقة العرب الفاتحين ، طبقة المسلمين الجند وهم الموالي الذين اعتنقوا الإسلام ، طبقة غير المسلمين . وكان للطبقة الثانية أثر كبير في الحياة السياسية والاجتماعية للدولة العربية الإسلامية في العصور التالية . كما كان للصراع بينها وبين الطبقة الأولى مظاهر في الشعر كما سيأتي (٥) .

(١) الطبري - ص ٤١ ج ٣

(٢) نفس المصدر - ص ٣٩ ج ٣

(٣) كنزرة الخاق ، السقاية ، البحر ، اليس ، البريب ... الخ .

(٤) في الطبري أنه ملك عشرين سنة قضى منها أربع سنين في دعة وست عشرة سنة في تعب من محاربة العرب أياءه وغلظهم عليه . ص ٣٤٨ ج ٣ . هذا بينما تعتبر الشاهنامه مدة حكمه ست عشرة سنة فقط .

(٥) راجع ص .

ففى العهد الأموى كان الأمر كله بيد الطبقة الأولى وحدها وهى طبقة العرب . وكان أفراد هذه الطبقة ينظرون الى أفراد الطبقة الثانية على أنهم أقل منهم شأنًا . وقد عانى الموالى المسلمون — معاناة شديدة من جراء هذه النظرة اليهم وحز فى نفوسهم وضعهم الاجتماعى الشاذ الذى وضعهم فيه الدولة الأموية المتعصبة للعرب أشد التعصب . ومع ما بلغه قدر الموالى من العلو فى مضمار الدين ، العلم ، الأدب فان هذا كله لم يكن ليشفع لهم ليحظروا من الدولة العربية بالمساواة الاجتماعيه بينهم وبين العرب . وكان لابد للمظلوم أن يثور ليرقع عن كاهله هذا الذل وليقتضى على هذا الحكيم المستبد . وهذا ما حدث . ويمكن أن نتخذ من حركة المختار مثلا للحركات الثورية التى قام بها الموالى . وكان الموالى يرمون من وراء هذه الحركة الى تحقيق المساواة التى دعا اليها الدين الاسلامى ، أما زعماء هذه الحركات الثورية كالمختار أو غيره فى المختار أن يكون لهم طموح شخصى استعانوا على تحقيقه بهؤلاء الموالى المتذمرين الذين لم يتبينوا الأهداف الخفية عند زعمائهم (١) . وكان العرب يضيقون بمثل هذه الحركات أشد الضيق لأن انتصار الموالى معناه القضاء على جاههم ونفوذهم وامتيازاتهم . وكان أشرف أهل الكوفة يخطبهم من المختار أنه عمد إلى مواليهم وهم فى إفتاءة الله عليهم فلم يرض لهم حتى جعلهم شركاءهم فى فيهم (٢) . وقد بلغ حد العرب على هؤلاء الموالى حد الوحشية . ولم يكن معاوية بن قرة المزنى ، وكان قاضيا لأهل البصرة ، يستحى من أن يروى عن نفسه فى حربته ضد الموالى من اتباع المختار أنه انتهى إلى رجل منهم فأدخل سنان الرمح فى عينه وأخذ يخفض عينه بسنان رمحه (٣) .

(١) فى نص الطبرى أن المختار كان يقول : « أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير انزى على الحجاز ورأيت نجدة انزى على اليمامة ومروان على الشام فلم أكن دون أحد من رجال العرب فأعدت هذه البلاد فكنست كأخدم إلا انى قد طلبت بنار أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم إذ لانت منه العرب » ص ٥٧٠ ج ٤ .

(٢) الطبرى — ص ٥١٨ ج ٤ .

(٣) الطبرى — ص ٥٦١ ج ٤ .

ومع كل هذه العصبية العربية لم يتخل الأمويون عن تقليد الفرس واقتفاء آثارهم . وابن خلدون يروى لنا أن الحجاج بن يوسف أولم ولية لختان أحد أولاده ، وأراد أن يستعين بأحد الدهاقين في اعداد الولية فسأله عما جرت به عادة كبراء الفرس في أمثال هذه المناسبات ليحذو حذوهم فلما اجابه الدهقان استهول الأمر واستعظمه وفضل أن يرجع إلى تقاليد البدوية فنادى غلامه اينحر الجزر ويطعم الناس (١) .

وإلى الفرس يرجع الفضل فيما ناله الغناء العربي زمن الأمويين من تقدم وتطور . وفي الأغاني أن سعيد بن مسجع مولى بني جمح مكى أسرد متقدم من فحول المغنين وأكابرهم وأول من صنع الغناء منهم ونقل غناء الفرس إلى غناء العرب (٢) . ومن روايات صاحب الأغاني أيضاً في هذا الصدد أن معاوية بن أبي سفيان حين بنى دوره استخدم في ذلك بنائين من الفرس وكان ابن مسجع يأتي فيسمع من غنائهم وهم يبنون فما استحسنه أخذه ونقله إلى الشعر العربي ويضرب لذلك مثلاً بأبيات الأحوص التي لحنها ابن مسجع على بعض تلك الألحان (٣) .

ثم انقضت الدولة الأموية وجاءت الدولة العباسية فجاء معها خلاص الفرس من هذا الاستعباد وليس هنا ما يدعو للخوض في بيان الدور الذي قام به الفرس لاقامة الدولة الجديدة ، ولا لبيان ما آل إليه شأن الفرس في عهد الدولة العباسية من الارتفاع فهذا أمر معروف . كما أنه ليس من الضروري - رغبة في الإيجاز - أن نبين كيف امتد أثر الفرس إلى كل ناحية من نواحي الحياة في العصر العباسي ، وكيف استعان العرب في هذا العصر في كل شأن من شئون حياتهم بأسباب الحضارة الفارسية حتى ديانات الفرس القديمة تسالت إلى هذا المجتمع الاسلامي وأثرت فيه .

(١) ابن خلدون - ص ١٤٥ ج ١ .

(٢) الأغاني - ص ٢٧٦ ج ٣ .

(٣) الأغاني - ص ٢٨١ ج ٣ .

والمهم أن الفارسي الذي كان يطمح في عهد الدولة الأموية إلى مجرد المساواة بالعرب أصبح اليوم يحتقر العرب ويفخر عليهم ويعبرهم بماضيم ويضع الكتب وينشئ الأشعار في تعداد مثالبهم كما سيرد ذلك في مجموعة النصوص . وهكذا تنحى العربي مكرها عن مكان الصدارة التي كانت له فيما مضى . ولم يكن هذا أمراً هيناً على نفس العربي كما أنه لم يطق صبراً على وقاحة هؤلاء الفرس ، ورأينا من شعراء العرب من يهاجمهم ويحط من قدرهم كما فعل أبو الأمد . وسيرد شعره فيما بعد (١) .

(٢)

رأينا فيما قدمنا من عرض تاريخي موجز كيف كانت صلوات العرب بالفرس خلال التاريخ . ومن الطبيعي أن يضم الشعر العربي كثيراً من الاشارات التي تشير إلى هذه الصلوات ، وتتحدث عن جيرانهم الفرس حديثاً يتناول كل شأن من شؤونهم كشئون الحروب والمنازعات السياسية ، ومظاهر الترف والحضارة إلى غير ذلك من الشئون التي عرفها العرب عنهم وقلدوهم في كثير منها . وسنعرض في هذا القسم من البحث لطائفة من الأشعار العربية التي تضم مثل هذه الاشارات الفارسية في مختلف الشئون .

وأول ما نعرض له مما في الشعر العربي من مظاهر هذه الصلوات لغة الفرس نفسها ، وقد كانت هذه اللغة معروفة لدى العرب في كل وقت . وكان منهم كثيرون أتقنوها وبرعوا فيها حتى أن ملوك الفرس كانوا يستخدمون أمثال هؤلاء في بلاطهم تراجم وكتاباً ومستشارين . وكان عدى بن زيد قد تعلم العربية في كتاب العربية والفارسية في كتاب الفارسية حتى صار كما يقول صاحب الأغاني من أنهم الناس بالفارسية وأفصحهم بالعربية (٢) وفي عهد النبي عليه الصلاة والسلام كان سلمان الفارسي يجد من المكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشجعه على تحيته بالفارسية دون

(١) راجع ص

(٢) الأغاني - ص ١٠١ ج ٢ ط دار الكتب ١٩٢٨ .

العربية كما مر بنا في نص سابق (١) . وفي العهد الأموي ، على شدة اعتداده بالعصية العربية ، كانت اللغة الفارسية منتشرة بين الناس كما يبدو ذلك من قصة يزيد بن مفرغ حين عذبه عبيد الله بن زياد وسقاه مهلاً ثم ربطه في فرس يطوف به في السوق وقد فعل المسهل فعله واجتمع الصبية حوله يقولون « ابن شيبست » أي ما هذا (ابن جيست) فكان ابن مفرغ يجيبهم :

آبست ونيبيد است عصارات زيب است
سيمه روى سيب است

أي إنه ماء ونيبيد ، إنه عصارات زيب ، وسميه وجهها أبيض (٢) .

وكانت الفارسية منتشرة ، على عهد الدولة الأموية ، انتشاراً كبيراً في العراق لكثرة الموالي هناك وكان أهل الشام في حربهم للمختار وشيعته ينظرون إليهم على أنهم « عبيد اباقر تركوا الاسلام وخرجوا منه ليست لهم تقية ولا ينطقون بالعربية (٣) » . ولما بلغ اتباع المختار ما لقي إخوانهم من الهزيمة في حربهم مع ابن شبيب لم يصدقوا مبلغهم وقالوا بالفارسية « ابن بار دروغ كفت » أي أنه كذب هذه المرة (٤) .

وفي عهد الدولة العباسية أصبحت الفارسية مألوفة في أوساط العرب حتى أن العربي الذي يجهلها كان مع ذلك يستميتها إذا سمعها بل يطرب لها . ويحكى أن أعرابياً سمع غناء بخراسان بالفارسية ، ولم يكن على علم بها ، فشوقه الغناء لشجاء وحسنه فقال في ذلك (٥) :

(١) رابع - ص

(٢) وفي رواية أخرى سمية روسي است بدل روى سيد . وروسي بمعنى العاهرة والفاجرة

(٣) الطبري - ص ٥١٦ ج ٤

(٤) نفس المصدر والجزء - ص ٥٦٢ .

(٥) وقيل إنه لابن تمام .

حدثك نيلة شرفت وطابت أقام سهادها ومضى كراها
 سمعت بها غناء كان أولى بأن يقتاد نفسي من عساها
 ومسمعة يحسار المع فيها ولم تصمه ولا يصمم صداها
 مرت أوتارها فشفقت وشماقت فلو يطيع حامدا فداها
 ولم أنهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجهل شجاها
 فكنت كأننى أعمى معنى يحب الغانيات وما رآها (١)

ومن الواضح أن معرفة الفارسية في العصر العباسي كانت أمراً يدعو
 إلى الفخر والاعجاب وكان الشعراء يتخذون منها في أشعارهم مادة ظرف
 وتلمح . والجاحظ يذكر أن الأعرابي قد يتلمح بأن يدخل في شعره شيئاً
 من كلام الفارسية كقول العاني للرشيد في قصيدته التي مدحه بها (٢) :

من يلقه من بطيل مسرند في زعفة محكمة بالسرود
 تجول بين رأسه والكرد (٣)

يقصد بالكرد هنا العتق من الفارسية كردن بالجاف .

وفيها يقول أيضاً :

لما هوى بين غياض الأمد وصار في كف المزبر الورد
 آلى يسدوق الدهر آب سرد

(آب - ماء وسرد - بارد ، عديم الطعم ، غير ملائم ، غير سار .. الخ
 فالمعنى الحرفي لآب سرد ماء بارد . والمقصود حسب السياق أنه واجه
 الدهر القاسي الشديد وذاقه ولم يبال طعمه أى لم يرهب الدهر وعواقبه) .

(١) نهاية الأرب - ص ١١٦ ج ٥ .

(٢) البيان والبيان - ص ١٤١ ج ١ طبعة التاليف ١٩٤٨ .

(٣) يذكر الشارح أن أنهم من قول العاني قول الفرزدق

وكنا إذا نفيس نب عتوده ضربناه دون الاتيين حل الكرد

وكقول آخر :

ودلنى وقع الأمانة والقنا وكافر كوبات لها عجر فقد
بايدى رجال ما كلامى كلامهم يسومونى مرداً وما أنا بالمرد

كوب من كوفتن أو كويدين بمعنى الذق والضرب وهى المادة من المصدر وتكون أيضاً بمعنى اسم الفاعل أى الضارب وكافر كوبات بمعنى الخشب والمقارع التى تتخذ للضرب . والخشبية فرقة كانت تتخذ الخشب أو الكافر كوبات . ويذكر الطبرى فى حوادث سنة ٦٦ هـ أن عبد الله ابن الزبير لما حبس محمد بن الحنفية ومن معه ليجهدهم على البيعة له بعثوا إلى المختار وإلى من معه بالكوفة يخبرونهم بما توعدهم به ابن الزبير من القتل والتحريق بالنار إذا لم يبايعوه فأرسل المختار عدداً من أعوانه لانقاذهم وساروا حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الكافر كوبات وهم ينادون يا لثارات الحسين حتى انتهوا إلى زمزم ، حيث حبس زملاؤهم ، وأنفذوهم (١) . وفى البيت الثانى مرد بالفارسية بمعنى رجل أو بطل أو شجاع . وقد وردت الشطرة الثانية يسومونى مردا .. وذكر الشارح - مامه الشىء - كلفه اياه وأراده عليه . ويكون المعنى حسب شرحه يكلفونى أن أكون رجلاً أو بطلاً وما أنا بالرجل أو البطل . وإكن من الجائز أن تكون الشطرة الثانية يسومونى مردا وما أنا بالمرد بدل يسومونى ، والمعنى على هذا أن الشاعر العربى حارب قوماً تختلف لغتهم عن لغته حتى أنهم يسمون الرجل مردا ، وليس الرجل فى العربية مردا . وهذا أوضح وأقرب وأنسب إلى معنى الشطرة الأولى .

ومن الشعر الذى تشيع فيه هذه الألفاظ الفارسية قول أسود بن أبى كريمة
لزم الغرام ثوبى بكبرة فى يوم سبت
فتمايسلت عليهم مسيل زنى بمسى
قد حبا الداوى صرفاً أو عقاراً يا بخت

(١) الطبرى - ص ٥٤٤ ج ٤ .

ثم كفتم دور بـااد ويحكم آن حر كفت
 إن جملدى دبغتـه أهل صنعاء بجفت
 وأبر عمره عندى آن كوربد نمت
 جالس اندر مكناد أبا عمد بهشت

وهى موجودة فى البيان والتبيين .

ومن لعب بالألفاظ الفارسية فى شعره أبو القاسم العلوى الأطروش
 وكان أديباً من أفاضل العلوية، نازلاً استراباد، وله فى بعض رؤساء جرجان

خلىلى فـرا من الدهمخذا خذا حدرأ من وداده خذا
 يكنى بعد ونحما حدا وكل الخلائق منه كذا (١)

(دهمخذا أو دهقان سيد القرية وكبرها ، ده قرية ، خذا سيد ، لاحظ
 الجناس فى قوله فى البيت الأول - دهخذا فى الشطر الأول ، وده خذا
 فى آخر الشطر الثانى) .

ومن ورد فى شعره اشارة إلى اللغة الفارسية قول أبى على الساجى
 فى مدينة مرو :

بلد طيب وماء معين وثرى طيبه يفوق العيرا
 وإذا المرء قـدر المير عنه فهو ينهـاه باسمه أن يسيرا (٢)

والاشارة هنا فى قوله فهو ينهاه باسمه أن يسيرا وذلك لأن نهى المخاطب
 عن السير باللغة الفارسية « مرو » وهى فى صورتها اسم المدينة .

(١) البتة - مر ٤٧ ج ٤ .

(٢) البتة - مر ٧٦ .

وكان أبو الفضل السكري المروزي أحمد بن محمد بن زيد من شعراء مرو وظرفاتها قد خطا خطوة أبعد فكان يترجم في أشعاره الأمثال الفارسية .
وبما ذكره له الثعالبي قوله :

من لم يكن في بيته طعام فإله في محفل مقام
وقوله :

إذا لم تطلق أن ترتقى ذروة الجبل لعجز فق في سفحه هكذا المثل
وقوله :

في كل مستحسن عيب بلا ريب ما يسلّم الذهب الأبريز من عيب
وقوله :

تبخّر اخفاء لما فيه من عرج وليس له فيما تكلفه فرج (١)

ومن الأشعار التي (٢) وردت فيها إشارات فارسية قصيدة أبي نواس التي صجا فيها عدنان وانتخر بقحطان ويسبها أطال الرشيد حبسه ، يقول (٣)

ليت بدار عفت وغيرها ضربان من قطرها وحاصبها
ولا لأى الطلول أنديها للريح والرقش من قرانها
ولا نطيل البكا إذا شطت النية واستعميرت لذاهبها
بل نحن أرباب ناعط ولنا صنعا والمك من محاربها
وكان منا الضحاك بعيده الخائل والوحش في مسارها
ودان أدوانه البريسة من معترها رغبة وراهبها

(١) يتيمة الشعر - ص ٧٣ ج ٤

وراجع أيضاً قصة الأدب الفارسي للأستاذ حامد ميه القادر ص ١٨٧ وما بعدها

(٢) الأسماء في هذا العرض مرتبة حسب الترتيب الزمني للعرضات والإشارات الواردة بها

(٣) ديوان أبي نواس - ص ١٥٥ ط آصاف ١٨٩٨ .

ونحن إذ فارس تدافع بهــــــــــــــــرام تظنا على مرآزها
 بالخيل شعا على لواحق كالعبدان تعطي مدى مذاهبها
 بالسود من حمير ومن سلف ارغن والشم من مناسها
 ويوم سائيد ما ضربنا بنى الأصفر والموت في كتابها
 إذلاذ يرواز يوم ذاك بنا والحرب تمرى بكف حالها
 يذود عنه بنوقبيصة بالخطى والبيض من قواضها
 حتى دفعنا إليه مملكة ينحسر الطرف عن مواكبها
 الخ

وفي هذه القصيدة يهجو عدنان بشظف عيشهم وبكأنهم على الأطلال
 ويفخر بما كان لقحطان من حضارة وقوة . فالحضارة تمثل عنده في ناعط
 وهو حصن باليمن ليس لعدنان مثله ، وفي صنعاء وكانت قديماً مدينة في بلاد اليمن
 ذات شأن . وأما القوة فتتمثل عنده في الضحاك الذي بلغ من القوة حداً جعل
 الخائل والوحش في مساربها تبعده . وهكذا ترى أن العرب أكبروا في الضحاك
 قوته فنسبوه إليهم بينما كره الفرس ظلمه وجوره نفوه عنهم . وهذا
 الاضطراب في أمر الضحاك راجع إلى خلط الأساطير السامية بالفارسية (١) .
 وكان الضحاك خامس ملوك الدولة البيشداوية استولى على الملك من جمشيد
 وقضى على ملكه افريدون . وسيرد الحديث بشيء من التفصيل عن الضحاك
 وقصته مع افريدون في موضع آخر .

(١) يرى الدكتور عزام في مقدمته للشاهنامه « ان انكسب العربية والفارسية فيها كثير
 من ليس تاريخ الإيرانيين وأساطير الساسيين وتاريخهم كالفن يروى في نسب آدم وأبنائه ونسب
 كيومرث ابن انشور عند الفرس وأبنائه ، وكما يرى من إنشبه بين نوح وأولاده وأفريدون وأبنائه ،
 وكما يروى أن ابراهيم هو زردشت وان الابدستاق هو صف ابراهيم ، وان حضرا الجنى الذى سرق
 عنتم سليمان هو الضحاك المجهوس في نهاره . وأشال هذا كثير في انكسب العربية كالتجربى وكتاب
 البلدان للهاتفى ومرج الذهب وفي الكتب الفارسية كفارس نده . وهذه روايات نشأت بعد
 الاسلام فيما أشبهه ص ٨٧ .

ثم هو لم يكتف بالفخر على عدنان وحدهما بل فخر كذلك على الفرس وهذا في الاشارة التي تتضمنها الايات ٧ ، ٨ ، ٩ . ويشير الشاعر في هذه الايات إلى الفتنة التي وقعت بين كسرى برويز وبين بهرام جوبين. وتذكر المصادر التاريخية أن كسرى برويز لما أعياه أمر بهرام لجأ إلى قيصر الروم يستعين به ، وبينما هو في طريقه اليه تلقاه ايامس بن قبيصة وأكرمه ورجاله وأطعمهم من جوع ودلهم على الخي فزلوا به واستراحوا ثم زودهم وخرج بهم يلطم على الطريق حتى أخرجهم ببالس من شاطيء القرات ثم انصرف (١). ولم يكن هذا هو الفضل الوحيد لايامس فان كسرى برويز (برواز في النص) قد وجه في بعض حروبه مع الروم ايامس بن قبيصة فلقبهم بساتيدما (٢) فهزمهم وافتخر الشاعر بذلك .

وفي الضحاك أيضاً يقول أبو تمام يمدح الأفشين بعد أن هزم بابلك :

ما نال ما قد نال فرعون ولا همامان في الدنيا ولا قارون
بل كان كالضحاك في سطواته بالعالمين وأنت أفريدون

وللقيط بن يعمر الأبادي :

يادار عمره من محتلها الجرعا هاجت لي الهم والأحزان والوجعا
تامت فؤادي بدات الجزع خرعية مرت تريد بذات العذبة البيعا
عقلتي خاذل أدماء طاع لها نبت الرياض ترجى وسطه ذرعا
وواضح أشنب الأنياب ذئب أشر كالأقحوان إذا ما نوره لمعا
جرت لما بيننا حيل الشموس فلا يأسا مبيئاً أرى منها ولا طمعاً
فما أزال على شحط يورقني طيف تعد رحلي حيثما وضعاً
أني بعيني إذ أمت حمولم بطن السلوطح لا ينتظرن من تبعاً

(١) الأخبار الطوال - ص ٩١ .

(٢) ساتيدما نهر يقرب أروان وقيل انه جبل في بلاد الروم . وفيه يقول الأحمي :

وهو قسلاً يوم ذي ساتيدما من بني برجان ذي الباس رجح

يل أيها الراكب المزجي مطيته
ابلق أبادا واخلل في سرائهم
ياحف نفسي أن كانت أموركم
إلى أراكم وأرضا تعجبون بها
ألا تخافون قوما لا أبالكم
أبناء قوم تأبؤكم على حنق
أحرار فارس أبناء الملوك لهم
فهم سراع اليكم بين ملتقط
لو أن جمعهم راموا بهدته
في كل يوم يسنون الحراب لكم
خزر عيونهم كأن لخطهم
لا الحرت يشغلهم بل لا يرون لهم
وأتم تحرثون الأرض عن سفه
وتلفحون حبال الشول آونة
وتلبسون ثياب الأمن ضاحية
وقد أظلكم من شطر ثغركم
مال أراكم نياماً في بلهينة
فاشفوا غليلي برأى منكم حصد
ولا تكونوا كمن قد بات مكتنعا
بسمي ويحب أن المال مخلده
فاقتوا جياذكم واحموا ذماركم
ولا يدع بعضكم بعضا لثابة

إلى الجزيرة مرتاداً ومنتجعاً
أنى أرى الرأى أن لم أعص قد نصعا
شئى وأحكم أمر الناس فاجتمعوا
مثل السفينة تغشى الوعث والطبعوا
أمسوا إليكم كأمثال الدب سرعا
لا يشعرون أضر الله أم نفعاً
من الجموع جموع تزد هي اتقلا
شوكاً وآخر يجنى الصاب والسعا
شم الشمايخ من هلال لا نصدعا
لا يهجعون إذا ما غافل هجعا
حريق غاب ترى منه المنا قطعاً
من دون ييضتكم ربا ولا شعباً
في كل معتمل تبغون مزدردعا
وتنتجون بدار القلعة الربعا
لا تفرعون وهذا الليث قد جمعا
هول له ظلم تغشاكم قطعاً
وقد ترون شهاب الحرب قلمطعا
يصبح فؤادى له ريان قد نقعا
إذا يقال له افرج غمه كنعا
إذا استفاد طريفاً زاده طمعا
واستشعروا الصبر لا تشعروا الجزعا
كما تركتم بأعلى بيضة النخعا

صنونا جيادكم وأجلوا مسوفكم
اذكروا العيون وراء السرح واحترموا
واشروا تلاحكم في حرز انفسكم
فان غلبتم على صن بداركم
لا تلهكم لابل ليست لكم ابل
لا تثمروا المال للاعداء انهم
هيهات لا مال من زرع ولا ابل
والله ما انفكت الأموال منذ أبدأ
ياقوم أن لكم من أرث أو انكم
ياقوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا
ياقوم بيضتكم لا تفجعن بها
هو الجلاء الذي يبحث أصلكم
قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم
وقلدوا أمركم لله دركم
لا مترفا إن رخاء العيش ساعده
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه
مسهد النوم تعنيه أمـوركم
ما انفك يحلب هذا الدهر اشطره
حتى أنتصرت على شزر مريرته
وليس يشغله مال يشـسره
كمالك بن قنان أو كصاحبه
إذا عابه غائب يوماً فقتال له

وجدودوا لتقى النبل والشرا
حتى ترى الخيل من تعدائها رجعا
وحرز أهلكم لا تهلكوا هلعا
فقد لقيتم بأمر الحازم الفزعا
إن العدو يعظم منكم قسرا
إن يظهروا يحتوكم والتلاد معا
يرجى لغابركم إن أنفكم جدعا
لأهلها ان أصيدوا مرة تبعا
إن ضاع آخره أو ذل واتضعا
على نائكم كسرى وما جمعا
أنى أخاف عليها الأزم الجدعا
فن رأى مثل ذا رأيا ومن سمعا
ثم انزعوا قد ينال الأمن من فزعا
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
ولا اذا عض مكروه به خشعا
هم يسكاد شياه يفصم الضلعا
يروم منها إلى الأعداء مطلقا
يكون متبعا طورا ومتبعا
مستحكم الرأي لاقحما ولا ضرعا
عتكم ولا ولد يبغي له الرفعا
عمرو اتقنا يوم لاقى الحارثين معا
دمت لجنك قبل الليل مضطجعا

فتأوروه فألقوه أنخا علل في الحرب لا عاجزا تكماولا ورعا
لقد بدلت نكم نصحي بلا دخل فاستيقظوا ان خير العلم ما نفعنا
هذا كتابي اليكم والتذير لكم لمن رأى رأيه منكم ومن سماعا
والقصيدة طويلا ، أغرنا روعتها باثباتها كلها (١) .

ولقيط صاحب هذه القصيدة شاعر جاهلي من أهل الحيرة تعلم الفارسية وأجادها ، واشتغل بالترجمة والكتابة لكسرى سابور ذي الأكتاف وكان يحكم عمله من المطلعين على أسرار الدولة . وهو من إباد . ويذكر اليعقوبي عن إباد أنها كانت تقيم في الحيرة ومنازلهم الخورتنق والسدير وبارق ثم أجلاهم كسرى عن ديارهم حتى نزلوا تكريت على شط دجلة ولكنه أخرجهم من تكريت إلى بلاد الروم فنزلوا بأنقره . وكان رئيسهم وقتذاك كعب بن مامه (٢) . ولما بلغ لقيطا ما عزم عليه كسرى بعد ذلك من نفي إباد عن تكريت كتب اليهم منها :

سلام في الصحيفة من لقيط إلى من بالجزيرة من إباد
بأن الليث كسرى قد أتاكم فلا يشغلكم سوق النقاد
أتاكم منهم سبعون الف يزجون الكتاب كالجراد

ولكن قومه لم يلتفتوا إلى قوله ، فبعث اليهم قصيدته المطولة يحذرهم من الخطر الذي يهددهم ويصف لهم عدوهم ، وينصحهم بأعداد العدة للقاءه ، ويشير فيهم الحمية والخماسة . ومن سوء حظ لقيط أن قصيدته وقعت في يد كسرى فكان عقابه عنده أن قطع لسانه ثم قتله . ويذكر ابن عبد ربه (٣) أن قصيدة لقيط قبلت يوم ذى قار مخالفاً بذلك المصادر التاريخية . وكانت وقعت ذى قار حوالى ٦٠٤ - ٦١٠ م أى في عهد كسرى الثاني

(١) رغبة الأمل للرضي ص ٩٩ ج ٥ .

(٢) تاريخ اليعقوبي - ص ٢٠٨ ج ١ .

(٣) لعمري لقيط - ص ٢٦٨ ج ٥ ط لجنة التأليف .

أو كسرى برويز بينما عاش لقيط معاصراً لسابور الثالث أو سابور ذي الأكتاف حوالي ٣٨٣ م . وهو فرق زمني بعيد لا يسوغ هذا الخلط .

ومن الشعر العربي عن بهرام جور :

عجبت لبهرام ومن ذات ظبية
تجوب وتعدو بين قفر السباب
وبهرام مع حوراء عين كأنها
أيا الشمس أصبت بين عشب المغارب
فقلت له الحوراء دونك فارمها
وصك بسهم من سهام الشصاب
مجامع أذنيها وأسفل ظلها
فلا عذر إن خالفت يابن الأشاحب (١)
فأرسل سهماً صك منها الذي بغت
وقام بها مغضباً بالقواضب (٢)

وقال آخر :

ولا رأى ملكاً تجر (٣) الملوك له
بالسند والسند والمعمور بالصين
ولا رأى أردشير الفارسي (٤) ولا
كسرى شهنشاہ (٥) إذ يلهو بشيرين
إذ قالت القنية الورهاء إذ نظرت
إلى غزال تنافى ربرب العين
مادون جمعك ظلّفيها بناقذة
سكا إلى قرنه بهرام يرضيني
فدعر الملك وارثيت فرائضه
من قول صنّاجه قالت بهجين
فراصد الظبي حتى حك سامعه
منه بظلف على قرن وأذنين
فسك ظلّفيه بالمدرى وسامعه
بذى غرار طير الفصل مسنون (٦)

(١) يحتمل أن تكون الأشاحب وهذا أسرب .

(٢) مختصر البلدان - ص ٢٥٦ .

(٣) قد تكون تمر أي تخضع وتذل .

(٤) من ملوك الدولة الساسانية ثلاثة ضوا أردشير ، أردشير الأول وهو أردشير بن بابك (٢٢٦ - ٢٤١ م) وأردشير الثاني وهو أردشير بن هرمز الملقب ليكوكار (٢٧٩ - ٣٨٣ م) وأردشير الثالث وهو أردشير بن شيرويه بن برويز وقد حكم ستة أشهر حوالي ٢٢٨ م . وأعظم الثلاثة أوطم .

(٥) كسرى شهنشاہ هنا هو كسرى برويز أو كسرى الثاني وعجوبته شيرين (٥٩٠ - ٦٢٨ م)

(٦) مختصر البلدان - ص ٢٥٧ .

وبهرايم جور (كور) الذي تدور حوله قصة هذه الأبيات هو بهرام
 الخامس أو بهرام جور بن يزدجرد ويقع ترتيبه بين ملوك الدولة الساسانية
 الرابع عشر (١). ولبهرام بالعرب صلة قوية إذ كان أبوه يزدجرد بن سابور
 قد دفعه إلى النعمان بن الشقيقة (٢) عامله على الحيرة لينشأ في بيئة صحية ويتعلم
 الفروسية. وينسب إلى بهرام أنه أول من قال الشعر الفارسي (٣). وقد أجاد
 العربية بحكم إقامته بين العرب حتى كان ينظم الشعر العربي. ويروى عوفى
 أنه لما ارتقى العرش وكان في ميعه الصبا عرض عليه جماعة من اقربائه
 وخواصه أن يتزوج، فأشدد في هذا المعنى (٤).

يرومون تزويجي من الكفو طلباً ومالي من جنس الملوك عدل
 أرى أن مثلي كالمحال وجوده وليس إلى نيل المحال سبيل
 ومن أشعاره العربية يوم ظفروه بخاقان وقتله له (٥):

فقلت له لما نظرت جنوده كأنك لم تسمع بصولات بهرام
 فأنى لحامي ملك فارس كلها وما خير ملك لا يكون له حامي

وكان بهرام بارعاً في الصيد حتى لقبوه «كور» وهو حمار الوحش .
 وارتبط هذا اللقب به بحيث أصبح جزءاً من اسمه (٦). ولم يعرف على

(١) في الشاهنامه أنه حكم ثلاثاً وستين سنة وفي غيرها من المصادر التاريخية ثلاثاً وستين
 أو سبع عشرة .

(٢) الشقيقة أمه بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيان وهو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو
 ابن عدى .

(٣) لباب الألياب - ص ١٩ ج ١ ط براون .

(٤) نفس المصدر والجزء - ص ٢٠ .

(٥) لباب الألياب - ص ٢٠ ج ١ - وراجع أيضاً مروج الذهب ص ١٦٢ ج ١ ط البنية .

(٦) سايبس - ص ٥٩٥ ج ١ الترجمة الفارسية لغفر دامي كيلبي .

وجه التحقيق كيف مات وإن كان معروفاً أنه لقي حتفه في إحدى رحلاته للصيد (١) .

والأبيات التي مرت فيما سبق تشير إلى براعة بهرام في الصيد . وقصتها أن بهرام خرج للصيد مع جارية من أحب جواريه إلى قلبه . ولما فرغ من الصيد نزل يستريح في قصر له بقية يقال جوهسته وأسرف في الشراب مع الجارية . وفي ذروة نشوته سألها أن تنهيه عليه فنظرت الجارية حولها فرأت ظبية ترعى فوق أحد التلال البعيدة . وخطر لها لبراعة بهرام أن تطالبه بصيد تلك الظبية ، واكتنبا بالفت فيما طلبت إذ أرادت منه أن يرميها بسهم واحد يصل ظلها مع أذنها . ومع براعة بهرام في الصيد إلا أنه وجم لهذا الطلب الذي يتعذر تنفيذه ، ورأى أن الجارية بجانب اللباقة حين رامت المستحيل ، وبعد حيرة وتردد أخذ قومه ورمى الظبية سهماً أصاب أذنها ، ولحسن حظ بهرام رفعت الظبية ظلها لتحك أذنها فاندفع السهم إلى ظلها . وهذا حقيق بهرام للجارية رغبته إلا أنه ساءه منها أنها تطلب ما لا يستطيع فقائلها ودفعها مع الظبية وبني عليهما ناووساً كب على حجارتها بالفارسية قصتها . وظل الناووس باقياً إلى أيام ابن الفقيه الممداني (٢) . وهو على بعد ثلاثة فراسخ من همدان .

• • •

ولعدي بن زيد :

أما الشامت المعسر بالدهر أنت المرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الأيام بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون تطلدن أم من ذا عليه من أن يضام خضر
ابن كسرى كسرى الملوك أنوشر وإن أم أين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرام ملوك السر وم لم يبق منهم مذكور

(١) يقول عمر الخيام عنه :

بهرام كه كور بيكرتي هم عمر ديدى كه جكونه كور بهرام كرفت
ويلا حظ الجناس الثام بين كور الأول والثانية .

(٢) مختصر البلدان - ص ٢٥٥ .

وأخو الحضرة إذ بناه وإذ دجـله تجي إليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كلساً فلاظير في ذراه وكور
لم يبه ريب المنون فباد المـمـاك عنه غيابه مهجور
وتذكر رب الخورنق إذ أشرف يوماً وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يـمـلك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غبطة حى إلى المات يصـير
ثم بعد الفلاح والملك والأمة وارثهم هناك التـبـور
ثم صاروا كأنهم ورق جـفـف فألوت به الصبا والدبور

وعلى هذا فصيح من شعراء الجاهلية كانت أهله يقيمون بالحيرة
ويدينون بالنصرانية ولا يعده صاحب الأغاني من فحول الشعراء (١) .
وزيد أبوه قضى فترة طفولته مع أولاد أحد المرزبة «فروخ ماهان» فتعلم
القارسية ، وزكاه المرزبان عند كسرى بعد أن شب فجعله على بريده ،
ثم عاملاله على الحيرة . وأما ابنه على فإنه ، إلى اجادته العربية ، قد أجاد
كأبيه القارسية وجمع إلى فصاحته في اللغتين المهارة في الرمي بالثياب واللعب
بالصوألجة ، وكان إلى جانب هذا كله حسن الوجه ، مديد القامة ، حلو
العينين ، حسن البسم نقى الشرة (٢) ، مما مهد له السبيل في ديوان كسرى
حتى كان أول من كتب في ديوانه بالعربية .

وأحب على هند بنت النعمان بن المنذر ، وتزوجها ولكن الرشاة أوغروا
صدر النعمان عليه فحبسه في إحدى زياراته له . ولعلى أشعر كثيرة وجهها
من محبه إلى النعمان يستعطفه . ولما بلغ كسرى ما فعله النعمان بعلى كتب
إليه مع رسول خاص ليطلق سراجه ، ولكنه قتل مدعياً أنه مات قبل وصول

(١) ص ٩٧ ج ٢ .

(٢) الأغاني - ص ١٣٠ ج ٢ .

الرسول . وترهبت هند بعد مقتل زوجها وحبست نفسها في اللدير المعروف
بدير هند في ظاهر الحيرة وعاشت بعد الاسلام حتى توفيت على عهد معاوية .

وقد ندم النعمان على فعلته ، وأراد أن يكفر عنها فرشح زيد بن
عدى بن زيد للعمل بديوان كسرى مكان أبيه . واستطاع زيد بعد أن ثبت
أقدامه في ديوان كسرى وارتفع قدره عنده أن يثار لأبيه من النعمان الذي لقي حتفه
على يدي كسرى بتدبير زيد . وانتصه طويلاً في كتب التاريخ والأدب (١) .

وكسرى أنوشروان الذي يشير إليه الشاعر هو كسرى أنوشروان بن
قباد بن فيروز أو كسرى الأول وكان من أعظم ملوك الدولة الساسانية ،
وترتيبه بينهم العشرون ودام حكمه ثمانيا وأربعين سنة (٥٣١ - ٥٧٨ م)

وأما سابور فلم يعينه الشاعر . وأول سابور هو سابور بن أردشير
ابن بابك (٢٤١ - ٢٧٢ م) ، وثانيهم سابور بن هرمز المعروف بلدى
الأكثاف وقد حكم حوالي سبعين سنة (٣٠٩ - ٣٧٩ م) وثالثهم سابور
ابن سابور ذى الأكثاف (٣٨٣ - ٣٨٨ م) .

وأخر الحضر الذي تعنيه الإشارة في البيت السادس هو الضيزن بن
بن معاوية وكان يملك أرض الجزيرة ويمتد حكمه حتى حدود الشام .
ومن حوادثه مع الفرس أنه أغار عليهم ونكل بهم وأصاب في غارته أختا
لسابور بن أردشير (٢٤١ - ٢٧٢ م) . وفي هذا النصر يقول عمرو بن السليح

لقيناهم بجمع من علاف وبالحيل الصلادة الذكور
فلاقت فارس منا نكالا وقتلنا هرابد شهر زور
دلنا للأعاجم من بعبد بجمع م الجزيرة كالسمير (٢)

(١) راجع الأغاني ص ١٢٢ ج ٢ وغيره من كتب الأدب والتاريخ . راجع كذلك ص

(٢) الأغاني - ص ١٤١ ج ٢ .

ولما توجه سابور للانتقام منهم وقف أمام الحضرة ، قصر الضيعة ،
حيال تكريت بين دجلة والفرات ، عاجزاً عن فتحه حتى رآته النضيرة
بنت الضيعة ورآها سابور فعشقه وعشقتها ودلته على طريقة فتحها
القصر ، وقتل أباهما الضيعة ، وأباد من كان معه من قومه وأهلته . ولم ترح
نفسه لبقاء النضيرة معه بعد خيانتها لأبها وأهلها فقتلها .

وأما رب الخورنق فهو النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الأول
أو الأكبر . وقد حكم ثمانيا وعشرين سنة عاصر فيها من ملوك الفرس
يزدجرد الأول (يزدجرد بن سابور بن سابور ذي الأكتاف ٣٩٩ -
٤٢٠ م) وابنه بهرام كور أو بهرام الخامس (٤٢٠ - ٤٣٨ م) . وكان للنعمان
هذا كتيبان يحاربهما أعداءه تتكون الأولى من الفرس وأسمها الشهباء
وتألف الثانية من العرب وأسمها دوسر . وهو الذي بنى الخورنق . وكان
سبب بنائه أن يزيدجرد بن سابور أرسل إليه ابنه بهرام جور (كور) ليقيم
على تربيته ، فاتخذ له الخورنق مسكناً بناه له سنار الذي كوفى على مجهوده
اسراً مكافأة .

والخورنق معرب خورنكاه أو خورنكه أو خورند . ومعناها مكان
الأكل والشرب إذ كانت الموائد تنصب فيه . وقد غلط فريق من الكتاب
والمؤرخين فزعموا أن الذي بناه هو النعمان بن المنذر . وليس هذا بصحيح
لأن النعمان بن المنذر كان معاصراً لكسرى بربوز (٥٩٠ - ٦٢٨ م)
ولم يكن معاصراً لبهرام جور الذي من أجله بنى الخورنق كما أجمعت المصادر .
والصحيح ماقتناه من أن الذي بناه النعمان بن امرئ القيس الذي عاصر يزيدجرد
بن سابور وكلف من قبله بترية ابنه بهرام وبناء هذا القصر لسكناه .

وأما السدير فيبدو من كتابات المؤرخين أنه يؤلف مع الخورنق قصرأ
واحداً ، وغاية ما في الأمر أن الأخير وهو الخورنق بجانب من القصر خصص

للأكل والشراب ، وأن الأول وهو السدير خصص للتعبد وأداء الفرائض الدينية . ومن هنا كان طراز بنائه مناسباً لهذا الغرض إذ كان مبنياً على شكل ثلاث قبب . ويقال إن السدير مكون في لفظه من سه دبر أى القباب الثلاث . ودبر بالهلوية بمعنى القبة (١) . وفي معرب الجواليقي ما يقرب من هذا التفسير (٢) .

* * *

ولكسرى برويز صلوات واسعة مع العرب . ويكثر في الأشعار العربية ذكر ما كان ينعم به من أنوان الترف ومظاهر الحضارة فن ذلك قول خالد الفياض :

والملك كسرى شهنشاہ تفنصه	سهم بریش جناح الموت مقطوب
إذا كان لذته شديز يركبه	وغنج شیرین والديباج والطيب
بالتار آلى يمينا شد ما غلظت	أن من بدا فتى الشديز مصلوب
حتى إذا أصبح الشديز منجدلا	وكان ما مثله فى الخيل مركوب
ناحت عليه من الأوتار أربعة	بالفارسية نوحا فيه تطريب
ورنم النهلذ الأوتار فالتبت	من بحر راحته اليسرى شاييب
فقال مات فقالوا أنت فهمت به	فأصبح الخنث عنه وهو مجذوب
لولا النهلذ والأوتار تندبه	لم يستطع نعى شديز المرازيب (٣)

الإشارة الأولى في هذا الشعر هي الشهنشاہ . والشهنشاہ الذى يعنيه الشاعر هو خسرو برويز أو كسرى أبرويز كما يسميه العرب . ولكسرى أبرويز شأن يذكر في حوادث العرب والمسلمين . وقد روى أنه لما جمع ما لبثت النعمان ابن المنذر ونساء أسرته من الحسن والجمال أراد أن يصهر اليه وأرسل

(١) الألفاظ الفارسية العربية - ادى شير .

(٢) معرب الجواليقي مادة سدير .

(٣) معجم البلدان - ص ٢٥٢ ج ٣ ط لبيزج .

زيد بن عدى يقاتحه في الأمر وهو يظن أن النعمان سيلبي الطلب فخبراً بهذا الشرف الذي يمنحه إياه كسرى العظيم . ولكن النعمان خيب ظن كسرى واعتذر لرسوله ، ووجد زيد الفرصة سانحة فأوغر على النعمان صدر الملك الذي بيت له الشر وأرجأ التنفيذ حتى لا يفتن إلى ما أراد به . وبعد زمن ورد إلى النعمان كتاب كسرى يدعو إليه فجمع النعمان أهله وماله وسلاحه وسار حتى نزل عند بني شيان في ذي قار . وكان سيدها هانيء بن مسعود بن عمرو الشيباني فأودعه ما جمعه وتوجه إلى كسرى الذي طرحه تحت أقدام الغيلة فداسته حتى مات (١) واستعمل بعده على الحيرة إياس بن قبيصة الطائي وكلفه أن يجمع ما خلفه النعمان وأن يرسله إليه ، فبعث إياس إلى هانيء بأمره أن يقدم إليه ما لديه من ودائع النعمان فأبى هانيء ، فأرسل إليهم كسرى جيشاً كثيفاً لقيه العرب عند ذي قار ودارت بين الفريقين المعركة التي انتهت بانهزام العجم والتي تعرف في تواريخ العرب بيوم ذي قار . وأشعار العرب في ذكر هذه الواقعة والفخر بها كثيرة . وقد ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا النصر قال « هذا أول يوم انتصف العرب من العجم وبى نصروا (٢) »

وكسرى ابرويز هو الذي ينسب إليه أغلب المؤرخين أنه بنى إيوان المدائن المعروف، ولما فرغ من بنائه عقد عليه طاقاً (٣) وكان في هذا الطاق حلقة كبيرة من الذهب يتدلى منها سلسلة من الذهب الأحمر مرصعة باللؤلؤ والجواهر فاذا جلس الملك في الإيوان علق تاجه من هذه السلسلة فيجلس تحت التاج على تخت العاج (٤) . وكان عند كسرى عدد كبير من الكهان والسحرة والمنجمين يجمعهم كلما أحزنه أمر لينظروا في سببه وليجدوا له مخرجاً منه . ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم تداعى هذا الطاق ، فجزع كسرى ودعا كهانه وسحاره ومنجميه ليبحثوا الأمر وكان بين كهانه

(١) في رواية أخرى أنه حبسه حتى مات .

(٢) ابن الأثير - ص ١٩٥ ج ١ .

(٣) الطاق ما حطفت من الأبنية صرب «تاء» وهي الضيقة أو الضيقة .

(٤) الشاهنامة قصة بناء خسرو طاق ص ٢٨٧٧-٢٨٨٦ ج ٩ والترجمة العربية ص ٢٤٤ ج ٢

رجل من العرب اسمه السائب فبات ليلة ظلماً على ربوة من الأرض فرأى برقاً قد ومض في الحجاز واستطار حتى بلغ المشرق فأدرك أن أمراً خطيراً قد حدث هناك . ولما خلا الكهان بعضهم إلى بعض وحدثهم السائب بما رأى قالوا « إنه لنبي بعث أو هو مبعوث يطلب الملك ويكسره (١) » واتفقوا فيما بينهم أن يكتموا الأمر عن كسرى خوفاً على حياتهم ، ونصحوه أن يعيد بناء الطاق ففعل ولم يكده يدخل البناء ويجلس مع أماورته حتى انتفض من جديد وكاد يهلك ، وعاود البناء ثلاثة أعاد البناء إلى الانتفاض . وكان ذلك نذيراً بزوال ملكه .

وليعض الشعراء في هذا النطاق وماحواه من الرسوم والنقوش :

بوسنان طاق ليس في الأرض مثله	وفيه تصاوير من الصخر محكم
وبروز فيه والمرازب حواه	وشيرين لتقيم وشيخ مززم
وبهرام جور والمقاول مثل	وشروين فيهم قاعد متعم
وخرين قد اجرى وأوى بسهمه	إلى مقلعة حناتة لا تكلم
ومويذهم في الطاق صور غيرة	وهزبدهم بالجهل والجور يحكم
وكث يحوز المساء في النهر واقف	ليقسم فيما بينهم ليس بظلم
وأسراب عين والكلاب تحوشها	وطرف عليه المرزبان المكرم
وصور فيه كل وحش وطائر	من الطير والعنقاء ما الله أعلم
وأسد وصيران وشاء وأعنز	وحيتان بحر في السفين تعوم
ومادب من ذر ونمل وعقرب	وفيل وفيال عليه يدمدم
وقبج ودراج وظبي وأرنسب	وباز وصقر قد يصيد وقشع
ومكتب صبيان وتأديب غلمة	وشيخ عديم قيل هذا معلم
وصور فطوس على الطاق نفسه	عليه جناحاً طائر لا يحوم
فبحان رب سحر الصخر عنوة	فصور فيه كل شيء مقوم
لقد أبدع الرومي في الطاق بدعة	أقر له بالخلق عرب وأعجم (٢)

(١) ابن الأثير - ص ١٩٥ ج ١ .

(٢) مختصر البلدان - ص ٢١٦ .

وهذا الإيوان هو الذي قال عنه البحري :

وكان الإيوان من عجب الصنعة جوب في جنب أرعن جلس
حكمت حظه الميالي وبات المشتري فيه وهو كوكب نحس

فهو يبدى تجلدا وعليه
ليس يلدري أصنع أنس لجن
كلكل من كلاكل الدهر مرسي
سكنوه أم صنع جن لأنس (١)

وفيه أيضاً يقول ابن الحاجب :

ان سخاني زمن فن ذا اللى
أخني على عاد وأهلك تبعاً
وأزال ملك الفرس بعد ثبوتته
آثارهم تنبيك عن أخبارهم
هل سمعت أذناك مثل حديثهم
تصر يكاد يرد حن بنائسه
وكانها في ومط كل دجنسة
أو فية شربوا فأحدث فيهم
وضعوا الأكف على الحصور ورفعوا
مصطفة كبناث نعش من ذرى
ومعكران لكل حرب منهما
جيشان لو وقع التناجز منهما
لولا وقوع اليأس من حركاتهم

لم تستبحه خيانة الأزمان
وخنا بكلكله على النعمان
ومطاً بكرهاها أنو شروان
نصاً وليس مغيب كعيان
أو عاينت عينك كالإيوان
بصراء عنه نواظر العميان
نار تشب لعابد الرهبان
فعل الشراب غيلة النشوان
فوق الرعوس أكلة المرجان
على السموك مرقق البنيان
رجل أمام مواقف الفرسان
لم يبق من جمعها رجلاً
لظننت أنهما سيقتتلان (٢)

وكسرى هذا هو الذي جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في السنة السابعة والثلاثين من ملكه (٣) يدعو إلى الإسلام فعجب من
جرأة محمد « كيف يقدم اسمه على اسمي في كتابه (٤) » ومزق الكتاب فدعا

(١) ديوان البحري - ص ١٦٩ ج ١ ط الأديبة بيروت . ١٩١١

(٢) مختصر البلدان - ص ١٢٢ .

(٣) مدة حكمه ثمان وثلاثون سنة .

(٤) نرس نده - ص ١٠٦ ط لسترانج ونيكسون .

عليه النبي «مزق الله ملكه كما مزق كتابي» . ويقول حمد الله المستوفى إنه بسبب هذا الدعاء عليه اضطرب ملكه بعد ذلك وخرج عليه ابنه شيرويه وقتله (١) .

وكان كسرى يحيا حياة في غاية الترف . ويكفي أن ننقل هنا ما ورد عنه في الشاهنامه « كان من عاداته إذا ركب أن يقاد له ثلاثمائة جنبيه بعدة الذهب ويسمى بين يديه ألف وستة وستون راجلا بأيديهم المزاريق ، وألف وأربعون بأيديهم السيوف والعصى ، ويخرج معه سبعمائة من البازداريه (٢) وثلاثمائة من الفهادين وسبعون أسداً ونمراً معلمة مجللة بالديباج مشدودة الأفواه بسلاسل الذهب ، ويستصحب ألف عواد على رؤوسهم أكاليل الذهب ومائتي غلام على يد كل واحد منهم مجمر يوقد فيه العمود والعنبر في الموكب ومائتي نفس من الشبان معهم الرجس والزعفران يتقدمون الموكب حتى ترد الريح ريحها إلى مشام الملك وقدام هؤلاء مائة سقاء معهم قرب الماء يرشون الطريق حتى لو هب هواء لم يحمل غباراً من الأرض فيمسه به (٣) » .

والإشارة الثانية في هذا النص هي شبيذ . وكان شبيذ هنا فرساً تام الحلقة بديع التكوين كامل التدريب والإعداد فكان لما اجتمع فيه من الصفات النادرة أحب دواب كسرى إلى نفسه . وحدث أن اعتل شبيذ والحيت عليه العلة وعرف ابرويز ما يعانيه فرسه المحبوب من اشتداد المرض ودنو الأجل فأقسم ليقتل من يتعاه إليه . فلما نفق شبيذ خاف صاحب خيله أن يسأله ابرويز عنه فيخبره بنفوقه فيكون في هذا هلاكه . ولجأ إلى بربد معني الملك وأخبره بموت شبيذ وأغراه بالطائل من الأموال حتى يحتمل له حيلة تنقله

(١) تاريخ كزنده - ص ١٢١ ط براون .

(٢) حلة صقور نصيد .

(٣) الشاهنامه - ص ٢٨٩١ ج ٩ والترجمة العربية ص ٢٣٦ وراجع أيضاً تاريخ كزنده

ص ١٢١ .

من موقفه وتحفظ عليه حياته . ولم يجد المعنى - وكان كذلك شاعراً - خيراً من أن ينظم الخمر ويلمسه في بعض أغانيه التي يفتن بها أمام الملك . وقد استطاع بربد براعته في النظم والغناء أن ينهي إلى الملك خبر نفوق شيديز في أسلوب غير مباشر وعبارة غير صريحة . فلما سمع الملك الأغنية فهم أن شيديز قد مات فصاح « مات شيديز » فقال بربد على الفور « لم ألقها يا مولاي . أنت قلتها » . فقال الملك « زه ما أحسن ما لجأت إليه فخلصت نفسك وخلصت غيرك » وجزع على فرسه جزعاً عظيماً وأراد أن يخلد ذكره فأمر فطوس بن سنار (١) الذي نحت له تمثالا في الصخر (٢) يبلغ من دقة الصناعة وروعة التصوير مبلغاً عظيماً بحيث لم يكن يفرقه عن الأصل سوى الروح ، وصور بجانبه شيرين محبوبة الملك كما صور الملك وقد ركب فرسه .. وحين شاهد الملك التمثال أذهلته دقة صناعته فخشع أمامه واستعبر وذكر حال الدنيا ومصير الأحياء .

شيرين . والاشارة الثالثة هي « شيرين؟ » (٣) . وكانت شيرين محبوبة كسرى ابرويز . وقد اختلف في أصلها فالشاهنامه تعتبرها فارسية . وحدالله المستوفى يعتبرها أرمنية ويذكر أن ابرويز حين ذهب إلى بلاد الأرمن عشقها كانت ابنة ملكهم (٤) . ومنهم من يقول إنها كانت رومية ، وإن شيرين قد حرفت عن « ابريني » أو « سير » (٥) .

وكان كسرى قد أمر فأعدوا له حديقة عظيمة قضاوا في اعدادها سبع سنين وجمعوا فيها من كل أصناف الطير . ولما فرغوا من اعدادها احتفل ابرويز بافتتاحها (٦) ، وشرب وسكر ، وقال لمحبوبته شيرين في نشوة مسكرة

-
- (١) أبوه سنار هو الذي بنى الخورنق .
 - (٢) في جبل بيستون بين حلوان وقرميسين .
 - (٣) الشاهنامه قصة خسرو برويز وشيرين من ٢٨٦٨ ج ٩ ط بروخيم . طهران .
 - (٤) تاريخ كزنده من ١٢٠ ط برآون .
 - (٥) تعليقات هزام على الترجمة العربية ج ٢ ص ٢٣٩ .
 - (٦) في المكان المعروف بقصر شيرين .

سليبي حاجتك . فطلبت منه أن يكون لها في هذا البستان العظيم نهران من
حجارة يجرى فيهما الحمر واللبن ، فوعدها بذلك ، ولكنه لما أفق نسي
وعده ، وخجلت شيرين أن تذكره به فلجأت إلى مغنيه بربد الذي هيا
أغنية ذكر الملك فيها بما نسيه . وقد وفي الملك بوعده وبني النهرين (١) .

وفي ابرويذ وشبديز يقول أبو عمران الكسروي :

وهم نفر واشبديز في الصخر عبرة وراكبه برويز كاليدر طالع
عليه بهاء الملك والوفد عكف يخال به فجر من الأفق ساطع
تلاحظه شيرين واللمحظ فاتن وتعطر بكف حنتها الأشاجع
يدوم على كر الحديدين شخصه ويلقى قويم الجسم واللون ناصع (٢)

ويروي أن بعض الملوك مر هناك فراقه المكان وأعجبه التمثال فطلب الخلق
والزعفران فخلق وجه شبديز وشيرين والملك فقال بعض الشعراء :

كاد شبديز أن يمحهم لما خلق الوجه منه بالزعفران
وكان الحمام كسرى وشيرين مسع الشيخ مويذ المويذان (٣)
من خلق قد ضمخوم جميعاً أصبحوا في مطارف الأرجوان (٤)

ويقال إن شيرين كان لها عاشق آخر اسمه فرهاد . فلما سمع الملك بأمره
كلفه أن يشق طريقاً في جبل بيتون ووعده إن أتم العمل أن يزوجه شيرين .
وكان على ثقة أنه لن يقدر . ولكن فرهاد استطاع أن يشق الطريق ولم يظفر
رغم هذا بشيرين . وكان مثله مع شيرين مثل الخنوع مع ليلي . وفي ذلك
يقول الشاعر :

(١) مختصر البلدان لابن الفقيه ص ١٥٨ ط ليدن .

(٢) معجم البلدان ص ٢٥٢ ج ٢ ط ليزج .

(٣) ذكر المويذ المويذان (وهو كبير رجال الدين) لأن خسرو كان تدعاها وأمره أن يزوجه

شيرين .

(٤) معجم البلدان ص ٢٥٢ ج ٢ ط ليزج .

صارت شيرين من نصيب خسرو وفرهاد يقطع الأحجار عثا (١)

أما البهلبد فهو بريد نفسه معنى كسرى الذى سبقت الإشارة إليه (٢). ويقال له فى المصادر العربية بزريد ، بريد ، بهلبد ، بهلبد ، فهريذ ، فهريذ . وكان بريد هذا آية زمانه فى الموسيقى والثناء . وكان يقول الشعر أيضاً ولكن غلب عليه الغناء والموسيقى . ولم يعتبر عروفاً أغانيه من الشعر لأنها فى نظره يعوزها الوزن والثقافية (٣). ولو كان عروفاً قد قدم لنا مثلاً واحداً من أغاني بريد لأفادنا فائدة كبيرة ، ويسر لنا سبيل الحكم عليها حكماً فديكون أقل قسوة من حكمه . وعلى العموم فإن المؤرخين قد أجمعوا على تقديم بريد ولو غلب عليه الغناء فى فن الموسيقى . ويذكر صاحب تاريخ كربدة أن أساتذة الموسيقى كانوا يتخذون آراءه فى هذا الفن حجة ويعترفون من فيض علمه كما يذكر أنه قد ألف ثلاثمائة وستين أغنية يعنى واحدة منها كل ليلة فى مجلس الملك .

والبهلبد هذا هو الذى يعنيه البحرى فى قصيدته السابقة التى مطلعها « صنت نضى عما يدانس نضى » حين يقول :

قد سقانى ولم يصرد أبو الفـوث على العسكرين شربة خلص
من مدام تقولها هى نجوم أضوا الليل أو مجاجة شمس
وتراها إذا أجللت سروراً وارتياحا للشارب المتحسى
أفرغت فى الرجاج من كل قلب فهى محبوبه إلى كل نفس
وتوهمت أن كسرى أبرويز معاطى والبهلبد أنسىسى (٤)

ومما يذكر أن القرمس فى العهود الاسلامية قد ساروا على نمط الساسانيين فكان كبار الشعراء يجمعون إلى فن الشعر البراعة فى فن الموسيقى والثناء

(١) لعل شيرين نصيب خسرو شهادتكم بيهوده كنه فرهاد

(٢) اشاعته ص ٢٨٨٢ ج ٩ ط بروخيم . طهران .

(٣) لياب الألباب ص ١٣ ج ١ ط براون .

(٤) ديوان البحرى ج ١ ص ١٦٩ ط الادبية بيروت ١٩١١ .

كالرودكى شاعر السامانيين والفرخى شاعر الغزنين وكان ابن الرودكى شاعر السامانيين فى العهد الاسلامى وبين بربد (هلبند) شاعر الساسانيين ومغنيهم فيما قبل الاسلام كثير من أوجه الشبه . فقد كان كل منهما شاعراً ومغنياً وملحناً . وكان كل منهما ينفذ الشعر مصححاً بالغناء والموسيقى ، كما كان كل واحد منهما على المكانة عند مليكه ينهى اليه أدق الأخبار فى أبرع قالب . وكما استعان رجال كسرى أبرويز ببربد ليخبره فى ثانياً أغانيه بموت فرسه الشديز استعانت حاشية نصر بن أحمد الساماني بالرودكى ليغرى الأمير بالعودة إلى بخارى . وكان الأمير فى ذلك الوقت مقبياً فى هراه وقد أعجبه ماؤها وهواؤها، وطاب له جوها وأمرها فأطال الإقامة فيها، وأجل الرحيل عنها من فصل إلى فصل حتى انقضى عليه هناك أربع سنوات فسم رجال الحاشية والجنود ، وحنوا إلى ذوبهم وديارهم فى بخارى عاصمة الملك . وهداهم التذكير إلى الاستمعة بالأمير الرودكى ، فعرضوا الأمر عليه ، ووعدوه بخمسة آلاف دينار ان استطاع أن يصرف هوى الأمير عن هراه ، وأن يحرك فيه الحنين إلى بخارى فيرحل اليها . ويقول النظامى المروضى إن الرودكى كان يعرف مزاج الأمير وإن النثر لا يؤثر فيه ، فأنجبه إلى النظم ، وأعد قصيدة دخل بها على الأمير وقت الصبح ، واتخذ مكانه فى مجلسه حتى إذا سمع له بدأ يغنى فى لحن العشايق :

ما زال يهب علينا أرجه رجيجيون وما زال يهب علينا عرف الحبيب (١)

إلى أن قال :

إن الأمير قمر وبخارى هى السماء
واقمر نحو السماء يتجسه
إن الأمير مرو وبخارى هى البستان
والمرو يقبل نحو البستان (٢)

(١) بوى جوى موليان آيد هى
ماه سوى آمان آيد هى
مروسوى بوستان آيد هى

(٢) مير ماهست وبخارا آمان
مير مرواست وبخارا بوستان

ويتابع النظامى روايته فيقول ، وهنا انفعل الأمير ونزل عن عرشه متأثراً فركب حصانه ، وقد نسي أن ينتعل من العجلة ، واتجه على الفور الى بخارى فحملوا اليه حذاءه حتى يروته على بعد فرسخين وهناك لبسه . ولم يرجع على مكان حتى بلغ بخارى (١) .

وقد اعترف معاصروالروادكى وبريد لهما بالسبق فيما مارساه من الروان الفن . ولشدة ما بين الاثنين من شبه في المكانة والظروف قرنها المجلدى الحرجاني في قوله :

من متع هذه الدنيا المتسروعة
 ماذا بقي لآل سامان وآل سامان
 بقي ثناء الروادكى وملحه
 وبقيت أغاني بربسند وقصصه (٢)

ومما عرفه العرب من ترف كسرى برويز ولم يذكره النص بساطه المعروف باسم بهار كسرى ويسميه العرب القطيف . وكان قطعة واحدة ستين ذراعاً في ستين متسوجاً من النسيج الذهب . وكانوا يعدونه للشاء إذا ذهب الرياحين فرشوه وشربوا فرقه فكأنهم في روضة من رياض الربيع لكثرة ما نقشوا عليه من الورود والرياحين والأشجار والثمار وجعلوا الخيائل فيه من زمرد وصنعوا النهر من لؤلؤ والأشجار والثمار والورود كلها من الماس والياقوت . وقد ظفر العرب بهذا القطيف بين ما ظفروا به من غنائم المدائن ، وأثار مشكفة أمامهم فكيف يوزعونه على الثامحين وكيف يفرقونه فيما بينهم . ولما عجزوا أرسلوه إلى عمر ليرى رأيه فيه . ولم يكن عمر أقل حيرة منهم فجمع الناس ليستمروهم في أمر الإساط ، واستقر الرأي أخيراً على تقطيعه وتقسيمه بين الناس فأصاب عليها قطعة منه باعها بعشرين ألفاً ولم تكن مع ذلك بأجود القطع (٣) .

(١) جبار مقاله ص ٢٩ ط طهران .

(٢) از آن چند ان نعم این جهـماني
 ثنای رودکی ماندست ومدحت

که ماند بز آل سامان وآل سامان
 نوابی پارید ماندست ومدحت

(٣) انطربى - ص ١٣٠ ج ٢ .

وللشعبوية شأن كبير في الأدب العربي . وقد وجدوا في الشعر مجالا واسعا للهجوم على العرب وقد أشرنا في القسم الأول من هذا البحث إشارة موجزة إلى الشعبوية وموقفها من العرب في العهد الأموي والعباسي . ولا حاجة بنا إلى تفصيل الكلام في الشعبوية فالقصد إلى أشعارهم أفضل والاتجاه إلى النصوص أولى .

ومن شعراء الشعبوية المشهورين أبو نواس . والحقيقة أنه وإن كان قد قسا على العرب في هجائهم إلا أنه كان يتنسب تارة إلى القحطانية كما في القصيدة التي مرت بنا من قبل (١) وتارة أخرى إلى الفرس . ومن لاذع قوله في هجاء العرب .

عاج الشقى على رسم يائله	وعجت أسأل عن خسارة البلد
يبكى على طلال الماضين من أمسد	لا در درك قسلى من بنو أمسد
ومن تميم ومن قيس ولقهمسا	ليس الأعراب عند الله من أحد
لا جف دمع الذى يبكى على حجر	ولا صفا قلب من يصبو إلى وتد (٢)

ويقول في موضع آخر يتحدث عن الخمر :

كانت على عهد نوح في سفينة	من حرشحتها والأرض والطوفان
فلم تزل تعجم الدنيا وتعجمها	حتى تخيرها للخبء دهقان
فشاهها في مغار الأرض فاختلقت	على الدفينة أزمان وأزمان
بيلدة لم فصل كلبها طيبا	إلى خبء ولا عيس وذبيسان
ليست لذهل ولا شيبانها وطنا	لكنها لبني الأحرار أوطان
أرض يبني بها كسرى دساكرة	فأبها من بني الرعاء انسان
وما بها من هشيم العرب عرفجة	ولا بها من غذاء العرب حطبان
لكن بها جطار قسند نعرعه	آمن وكلله ورد وموسسان (٣)

(١) راجع ص .

(٢) الكيوان - ص ٢٦٦ .

(٣) نفس المصدر - ص ٢٤٣ .

ويقول في هجاء الأعراب والأعرابيات وذم عيشهم :

دع الرسم الذي دثرا يقاسي الريح والمطرا
وكن رجلاً أضحاع العلم في التلذذات والظنرا
ألم تمر ما بين كسرى وما بور لمن غسيرة
منازه بين دجلة والفرات أخصبها الشجرا
لأرض باعد الرحن عنها الطبع والشجرا
ولم يجعل مصايدها يرابعها ولا وحرا
ولكن حمر غزلان تراعى بالملأ بقرا
وان شئتينا حثينا الطير من حافنا زسرا
خثناارا ونحاما ترى بوجودها غررا
وان قلنا اقلوا عنكم بياكر شومها الحمرا
أناك حليب صافية بهذا قطعنا ومعتصرا
فذاك العيش لا مبادا بقفرتها ولا وبررا
بعازب حرة بسلى بها العصفور منجرا
إذا ما كنت بالأثباء في الأعراب معتصرا
فإنك أعمارجل وردت فلم تجد صدرا
ومن عجب لعشقم الحفياة الخلف والصحرا
قتيل مرقش - أودي ولم يعجز وقصد قلدرا
وقال الجاهل الموطأ عشا الأنجار والغردرا
فقد أودي بن عجلائ ولم يظن بسسه خجرا
فحدث كاذبا عنه وقسال بغير ما شمرا
ولو كان ابن عجلائ من السلى كما ذكررا
لكان أذم عهداً في المـ وى وأجسه عسذرا
تعش جنسه جنس وقسال شذها كجرا
تعهد الشيخ والقيصوم والفقهاء والسمررا

جنى الآس والنرين والموان من زهرا
ويغنيها عن المرجان أن تتقلد البعرا
وتفرد في براجدها تصيد الذئب والنمرا

وفي هذه النصوص من شعر أبي نواس أمثلة مما يناجم به الشعوبية العرب . فالعرب أهل بدآوة وفقر ، عيشهم مذموم ، ومكثهم حقير ، وطعامهم تعافه النفس ، ثم هم إلى جانب هذا أهل سداجة وغفلة يقفون على الطائر ، ويعوجون على الرسوم ، ويبكون على الأحجار ، وتضبو قلوبهم إلى الأوتاد ، ولا يميزون الخبيث من الطيب ، ولا يفرقون بين الشيخ والقيصوم وبين الآس والنرين ، وتشتغى نساؤهم بالبعر عن المرجان ومن مثالب العرب كذلك في نظر الشعوبية أنهم يفخرون بالآباء والأجداد ، ويتكلمون عن الأحساب ، مع أن الناس كلهم لأب وأم ، خلقوا من التراب وإلى التراب يعودون ومن تعقل لم يفخر ويتكبر ، ثم ما هذه الأنساب التي يرجعون إليها . لقد كانت العرب في الجاهلية ينكح بعضهم نساء بعض في غاراتهم بلا عقد نكاح فكيف يعرف الابن آباءه ، وكانت نساؤهم تسي وتوطأ ثم يستنقدون بعد ذلك فيفخر العربي بذلك . ولم يكن لهم حكمة ولا صناعة ولا فلسفة فكانوا يعيشون في مجتمع ينقصه النظام والقانون والعدالة كمجتمع الذئب والوحوش يأكل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض .. إلى غير هذا من المثالب مما تجده مفصلا في المصادر (١) .

ومن شعر الشعوبية قصيدة ابراهيم بن ممشاذ المتوكلي :

أنا ابن الأكارم من نسل جم	وحائز إرث ملوك العجم
ومحبي الذي باد من عزهم	وعضى عليه طوان القدم
وظالب أوتارهم جهرة	فن نام عن حقهم لم أتم
يسم الأنعام بلسانهم	ونفسى هم بسوق الهم

(١) الديوان - ص ١٦٤ .

(٢) راجع مثلا المقدم الفريد - ص ٤٠٣ ج ٣ .

إلى كل أمر رفيع العماد
 وإن لآمل من ذى العسلا
 معى علم الكايبان الذى
 فقل لبنى هشام أجمعين
 ملكناكم عنوة بالرماسح
 وأولاكم الملك أباننا
 فعودوا إلى أرضكم بالحجاز
 فأن ساعلو سرير الملوك
 طويل النجاد منيف العلم
 بلوغ مرادى بغير التسم
 به ارتجى أن أسود الأمم
 هلموا إلى الخلع قبيل الندم
 طعنا وضربا بيف خدم
 فما أن وفيتم بشكر النعم
 لأكل الضباب ورعى الغنم
 محمد الحسام وحرف القلم (١)

وابراهيم هذا فارسى الأصل من رمتاق جى ، اتصل بالخليفة المتوكل
 وكتب له ، وصار من أهل الحظوة عنده فنب إليه ثم كره بعد المتوكل
 حبة أولاده فترك العراق واتصل بيعقوب بن الليث . ولما اطمأن به المقام
 عند يعقوب فاض لسانه بما يضر قلبه للعرب من كرهه وحقد ، ولم يستح
 أن يوجه إلى الخليفة المعتمد بالأبيات السابقة . وهو فى هذه الأبيات يفخر
 بفارسيته ويصل نسبه بالملك جم (حميد) من ملوك الأسرة البيشداية .
 وفى البيت السابع يشير الشاعر إلى قصة علم الكايبان ، واسمه «درفش
 كاويان» أو العلم الجاوى . وترجع قصة هذا العلم إلى عهد الضحاك (٢)
 الذى طغى وبغى وقتل كثيراً من الخلق حتى ضج الناس من هذا الضغيان
 والبغى . وكان ممن وترهم الضحاك حداد يسمى صكاوه (جاوه) قتل
 أحد ولديه وهم بأن يقتل الثانى فلم يطق الحداد صبراً فخرج نائراً وتبعه
 فى ثورته خلائق كثيرة من العامة الذين ضاقوا ذرعاً بهذه المظالم . ويقال إن
 جاوه فى تزعمه لهذه الثورة كان يرفع جلدة الحدادة التى يتقى الحدادون بها الشرر
 على رأس عصا فكانت بذلك أشبه بالعلم . واتجه جاوه ومن معه من الجموع

(١) سجع الادب - ج ٣ ط رفاى .

(٢) يذكر الضحاك بأسماء كثيرة منها ازدهلق ، ازعماق ، بيوراسب ، بيوراسف .
 وقد خلطوا كثيراً فى أصل الضحاك . راجع ص .

الناثرة إلى أفريدون وكان معروفاً بالعدل والاحسان وتنادوا به ملكاً على البلاد . وقبل أفريدون الملك وانضم إلى الشعب في قتال الضحاك حتى هزمه وقضى عليه . وتيمناً بأفريدون بتلك الراية التي كان يرفعها جاوه واعتبرها فألاً حسناً . وسميت منذ ذلك الوقت « درفش كاوياني » نسبة إليه . وكان ملوك الفرس يقيمون بها ويتوارثونها ويزينونها اعتقاداً منهم أنها تجلب النصر والظفر واحتفل أفريدون بيوم توليه العرش احتفالاً عظيماً وصادف ذلك اليوم ، اليوم الأول من شهر مهر ، وصار بعد ذلك عيداً من أعياد الفرس هو المعروف بعيد المهرجان .

ويتأدى الشاعر في قحته على رب نعمته السابق ، ويميره والعرب عماضيهم في البداوة وشظف عيشهم وقتذاك حين كانوا يرعون الغنم ويأكلون الضباب . والحق أن العرب يعترفون بماضيهم ولا يتذكرون له لأنهم يفتخرون بالتطور الذي صاروا إليه بفضل الإسلام . وبما يروى أن يزدجرد حين استقبل وفد العرب ، الذي جاء بدعوه إلى الإسلام قبل غزو بلاده ، أخذ ينتقص من قدرهم ، ويشير إلى فقرهم ، وسوء عيشهم ، وشرع بعد ذلك يعدم ويمسهم ، ويقول لهم « إن كان الجهد دعاكم فرضاً لكم قوتاً إلى خصبكم واكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكتنا عليكم ملكاً يرفق بكم (١) » . لعله يستميلهم بذلك ويصرفهم عن غزو بلاده . فانبرى له المغيرة بن زرارة ابن النباش الأسيدي فقال من جملة كلامه « أما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات فخرى ذلك طعامنا وأما المنازل فانما هي ظهر الأرض ولا نلبس الا ما غزلنا من أوبار الأبل وأشعار الغنم . ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ويغير بعضنا على بعض وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً تعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده فأرضه خير أرضاً وحسبه خير أحسابنا وبيتسه أعظم بيوتنا .. الخ (٢) »

(١) الطبري - ص ١٧ ج ٣ .

(٢) نفس المصدر الجزء - ص ١٨ .

ومن المناظرات الطريفة بين العرب والفرس تلك المناظرة التي حدثت في مجلس الصحابي بن عباد فقد دخل عليه أحد الشعراء وأشده شعراً فخر فيه بأصله الفارسي ، وفضل قومه ، وهجا العرب وقال :

غيبنا بالطبول عن الطلول	وعن عنس تذافسره ذمول
وأذهلني عقار عن عقار	ففي است أم القضاة مع العدول
فلمت بتسارك ابوان كسرى	لتوضح أو الحومل فاللخول
وضب بالفلا سلع وذئب	ها يعوى وليث وسط غيبل
يسلون اليوف لسرأس ضب	جراشا بالفسداة وبالأصيل
إذا ذبحوا فذلك يوم عبيد	وإن نحروا ففي عرس جليل
أما لو لم يكن للفرس إلا	نجار الصحابي القرم النليل
لكان لهم بذلك خير فخر	وجيلهم بذلك خير جليل

وكان البديع الممداني حاضراً فنظر إليه الصحابي يدعوه إلى الرد على هذا الشاعر والانتصار لعرب فقال :

أراك على شفا خطر مهول	عما أودعت لفظك من فضول
تريد على مكرمتنا دليلاً	متى احتجاج انتهار إلى دليل
ألمنا الضاربين جزى عليكم	وأن الجزى أولى بالذليل
متى تسرع المنسابر فارسي	متى عرف الأعرس من الحجول
متى عرفت وأنت بها زعيم	أكف القرمس أعراف الخيول
فخرت بملء ما ضعتك هجرا	على قحطان والبيت الأصيل
وتفخر أن ماكولا ولبسا	وذلك فخر ربات الحجول
فتاخرن في خمد أسيل	وفرع في مفارقتها رسيل
وأحمد من أباك إذا تزيما	عراة كالليوث على الخيول (١)

(١) بلوغ الأرب للأوس - ص ١٦٠ ج ١ .

وهورد مقم دحض كثيراً من حجج الشعوبية الثافهة . فما فخر بايوان
أويماكول وملبوس ؟ .

وقد ضاق العرب ذرعاً بهذه العصبية الفارسية ، وهذا الهجوم على
أهل البيت الأصلاء فابرى فريق من شعراء العرب يدفعون عن العرب
وينالون من الفرس . ومن هؤلاء أبو الأسد الذي يقول :

قبل البسار وأنتم في التبانين
تمشون في القسز والقوهى والئين
يصحن تحت الدوالي بالوراشين
طوائف الخبز من دكن وطارون
وحلمين كلوثاً في الشقسابين
نحن الشاريج أولاد الدهاقين
لقلان من فخره إني ابن شوبين
فمن يفاخرني أم من يتأويحني
دعوى النبيط وهم بيض الشياطين
كما أدعى الضب أني نطفة النون
يفرى ويصدع خوفاً قلب ترازون
عن انهم واستبدوا بالبرازين
دور الملوك وأبواب السلاطين
عداوة لرسول الله في السدين
شر الخليفة يا بخر الثعابين
وهاشم مرجها الشم العرانيين
يزرون بالنبيط النكز الملاعين
بما يناسب كسرى غير حمدون
يتبيلك عن كسرى الجند ميمون
فانظر إلى حسب باد ومخزون (١)

صنع من الله أني كنت أعرفكم
فما مضت سنة حتى رايتكم
وفي المشاريق مازالت نساؤكم
قصرن برقلن في وشى العراق وفي
أنين قطع الحلاق من معاذنها
حتى إذا أسروا قالوا وقد كذبوا
لو سيل أوضعهم قدرا وأنظلم
وقال أفضعني كسرى وورثني
من ذا بخر كسرى وهو في سفر
وأنهم زعموا أن قد ولدتهم
فكان ينحر جوف النار واحدة
أما تراهم وقد حطوا برادعهم
وأفرجوا عن مشارب القول إلى
تغلى على العرب من غيظ مراجلهم
فقل لهم وهو أهل لتزيينة
ما الناس إلا نزار في أرومتها
والحي من سلفى قحطان إنهم
فما على ظهرها خلق له حسب
قصرم عليه شهنشايمية ونيسا
وان شككت فنى الايوان صورته

(١) الأغاني - ص ١٦٩ ج ١٢ ط التتقم .

وأبو الأمد صاحب هذه القصيدة من شعراء الدولة العباسية عربي من بني شيان واسمه نباته بن عبد الله . اتصل بانفيض بن صالح وزير المهدي العباسي وله فيه مدائح كثيرة . ويروى صاحب الأغاني عن المناسبة التي قيلت فيها هذه القصيدة أن أبا الأمد كانت له حاجة عند بعض الوزراء فعسى عند أحد الكتاب وهو علي بن يحيى المنجم ليقضيها له عند الوزير ولكنه لم يفعل ، وعلم بخبر هذه الحاجة حمدون ابن اسمعيل فقضاها له فقال هذه القصيدة يهجو الأول ويمدح الثاني . ومن القصيدة يتضح أن المدوح والمهجو كليهما من أصل فارسي : إلا أن حمدون وهو المدوح كريم المختد طيب العنصر بينما كان المهجو وضعي الأصل فاسد النسب ، يصل نفسه بملوك الفرس زوراً وبهتاناً ، وإنما هو من عامتهم وسوقهم . وعبر الشاعر عن هذا بأنه من النبط وهي كلمة تستعمل في معناها العام للدلالة على اختلاط الناس وعوامهم ، ووصف حاله أيام الفقر والمسغبة حين كان أهله يعيشون في المشرق ، ثم حاله بعد أن قدم العراق وأيسر وما هي السنة قضاها في العراق حتى تحول الإعصار يساراً والفاقة والعوز غنى ورخاء ، وظهرت الدعاوى الباطلة فاننسب الصعاليك إلى الملوك ، ووصل العوام نسبهم بالأكاسرة . واندفع الشاعر بعد أن غاظته هذه الدعاوى الباطلة إلى تمجيد العرب وحدهم ، ثم لم ينس في نهاية أبياته أن يقر لمدوحه حمدون بصحة انتسابه وحده إلى ملوك الفرس . وإن كان قد بالغ في البيت الأخير .

والحياة الاجتماعية للمسلمين تأثرت إلى حد كبير بالفرس . وسنختار من النصوص العربية ما يشير إلى ناحية واحدة من نواحي حياتهم الاجتماعية وهي الأعياد . وكان المسلمون يحتفلون بأعياد الفرس القديمة ، وخاصة في العصر العباسي ، احتفالاً عظيماً .

ومن أعياد الفرس التي ذاعت في المجتمع الإسلامي عيد النوروز وكان له صدى واسع في الشعر العربي . ومن الشعر الذي يشير إليه قول ابن مطران من شعراء ما وراء النهر من نيروزية :

قد أتاك النوروز وهو بعيد
على سبيلا فيسه إلى راحة
من من قبله قريباً رسميل
النفس يراح كأنها سلبيل
واشتالا على السرور وهل
مجمع شمل السرور الا الشمول
وهدايا النوروز ما يفعل النا
س ولكن هديتي ما أقول (١)
وما قيل فيه :

ولما أتى النوروز با غاية المنى
بعثت بنار الشوق ايلا إلى الخشى
وأنت على الإعراض والهجر والصد
فنورزت صباحاً بالدموع على الخلد (٢)
وقول الشاعر :

كيف ابتهجك بالنوروز ياسكنى
فتارة كلهب النار فى كبدى
وكل ما فيه محيى وأحكيه
وماؤه كترالى عبرتى فيه (٣)
قوله :

نوروز الناس ونوروز
وذكرت نارهم والنار ما بين ضسبلوعى
ت ولكن بدموعى

والفرس فى أصل هذا العيد أساطير كثيرة ، فمنها أنه نشأ فى أول يوم
تولى فيه أفريدون الملك بعد أن قضى على الضحاك ، فاستبشر الناس بهذا اليوم
وجرى على ألسنتهم « نوروز آمد » أى جاء يوم جديد .. وسمى اليوم بهذا
الاسم من ذلك الوقت وصاروا يحتفلون به كل عام .. ويروى البيرونى
أن هذا العيد نشأ أيام سليمان بن داود (٤) إذ ذهب خاتمه فذهب عنه الملك
ولما وجده بعد أربعين يوماً عاد إليه الملك وجاءته الملوك مهتة فقالت الفرس عند
ذلك ؟ « نوروز آمد » . وأمر سليمان الرياح فحملته وراه بخطاف فجاءه

(١) البتية - ص ١٠٨ ج ٤ ط الصاوى

(٢) الخطط المقرئى ص ٤٩٣ ج ١

(٣) نهاية الأرب - ١٨٧ ج ١

(٤) الآثار الباقية - ص ٢١٦ ط ليزج .

يخبره أن له عشا فيه بيضات ويرجوه أن يعدل عن حملها فأجابه سليمان
إلى ما طلب ونزل على الأرض فأقبل عليه الخطاف وفي منقاره ماء رشه
بين يديه تعبيراً له عن شكره . وهذا هو منشأ عادة رش الماء في هذا
العيد .

ويوافق هذا العيد أول الربيع ولذا جرت عادة الملوك أن يخلعوا فيه
على رجالهم خلع الربيع والصيف . ويمتد العيد ستة أيام . ومن عادة الناس فيه
أن يتهادوا السكر فيما بينهم . وكانوا يرون أن من ذاق في صبيحة هذا اليوم
قبل الكلام السكر وتدهن بالزيت دفع عنه عامة سنته أنواع البلايا (١) .
وكان من رسم الاحتفال بهذا العيد عند الثعامة اشعال النيران في ليته ورش
الماء في صبيحته (٢) . وهذا يفسر الاشارات الخاصة بالنار والماء التي
وردت في الأشعار السابقة « بعثت بنار الشوق ليلاً » « نورزت صبحاً
بالموع » « قناره كلهب النار » « وماؤه كتوالى عرقى .. » « ونورزت
ولكن بدموعى » « وذكت نارهم » .

وكانوا يحتفلون بهذا العيد في مصر على عهد الدولة الفاطمية احتفالاً
عظيماً . وهو كما يروى المقريزى من جملة المراسم التي تتعطل فيها الأسواق
ويقل سعى الناس في الطرقات وتفرق فيه الكسوة لرجال الدولة وأولادهم
ونسائهم والرسوم من المنازل وحوائج النوروز . الخ (٣) . وكان أصحاب
المضاحك يخرجون إلى الشوارع في هذا اليوم وقد انتخبوا من بينهم رجلاً
يسمونه أمير النوروز قد طلى وجهه بالدقيق والجير ولبس الملابس الحمراء
الصفراء وركب حماراً يجوب به الطرقات ويتبعه العامة : فكان يطلب
المال ممن يقابله في الطريق فإن دفع تركه يمضى وأن أبى رش عليه الماء
ولوث ملابسه . ولم يكن ينجو منهم صغير أو كبير عظيم أو حقير . وكان

(٢) الآثار الباقية - ص ٢١٧ .

(٣) نهاية الأرب - ص ١٨٦ ج ١ .

(٣) الخط - ص ٤٩٣ ج ١

رجال الشرطة يرون هذه المهازل تقع أمام أعينهم فلا يعترضون على شيء منها لأنها أصبحت عادة مألوقة .. وامتد هذا التهريج إلى التلاميذ في مكائباتهم فكانوا يهجمون على معلمهم في هذا اليوم يظلمون منهم المال والا أنتموهم في البئر .

ومن الشعر العربي في المهرجان :

أجب المهرجان لأن فيه سروراً للملوك ذوى النساء
ويأبى للمصير إلى أوان تفتح فيه أبواب السماء (١)

ومن قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يفضل المهرجان على النوروز :

أخا الفرس إن الفرس تعلم أنه لأطيب من نيروزها مهرجانها
لأدبار أيام نعم دراؤهمها واقبال أيام يمر زمسانها

ويأتى عيد المهرجان بعد عيد النيروز بمائة وأربعة وتسعين يوماً . وبه يبدأ فصل الشتاء . وفي سبب تسمية هذا العيد باختلاف كبير ، فأبو ريحان البيروني يذكر أن معنى هذا العيد عجة الروح ، وقيل أن مهر هو اسم الشمس وأنها ظهرت في هذا اليوم للعالم فسمى بها والدليل على ذلك أن من آيين الأكاسرة في هذا اليوم التتوج بالتاج الذى عليه صورة الشمس (٢) .
ويزعم آخرون أن انتصار أفريديون على الضحاك صادف هذا اليوم وهو الأول من شهر مهر فاحتفل أفريديون به احتفالاً عظيماً ، واتخذ عيداً (٣) .
وزعم آخرون أن مهر بالفارسية بمعنى حفاظ وجان الروح . وفي هذا التفسير يقول الشاعر :

إذا ما تحققت بالمهرجان من ليس يعرف معناه غاظا
ومعناه أن غلب الفرس فيه فموه للروح حقاً حفاظاً (٤)

(١) نهاية الأرب - ص ١٨٧ ج ١

(٢) الآثار الباقية - ص ٢٢٢

(٣) نهاية الأرب - ص ١٨٨ .

(٤) نفس المصدر - ص ١٨٧ .

إلى غير ذلك من المزامير التي تقوم على الأساطير . ولهذا العيد رسوم يتبعونها فكان الملوك يشرقون على الناس فيه كسرة الشتاء لا يحفظون شيئاً منها في خزائهم لأنهم يرون أن حفظ الملابس في الخزائن من فعل العامة وليس من شيم الملوك . وكانوا يستحسنون في يوم هذا العيد أن يطعم المرء شيئاً من الرمان وأن يشتم ماء الورد . ويصح للرعية في هذا العيد أن يهدوا إلى ملوكهم .

وكتب أبو اسحاق الصابي في يوم مهرجان مع اضطراب أهدها إلى
عضد الدولة :

أهدى إليك بنو الآمال واحتفلوا
لكن عبدك إبراهيم حين رأى
لم يرض بالأرض مهادة إليك فقد
في مهرجان جديد أنت مبيه
علو قدرك عن شيء يدانيه
أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه (١)

وكتب إليه من الحبس مهرجانية مع درهم خسرواني وجزء من كتاب :

تصبح بعز واعتلاء جدود
وقل مرحباً بالمهرجان وحيه
له زورة في العمام مازال يومها
فيحظى بفخر من علاك مجدد
وأبشر بخير واطراد سعود
بطلعة بسام أغمر مجيد
كفيلاً يحظى سيمسك وممود
وتحظى بعمر في مهدها جديد

ثم يقول :

ولما رأيت الله يهدي وخلقته
فكان احتفالي في الهدية درهما
وجزاء لطيفاً ذرعه ذرع محبس
الأطف مولانا وكالماء طبعه
تجاسرت واستفرغت جهد جهيد
يطير من الأنفاس بسوم ركود
وتقييده بالشكل مثل قيودي
تسلل من عذب النطاف برود
على كل عريض الد مرید (٢)

(١) يتيمة النمر - من ٢٥٥ ج ٢

(٢) نفس المصدر - ص ٢٥٦

واليوم الحادى والعشرون من هذا الشهر (مهرماه) هو يوم رام .
ومن الاشارة اليه في الشعر العربى ما كتبه أبو الطيب الطاهرى إلى أخيه
أبي طاهر بكرة يوم الرام :

وأنى والمؤذن يوم رام لختلفان في هذى العداة
أنادى بالصبح كه كبادا إذا نادى بحى على الفلاح

كياناً أو كباده بمعنى الفضيحة والعار والفجر فكأنه يريد أن يقول أنه
يشرب ويفجر في الوقت الذى يدعو فيه المؤذن إلى الفلاح . ومن عجيب
الاتفاق أن أخاه أبا طاهر كان قد أرسل إليه رقعة في نفس الوقت عبر
فيها عن نفس المعنى وبفلس الألفاظ تقريباً :

وأنى والمؤذن يوم رام لختلفان في هذا الصباح
أنادى بالصبح كه كبادا إذا نادى بحى على الفلاح (١)

ومن أعيادهم السدى . وله نصيب كبير في الشعر العربى . وفيه يقول
ابن حجاج من قصيدة مدح بها عضد الدولة بن بوية :

مولاي يامن نداءه يعدو ففات ميتا ليس يلحق
ليتبا حبا عجيب بالقصف والعرف قد تحقق
لنارها في السما لان عن نور ضوء الصباح ينطق
والجو منها قد صار حمرا والنجم منها قد كاد يحرق (٢)
ودجلة أضرمت حريقا بألف نار وألف زورق
فأوهسا كنهها حميم قد فار مما غلى وبقي (٣)

(١) بيتية الدهر - ص ٦٩ ج ٤

(٢) صحح مصحح نهاية الأرب وزله على النحو التالي .

والجو منها يصير حمرا والنجم منها يسكاد يحرق

(٣) نهاية الأرب - ص ١٨٩ ج ١

ومن شعر أبي القاسم المطرز في مدق عمله السلطان ملكشاه في سنة ٤٨٤ :

وكل نار على العشاق مضرة	من نار قلبي أو من ليلة الدق
نار تجلت بها الظلماء فاشتبهت	بسدقة الليل فيها غرة الفلق
وزارت الشمس فيها الليل واصطلحا	على الكواكب بعد العيظ والحق
مدت على الأرض بظامن جواهرها	ما بين مجتمع وار ومفترق
مثل المطبيع الا أنها نزلت	من السماء بلا رجم ولا حرق
أعجب بنار ورضوان يعرفها	ومالك قائم منها على فرق
في مجلس ضحكك روض الجنان له	لما جلا ثغره عن واضح يقق (١)

ويكون عيد الدق في ليلة الحادى عشر من شهر جممن ماه . وقد أحاط باسمه وسبب اتخاذه أساطير كثيرة فيقال إن اسمه بالفارسية « صد » بمعنى « صد » فهدم عندهم عيد المائة إذ لما اکتحل لجيومرث مائة ولد في هذا اليوم احتفلوا به وسموه عيد المائة . وزاد بعضهم أن أولاد جيومرث المائة لما بلغوا سن الرشد زوجهم في هذه الليلة فكان هذا الاحتفال والعيد . (٢)

وهذا العيد كغيره من الأعياد التي مر ذكرها ليس من السهل الاهتداء إلى سبب اتخاذاها وحين يفقد الباحث الأسباب الحقيقية لتوغلها في القدم يكون من واجبه أن يهتّم إلى حد ما بالأساطير عليه يجد في ظلماتها شيئاً ينبيء عن الواقع أو يصور البيئة . وأيا ما كان السبب في تسمية هذا العيد أو الاحتفال به فإنه صادق عنابة كبيرة في العهود الإسلامية . ومن عاداتهم في ليلة هذا العيد إيقاد النيران على قمم الجبال وإطلاق الطيور في الجو بعد أن يعلقوا في أرجلها المواد المشتعلة ، وأينما حطت هذه الطيور انتشرت النيران ومن بالغ في العناية بهذا العيد في العهود الإسلامية مرداويج ، فكان يأمر بجمع الأحطاب على رؤس الجبال ويأمر بالغربان والطيور فيعلق

(١) نهاية الأرب - ص ١٩٠ ج ١ .

(٢) بدائع اللغة لمحمد يزدى .

عناقيرها وأرجلها الجوز المحشو مشاقة ونفطا ، ثم تطلق هذه الطيور لتحط
على رؤس الجبال فتشتعل النيران في كل مكان .

وكان الملوك يبالغون في اتخاذ أسباب النهو واتقصف في هذه التيلة
ويقد الشعراء عليهم بقصائد المديح .

وكان يديع الزمان الممذاني من ينكرون على المسلمين الاندفاع في تيار
الفرس ويتحصنون ضدهم في كل مناسبة . ومن ذلك رسالته في ذم السدق
التي يقول فيها :

« هذا هو العبد ، وذلك هو الضلال البعيد ، إنهم يشبون
نارا هي موعدهم ، والنار في الدنيا عيدهم ، والله الى النار
يعيدهم أن عيد الوقود إلك وإن شعار الناس لشعار شرك ،
وما أنزل الله بالسدق سلطاناً ولا شرف نيزوزا ولا مهرجاناً .
وإنما صاب الله سيوف العرب على قروس العجم لما كره من
أديانها وسخط من نيرانها .. الخ .. (١) .

ولاعلام الأماكن الفارسية ذكرها في الشعر العربي . ومن هذه الأماكن
شعب بوان . وأشهر ما يشير اليه من الشعر العربي قصيدة المتنبي التي مدح
بها عضد الدولة وهي :

مغاني الشعب طيباً في المغاني	بمؤلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربي فيها	غريب أوجهه واليد وانسان
ملاعب جنة لو صار فيها	سليان اسسيار بسترجمان
طبت فرساننا والخيول حتى	خشيت وإن كرم من الحوران
عدونا تنفض الأغصان فيه	على أعرافها مثل الجمان
فرت وقد حجبت الشمس عني	وجئت من الضياء بما كفاني

(١) القيمة - من ٢٤٩ ج ٤

دنانيرا تفر من النيران
 بأشربة وقفن بللا أوان
 صليل الحلى في أيدي الغواني
 ليق الشرد صيني الجفان
 به النيران ندى الدخان
 ويرحل منه عن قلب جبان
 يشعني إلى النوبندجان
 أجابته أغاني القيسان
 إذا غنى وناح إلى البيان
 ومرصوفاهما متاعدان
 أعن هذا يمار إلى الطعان
 وعلمكم مفارقة الجنان(١)

وألقي الشرق منها في ثيابي
 لها ثمر تشر اليك منها
 وأمواه يصل بها حطها
 ولو كانت دمشق في عناني
 يلنجوحى مارفت تضيف
 يحل به على قلب شجاع
 منازل لم يزل منها خيال
 إذا غنى الحمام الورق فيها
 ومن بالشعب أحسوج من حمام
 وقد يتقارب الوصفان جدا
 يقول بشعب بسوان حصاني
 أبوكم آدم من المعاصي

وبوان بالفتح والتشديد علم على ثلاثة أماكن أشهرها شعب بوان ببلاد فارس ويقع في الطريق بين أرجان والنوبندجان وهو أحد جنان الدنيا لكثرة أشجاره، وتنوع أطياره، وتدفق مياهه، وطيب رياحينه، واختلاف ثماره وفواكه. وحسبنا أن نمنع في قصيدة المثني وما بها من الوصف والتصوير. ويذكر ياقوت عن المبرد أنه مر يشعب بوان فقرأ على شجرة به:

على شعب بوان استراح من الكرب
 ومطرده يجري من البارد العذب
 على قرب أغصان جناها على قرب
 إلى أهل بغداد سلام فتي صب(٢)

إذا أشرف الخزون من رأس تلة
 وأهناه بطن كالحرير مسه
 وطيب ثمار في رياحين أريضة
 فبالله ياربيع الجنوب تحملى

ومن البلاد التي كثر ذكرها في شعر المشاركة مخاري، وهي إحدى العواصم الإسلامية الشهيرة ولم يكن جوها من الأجواء التي تشجع على طول الإقامة والمكث فيها ولذا يقول الشاعر:

(١) ديوان المثني .

(٢) مسم البلدان .

أقمنا في بخارى كارهينا ونخرج أن خرجنا طائعيننا
فأخرجنا إليه الناس عنها فان عدنا فإننا ظالمونا (١)

وفي الجزء الرابع من اليتيمة كثير من الأشعار المتصلة ببخارى .

ولشطرنج ، اللعبة المعروفة ، نصيب في الشعر العربي . ومن ارتبط
ذكره يذكر الشطرنج شاعر من شعراء بخارى وأدبائها وهو أبو القاسم الكسروي
وكان أبو القاسم يكره الشطرنج ويذمها ويبغض لاعبيها . وله فيها أقوال
ظريفة فكان يقول « لا ترى شطرنجياً غنياً الا بخيلاً ولا فقيراً الا ظنيلياً
ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج فاذا جرى ذكر شيء منها قيل
جاء الزمهرير ولا يتمثل بها الا فيما يعاب ويذم ويكره ، وإذا كان مع
الغلام الصبيح المليح رقيب ثقيل قيل معه فرزان (٢) بيدق (٣) ، وإذا
استحضر قدر الانسان قيل كأنه بيدق ولاسيما إذا اجتمع فيه قصر القدر
وصغر القدر كما قال الناجم :

الا يا بيدق الشطرنج في القيمة والقامة

وإذا ذكر وقوع الانسان في ورطة وهلكة على يد عدو قيل كما قال
عبد الله بن المعز وأجاد :

قل للشقى وقعت في الفخ أودت بشاهك (٤) ضربة الرخ (٥)

(١) اليتيمة - ص ٦٨ ج ٤ .

(٢) ، (٣) اليدق وجمعه يياقق ويياققة معرب بيده ، يياده وهو الجندي الراجل . وفيه يقول
أفروزدق :

منتك ميراث الملوك وتساجهم وأنت لدرعي بيدق في الياقق

استقاراً نشأه لأن اليدق وهو الجندي الراجل لا يستطيع أن يؤثر في درعه . وفرزان وفرزين
ما يل اليدق من قطع الشطرنج . ويقال تفرزن اليدق أي صار فرزان يضرب للوضع يرفع نفسه
عوق قدره .

(٤) الشاه - الملك ، ومن قطع الشطرنج .

(٥) الرخ - طائر وهمي ، ومن قطع الشطرنج .

وإذا روى طفيلي يسىء الأدب على المائدة قيل انظروا إلى يد الكشحان
كأنها الرخ في الرقعة.... وإذا ذكر وضع ارتفع قيل كما قال أبو تمام

قل لي متى فرزنت سرعة ما أرى يسا بيدق (١)

والشطرنج لعبة ليست فارسية الأصل لأنه من اختراع الهنود ، ولكن
أثناء قطعها واصطلاحات لعبها تغلب عليها الفارسية . والفرس هم الذين
نقلوها إلى العرب . وكان الهنود عندما اخترعوها يظنون أن لن يقدر على فك
رموزها أحد ، فأهداها ملكهم إلى كسرى أنوشروان وشرط على نفسه
أن يدفع الضريبة عن بلاده كل عام للفرس إذا استطاعوا أن يفكوا رموز
هذه اللعبة . وكان واثقاً أنه لن يدفع . ولما كسرى إلى حكيمه المشهور
برزجمهر الذي عكف على دراسة هذه اللعبة مدة حتى استطاع أن يفهمها
ويعرف سرها ويفطن إلى كيفية تحريك قطعها . وكانت اللعبة تدور حول
الجيش في ميادين القتال وتصوير حركاتها .

طه ١١٤

(١) البنية - ص ٧٨ ج ٤

دير سانت كاترين دراسة في تاريخه الحديث

للككتور

محمد محمد السروجي

أستاذ التاريخ الحديث المساعد

بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية

لعل من أهم ما يميز تاريخ العرب، تلك المعاملة السمحة التي لقيها أهل البلاد المفتوحة على أيديهم . وقد حرص العرب بعد فتحهم مصر أن يسيروا في حكمهم لها وفق هذه التعاليم الاسلامية في معاملة أهل الذمة . فنحوا لغير المسلمين من أهل الكتاب الحرية في مباشرة حقوقهم المدنية والدينية دون ما ضغط أو اكراه ، ودون تدخل من قبل الحكومة أو الأهالي على السواء . بل ذهبوا في حرصهم على رعاية مصالح هؤلاء - وخصوصا رجال الدين منهم - إلى حد الإبقاء على ما كانوا يتمتعون به من امتيازات قبل الفتح ، وزادوا عليها .

كانت هذه هي سياسة العرب في كل الأمصار التي فتحوها ، ولم تكن قاصرة على مصر دون سواها . وفي ظل الحكم العربي ، وفي رحاب الاسلام، تمتع رجال الدين من أهل الذمة بكل احترام وتقدير . فقدمت لهم التسهيلات اللازمة لمباشرة نشاطهم ، وبسطت عليهم الرعاية والحماية .

وفي فيافي مصر وقفارها انتشرت الأديرة المختلفة ، بعضها في الصحراء الشرقية والبعض الآخر في الصحراء الغربية ، والباقى في شبه جزيرة سيناء . ووجدت السلطات الحاكمة في مصر لزاماً عليها أن توفر لهؤلاء الرهبان الأمن والسكينة في تلك البقاع الموحشة ، وأن تنظم العلاقة بينهم وبين جيرانهم من البدو وسكان الصحراء بما يكفل لهم الراحة وهدوء البال ، والتفرغ للمعادة .

وعندما جاء الإنكراك إلى مصر غازين في مطلع القرن السادس عشر ،
وفي عام ١٥١٧ على وجه التحديد ، رأوا الأبقاء على ما كان يتمتع به
هؤلاء الرهبان من امتيازات منذ الفتح العربي . خصوصاً وأن سلاطين بني
عثمان قد اعتبروا أنفسهم خلفاء المسلمين ، وأخذوا على عاتقهم تكملة الدور
الذي قام به الخلفاء العباسيون من قبل . بل أن الدارس لتاريخ الحكم العثماني
للولايات التي خضعت لسيطرتهم ، يتبين بوضوح مدى ما كانت تتمتع
به الولايات المسيحية من امتيازات تحمّلها عليها الولايات العربية .

أما عن دير سانت كاترين (١) موضوع البحث ، وهو أحد الأديرة
العديدة المنبثقة في صحراوات مصر ، فقد بناه الأمبراطور جستنيان في القرن
السادس الميلادي في قلب شبه جزيرة سيناء ، عند أقدم جبل موسى ،
حيث تلقى سيدنا موسى (عليه السلام) الوصايا العشرة . وقد أوقفت
عليه مزارع وبساتين داخل شبه الجزيرة وخارجها في مختلف بقاع مصر ،
بل وفي أجزاء أخرى من العالم مثل جزيرة قبرص وكريت وبلاد اليونان .

وقبل أن أدخل في تفاصيل هذا الموضوع ، يجب أن أقرر حقيقة لمستها
خلال دراستي لهذه الوثائق ، وهي أن معظمها - أن لم يكن كلها - في
مختلف عصور التاريخ - تدور حول موضوع واحد ، هو علاقة رهبان
الدير بالعربان أو بالحكومة .

(١) توجد بالدير مكتبة كبيرة تضم عدداً ضخماً من الكتب القديمة ، بعضها من سير القديسين
والآباء والشماليين القبطية . هذا بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الوثائق تشمل مختلف مراحل التاريخ
بعضها يرجع للعصور القديمة ، والبعض الآخر للعصور الوسطى ، والجزء الأخير يتعلق بالعصور
الحديثة ، ويبدأ على وجه التحديد من النزوح العثماني لمصر في أوائل القرن السادس عشر إلى القرن
التاسع عشر ، ومقسمة إلى مجموعتين : الأولى وتشمل فرمانات من العهد العثماني ، وتعمل الأرقام
المسلسلة من ١٢٥ إلى ١٩٩ . والمجموعة الثانية يطلق عليها اسم معاهدات وتعمل الأرقام من ٢٠٠
إلى ٢٩٩ . وهذه الوثائق الحديثة هي التي كانت موضع الدراسة خلال زيارتي للدير في شريف
عام ١٩٦٣ موفداً من قبل جامعة الاسكندرية . وقد امتدت عليها اعتياداً يكاد يكون كلياً
في هذا البحث .

وإتماماً للفائدة فقد نشرت في ملحق هذا البحث عدداً من الوثائق بعضها منقول والبعض الآخر
مصور ، وجميعها وثائق أصلية .

ولهذا فإن مهمة الباحث - سواء رضى أم لم يرض - محصورة في هذا المحيط الضيق ، ومقصورة على هذا الموضوع دون سواه . فهما حاول الباحث الخروج من هذه الحلقة المضرورية حوله ، فأان جهوده لا تكفل بالنجاح . ومجد نفسه في نهاية الأمر يعود من حيث بدأ . وبناء عليه فإن موضوع البحث هذا يكاد يكون قد فرض نفسه على فرضاً دون أن يكون لي حق الاختيار .

ومن الصعوبات التي تواجه الباحث في هذا الموضوع أن معظم الوثائق مكتوبة بلغة هي مزيج بين العربية الفصحى ولغة البدو ، ومليئة بالأخطاء النحوية والمجائية . كما أن معظم الوثائق تكاد تكون صورة مكررة لبعضها البعض ، بألفاظها ، وعباراتها ، وموضوعاتها . ويترتب على ذلك ضياع جهود الباحث فيما لا طائل تحته ، فإن أي عدد من هذه الوثائق كاف وحده لالقاء الضوء على هذا الموضوع .

ذكرنا من قبل كيف اختار الإمبراطور جستنيان هذه المنطقة النائية الوعرة ، البعيدة كل البعد عن المناطق المأهولة بالسكان ، والتي تفتقر إلى أي مظهر من مظاهر العمران ، لبناء هذا الدير . ونظراً للاعتبارات الآتية الذكر ، كان لابد من إيجاد وسائل أو ضمانات لحمايته ، وتأمين سلامة نزلائه من الرهبان ، وتيسير سبل الحياة لهم ، خصوصاً وأن الدير يقع بعيداً عن مخافر الأمن . ويمكن أن نقسم هذه الضمانات إلى شطرين : الأول ويتعلق بتنظيم علاقة الدير بالحكومة . والشرط الثاني يختص باقرار العلاقة بين رهبان الدير والقبائل البدوية الضاربة في شبه الجزيرة ، فيما حول الدير أو بالقرب من البساتين التابعة له .

فاذا تناولنا الشرط الأول من هذه الضمانات ، وهو الخاص بما أصدرته الحكومات التركية المتعاقبة - منذ احتلالها مصر - من قوانين تنظم العلاقة بينها وبين رهبان الدير وتمنحهم من التسهيلات ما ييسر عليهم سبل العيش والاقامة في هذه البقاع النائية الوعرة ، نجد أن هذه الضمانات قد وردت تبعاً في القرارات المتعاقبة التي أصدرها السلاطين العثمانيون منذ السلطان سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠ م) .

وأقدم القرمانات المحفوظة بالدير والتي تلقى كثيراً من الضوء على هذا الموضوع ، الفرمان الصادر من السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦م) الذي يشير فيه الى المرسوم السلطاني الأول الصادر من والده السلطان سليم من قبل ، وكذلك الى المراسيم والأوامر الشريفة الصادرة الى الرهبان قديماً من الخلفاء الراشدين والملوك والسلاطين .

وهذا الفرمان يعطينا صورة واضحة لما كانت عليه العلاقة بين الدير والحكومة العثمانية ، ويوضح لنا أيضاً ما كان يتمتع به الرهبان من امتيازات . ومن دراستنا له يمكننا أن نستخلص النقاط الآتية :

(أولاً) أن هؤلاء الرهبان قد أعفوا من دفع الضرائب المفروضة على الأراضي الزراعية بمختلف صورها ، «وبأن يحملوا في المساحات بالحقوق والرسوم والأحكام والمقاسمات والأعشار والمقاطعات على بساطتهم وكرومهم وثمارهم ونخلهم وزيتونهم وحقولهم بالبلاد المصرية والشامية والطرابية والطورية ، وبأنهم لا يعارضوا في أوقافهم وبيوتهم وكرومهم ومزارعهم في جزيرة أفریطش (١) وجزيرة قبرص (٢)» .

ومن هذا يتضح أن الدولة العثمانية قد أعفت ممتلكات الدير من البساتين المنتجة لمختلف أنواع الثمار من كل الضرائب المفروضة عليها . ولم يقتصر هذا الاعفاء على مصر وحدها ، بل امتد حتى شمل كل المناطق الخارجة عن حدود مصر ، والخاضعة للحكم العثماني ، مثل الشام وطرابلس وجزيرتي كريت وقبرص (٣) .

(ثانياً) تمتع الرهبان بالاعفاء من الرسوم الجمركية أيضاً ، على كل ما يرد اليهم من صدقات ونذور عينية ، فنص الفرمان على «أن يسامحوا بالحقوق والرسوم اللدوانية على الأصناف النواصلة اليهم من النذور والصدقات

(١) جزيرة كريت .

(٢) جزيرة قبرص .

(٣) وثيقة رقم ٢٢٢ بدون تاريخ ووثيقة رقم ١٤١ بتاريخ ١٠ ربيع أول ٩٧٠

(٧ نوفمبر سنة ١٥٩٢) فرمان سلطان إك جميع الينادر بشأن رهبان دير سانت كاترين .

من البر من طريق البحر الملح والعلب بالثغور الاسلامية (١) سكندرية ورشيد ودمياط والبرلس وبولاق وقطيا وغزة ويافا وبيروت وصيدا واللاذقية وسائر الثغور الاسلامية المعصومة بالدينار المصرية والشامية صادراً ووارداً ، وبخلاص ما لهم من الحقوق الشرعية ممن عليه حكم القانون الشرعي .

(ثالثاً) أن هذا الفرمان لم ينسخ ما قبله من الفرمانات ، وإنما أكدها ونص على وجوب رعايتها وتطبيق ما جاء بها . هذا بالإضافة إلى تعهد السلاطين العثمانيين بحماية الرهبان والذود عنهم عملاً بمعاليم الدين الاسلامي الحنيف . « وقد رغبنا باعتماد ما بيدهم من الرسوم الشريف المصادر لهم عن والدنا (السلطان سليم الأول) المتضمن لذلك ، واستمراره على الحكم المشروع فيه والعمل به وعدم العدول عنه ، وبأن يكونوا محميين مرعيين على الدوام وذمتهم محفوظة بدمية الاسلام على الحكم المرعي والقانون المرعي لا يمسهم سوء ولا ضرر . »

(رابعاً) يدخل في نطاق الدير المسجد المشيد بداخله ، ويقال بأنه يرجع إلى عهد عمر بن الخطاب . ولهذا المسجد مدنه وخدام يقومون على أمره لأداء شعائر الاسلام . وكان على الدولة العثمانية أن تهتم بأمر هؤلاء أيضاً ، وأن ترعاهم كما ترعى الرهبان .

وحدث أن تعرض هؤلاء السدنة لبعض المقايضات ممن لا يمتنون إلى الدير بصلة ، فلما علم المسئولون في القاهرة بهذا الأمر ، أصدروا أمرهم إلى أشات قنعة الطرر (قائد القوة العسكرية بالطور) بأن يعمل بكل حزم على وضع حد لها ، وشددوا عليه بمراعاة هذا الأمر بكل دقة . وبما جاء بهذا الأمر أن رهبان دير طور سيناء أعرضوا لحضرتنا مضمونه من قديم الزمان ومن زمن حضرت سيدنا عمر بن الخطاب رضی الله عنه ورضی عنا من داخل الدير المذكور جامع شريف وأئمة

(١) هكذا في النص بدون ألف .

ومؤذنيه وسائر أرباب شعائره جاريتين وموجودين بموجب البراءة الشريفة السلطانية وحجة شرعية متصرفين له . ولكن في هذا الآن بعض جماعة ليس لهم تعلق به بطريق الضرر فضولاً قد تعرضوا لخداع الجامع المذكور وللرهبان المذكورين ظلماً وعدواناً ، وحين أعرضوا أحوالهم لحضرتنا قد فوضنا أمرهم إلى مولانا قاضي عسكر أفندي بمصر المحروسة .. فلأجل ذلك قد حرر هذا البيورلدى (أمر أو مرسوم) من طرفنا وأرسل اليكم ، فحالك وصوله أمرناكم باجراء هذا الأمر الشريف ، ولم أحد يتعرض لخداع الجامع المذكور ولا للرهبان المذكورين . وفيما بعد لا تدعوا أحدا يتعرض لهم بخلاف الشرع ، ولم تحوجوا لإصدار بيورلدى ثانياً في شأن ذلك ويسجل هذا البيورلدى في دفاتر القلعة ، وفي سجلات ويعطى لهم حجة شرعية ويبقى بأيديهم تمكناً والحد ثم الحد من المخالفة والعناد (١)

وكان لهذه الرعاية التي وجدها الرهبان أثرها في نفوسهم ، فسجلوا هذه العاملة الحسنة التي كانوا يلقونها في كتاباتهم التي أرسلوها إلى السلطان العثماني (٢) .

(خامساً) بلغ من حرص ولاية مصر على توفير الطمأنينة والاستقرار لهؤلاء الرهبان أن محمد علي عندما أخذ على عاتقه إخضاع الثورة الوهابية ، أن اقتضت طبيعة التحركات العسكرية وجود عدد كبير من الجنود يشبه جزيرة سيناء ، فسبب هذا الأمر شيئاً من الخوف والانزعاج لهؤلاء الرهبان . فلما أحس محمد علي بذلك أصدر مرسوماً (٣) يهدىء من روعهم ويؤمّنهم على مصالحهم ودبارهم جاء فيه :

(١) بيورلدى صادر من ديوان مصر المحروسة إلى قنوة المرافقين والحارسين وأسات قنوة الطور وكخدايه وسائر أعيانه وانقاره في ٢٠ رجب سنة ١١٢٠ (١٥ أكتوبر سنة ١٧٠٨)

(٢) فرمان مؤرخ في ٢٠ صفر سنة ١١٤٠ (١٠ سبتمبر ١٥٢٣) بالنسبة حل مشايخ الرهبان بزعاية شئون الدير .

(٣) مرسوم شريف من ديوان مصر المحروسة إلى قنوة الملة المسيحية وعمدة الطائفة اليسوية سكان الدير بجبل سيناء في جمادى ١٢٢٨ (مايو - يونيو ١٨١٢) .

« صدر المرسوم الشريف الواجب القبول وانتشريف والاتباع من ديوان مصر المحروسة إلى قدوة الملة المسيحية وعمدة الطائفة العيسوية الرهبان سكان الدبر بجبل سينا ختمت عواقبهم بالخير والرشاد تحيطون علماً أنه قد طرق مسامعنا حاصل عندكم خوف وزعل مخصوص قدوم العساكر المرسله إلى الحججاز ، والحال أننا لا نرضى الا كامل راحتكم واستراحتكم في محل مواطنكم بالدبر بجبل سينا وتكونوا مطمئنين ومستريحين من هذا التقبيل وعليكم أمان الله تعالى وأمان رسوله ثم أماننا السعيد . ولم تخشوا من شئ حمله كافية ولم أحد يتعرض لكم بوجه من الوجوه ويكون لكم الحماية والصيانة في دبركم محل وطنكم بجبل سينا ولم تهتموا من شئ مطلقاً ، فبناء على ذلك أصدرنا هذا المرسوم الشريف فعند وصوله اليكم يكون العمل بمضمونه وبمقتضاه واعتمده غاية الاعتماد .»

وكان أمر حماية الدبر موكولة إلى حاكم تعيينه الدولة العثمانية أطلقت عليه الوثائق في بعض الأحيان اسم « الحاكم الشرعي بالطور المبارك » . وفي أحيان أخرى تشير اليه باسم « أغات قلعة الطور » . وفي حقيقة الأمر فإن التسمية الأخيرة تعتبر أكثر انطباقاً من الأولى ، نظراً لأن حاكم الطور كان عادة من الضباط الأتراك . ولم يكن أمر اقرار الأمن في شبه الجزيرة موكولا إلى قوات الجيش بقدر ما كان ملقى على عاتق قبائل العربان التي تسكن شبه الجزيرة . فشايخ القبائل مسئولون أمامه مباشرة عن كل اختلال بالأمن والنظام في سيناء ، وخصوصاً ما يتعلق منها بالدبر .

(سادساً) حدث أن تقدم الرهبان بشكوى إلى السلطان العثماني من توافد اليهود على شبه جزيرة سيناء في موسم الحج ، وفي غيره ، وأن هؤلاء اليهود لا يغادرون شبه الجزيرة بعد انتضاء حوائجهم ، وإنما يقيمون بها هم وأسره . ولما كان هذا الأمر يثير مخاوف الرهبان من ناحية ، ومن ناحية أخرى فهو يخالف الأوامر السلطانية التي تحرم على اليهود سكنى شبه الجزيرة

بأى حال من الأحوال . ولهذا فقد أصدر السلطان العثماني أوامر مشددة إلى حاكم الطور بأن يمنع اليهود من ذلك كل المنع . . ومنع اليهود من التعدي بما يخالف الشرع والقانون ، وألا يعودوا للطور ولا يخالفوا العادة . (١)

ومن الواضح أن هذا التصرف من الملائين العثمانيين له ما يبرره ، فأطاع اليهود في هذه المناطق قديماً ، وأن السماح لهم بالأقامة فيها أخطار جسيمة .

بل لقد طالب اليهود في أواخر القرن التاسع عشر انجلترا أن تمنحهم شبه جزيرة سيناء لاتخاذها وضاً لهم ، قبل أن يطالبوا بفلسطين ، ولكن هذا المسمى لم يكفل بالنجاح . ويبدى الدكتور حاييم وايزمن (أحد زعماء الصهيونيين) أسفه لفشل المسعى لأن شبه جزيرة سيناء - في نظره - مكان مناسب لتوطيد أقدام اليهود فيه نظراً لاتصاله جغرافياً بفلسطين ، ويمكن اتخاذه نقطة ارتكاز للنشاط الصهيوني في المناطق المجاورة (٢) .

وأقرب مثل لهذه الأطماع اليهودية العدوان الثلاثي على مصر في سنة ١٩٥٦ واحتلال شبه جزيرة سيناء . هذا بالإضافة إلى أن أهداف الصهيونية هي الوصول محدود إسرائيل من النيل غرباً إلى الفرات في الشرق . وهذا بطبيعة الحال يتطلب أن تكون شبه الجزيرة داخله ضمن حدود الدولة التي يحلمون باقامتها في يوم من الأيام .

أما الشطر الثاني من الضمانات فهو ما يتعلق بتنظيم العلاقة بين رهبان الدير والعربان بشكل يكفل الطمأنينة والسلام للمقيمين في الدير ، وبحقق مصالح العربان في نفس الوقت . وكانت الحكومة طرفاً ثالثاً في كل اتفاق يعقد بين الطرفين لتنظيم المعاملات بينهما ، ولتكون بمثابة الضامن والرقب على تنفيذه وتطبيقه .

(١) وثيقة رقم ١٤٩ فرمان بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ٩٨٩ (٢٧ يونيو ١٥٨١)

وثيقة رقم ١٥١ فرمان بتاريخ ٢٠ صفر سنة ٩٩٠ (١٦ مارس ١٥٨٢)

وثيقة رقم ١٦٠ فرمان بتاريخ ٢٠ ذو القعدة سنة ٩٩٢ (١٣ نوفمبر سنة ١٥٨٥)

(٢) Weisman Dr, Trial & Evror P. 223

ومن الملاحظات الهامة التي تثير انتباه الباحث أن هذه الاتفاقيات - أو المعاهدات كما أطلقت عليها الوثائق - تعد بالعشرات ، وجميعها تكاد تكون صورة مكررة للاتفاقيات الأولى التي عقدت بهذا الخصوص . ويرجع السبب الأمامي في كثرة (١) عددها أنه كلما جد حادث معين بمس مصالح الرهبان من بعيد أو قريب أسرعوا بالشكوى إلى حاكم الطور وإلى السلطان العثماني نفسه لرفع الضيم عنهم . وفي هذه الظروف كان الحاكم يقوم بعقد اجتماع بين مندوبي الرهبان ومشايخ القبائل الصارفة بشبه الجزيرة ويعرض موضوع الشكوى على بساط البحث ، وكثيراً ما كان مندوبو الرهبان يتقدمون إلى الحاكم بما تحت أيديهم من فرمانات عديدة تؤيد وجهة نظرهم وتثبت حقوقهم المتوارثة ، وتوضح الامتيازات التي يتمتعون بها .

ولا ينفض المجلس قبل أن يوقع مندوبو الطرفين على اتفاقية جديدة تؤكد الاتفاقيات القديمة وتدعمها .

وإذا نظرنا إلى هذه المنازعات ، أو المضايقات بمعنى أصح ، التي كانت مشار شكوى الرهبان لجدها تافهة لا تستوجب اجتماعاً أو تستدعي عقد اتفاقية جديدة . بل كان من الممكن أن يكتفى بتوقيع العقاب على مرتكبها دون ما جلبة أو ضجة . ولكن يبدو أن حاكم الطور كان يخشى أن يتهم بالتقصير في حق الرهبان إذا لم يتم بهذا العمل . وفي نفس الوقت فهو يظهر مدى اهتمام الدولة بتوفير أسباب الراحة وانطمأنينة لهؤلاء الرهبان . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فجمع مشايخ القبائل بين الفينة والفينة لبحث مثل هذه الحوادث يشعرهم بمدى يقظة حاكم الطور ، ويمس هؤلاء المشايخ بصورة أو بأخرى بقوته وخطوته . ومن ناحية ثالثة فهو يرضى من ناحية المظهر والشكل رهبان الدير ويطمئنهم على مصالحهم .

ويمكننا أن نحمل الخدمات التي كان مشايخ العربان يقومون بأدائها للدير في النقاط الآتية :

(١) تحمل هذه المعاهدات أرقاماً متسلسلة من رقم ٢٠٠ إلى ٢٦٦ وكذلك بعض الوثائق الأخرى التي تمسيتها المبرحة من رقم ١٢٥ إلى رقم ١٩٩

(أولاً) المحافظة على الدير وحماية أرواح الرهبان من أى اعتداء . وكذلك تمتد هذه الحماية إلى الزائرين والمترددين عليه . فقد نصت الاتفاقيات على « أن جماعة العربان يحفظون دير طور سينا جبل ميدنا موسى ورهبانه القاطنين فيه والمترددين اليه من زوار المسلمين والنصارى » (١) (ثانياً) أن يقوم العربان بالمحافظة على كل ما يتعلق بالدير « من الكنائس والبساتين والنخيل بالجبل وبوادي فاران وبساحل الطور بأنفسهم ومن يستعينون به ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً » (٢) .

(ثالثاً) القيام بمرافقة الزائرين والمترددين على الدير ، ونقل (٣) ما يحتاج اليه الدير من مؤن وحطب وثمار بالأجر (٤) الذى يحدده الرهبان . فتتص القرمانات على « أن شيل الغلال المترجحه إلى الطور بالأجرة من مصر إلى الدير الكيئة (الكائنة) بالطور فأن شيلهم على العربان المشهورين بهم ووقع ما بينهم عقود قديمة وشروط من قديم الزمان ما بين التريقين . وإذا حصل عجز أو نقصان في الغلة أو خلافه في المشيل يسجن العربان في سجن الجوانية حكم القوانين السابقة » (٥) .

(رابعاً) للرهبان الحق في استخدام خفراء من العربان لحراسة بساتين العنب (الكرم) في مقابل ما يمنحونهم اياه من دقيق وثمار وزيت بعضا يوسى والبعض الآخر مستوى ، وأن هذه المقادير التى تصرف لهم والتي ورد ذكرها في الوثائق تعطينا مثلاً واضحاً لما كان يتقاضاه هؤلاء العربان نظير قيامهم بتلك الخدمات . فكان لخفراء الكرم الثلاث لا في كل يوم ثلاث رغيفان خبز صبيحة ولمن من عيش الراهب باطية طبيخ وقت الغدا ، ولمن أيضاً في

(١) وثيقة رقم ١٢٦ أمر سلطان بتاريخ ٢٣ جمادى الأولى سنة ٩٣٤هـ (١٤ فبراير ١٥٢٨) وثيقة رقم ١٢٧ فرمان بتاريخ ٢٠ صفر سنة ٩٤٠هـ (١٠ سبتمبر ١٥٢٣) وثيقة رقم ٢٠٠ فرمان بتاريخ ١٠ جمادى الأولى سنة ١٠٨٣هـ (٣ سبتمبر ١٦٧٢) (٢) الوثائق السابقة .

(٣) وثيقة رقم ٢١٧ بتاريخ ١ ربيع أول سنة ١١٦٤هـ (٢٨ يناير ١٧٥٩)

(٤) وثيقة رقم ١٧٧ من ديوان مصر إلى مشايخ العربان بتاريخ جمادى ١٢٢٨هـ (مايو يوليو سنة ١٨١٢) .

(٥) وثيقة رقم ١٧١ من ديوان مصر إلى مشايخ العربان سنة ١١٨٩هـ (٢/١٧٧٢)

العصر قدح ونصف دقيق ، ونصف قدح عدس ، وإذا لم يوجد عدس يأخذوا عوضه قمح أو دقيق أو فول وفنجان زيت . وإذا لم يوجد زيت فيأخذوا عوضه سمن . وأيضاً معلومهم في سنة ثلاث وبيات تمر واحدة جامعي واحدة مروى ، واحدة أصفر ، وثلاث تبن بلح ، واحد جامعي ، واحد مروى واحد أصفر» (١) .

هذا بالإضافة إلى عدد آخر من العربان كانوا يستخدمونهم في القيام بتنظيف الدبر ، وعمل الخبز ، وبعض الأعمال الأخرى التي يكلفون بها . ورغم هذا التعاون الذي تجلّى في أكثر من مجال بين الرهبان والبدو ، فلم يمنع هذا حدوث بعض ما يكدر الصفو بين الطرفين .

وممكننا أن نحصر الموضوعات التي كانت مثار شكوى الرهبان في النقاط الآتية :

(أولاً) اطلاق راحة الرهبان عن طريق الشوشة التي كان يقوم بها بعض البدو والتي عبروا عنها في الوثائق بعبارة (التشويش) ، فقلما تخلوا وثيقة من الوثائق في مجموعتي الترمينات والمعاهدات اللتين أشرنا إليهما في حاشية هذا البحث من هذه العبارة . ففي إحدى هذه الترمينات يشدد السلطان العثماني على المسئولين في مصر « يمنع العربان من الدخول إلى ديارهم والتشويش عليهم » (٢) .

وقد حددت الاتفاقيات التي عقدت بين ممثلي الرهبان ومشايخ القبائل لتنظيم العلاقة بينهم ، نوع العقوبات التي توقع على كل بدوي يرتكب عملاً من شأنه إلحاق الضرر بالدبر وبساكنيه . (فالتشويش) مثلاً عقوبته أن يقدم مقرفه حلاً إلى شيخ القبيلة كغرامة جزاء فعلته ، « وأنه متى مد أحداً يده من العربان إلى راهب وأخذ منه شيئاً أو شوش عليه إن كان في طريق أم في موضع غيره كان عليه إلى شيخ العرب جمل » (٣)

(١) وثيقة رقم ٢٠٢ بتاريخ ٥ جمادى الأولى سنة ١٠٨٩ هـ (٢٥ يونيو سنة ١٦٧٨)

(٢) وثيقة رقم ١٢٤ فرمان بتاريخ ٦ ذي القعدة سنة ٩٣٠ هـ (٥ سبتمبر ١٥٢٤) .

(٣) وثيقة رقم ٢٠٠ بتاريخ ١٠ جمادى الأولى سنة ١٠٨٣ هـ (٢ سبتمبر سنة ١٦٧٢)

بل ذهب القانون العرفي إلى أبعد من ذلك المدى فنص في موضع آخر من الوثيقة أن « من يحصل منه الحرمة أو أذا (أذى) أو تشويش على الدير المذكور أو على رهبانته المقيمين به والمترددين إليهم زوار المسلمين والنصارى وحبس بسبب ذلك ومات في الحبس ليس لهم على الرهبان طلب » (١) .

(ثانياً) حصرت مآثر أنواع المخالفات التي عدها الرهبان اعتداء على حقوقهم ، ووضعت لها عقوبات مختلفة تتراوح بين الغرامة العينية والتقديمية والحبس . واتفق الطرفان على احترامها .

والغرامة العينية غالباً ما تكون من الأبل ، وتتفق مع جسامه الجرم وتتراوح بين حمل واحد وخمس جمال .

وإذا قتل أحد الرهبان عمداً كان على القاتل أن يقدم لشيخ العرب فدية ألف دينار من الذهب (٢) .

كذلك شددت العقوبة على كل من تسول له نفسه أن يقتل أحد زوار الدير من المسلمين أو النصارى وإذا ما حدث ذلك كان على شيخ العرب إحضار الجاني وتقديم ألف دينار من الذهب إلى ديوان الذخيرة (٣) .

(ثالثاً) إذا تعرض الدير لهجوم من قبل البدو بقصد هدمه أو تخريبه أحل الرهبان دم هؤلاء المهاجمين دون لوم أو تريب (٤) ، وزيادة في الحرص على حماية أرواح الرهبان ، ونظراً لأن تعاليم دينهم تأتي عليهم حمل السلاح فقد أبيع لهم استخدام أفراد مسلحين للدفاع عنهم ضد المعتدين ، ومنحهم القانون حق إطلاق النار عليهم وقتلهم إذا دعت الضرورة إلى ذلك (٥) .

وبخلاصة القول فإن العلاقة بين الدير والهيئات المحلية الرسمية كما تبدو لنا من دراسة الوثائق ، كانت علاقة طيبة تقوم على الود والاحترام المتبادل.

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) وثيقة رقم ١٩٧ بتاريخ ٢٧ شعبان سنة ١٠٥٣ هـ (١٠ نوفمبر سنة ١٦٤٣) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

بمناقيرها وأرجلها الجوز المحشو مشاققة ونفطا ، ثم تطلق هذه الطيور لتتحط على رؤس الجبال فتشتعل النيران في كل مكان .

وكان الملوك يبالغون في اتخاذ أسباب النهو والتقص في هذه الليلة ويفد الشعراء عليهم بقصائد المديح .

وكان بديع الزمان الهمداني ممن ينكرون على المخلصين الاندفاع في تيار القوس ويتحصنون ضدهم في كل مناسبة . ومن ذلك رسالته في ذم السدق التي يقول فيها :

« هذا هو العيد ، وذلك هو الضلال البعيد ، إنهم يشبون نارا هي موعدهم ، والنار في الدنيا عيدهم ، والله انى النار يعيدهم ... أن عيد الوقود إلك وإن شعار الناس لشعار شرك ، وما أنزل الله بالسدق سلطاناً ولا شرف نيزوزا ولا مهرجاناً . وإنما صب الله سيوف العرب على فروس العجم لما كره من أديانها وخط من نيرانها .. الخ .. (١) .

ولأعلام الأماكن الفارسية ذكرها في الشعر العربي . ومن هذه الأماكن شعب بوان . وأشهر ما يشير إليه من الشعر العربي قصيدة المتنبي التي مدح بها عضد الدولة وهي :

مغاني الشعب طيباً في المغاني	منزلة الربيع من الزمان
ولكن انفتى العربي فيها	غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنه لو سار فيها	سليان لسار بستر حسان
طبت فرساننا والخيول حتى	نخيت وإن كرم من الحران
غدون نفص الأغصان فيه	على أعرافها مثل الجمان
فسرت وقد حجبت الشمس عنى	وجئت من الصياء عما كفاني

(١) انبئة - ص ٢٤٩ ج ٤

دقائقها تفسر من البنان
 بأشربة وقفن بلا أوان
 صليل الخسلي في أريدي الغواني
 ليق الشرد صفي الجفان
 به اتسيران ندي اللخان
 ويرحل منه عن قلب جيان
 يشهي إلى التوبندجان
 أجبتعه أغاني الفيسان
 إذا غني وناح إلى البيان
 وموصوفاهما متاعدان
 أعن هذا يار إلى الطعان
 وعلمكم مفارقة الجنان(١)

وألقى الشرق منها في ثيابي
 لها ثمر تثير اليك منها
 وأمواه يصل بها حظها
 ولو كانت دمشق ثي عناني
 يلجوجي مارفعت لضيف
 يحمل به على قلب شجاع
 منازل لم يزل منها خيال
 إذا غنى الحمام الورق فيها
 ومن بالشعب أحسوج من حمام
 وقد يتقارب الوصفان جدا
 يقول بشعب بوان حصاني
 أبسوكم آدم سن المعاصي

وبوان بالفتح وانتشيد علم على ثلاثة أماكن أشهرها شعب بوان ببلاد فارس ويقع في الطريق بين أرجان والنوبندجان وهو أحد جنان الدنيا لكثرة أشجاره، وتنوع أطيّاره، وتدفق مياهه، وطيب رياحينه، واختلاف ثماره وفواكه. وحسبنا أن نؤمن في قصيدة المتنبي وما بها من الوصف والتصوير. ويذكر ياقوت عن المبرد أنه مر بشعب بوان فقرأ على شجرة به:

إذا أشرف المخزون من رأس تلة
 وألهاه بطن كالحريبر مسه
 وطيب ثمار في رياحين أريضة
 فيالله ياريج الجنوب تحملى
 على شعب بوان استراح من الكرب
 ومطرده مجرى من البارد العذب
 على قرب أغصان جناها على قرب
 إلى أهل بغداد سلام قتي صب(٢)

ومن البلاد التي كثر ذكرها في شعر المشاركة بخاري، وهي إحدى العواصم الإسلامية الشهيرة ولم يكن جرّها من الأجواء التي تشجع على طول الإقامة والمكث فيها ولذا يقول الشاعر:

(١) ديوان المتنبي .
 (٢) سجع البلدان .

أقمنا في بخارى كارهينا ونخرج أن خرجنا طائعيناً
فأخرجنا إله الناس عنها فإن عدنا فإننا ظالمونا (١)

وفي الجزء الرابع من الأبيات كثير من الأشعار المتصلة ببخارى .

وللشطرنج ، اللعبة المعروفة ، نصيب في الشعر العربي . ونحن ارتبط
ذكره بذكر الشطرنج شاعر من شعراء بخارى وأدبائها وهرأبو القاسم الكسروي
وكان أبو القاسم يكره الشطرنج ويذمها ويغضن لاعبيها . وله فيها أقوال
ظريفة فكان يقول : لا ترى شطرنجياً غنياً إلا بخيلاً ولا فقيراً إلا ظفيلياً
ولا تسمع نادرة باردة إلا على الشطرنج فإذا جرى ذكر شيء منها قيل
جاء الزمهرير ولا يتمثل بها إلا فيما يعاب ويذم ويكره ، وإذا كان مع
الغلام الصبيح المليح رقيب ثقيل قيل معه فرزان (٢) يبدق (٣) ، وإذا
استحقر قدر الإنسان قيل كأنه يبدق ولاسيما إذا اجتمع فيه قصر القدر
وصغر القدر كما قال الناجم :

إلا يا يبدق الشطرنج في القيمة والقسامة

وإذا ذكر وقوع الإنسان في ورطة وهلكة على يد عدو قيل كما قال
عبد الله بن المعتز وأجاد :

قل للشقى وقعت في النخ أودت بشاهك (٤) ضربة الرخ (٥)

(١) الأبيات - عن ٦٨ ج ٤ .

(٢) ، (٣) البيق وجمعه يبادق ويبادقة عرب يده ، يياده وهو الجندي الراجل . وفيه يقول
الفرزدق :

متحك ميراث الملوك وتساوهم وأنت لدرعى يبدق في يبادق

احتقاراً لشأنه لأن البيق وهو الجندي الراجل لا يستطيع أن يؤثر في درعه . وفرزان وفرزين
ما على البيق من قطع الشطرنج . ويقال تفرزن البيق أي صار فرزان يضرب الوضع يرفع نفسه
خوق قدره .

(٤) اتشاه - الملك ، ومن قطع الشطرنج .

(٥) الرخ - طائر وهمي ، ومن قطع الشطرنج .

وإذا روى طفيلي يسيء الأدب على المائدة قيل: انظروا إلى يد الكشحان
كأنها الرخ في الرقعة.... وإذا ذكر وضع ارتفع قيل كما قال أبو تمام

قل لي متى فرزنت سر عنة ما أرى يسا بيسدق(١)

والشطرنج لعبة ليست فارسية الأصل لأنه من اختراع الهنود ، وأمكن
أسماء قطعها واصطلاحات لعبها تغلب عليها الفارسية . والفرس هم الذين
نقلوها إلى العرب . وكان الهنود عندما اخترعوها يظنون أن لن يقدر على فك
رموزها أحد ، فأهداها ملكهم إلى كسرى أنوشروان وشرط على نفسه
أن يدفع الضريبة عن بلاده بكل عام للفرس إذا استطاعوا أن يذكوا رموز
هذه اللعبة . وكان واثقاً أنه لن يدفع . ولجأ كسرى إلى حكيمة المشهور
برزجهر الذي عكف على دراسة هذه اللعبة مدة حتى استطاع أن يفهمها
ويعرف سرها ويفطن إلى كيفية تحريك قطعها . وكانت اللعبة تدور حول
الجيش في ميادين القتال وتصوير حركاتها .

طه زدا

(١) البيتية - ص ٧٨ ج ٤

دير سانت كاترين دراسة في تاريخه الحديث

تذكور
محمد محمد السردوي
أستاذ التاريخ الحديث المساعد
بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية

لعل من أهم ما يميز تاريخ العرب، تلك المعاملة السمحة التي لقيها أهل البلاد المفتوحة على أيديهم . وقد حرص العرب بعد فتحهم مصر أن يسروا في حكمهم لها وفق هذه التعاليم الاسلامية في معاملة أهل الذمة . فنحوا لغير المسلمين من أهل الكتاب الحرية في مباشرة حقوقهم المدنية والدينية دون ما ضغط أو اكراه ، ودون تدخل من قبل الحكومة أو الأهالي على السواء . بل ذهبوا في حرصهم على رعاية مصالح هؤلاء - وخصوصا رجال الدين منهم - إلى حد الابقاء على ما كانوا يتمتعون به من امتيازات قبل الفتح ، وزادوا عليها .

كانت هذه هي سياسة العرب في كل الأمصار التي فتحوها ، ولم تكن قاصرة على مصر دون سواها . وفي ظل الحكم العربي ، وق رحاب الاسلام، تمتع رجال الدين من أهل الذمة بكل احترام وتقدير . فقدمت لهم التسهيلات اللازمة لمباشرة نشاطهم ، وبسطت عليهم الرعاية والحماية .

وفي قبايى مصر وقفارها انتشرت الأديرة المختلفة ، بعضها في الصحراء الشرقية والبعض الآخر في الصحراء الغربية ، والباقي في شبه جزيرة سيناء . ووجدت السلطات الحاكمة في مصر التزاماً عليها أن توفر لهؤلاء الرهبان الأمن والسكينة في تلك البقاع الموحشة ، وأن تنظم العلاقة بينهم وبين جيرانهم من البدو وسكان الصحراء بما يكفل لهم الراحة وهدوء البال ، والتفرغ للعبادة .

وعندما جاء الأتراك إلى مصر غازين في مستهل القرن السادس عشر ،
وفي عام ١٥١٧ على وجه التحديد ، رأوا الأبقاء على ما كان يتمتع به
هؤلاء الرهبان من امتيازات منذ الفتح العربي . خصوصاً وأن سلاطين بني
عثمان قد اعتبروا أنفسهم خلفاء المسلمين ، وأخذوا على عاتقهم تكلمة الدور
الذي قام به الخلفاء العباسيون من قبل . بل أن الدارس لتاريخ الحكم العثماني
للولايات التي خضعت لسيطرتهم ، يقين بوضوح مدى ما كانت تتمتع
به الولايات المسيحية من امتيازات تحمدها عليها الولايات العربية .

أما عن دير سانت كاترين (١) موضوع البحث ، وهو أحد الأديرة
العديدة المنبثقة في صحراوات مصر ، فقد بناه الإمبراطور جستنيان في القرن
السادس الميلادي في قلب شبه جزيرة سيناء ، عند أقدم جبل موسى ،
حيث تلقى سيدنا موسى (عليه السلام) الوصايا العشرة . وقد أوقفت
عليه مزارع وبساتين داخل شبه الجزيرة وخارجها في مختلف بقاع مصر ،
بل وفي أجزاء أخرى من العالم مثل جزيرة قبرص وكريت وبلاد اليونان .

وقبل أن أدخل في تفاصيل هذا الموضوع ، يجب أن أقرر حقيقة اسمها
خلال دراستي لهذه الوثائق ، وهي أن معظمها — أن لم يكن كلها — في
مختلف عصور التاريخ — تدور حول موضوع واحد ، هو علاقة رهبان
الدير بالعربان أو بالحكومة .

(١) توجد بالدير مكتبة كبيرة تضم عدداً ضخماً من الكتب القديمة ، بعضها من سير القديسين
والآباء والتعاليم الدينية . هذا بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الوثائق تشمل مختلف مراحل التاريخ
بعضها يرجع للعصور القديمة ، والبعض الآخر للعصور الوسطى ، والجزء الأخير يتعلق بالعصور
الحديثة ، ويبدأ على وجه التحديد من انقراض العثماني لمصر في أوائل القرن السادس عشر إلى القرن
التاسع عشر ، ومقسمة إلى مجموعتين : الأولى وتشمل فرمانات من العهد العثماني ، وتحمل الأرقام
المسلسلة من ١٢٥ إلى ١٩٩ . والمجموعة الثانية يطلق عليها اسم معاهدات وتحمل الأرقام من ٢٠٠
إلى ٢٦٦ . وهذه الوثائق الحديثة هي التي كانت موضع أنداسة خلال زيارتي لدير في حريف
عام ١٩٩٣ مؤمداً من قبل جامعة الاسكندرية . وقد احتضنت عليها اصحاباً يكاد يكون كليا
في هذا البحث .

وتماماً لفائدة فقد نشرت في ملحق هذا البحث عدداً من الوثائق بعضها منقول والبعض الآخر
مصور ، وجميعها وثائق أصلية .

ولهذا فإن مهمة الباحث - سواء رضى أم لم يرض - محصورة في هذا المحيط الضيق ، ومقصورة على هذا الموضوع دون سواء . فهما حاول الباحث الخروج من هذه الحلقة المضروبة حوله ، فأجهد لا تكاليف بالنجاح . ومجد نفسه في نهاية الأمر يعود من حيث بدأ . وبناء عليه فإن موضوع البحث هذا يكاد يكون قد فرض نفسه على فرضاً دون أن يكون لي حق الاختيار .

ومن الصعوبات التي تواجه الباحث في هذا الموضوع أن معظم الوثائق مكتوبة بلغة هي مزيج بين العربية الفصحى ولغة البدو ، وملينة بالخطأ التحوية والمجانية . كما أن معظم الوثائق تكاد تكون صورة مكررة لبعضها البعض ، بألفاظها ، وعباراتها ، وموضوعاتها . ويترتب على ذلك ضياع جهود الباحث فيما لا طائل تحته ، فإن أي عدد من هذه الوثائق كاف وحده لالتقاء الضوء على هذا الموضوع .

ذكرنا من قبل كيف اختار الإمبراطور جستنيان هذه المنطقة الثابتة الوعرة ، البعيدة كل البعد عن المناطق المأهولة بالسكان ، والتي تفتقر إلى أي مظهر من مظاهر العمران ، لبناء هذا الدير . ونظراً للاعتبارات الألفه الذكر ، كان لابد من إيجاد وسائل أو ضمانات لحمايته ، وتأمين سلامة نزلائه من الرهبان ، وتيسير سبل الحياة لهم ، خصوصاً وأن الدير يقع بعيداً عن مخاطر الأمن . ويمكن أن نقسم هذه الضمانات إلى شطرين : الأول ويتعلق بتنظيم علاقة الدير بالحكومة . والشرط الثاني يختص باقرار العلاقة بين رهبان الدير والقبائل البدوية الضاربة في شبه الجزيرة ، فيما حول الدير أو بالقرب من البساتين التابعة له .

فاذا تناولنا الشرط الأول من هذه الضمانات ، وهو الخاص بما أصدرته الحكومات التركية المتعاقبة - منذ احتلالها مصر - من قوانين تنظم العلاقة بينها وبين رهبان الدير وتمنحهم من التسهيلات ما ييسر عليهم سبل العيش والاقامة في هذه البقاع الثابتة الوعرة ، نجد أن هذه الضمانات قد وردت تبعاً في المرمونات المتعاقبة التي أصدرها السلاطين العثمانيون منذ السلطان سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠ م) .

وأقدم الفرمانات المحفوظة بالدير والتي تلقى كثيراً من الضوء على هذا الموضوع ، الفرمان الصادر من السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦م) الذي يشير فيه الى المرسوم السلطاني الأول الصادر من والده السلطان سليم من قبل ، وكذلك الى المراسيم والأوامر الشريفة الصادرة الى الرهبان قديماً من الخلفاء الراشدين والملوك والسلاطين .

وهذا الفرمان يعطينا صورة واضحة لما كانت عليه العلاقة بين الدير والحكومة العثمانية ، ويوضح لنا أيضاً ما كان يتمتع به الرهبان من امتيازات . ومن دراستنا له يمكننا أن نستخلص النقاط الآتية :

(أولاً) أن هؤلاء الرهبان قد أعفوا من دفع الضرائب المفروضة على الأراضي الزراعية بمختلف صورها ، « وبأن يحملوا في المساحات بالحقوق والرسوم والأحكام والمقاسمات والأعشار والمقاطعات على بساطتهم وكرومهم وثمارهم ونخلهم وزيتونهم وحنطولهم بالبلاد المصرية والشامية والطرابلسية والطورية ، وبأنهم لا يعارضوا في أوقافهم ويوتهم وكرومهم ومزارعهم في جزيرة أفرطش (١) وجزيرة قبريس (٢) » .

ومن هذا يتضح أن الدولة العثمانية قد أعفت ممتلكات الدير من البساتين المنتجة لمختلف أنواع الثمار من كل الضرائب المفروضة عليها . ولم يقتصر هذا الاعفاء على مصر وحدها ، بل امتد حتى شمل كل المناطق الخارجة عن حدود مصر ، والخاضعة للحكم العثماني ، مثل الشام وطرابلس وجزيرة كريت وقبرص (٣) .

(ثانياً) تمتع الرهبان بالاعفاء من الرسوم الجمركية أيضاً ، على كل ما يورد اليهم من صدقات وندور عينية ، فنص الفرمان على « أن يسامحوا بالحقوق والرسوم الديوانية على الأصناف الواصلة اليهم من الندور والصدقات

(١) جزيرة كريت .

(٢) جزيرة قبرص .

(٣) وثيقة رقم ٢٢٢ بدون تاريخ ووثيقة رقم ١٤١ بتاريخ ١٠ ربيع أول ٩٧٠ (٧ نوفمبر سنة ١٥٦٢) فرمان سلطاني إلى جمع البنادر بشأن رهبان دير سانت كاترين .

من البر من طريق البحر الملح والعذب بالثغور الاسلامية (١) مكندرية
ورشيد ودمياط والبرلس وبولاق وقطيا وغزة ويافا وبيروت وصيدا
واللاذقية وسائر الثغور الاسلامية المعمورة بالديار المصرية والشامية صادراً
ووارداً ، وبمخالف ما لهم من الحقوق الشرعية ممن عليه حكم القانون
الشرعى .

(ثالثاً) . أن هذا الضمان لم يفسخ ما قبله من التفرمانات ، وإنما أكدها
ونص على وجوب رعايتها وتطبيق ما جاء بها . هذا بالإضافة إلى تعهد
الملاطين العثمانيين بحماية الرهبان والذود عنهم عملاً بتعاليم الدين الاسلامي
الحنيف . « وقد رحمتنا باعتبار ما بيدهم من المرسوم الشريف الصادر لهم
عن والدنا (السلطان سليم الأول) المتضمن لذلك ، واستمراره على الحكم
المشروع فيه والعمل به وعدم العدول عنه ، وبأن يكونوا محميين مرعيين
على الدوام وذمتهم محفوظة بدمية الاسلام على الحكم المرعى والقانون المرعى
لا يمسهم سوء ولا ضرر . »

(رابعاً) يدخل في نطاق الدير المسجد المشيد بداخله ، ويقال بأنه
يرجع إلى عهد عمر بن الخطاب . ولهذا المسجد مدنه وخدام يقومون
على أمره لأداء شعائر الاسلام . وكان على الدولة العثمانية أن تهتم بأمر هؤلاء
أيضاً ، وأن ترعاهم كما ترعى الرهبان .

وحدث أن تعرض هؤلاء الدنة لبعض المقايضات ممن لا يمتنون
إلى الدير بصلة ، فلما علم المشولون في القاهرة بهذا الأمر ،
أصلحوا أمرهم إلى أغانت قلعة المطور (قائد القوة العسكرية بالطور) بأن
يعمل بكن حزم على وضع حد لها ، وشددوا عليه بمراعاة هذا الأمر بكل
دقة . وما جاء بهذا الأمر « أن رهبان دير طور سينا أعرضوا لحضرتنا
مضمونه من قديم الزمان ومن زمن حضرت سيدنا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ورضى عنا من داخل الدير المذكور جامع شريف وأئتمته

(١) هكذا في النص بدون ألف .

ومؤذنيه وسائر أرباب شعائره جاريتين وموجودين بموجب البراءة الشريفة السلطانية وحجة شرعية متصرفين له . ولكن في هذا الآن بعض جماعة ليس لهم تعلق به بطريق الضرر فضولاً قد تعرضوا لخداع الجامع المذكور وللرهبان المذكورين ظلماً وعدواناً ، وحين أعرضوا أحوالهم لحضرتنا قد فوضنا أمرهم إلى مولانا قاضى عسكر أفندى بمصر المحروسة . . فلأجل ذلك قد حرر هذا البيورلدى (أمر أو مرسوم) من طرفنا وأرسل إليكم ، فحان وصوله أمرناكم باجراء هذا الأمر الشريف ، ولم أحد يتعرض لخداع الجامع المذكور ولا للرهبان المذكورين . وفيما بعد لا تدعوا أحدا يتعرض لهم بخلاف الشرع ، ولم تحوجوا لاصدار بيورلدى ثانياً في شأن ذلك ويسجل هذا البيورلدى في دفاتر القلعة ، وفي سجلات ويعطى لهم حجة شرعية ويبقى بأيديهم تمسكاً والحد من الخدر من المخالفة والعناده (١)

وكان لهذه الرعاية التي وجدها الرهبان أثرها في نفوسهم ، فسجلوا هذه المعاملة الحسنة التي كانوا يلقونها في كتاباتهم التي أرسلوها إلى السلطان العثماني (٢) .

(خامساً) بلغ من حرص ولاية مصر على توفير الطمأنينة والاستقرار لحولاء الرهبان أن محمد علي عندما أخذ على عاتقه اخضاع الثورة الوهابية ، أن اقتضت طبيعة التحركات العسكرية وجود عدد كبير من الجنود يشبه جزيرة سيناء ، فسيب هذا الأمر شيئاً من الخوف والآنزعاج لحولاء الرهبان . فلما أحس محمد علي بذلك أصدر مرسوماً (٣) يهدىء من روعهم ويؤسبهم على مصالحهم وديارهم جاء فيه :

(١) بيورلدى صادر من ديوان مصر المحروسة إلى قنوة المحدثين والحارسين وأفات قلعة الطور وكشخذه وسائر أعيانه وانفاره في ٢٠ رجب سنة ١١٢٠ (١٤ أكتوبر سنة ١٧٠٨)

(٢) فرمان مؤرخ في ٢٠ صفر سنة ٩٤٠ (١٠ سبتمبر ١٥٢٣) بالتهيء على مشايخ الرهبان برعاية شئون الدير .

(٣) مرسوم شريف من ديوان مصر المحروسة إلى قنوة الملة المسيحية وعمدة الطائفة النيسورية سكان الدير بجبل سيناء في جمادى ١٢٢٨ (مايو - يونيو ١٨١٣) .

« صدر المرسوم الشريف الواجب القبول والتشريف والاتباع من ديوان مصر المحروسة إلى قدوة الملة المسيحية وعمدة الطائفة العيسوية الرهبان سكان الدير بجبل سيناء ختمت عواقبهم بالخير والرشاد تحيطون علماً أنه قد طرق سامعنا حاصل عنكم خوف وزعل بخصوص قدوم العساكر المرسله إلى الحجاز ، والحال أننا لا نرضى الا كامل راحتكم واستراحتكم في محل مواطنكم بالدير بجبل سيناء وتكونوا مطمئنين ومستريحين من هذا القبيل وعليكم أمان الله تعالى وأمان رسوله ثم أماننا السعيد . ولم نخشوا من شئ حمله كافية ولم أحد يتعرض لكم بوجه من الوجوه ويكون لكم الحماية والصيانة في ديركم محل وطنكم بجبل سيناء ولم تهتموا من شئ مطلقاً ، فبناء على ذلك أصدرنا هذا المرسوم الشريف فنعد وصوله اليكم يكون العمل بمضمونه ومقتضاه واعتموده غاية الاعتماد .»

وكان أمر حاية الدير موكولة إلى حاكم تبينه الدولة العثمانية أطلقت عليه الوثائق في بعض الأحيان اسم «الحاكم الشرعي بالطور المبارك» . وفي أحيان أخرى تشر اليه باسم «أغات قلعة الطور» . وفي حقيقة الأمر فإن التسمية الأخيرة تعتبر أكثر انطباعاً من الأولى ، نظراً لأن حاكم الطور كان عادة من الضباط الأتراك . ولم يكن أمر اقرار الأمن في شبه الجزيرة موكولا إلى قوات الجيش بقدر ما كان ملقى على عاتق قبائل العربان التي تسكن شبه الجزيرة . فشايف القبائل مسئولون أمامه مباشرة عن كل اختلال بالأمن والنظام في سيناء ، وخصوصاً ما يتعلق منها بالدير .

(سادساً) حدث أن تقدم الرهبان بشكوى إلى السلطان العثماني من توافد اليهود على شبه جزيرة سيناء في موسم الحج ، وفي غيره ، وأن هؤلاء اليهود لا يغادرون شبه الجزيرة بعد انقضاء حوائجهم ، وإنما يقيمون بها هم وأسرهم . ولما كان هذا الأمر يثير مخاوف الرهبان من ناحية ، ومن ناحية أخرى فهو يخالف الأوامر السلطانية التي تحرم على اليهود سكنى شبه الجزيرة

بأى حال من الأحوال . ولهذا فقد أصدر السلطان العثماني أوامر مشددة إلى حاكم الطور بأن يمنع « اليهود من ذلك كل المنع . ومنع اليهود من التعدي بما يخالف الشرع والقانون ، وألا يعودوا للطور ولا يخالفوا العادة . » (١)

ومن الواضح أن هذا التصرف من السلاطين العثمانيين له ما يبرره ، فأطاع اليهود في هذه المناطق قديماً ، وأن السماح لهم بالأقامة فيها أخطار جسيمة .

بل لقد طالب اليهود في أواخر القرن التاسع عشر انجلترا أن تمنحهم شبه جزيرة سيناء لاتخاذها وطناً لهم ، قيل أن يطالبوا بفلسطين ، ولكن هذا المسمى لم يكمل بالنجاح . ويبدى الدكتور حايم وايزمن (أحد زعماء الصهيونيين) أسفه لفشل المسمى لأن شبه جزيرة سيناء — في نظره — مكان مناسب لتوطيد أقدام اليهود فيه نظراً لاتصاله جغرافياً بفلسطين ، ويمكن اتخاذه نقطة ارتكاز للنشاط الصهيوني في المناطق المجاورة (٢) .

وأقرب مثل لهذه الأطماع اليهودية العدوان الثلاثي على مصر في سنة ١٩٥٦ واحتلال شبه جزيرة سيناء . هذا بالإضافة إلى أن أهداف الصهيونية هي الوصول بمحمود اسرائيل من النيل غرباً إلى انقرات في الشرق . وهذا بطبيعة الحال يتطلب أن تكون شبه الجزيرة داخله ضمن حدود الدولة التي يحفون باقامتها في يوم من الأيام .

أما الشطر الثاني من الضمانات فهو ما يتعلق بتنظيم العلاقة بين رهبان الدير والعربان بشكل يكفل الطمأنينة والسلام للمقيمين في الدير ، ويحقق مصالح العربان في نفس الوقت . وكانت الحكومة طرفاً ثالثاً في كل اتفاق يعقد بين الطرفين لتنظيم المعاملات بينهما ، ولتكون بمثابة الضامن والريب على تنفيذ وتطبيقه .

(١) وثيقة رقم ١٤٩ فرمان بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٢٨٩ (٢٧ يونيو ١٥٨٦)

وثيقة رقم ١٥١ فرمان بتاريخ ٢٠ صفر سنة ١٢٩٠ (١٦ مارس ١٥٨٢)

وثيقة رقم ١٦٠ فرمان بتاريخ ٢٠ ذو القعدة سنة ١٢٩٣ (١٣ نوفمبر سنة ١٥٨٥)

(٢) Weisman Dr, Trial & Evror P. 228

ومن الملاحظات الهامة التي تثير انتباه الباحث أن هذه الاتفاقيات - أو المعاهدات كما أطلقت عليها الوثائق - تعد بالعشرات ، وجميعها تكاد تكون صورة مكررة للاتفاقيات الأولى التي عقدت بهذا الخصوص . ويرجع السبب الأساسي في كثرة (١) عددها أنه كلما جد حادث معين عمس مصالح الرهبان من بعيد أو قريب أسرعوا بالشكوى إلى حاكم الطور وإلى السلطان العثماني نفسه لرفع الضيم عنهم . وفي هذه الظروف كان الحاكم يقوم بعقد اجتماع بين مندوبي الرهبان ومشايخ القبائل الضاربة بشبه الجزيرة ويعرض موضوع الشكوى على بساط البحث ، وكثيراً ما كان مندوبو الرهبان يتقدمون إلى الحاكم بما تحت أيديهم من فرمانات عديدة تؤيد وجهة نظرهم وتثبت حقوقهم المتوارثة ، وتوضح الامتيازات التي يتمتعون بها .

ولا ينفص المجلس قبل أن يوقع مندوبو الطرفين على اتفاقية جديدة تؤكد الاتفاقيات القديمة وتدعمها .

وإذا نظرنا إلى هذه المنازعات ، أو المضايقات بمعنى أصح ، التي كانت مثار شكوى الرهبان نجدها تافهة لا تستوجب اجتماعاً أو استدعى عقد اتفاقية جديدة . بل كان من الممكن أن يكفى بتوقيع العقاب على مرتكبها دون ما جلبة أو ضجة . ولكن يبدو أن حاكم الطور كان يخشى أن يتهم بانتقصير في حق الرهبان إذا لم يتم هذا العمل . وفي نفس الوقت فهو يظهر مدى اهتمام الدولة بتوفير أسباب الراحة والطمأنينة لهؤلاء الرهبان . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فجمع مشايخ القبائل بين الفينة والفينة لبحث مثل هذه الحوادث يشعرهم بمدى يقظة حاكم الطور ، ويخس هؤلاء المشايخ بصورة أو بأخرى بقوته وسطوته . ومن ناحية ثالثة فهو يرضى من ناحية المظهر والشكل رهبان الذير ويطمئنهم على مصالحهم .

ويمكننا أن نجمل الخدمات التي كان مشايخ الرهبان يقومون بأدائها للدير في النقاط الآتية :

(١) تحمل هذه المعاهدات أرقاماً متسلسلة من رقم ٢٠٠ إلى ٢٦٦ وكذلك بعض الوثائق الأخرى التي تضمنتها المجموعة من رقم ١٢٥ إلى رقم ١٩٩

(أولاً) المحافظة على الدير وحماية أرواح الرهبان من أى اعتداء . وكذلك تمتد هذه الحماية إلى الزائرين والمترددين عليه . فقد نصت الاتفاقيات على « أن جماعة العربان يحفظون دير طور سينا جبل سيدنا موسى ورهبانه القاطنين فيه والمترددين اليه من زوار المسلمين والنصارى » (١) (ثانياً) أن يقوم العربان بالمحافظة على كل ما يتعلق بالدير من الكنائس والبساتين والنخيل بالجبل وبوادي فاران وبساحل الطور بأنفسهم وبمن يستعينون به ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً (٢) .

(ثالثاً) القيام بمرافقة الزائرين والمترددين على الدير ، ونقل (٣) ما يحتاج اليه الدير من مؤن وحطب وثمار بالأجر (٤) الذى يحدده الرهبان . فتتص القرمانات على « أن شيل الغلال المتوجه إلى الطور بالأجرة من مصر إلى الدير الكينة (الكائنة) بالطور فإن شيلهم على العربان المشهورين بهم ووقع ما بينهم عقود قديمة وشروط من تقدم الزمان ما بين الفريقين . وإذا حصل عجز أو نقصان في الغلة أو خلافه في المشيل يسجن العربان في سجن الجوانية حكم القرانين السابقة » (٥) .

(رابعاً) للرهبان الحق في استخدام خفراء من العربان لحراسة بساتين العنب (الكرم) في مقابل ما منحونهم اياه من دقيق وثمار وزيتون بعضها يومي والبعض الآخر سنوي ، وأن هذه المقادير التي تصرف لهم والتي ورد ذكرها في الوثائق تعطينا مثلاً واضحاً لما كان يتقاضاه هؤلاء العربان نظير قيامهم بتلك الخدمات . فكان الخفراء الكرم الثلاث « في كل يوم ثلاث رغيفان خبز صبيحة ولحم من عيش الراهب باطية طييح وقت الغدا ، ولحم أيضاً في

(١) وثيقة رقم ١٢٦ أمر سلطان بتاريخ ٢٣ جمادى الأولى سنة ٩٣٤ هـ (١٤ فبراير ١٥٢٨)

وثيقة رقم ١٢٧ فرمان بتاريخ ٢٠ صفر سنة ٩٤٠ هـ (١٠ سبتمبر ١٥٢٣)

وثيقة رقم ٢٠٠ فرمان بتاريخ ١٠ جمادى الأولى سنة ١٠٨٣ هـ (٣ سبتمبر ١٦٧٢)

(٢) الوثائق السابقة .

(٣) وثيقة رقم ٢١٧ بتاريخ ١ ربيع أول سنة ١١٦٤ هـ (٢٨ يناير ١٧٥٩)

(٤) وثيقة رقم ١٧٧ من ديوان مصر إلى مشايخ العربان بتاريخ جمادى ١٢٢٨ هـ (مايو يونيو سنة ١٨١٣) .

(٥) وثيقة رقم ١٧١ من ديوان مصر إلى مشايخ العربان سنة ١١٨٦ هـ (١٧٧٣/٢)

العصر قدح ونصف دقيق ، ونصف قدح علس ، وإذا لم يوجد علس يأخذوا عوضه قمح أو دقيق أو فول وفنجان زيت . وإذا لم يوجد زيت فيأخذوا عوضه سمن . وأيضاً معلومهم في سنة ثلاث وبيات تمر واحدة جامعي واحدة مروى ، واحدة أصفر ، وثلاث تين بلح ، واحد جامعي ، واحد مروى واحد أصفر» (١) .

هذا بالإضافة إلى عدد آخر من العربان كانوا يستخدمونهم في القيام بتنظيف الدبر ، وعمل الخبز ، وبعض الأعمال الأخرى التي يكلفون بها .

ورغم هذا التعاون الذي تجل في أكثر من مجال بين الرهبان والبدو ، فلم يمنع هذا حدوث بعض ما يكدر الصفو بين الطرفين .

ويمكننا أن نحصر الموضوعات التي كانت مثار شكوى الرهبان في النقاط الآتية :

(أولاً) اطلاق راحة الرهبان عن طريق الشوشرة التي كان يقوم بها بعض البدو والتي عبروا عنها في الوثائق بعبارة (التشويش) ، فقلما تخلوا وثيقة من الوثائق في مجموعتي الفرمانات والمعاهدات اللتين أشرنا إليهما في حاشية هذا البحث من هذه العبارة . ففى إحدى هذه الفرمانات يشدد السلطان العثماني على المسؤولين في مصر « يمنع العربان من الدخول إلى ديارهم والتشويش عليهم » (٢) .

وقد حددت الاتفاقيات التي عقدت بين ممثلي الرهبان ومشايخ القبائل لتنظيم العلاقة بينهم ، نوع العقوبات التي توقع على كل بدوى يرتكب عملاً من شأنه إلحاق الضرر بالدبر وبساكنيه . (فالتشويش) مثلاً عقوبته أن يقدم مقترفه حملاً إلى شيخ القبيلة كغرامة جزاء فعلته ، « وأنه متى مد أحداً يده من العربان إلى راهب وأخذ منه شيئاً أو شوش عليه إن كان في طريق أم في موضع غيره كان عليه إلى شيخ العرب حمل » (٣)

(١) وثيقة رقم ٢٠٢ بتاريخ ٥ جمادى الأولى سنة ١٠٨٩ هـ (٢٥ يونيو سنة ١٦٧٨)

(٢) وثيقة رقم ١٢٤ فرمان بتاريخ ٦ ذى القعدة سنة ٩٣٠ هـ (٥ سبتمبر ١٥٢٤) .

(٣) وثيقة رقم ٢٠٠ بتاريخ ١٠ جمادى الأولى سنة ١٠٨٢ هـ (٣ سبتمبر سنة ١٦٧٢)

بل ذهب القانون العرفي إلى أبعد من ذلك المدى فنص في موضع آخر من الوثيقة أن « من يحصل منه الحرمة أو أذى (أذى) أو تشويش على الدير المذكور أو على رهبانه المقيمين به والمترددين اليه من زوار المسلمين والنصارى وحبس بسبب ذلك ومات في الحبس ليس لهم على الرهبان طلب » (١) .

(ثانياً) حصرت سائر أنواع المخالفات التي عليها الرهبان اعتداءً على حقوقهم ، ووضعت لها عقوبات مختلفة تتراوح بين الغرامة العينية والتقديية والحبس . واتفق الطرفان على احترامها .

والغرامة العينية غالباً ما تكون من الأبل ، وتتفق مع جسامه الجرم وتتراوح بين حمل واحد وخس جمال .

وإذا قتل أحد الرهبان عمداً كان على القاتل أن يقدم لشيخ العرب فدية ألف دينار من الذهب (٢) .

كذلك شددت العقوبة على كل من تسول له نفسه أن يقتل أحد زوار الدير من المسلمين أو النصارى وإذا ما حدث ذلك كان على شيخ العرب احضار الجاني وتقديم ألف دينار من الذهب إلى ديوان الخليفة (٣) .

(ثالثاً) إذا تعرض الدير لهجوم من قبل البدو بقصد هدمه أو تخريبه أحل الرهبان دم هؤلاء المهاجمين دون لوم أو تهريب (٤) ، وزيادة في الحرص على حماية أرواح الرهبان ، ونظراً لأن تعاليم دينهم تأتي عليهم حمل السلاح فقد أبيع لهم استخدام أفراد مسلحين للدفاع عنهم ضد المعتدين ، ومنحهم القانون حق إطلاق النار عليهم وقتلهم إذا دعت الضرورة إلى ذلك (٥) .

وخلصة القول فإن العلاقة بين الدير والميئات المحلية الرخمية كما تبدو لنا من دراسة الوثائق ، كانت علاقة طيبة تقوم على الود والاحترام المتبادل

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) وثيقة رقم ١٩٧ بتاريخ ٢٧ شعبان سنة ١٠٥٣ هـ (١٠ نوفمبر سنة ١٦٤٣)

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

وأن مابداً من انحراف بعض البدو، يعتبر من قبيل الأعمال الفردية . وظل التعاون وثيقاً بين الرهبان والبدو إلى اليوم ، نظراً لحاجة كل منهما إلى الآخر . فالدير مصدر رزق للبدو في قلب شبه الجزيرة المحدبة الوعرة ، والبدو هم القوة العاملة التي لا غنى عنها للرهبان في مواجهة هذه الطبيعة القاسية .

ووقفت الحكومة من وراء تلك الاتفاقيات التي وقعت بين الطرفين تباركها ، وتؤيدها ، وتشرف على تنفيذها ، مما يكفل الطمأنينة والأمن لسكان الدير وزائريه على السواء . وأن بقاء الدير يواصل رسالته حتى يومنا هذا لدليل حي على تلك الرعاية والحماية التي أسبقها الحكومات المصرية المتعاقبة على هذا الأثر الديني التليد .

محمد محمود السروجي

ملحق

بعض الثمرانات (١) والمعاهدات الخاصة بدير سانت كاترين
منذ الفتح العثماني لمصر حتى القرن التاسع عشر

١ - فرمان سلطاني رقم ١٢٥ بتاريخ ٢٦ رجب سنة ٩٣١ هـ (١٩ مايو سنة ١٥٢٥) بشأن اعفاء وهيان الدير من الرسوم والعوائد .

« هذا مرسومنا الشريف السلطاني .. أن طائفة الرهبان القاطنين بجبل المناجاة بدير طور سينا بيدهم مرسوم شريف عن والدنا السعيد الشهيد المظفر سليم شاه يبقى الله تعالى عهده صوب الرحمة والرضوان يتضمن أنه يرد عليهم بالدير المذكور الفقرا والمسافرين ويضيفهم صادرا وواردا ويدهم تواقع ومراسيم شريفة سلطانية من الخلفاء الراشدين والملوك والسلاطين بمنع الغربان من الدخول إلى ديارهم والتشويش عليهم وبأن لا يتعرضون إليهم حملة كافية ، وبأن يحملوا في المسامحة بالحقوق والرسوم والأحكام والمقاسمات والأعشار والمقاطعات على بساطتهم وكرومهم وثمارهم ونخلهم وزيتونهم وحقولهم بالبلاد المصرية والشامية والطرابية والطورية ، وبأنهم لا يعارضوا في أوقافهم وبيوتهم وكرومهم ومزارعهم في جزيرة اقریطش (٢) وجزيرة قبرص (٣) وبأن يسامحوا بالحقوق والرسوم الديوانية على الأصناف الواصلة إليهم من التدور والصدقات من البر من طريق البحر الملح والعدب بالشعور الاسلامية سكندرية (٤) ورشيد

(١) نقلت هذه الوثائق كما هي بكنز ما تحويه من أخطاء نحوية ولغوية . فهي صورة طبق الأصل من الوثائق الأصلية .

(٢) جزيرة كريت .

(٣) جزيرة قبرص

(٤) هكذا جاءت بالوثيقة بدون ألف .

ودمياط والبرلس وبولاق وقطيا وغزة ويافا وبيروت وصيدا
وطرابلس واللاذقية وسائر الثغور الاسلامية المعمورة بالديار
المصرية والشامية صادراً ووارداً ، وبخلاص ما لهم من الحقوق
الشرعية ممن عليه مجل حكم القانون الشرعي المحرر المرعي ،
وقد رغبنا باعتماد ما بيدهم من المرسوم الشريف الصادر لهم
عن والدانا المتضمن لذلك واستمراره على الحكم المشروع
فيه والعمل به وعدم العدول عنه وبأن يكونوا محميين مرعيين
على الدوام وذمهم محفوظة بدمه الاسلام على الحكم المرعي
والقانون المرعي لا يمسهم سوء ولا ضرر ولا تشريش ولا كدر
داعون لدوام دولتنا القاهرة وثبات أعرام سلطنتنا الباهرة
وتوقيعنا المبارك الأعلى يؤكد عليهم غاية التأكيد . وجرى ذلك
وحرر في يوم الخميس المبارك سادس عشرين شهر رجب الفرد
الأحد لسنة أحد وثلاثين وتسع مائة حامداً الله ومصلياً ومسلماً
ومحمداً . هـ

لمدينة محرومة مصر

وثيقة رقم ١٢٩ مرسوم سلطاني بتاريخ ١٠ رمضان سنة ١٤٠٩ (٢٥ مارس سنة ١٥٣٤) إلى الحاكم الشرعي بالطور .

« مرسوم سلطاني إلى الحاكم الشرعي بالطور المبارك والجهة والحكام وأرباب الأدراك وولاية أمور الاسلام . . إن التصاري بدير طور مينا الرهبان انهموا لدى حضرتنا العلية أن جماعة يعتقدون على مساكنهم وبيوتهم ويخرجونهم منها ويسكنون بها بغير أجره ولا رضاهم ، وأن المعارين يتعرضون أيضاً لمساكنهم وبيوتهم وديورتهم العامرة ، ويأخذون من أحجارها ورسنا بأن لا يسكن أحد في بيوتهم الا برضاهم بالأجرة ، ومنع من يعارضهم فيها . . . »

وثيقة رقم ١٤١ بتاريخ ١٠ ربيع الأول سنة ٩٧٠ (٨ نوفمبر سنة ١٥٦٢)
فرمان سلطاني إلى جميع البنادر بشأن التسهيلات الممنوحة لرهبان الدير .

صدر هذا الفرمان إلى كل واقف عليه من القضاة والكشاف
وأمر (١) العربان ومشايخهم والأمناء والحكام والمثزمين وأصحاب
الادراك والخاص وللعام وولاية أمور المسلمين بالأقاليم قبلى وعمرى
والمين والثغور وللسواحل يتضمن .. وللرهبان والقسيسين
ولا يتعرضوا لهم فى الطرقات وجميع ما يتبعهم من الحقوق
والرسوم والاعشار عما يحضر لهم من البلاد والنواحي الطورية
والشامية والمصرية والاسكندرية وما عليهم من نقل البساتين
والعيطان ثمارها ونخلهم وزيتونهم فهم مسامحون لله وما لهم
من الدروع والأوقاف بجزيرة أقرطس وجزيرة قبرص
ولا يعارضوا فيها بغير وجه وسائر ما يرد لهم من جانب البحرين
الخلر والمالح والبر من جانب اسكندرية ورشيد ودمياط
والبرلس وبولاق وغزة وبافا وببروت وصيدة وطرابلس
واللاذقية وسائر النواحي المصرية والشامية وسائر الثغور الاسلامية
من الصابون والزيت للندور والصدقات فهم مسامحون مما عليهم
مما على ذلك من الحقوق والرسوم الديوانية ، وإذا توجهوا
للقدس الشريف بقصد زيارة العامة فيجروا على جارى
عادتهم القديمة . وكل من (وكل من) مات منهم فيمكنوا من دفنه
ولا يعارضوا فى ذلك ولا يتعرض أحد لميراثهم ، وإذا ثبت
أن أحد منهم شى بغير حق فيعاد انهم ويمنع من يعارضهم
بغير وجه حق ..

(١) أمر .

وثيقة رقم ١٤٧ بتاريخ ١٤ صفر سنة ٩٧٧ (٢٩ يولييه ١٥٦٩) بشأن
اصفاء الرهبان من الرسوم على مشترياتهم من القمح .

صدر هذا المرسوم إلى كل واقف عليه من القضاء
والكشفاف والحكام ومشايخ العربان وولاية أمور الاسلام
بالوجه البحرى والوجه القبلى يتضمن اعلامهم أن الرهبان
بدير طور مينا انما علينا أن لهم عادة بمشترى قمح برسم
مأكولاتهم بالدير لمنتطعين والمترددین من ساحل بولاق
والوجه البحرى ، وأن الحكام بمنحونهم من ذلك ويخالفوا
ما جرت به العادة ويحصل لهم بذلك غاية الضرر ، فيتقدم
كل واقف عليه بالنظر في ذلك، وتمكين الرهبان من مشترى
القمح الجارى العادة لهم بمشتراه كل سنة ، ومنع من يعارضهم
في ذلك بغير حق ولا وجه أجرا في ذلك على جارى عاداتهم
المستمرة من غير حادث ولا مظلمة ...

وثيقة رقم ١٤٩ بتاريخ ٢٥ جادى الأولى سنة ٩٨٩ (٢٧ يونية ١٥٨١)
فرمان بمنع اليهود من سكنى الطور

بسم الله الرحمن الرحيم ..

فخبر النواب وبحرى الخلق بالصواب نائب الشرع بالطور ..
والحكام وولاية الأمور يتضمن أعلامهم أن جماعة الرهبان بجبل
طور سينتا تملأوا بالديوان وأنهوا لرحيلهم جيلا مبارك وليس
له علم بسكننا (١) اليهود فيه باليندر وأبرزوا ما بأيديهم أحكام شريفة
بمعنى أن شخصاً اسمه ابراهام اليهودى موجه الطور وأولاد سعيد
أيقاع .. فرسنا بأن يقدموا بعود اليهودى وزوجته وأولاده الديار
المصرية ولا يتأخروا يوماً واحداً فليعتمد تحرير .. «

(١) بسكنى .

وثيقة رقم ١٥١ بتاريخ ٢٠ صفر ٩٩٠ (١٦ مارس ١٥٨٢) فرمان بمنع
اليهود كلية من الاقامة الطور

«مفخر النواب ومجرب الحق بالصواب نائب الشرع
بالتطور .. المتحفظين .. والحكام وأصحاب الادراك وولاية
أمور الاسلام يتضمن أعلامهم أن رهبان دير طور سينا أنها
لينا أن بندر الطور ليس لليهود عادة أن يسكنوا فيه مطلقاً
وأهم صاروا الآن بحجراً بالفصل ونارة بغيره وتقيسوا في البندر
بعيالهم وأولادهم ويحصل منهم عامة العهد لخل مناجات سيدنا
موسى وعادتهم إذا كانوا في مصلحة يتوجه يهودى واحد يعطى
المصلحة ويعود والآن خالفوا ذلك وصاروا يتوجهوا جماعة
ومنهم جماعة سكنوا واستوطنوا بالتطور دون عادة سابقة دون
الأمر المطاع السلطاني بأنه حسب لم تجر عادة لليهود بالاقامة في
الطور من قديم الزمان والآن صاروا يتوجهوا للتطور ويخالفوا الشرع
والعادة والقانون فيمنعوا اليهود من ذلك كل المنع ويقوموا
بالوقوف على هذا المرسوم السلطاني والعمل به وعدم العدول
عنه ومنع اليهود من التعدي بما يخالف الشرع والقانون والايعودوا
للتطور ولا يخالفوا العادة .»

وثيقة رقم ١٦٠ بتاريخ ٢٠ ذو القعدة ٩٩٣ (١٣ نوفمبر سنة ١٥٨٥)
يمنع اليهود من سكنى منطقة العنور .

« مفخر النواب ومجرى الحق بالصواب . . والحكام وولاية
الأمر يعلمهم أن الرهبان وانتصاري بالطور أتوا إلينا أن العادة
جرت من قديم الزمان وإلى هذا الاوان أن اليهود لا يسكنون
البندر مطلقاً . وإذا طرأت لهم حاجة ضرورية فيتوجهوا بقضوا
ضرورتهم ويعودوا وأولادهم معهم وصار جماعة منهم بكثرة
يسكنون البندر ويستوطنون فيه بعياهم وأولادهم وأن بأيديهم
مرسوم سلطاني وأحكام سابقة لمنهم » .

وثيقة رقم ١٦٥ بتاريخ ٩٩٥ هـ (١٥٨٧/٦) بشأن ضمان وتوكيد حقوق
الرهبان .

« وأن هذا النشان الشريف سلطاني مبني على ما بأيديهم من
العهد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، ثم عهدود
الخلفاء الراشدين والأحكام السابقة السلطانية السابقين ، وحكم من
المرحوم الخلد في الجنان سلطان سليم خان سطر لم على ما بأيديهم
من العهد النبوي الموى اليه ، وأن يكونوا بالأمن والأمان بالجبل
بالطور والطمأنينة وكتب لم أمر شريف سلطان من المرحوم
المغفور له المعامل بالفضل والغفران سلطان سليمان نظير حكم
والده سلطان سليم نور الله مرقدتها ومن جملة مضمونها أن
تستمر العمل بموجب الأحكام الشريفة .. »

٢ - وثيقة رقم ١٩٧ بتاريخ ٢٧ شعبان سنة ١٠٥٣ هـ (١٠ نوفمبر سنة ١٦٤٣) معاهدة بين مشايخ العرب وممثلي الدير بشأن حماية رهبان الدير وعدم التعرض لهم .

بعد الديباجة الأولى الطويلة التي تضم كل مشايخ العربان وممثلي رهبان الدير وبعد التشاور فيما بينهم لدعم العلاقة بين الطرفين وافقوا :
١ وأقرروا جميع العربان الحاضرين المذكور أسمائهم بأنهم رضوا وامترضوا بغير اكراه ولا اجبار أن كل من خان من العرب أو مراده بخون تكما خانوا سابق أو شال نقشومه (١) من صور الدير إن كان غفيراً أو براني أو جبالي صبي الراهب بما أن العرب والغفرا ابعاد (٢) عن الدير يوم ويومين وثلاثة أيام وما ندرى ما الذي يصير في الدير وخوفنا من الخونة والحراب للدير قد أعطينا قول واذن للرهبان الذين قاطنين في الدير كل من حضر عندهم من العرب براني أو غفير الدير بخون يكون دمه حلال للرهبان . وأما الرهبان بما أن دينهم ودمهم لم يشيلوا سلاح ولا يحاربوا ولا يقتلوا ولا يدموا (٣) إلى أن يحضر لنا المرسال (٤) من الراهب : وإن كان حصل دم قتال ما بين العرب وبين الراهب وصبيه قبل حضورنا هذا الدم لم هو على الراهب ولا على صبيه (٥) : بل على العرب جميعهم والذين خاتوا يكونوا مطرودين من جمعنا مردولين (٦) من كل قبائل العرب ولا يقال لهم عرب أبدا حتى ولا قبيلة من العربان يقبلوهم ولا يقيمون

(١) نشة حجر صغيرة .

(٢) على بعد يوم أو يومين أو ثلاثة أيام من الدير .

(٣) ولا يفسوا .

(٤) رسول .

(٥) أي غير مستول عنه .

(٦) مردولين .

لهم شريعة ، وكل من غير هذا الشور(١) والشروط يكون خارج
من دين الاسلام ومخالف لدينه والله تعالى يكون عليه وكنل عهدة
مولانا السلطان سليم ومرسومه الذى هو نافذاً مطاعاً بعون المعين
لا يخلطوا اليهم العربان في دبرهم ولا يقفوا لهم في طريقى »

(١) المشورة .

٣ - وثيقة رقم ٢٠٠ بتاريخ ١٠ جمادى الأولى سنة ١٠٨٣ (٣ سبتمبر سنة ١٦٧٢) معاهده بشأن تنظيم العلاقة بين مشايخ العريان ومثلى الرهبان .

• لما كان بتاريخ نهار السبت المبارك عاشر شهر جمادى الأول سنة ثلاثة وثمانين وألف صارت هذه الثورة الوثيقة في البرقوقية في المنزل العامر منزل الجتاب الكريم العالى شيخ العرب صقر ابن المرحوم شيخ العرب منصور ابن صيام شيخ عربان العابد دام عزه حضرت جماعة العريان الصوالحة وأولاد سعيد والعلقات صارت هذه الثورة برضا وخاطر العريان الكبير والزغير على أن جماعة رهبان دير ضور سينا يفتحوا دبرهم على جارى العادة القديمة ومثل ما مكتوب في الثورات الذين من قبل منهم الذى من على زمان جدود جدودهم حضر أولاد الحاج حميد ابن بدوى وابنه . . بعد ما قرئت عليهم الثورات قرؤا فاتحه على أن جماعة الرهبان يعمرؤا دبرهم على جارى العادة القديمة ولا أحداً يطلب منهم شأى أبداً جملة كافية . وأن جماعة العريان يحفظون دير طور سينا جبل سيدنا موسى ورهبانه انماطين فيه والمترددين اليه من زوار المسلمين والنصارى وما لهم من الكنائس والبساتين والتخيل بالجيل وىوادی فاران وساحل الطور المحروس بأنفسهم ويتم يستعينون به ليلا ونهاراً صباحاً ومساء ويردعون من يتعرض لهم بسوء أو تشويش من العريان المذكورين ورفقتهم من العريان والمترددين اليهم ويمنعون عنهم جميع ما يكرهونه من التكد عليهم وان حضروا زوار مسلمين أو نصارى إلى الدير لا يدخل معهم أحد ، وكل من يخالف ذلك ودخل عليه إلى شيخ العرب حمل ولا يتزلون بالقرب من الدير إلى مسافة يوماً واحداً ولا يدخلون بجيول إلى الدير ولا يدخلون اليه جملة كافية ، ولا يتعرضون للزوار المترددين اليه ولا إلى قفوله (١) الواردة اليه من مصر المحروسة وعليهم حفظ القوافل المذكورة : وكف

(١) قوائله .

أسباب الأذى والضرر عن الدير ورهبانه والقوافل والمترددين إليه من زوار المسلمين والنصارى ويلخون تحت شروط الدير المذكور الجارى بها العادة من قديم الزمان إلى تاريخه ، وأنه متى مد أحدا يده من العربان إلى راهب وأخذ منه شيئاً أو شوش عليه أن كان فى طريق أم فى موضع غيره كان عليه إلى شيخ العرب حمل ، وأن دخل أحدا من العربان إلى كرم من كروم الدير كان عليه إلى شيخ العرب حمل ، وكل من كسر باب أو هدم حائط أو سياج كان عليه إلى شيخ العرب حمل ، وكل من قطع حبل الدوار كان عليه إلى شيخ العرب حمل ، وكل من حرق باب الدير كان عليه إلى شيخ العرب حمل ، وكل من رجم راهباً فى الدوار أما فى مكان غيره كان عليه القيام لشيخ العرب بخمسة دنانير ذهب ، ومن أخذ من الدير ماعونا (١) ولم يرده إليه كان عليه إلى شيخ العرب حمل ، وكل من عارض أحداً من الصبيان ومنعهم من قضا حوائج الدير كان عليه إلى شيخ العربان حمل ، وإذا توجهوا الرهبان إلى حد زيتونهم وكرومهم من العنب وغيره من الفواكى ورافقتهم أحداً من العربان يكون عليه إلى شيخ العرب حمل وأن الرهبان يشيلوا حولهم أن يختارون هم وأرادوه ومن حمل للرهبان حملاً ونقص منه شيئاً كان عليه قيمة ذلك الوبة ديناران مائة ذلك ويكون عليه زله إلى شيخ العرب ، وأنهم يعارضون الرهبان المقيمين بدير انطور ومن عارضهم وأخذ منهم شيئاً قيمته درهم الفرد كان عليه لشيخ العرب حمل ، وكل من عارض دواب أهل الدير والرهبان إذا توجهوا إلى المفرح محملين أم فارغين كان عليه إلى شيخ العرب وكل من دخل بين الصبيان وبين الرهبان فى خلاص حقوقهم يكون عليه لشيخ العرب حمل ، ولا يعارضون صبيانهم المتسبين إذا حضر وأبيعوا على جماعة الرهبان من فاران

(١) وطاه .

وغيره ومن يعارضهم يكون لشيخ العرب حمل والعريان لا يبيعون
 على الرهبان شيئاً من الثعب ولا من غيره بالغصب وكل من أغضهم
 كان عليه إلى شيخ العرب حمل .. وليس إلى أحداً من العريان
 المذكورين وغيرهم على الرهبان شيئاً (١) من الأكل سواء نصف
 القدح والملح المعلوم ولا غير ولا يطلب إلى أبوه ولا إلى ابنة
 ولا لرفيقه ولا إلى أخيه ولا يتمول ما أخذت الثبارة ، ولا يطلب
 إلى ثانی يوم عيشه بل كل من حضر تحت الدوار ياخذ عيشه
 ويروح إلى مكانه ، وكل من خالف ذلك يكون عليه لشيخ
 العرب حمل ولا أحداً يطلب من الراهب قرضه درهم الفرد
 ولا قمع ولا غيره ، وكل من طلب عليه لشيخ العرب حمل ،
 وكل من طلب من الراهب خيراً انكان (إن كان) في الدير
 أما في الطور أو ينام في الدير أما في المطوش الكاين في بندر
 الطور كان عليه إلى شيخ العرب حمل ، والذي يطلب من الراهب
 عرق (خر) يكتبوه ويشهدوا عليه ويرسلوا زلته لشيخ العرب
 لأجل أن أجاويد العرب ما يرضوا أن البدوي يدور من الراهب
 عرق ، ولا أحد يطلب من الراهب فراشاً ولا غطاء ولا يعارضون
 حملة كافية ، وكل من عارضه كان عليه إلى شيخ العرب حمل ،
 وكل من طلب من الراهب طبيخ أو يدام كان عليه إلى شيخ العرب
 حمل ، ومتى قتل أحداً من المسلمين والنصارى أو الرهبان والمترددین
 إليه أعنى إلى الدير كان عليهم إحضار الجاني والقيام بجهة ديوان
 النخيرة الشريفة ألف دينار ذهباً سلطانياً حسبما ألزموا أنفسهم
 بذلك التزاماً شرعياً ، وكل من سب على راهب مسكين كان
 عليه لشيخ العرب حمل وأنه إذا عمل أحداً من العريان زله
 وكان حاضره أحداً وما يرضى يشهد عليه بحضور البدوي الذي
 كان حاضر ويحلف أنه ما نظر شاي (شيئاً) والمغير الذي ما يرضى
 يحلف البدوي إلى برشوة يكون طالع الغفرة مثل ما صار الشرط
 قدام شيخ العرب والعرب الحاضرين .. وإذا استجار أحداً من

(١) شيئاً .

الرهبان بشخص من العربان وحصل له الضرر يكون على البدوى
المستجار اليه خمسة جمال لشيخ العرب : وأنه متى قبض أحداً
من الحكام على أحداً من العربان ممن يحصل منه الجريمة
أو اذا (١) أو ثوريش على الدير المذكور أو على رهبانه المقيمين به
والمترددين اليه من زوار المسلمين والنصارى ، وحبس بسبب
ذلك ومات في الحبس ليس لهم على الرهبان طلب وأن وضع
شيخ العرب يده على حمل أو غيره أو يأخذ منهم شيئا بسبب الجريمة
فلا يلزم الرهبان شيئا من ذلك وإذا حصل منهم أو من غيرهم
جريمة في حق راهب أو غيره من زوار المسلمين والنصارى
واستغاث بأحداً من العربان ولم يغتة ويشور معه ويسعفه
على خلاصه ، أو لم يقبض الجاني ويحضر به إلى الحكام يقوم
بما يلزمه لمن بقى عليه بما فعله معه أو أخذ منهم شيئا أقل أو أكثر من
ماله وصلب حاله ومتى تواطوا (٢) على قتل أحد من الرهبان أو الوسوا (٣)
على قتله ولم يعلم به إلى شيخ العرب والحكام يقوم بما يلزمه كان
عليهم لجهة ديوان الذخيرة الشريفة بألف دينار من الذهب
الموصوف حسبما التزموا أنفسهم بذلك ، ولا يدخلون بولد أمرد
إلى الدير وكل من دخل عليه لشيخ العرب حمل ، وكل من خزن
في الدير أو في المطوش الكاين في بندر الطور خزيرن أما وداعه
كان عليه لشيخ العرب حمل ، وكل من دخل يوم الجمعة ليصل
في الدير وما يطلع بعد الصلاة كان عليه إلى شيخ العرب
حمل ولا عليهم عليق لا لحيل ولا لجمال ولا لركاب ولا لحمير ،
وكل من يطلب ذلك يكون إلى شيخ العرب حمل ، ويوم أن
يحضر القفل (٤) من مصر المحروسة أما من الطور لا يدخل معه أحداً

(١) أنفى .

(٢) تراطوا .

(٣) تأسروا .

(٤) القواطل .

من الجماله الذين جابوا القفل ، وكل من دخل يكون عليه
إلى شيخ العرب حمل ويكون أكلهم خارج من الدير المذكور ،
وأن الراهب الذي في مصر أول ما يكون عنده قافلة طالعة إلى
الدير يعمل مقدم القافلة الذي يريده الراهب وأجاويد العرب
مثل ما شهد سليم الشراري قدام شيخ العرب والعرب الحاضرين
الشوره الذي صارت في زمان شيخ العرب حسن ابن الحاج
على العابدي، وكل من خالف ذلك انكان(١) بدوى ياخذ شيخ
العرب حمله وانكان غفير الدير يكون طائع من الغفره ويحط
شيخ العرب عواضه الذي يريده ، وكل من طلب من الأقلوم
الذي في الدير . أما في المطوش الكاين في الطور قربه . . ه

وثيقة رقم ٢٠٢ بتاريخ ٥ جمادى الأولى سنة ١٠٨٩ (٢٥ يونيو ١٦٧٨)
توضح الأجر الذي كان يتقاضاه البدو (الخفراء) من المدير نظير خدماتهم
أياه .

« .. وحينئذ تبرعوا الرهبان المذكورين لغفرات الكرم (١) الثلاث
أن لهم في كل يوم ثلاث رغفان خبز صلبة ،
ولهم من عيش الراهب باطية طيخ وقت الغدا ولهم أيضاً في
العصر قلدح ونصف دقيق ونصف قلدح عدس وإذا لم يوجد عدس
ياخذوا عوضه قمح أو دقيق أما فول وفنجان زيت وإذا لم يوجد
زيت فيأخذوا عوضه سمن وأيضاً معلومهم في كل سنة ثلاث
وبيات تمر واحدة جامعي واحدة مروى واحد أصفر وثلاث
تين بلح واحد جامعي واحد مروى واحد أصفر وأيضاً تبرعوا
الرهبان المذكورين إلى غفرات الكرم الثلاثة من التمر كل سنة
عوضاً عن الميانة ورقى النخل وغيره ثلاث وبيات تمر جامعي
وثلاث وبيات مروى وثلاث وبيات أصفره

(١) توجد هذه التبتين الثلاث بالعين وبوادي قارا وبساحل الطور .

وثيقة رقم ٢١٠ بتاريخ جمادى الأولى ١١٠٤ (٦ يناير ١٦٩٣) تنظم
المعاملات بين الرهبان والبدو .

« .. والعربان جميعهم اتوا وحضروا في بيت سلام
أبو دعاس من عرب حضره وحفروا ودفنوا وتحالفوا ودخلوا
تحت عمامة وصاروا رجل واحد ، الرجل يسد بالرجل ، والمره
تسد بالمره ، والبعير يسد بالبعير ، على أن كل بدوى الذى
يجى منه نكد على غير الطريقة للدير ورهبانه ، كل العربان
يثوروا عليه ، والذى يتعقب عنه خاين متبرى الله منه . وغفرات
الدير والعربان حضروا إلى مصر المحروسة وطالعوا رهبان
وأخذوهم إلى الدير يقعدوا ديمه في وسط اندير أول يوم آخر
يوم وذلك برضا كل العربان ولا عنهم طعمه ولا أكل ولا شرب
ولا شئ ، غيره حله كافية .. والذى يكون له حق يطلب حقه
بحضرة الأجاويد وينظروا الأجاويد ان كان له حق عند الراهب
يخلصوا له حقه .. »

وثيقة رقم ١٧٠ بتاريخ ٢٠ رجب سنة ١١٢٠ (٥ أكتوبر ١٧٠٨)
من ديوان مصر المحروسة إلى المحافظين والحارسين أغات قلعة الطور ..
بشأن حماية مدنة الجامع الموجود بداخل الدير .

« أصدر هذا البيورلدى (١) الكريم والأمر الفخيم من ديوان
مصر المحروسة إلى قدوة المحافظين والحارسين أغات قلعة الطور
وكتخداية وسائر أعيانه وأنفاره وفقهم الله للصواب نعلمهم
بأن رهبان دير طور سينا أعرضوا لحضرتنا مضمونه من قديم
الزمان ومن زمن حضرت سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى
عنه ورضى عنا من داخل الدير المذكور جامع شريف وأئمة
ومؤذنيه وسائر أرباب شعابره جاريتين وموجودين بموجب
الراءة الشريفة السلطانية وحجة شرعية متصرفين له ولكن فى هذا
الآن بعض جماعة ليس لهم تعلق به بطريق الضرر فضولاً قد
تعرضوا لخدم الجامع المذكور وللرهبان المذكورين ظلماً
وعدواناً وحين أعرضوا أحوالهم لحضرتنا قد فوضنا أمرهم
إلى حضرت مولانا قاضى عسكر أفندى مصر المحروسة ، فبموجب
أعلامه الشريفة من الرهبان المذكورين وهما نعمان وكسارى
أبرزوا من أيديهم بتاريخ سنة تسعماية اثنين وتسعين قطعة فرمان
وغير ذلك مؤرخة بتاريخ سنة تسعماية واحد وتسعين صورت
فرمان آخر وأن مضمونها رهبان جبل طور سينا وكتائبهم
طائفة أهل عرف لأجل جلب المال وأخذهم لم يتعرض لهم أحداً
بخلاف الشرع الشريف ومغاير لأحكام الشريعة فلاجل ذلك
قد حرر هذا البيورلدى من طرفنا وأرسل اليكم فحال وصوله
أمرناكم بإجراء هذا الأمر الشريف ولم أحداً يتعرض لخدم
الجامع المذكور ولا للرهبان المذكورين . وفيما بعد لا تدعوا
أحداً يتعرض لهم بخلاف الشرع ولم تجوزوا لأصدار بيورلدى

(١) مرسوم سلطانى .

ثانياً في شأن ذلك ويسجل هذا البيورلدى في دفاتر القلعة في سجلات ويعطى لم حجة شرعية وينى بأبيهم تمسكاً والحدرد ثم الحدرد من المخالفة والعناد والكف الكريم والحاتم القخم طها في ٢ رجب سنة ١١٢٠ هـ

وثيقة رقم ١٧٩ بتاريخ ١١ جمادى الأولى سنة ١٢٣٢ هـ (٢٩ مارس
سنة ١٨١٦) من ديوان مصر إلى عبد الله أغا محافظ بندر السويس بشأن
حماية الدير ورهبانه .

« من خصوص الرهبان القاطنين بدير جبل الطور الطابعين
لدينا المحميين في ظل السلطنة العلية بالأسن والأمان وهم من قدم
مغربين وصاروا بسحاب الأمن متمكين ، فيلزم لهم الأسن
مع كامل الراحة والامتراحة في محل اقامتهم بجبل سيدنا موسى
عليه السلام وفي ديرهم المختص بكنتم بجبل الطور لا أحد
يعارضهم ويكدر عليهم من عربان الطور .. »

وثيقة رقم ١٧١ بتاريخ سنة ١١٨٦ هـ (١٧٧٣/٢) فرمان من ديوان
مصر بشأن ضمان نقل الغلال إلى الدير

صدر هذا فرمان الشريف من ديوان مصر المحروسة
دامت له المعالي أن حضروا إلى الديوان العالي جماعة من الرهبان
بالجوانية المعروفين بطور سينا وبأيديهم خطوط شريف
سلطانية وسندات منيفه الديوانية من أمرى (أمراء) مصر
المحروسة يعرب مضمونه ويوضح مكنونه أن شيل الغلال المتوجه
إلى الطور بالأجرة من مصر إلى الدير الكينة بالطور بأن شيلهم
على العربان المشهورين بها ووقع ما بينهم عهد قديم وشروط
وتوافق بليغة من قديم الزمان ما بين الفريقين ، وإذا حصل عجز
أو نقصان في الغلة أو خلافة في المشيل بسجن العربان في سجن
الجوانية حكم القوانين السابقة عليه كتخداى العرب والمقدم
وأن كان لم يوجد شيء في السداد يؤخذ عليهم وسبقه (١) إلى حين
ما يعلق في سداده ومنع التعرض والامسا (الامساء) من طرف
العربان إلى الرهبان من جميع اليلدات . فبمقتضى ذلك التمسوا
منا هذا فرمان الشريف الصادر من ديوان مصر المحروسة
فعند وصوله يكون العمل حكم ما سطر وشرح أعلاه وتمثلوا
به امتثالا . والحذر ثم الحذر من المخالفة والكف الكريم والخم
التخيم عليهما الاعتقاد .

وثيقة رقم ١٧٧ بتاريخ جمادى سنة ١٢٢٨ (مايو - يونيو سنة ١٨١٣)
من ديوان مصر إلى مشايخ العربان بشأن تنظيم المعاملات بين الرهبان والبدو .

« صدر المرسوم الشريف المطاع الواجب القبول والتشريف
والاتباع من ديوان مصر المحروسة خطاباً إلى مشايخ عربان
العوارمة وأولاد صعيد والعليقات والجبالية بجبل طور سيناء
بوجه العموم تحيطون علماً أن الرهبان القاطنين بدير طور سيناء
جبل المناجاة لسيدنا موسى عليه التحية أتوا إلينا وبيدهم عهود
شريفة تبوية بالوصايات الكاملة والحمايات الشاملة لم من طرف
الحلفاء الراشدين وسائر الفضلاء والسلاطين يؤكد بعضها بعضاً
أن الرهبان حين يطلعون الجبل ليدعون الله كما هي عادتهم
القديمة أو يخرجون إلى كرومهم ليقلحوهم أن لا أحد يعارضهم
ولا يقارشمهم (١) من العربان والجبالية وأن حضر لهم زوار سوا كانوا
أهل اسلام أو نصارى أن كانوا بالجبل أو تحت الدير فلا أحد
يعارضهم ويقارشهم من العربان المذكورين ، والشرط الثاني
أن كامل الذخيرة الذي يشيلوها من مصر ويقبضوا كراها (٢)
من هذا الطرف لأجل نقلها في الدير فلا يردوها لا بالسويس
ولا بالطريق ولم أحد يعارضهم تحت الدوار وأن فعلوا خلاف
فيكونوا ملزومين بدفع ثمن الشيء وبأجرته . والشرط الثالث
أن لا يلتصقوا (٣) تحت الديرهم ونسأهم وأولادهم ويطلبون ما كلاً (٤)
لثلاثة مرات بالنهار كما اعتادوا بل يكونوا مستوطنين في الدير
بالجوانية بمصر حسب الوقت . والشرط الرابع أن لا أحد من
العربان والجبالية يتقدر أن يرموا بازوده في الدير لجلب راحت

-
- (١) يناوشهم .
(٢) أجزأ .
(٣) يجمعوا .
(٤) ما كلاً .

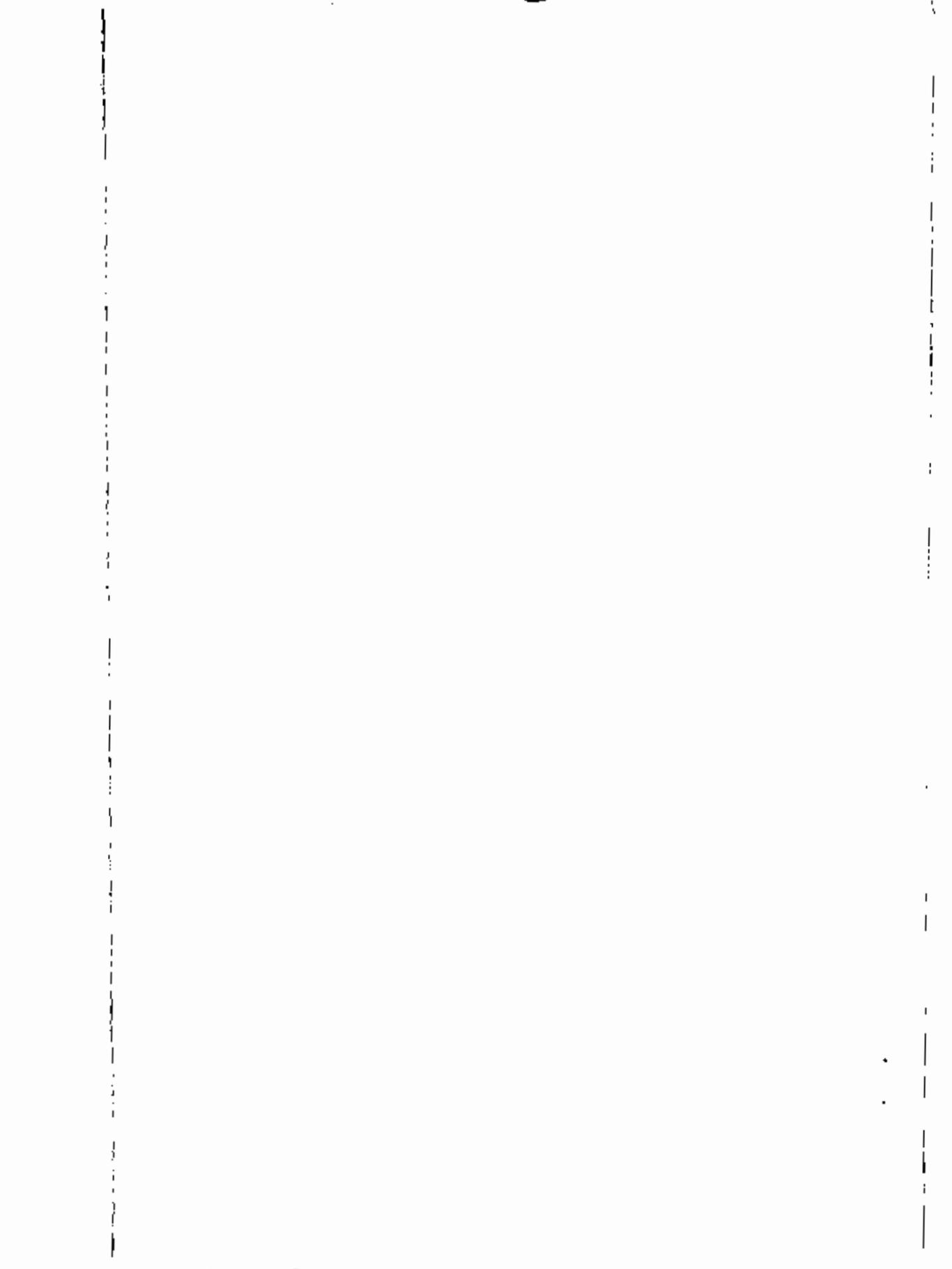
الرهبان الموجودين به . والشرط الخامس أن لا أحد منهم يحصل منه أذى أو أمي على الكروم الذي من داخل وخارج ولا يغيروهم ولا يأكلون أثمارهم . والشرط السادس أن لا يطلبوا من الرهبان شي فوق قدرتهم غصباً أن كانوا فوق بالدير أو بمصر فقط على قدر قوت الرهبان ، والشرط السابع أن لا أحد يجب أحد غريب للدير يأكل ويشرب دائماً غصبا ولا لهم مقارشة في تدبير الدير ولا لهم طلب أن ينزلوا راهباً ويطلعوا غيرهم بشورهم حكم الشروط والعهود والأوامر السلطانية ، فعندما يصير معلومكم جميعاً تحفظوا وتعملوا بمقتضاها وكل من خالف هذه الشروط ويحصل منه عدم امتثال في شي منها فلا يكون له جواب لكل ثوب بما يستحق بالضرر والعقاب فعليكم بذلك الامتثال والسمع والطاعة ولا تخالفوه ويكون العمل مضمون هذا المرسوم ومقتضاه أعلموه واعتمدوه غايت الاعتقاد . »

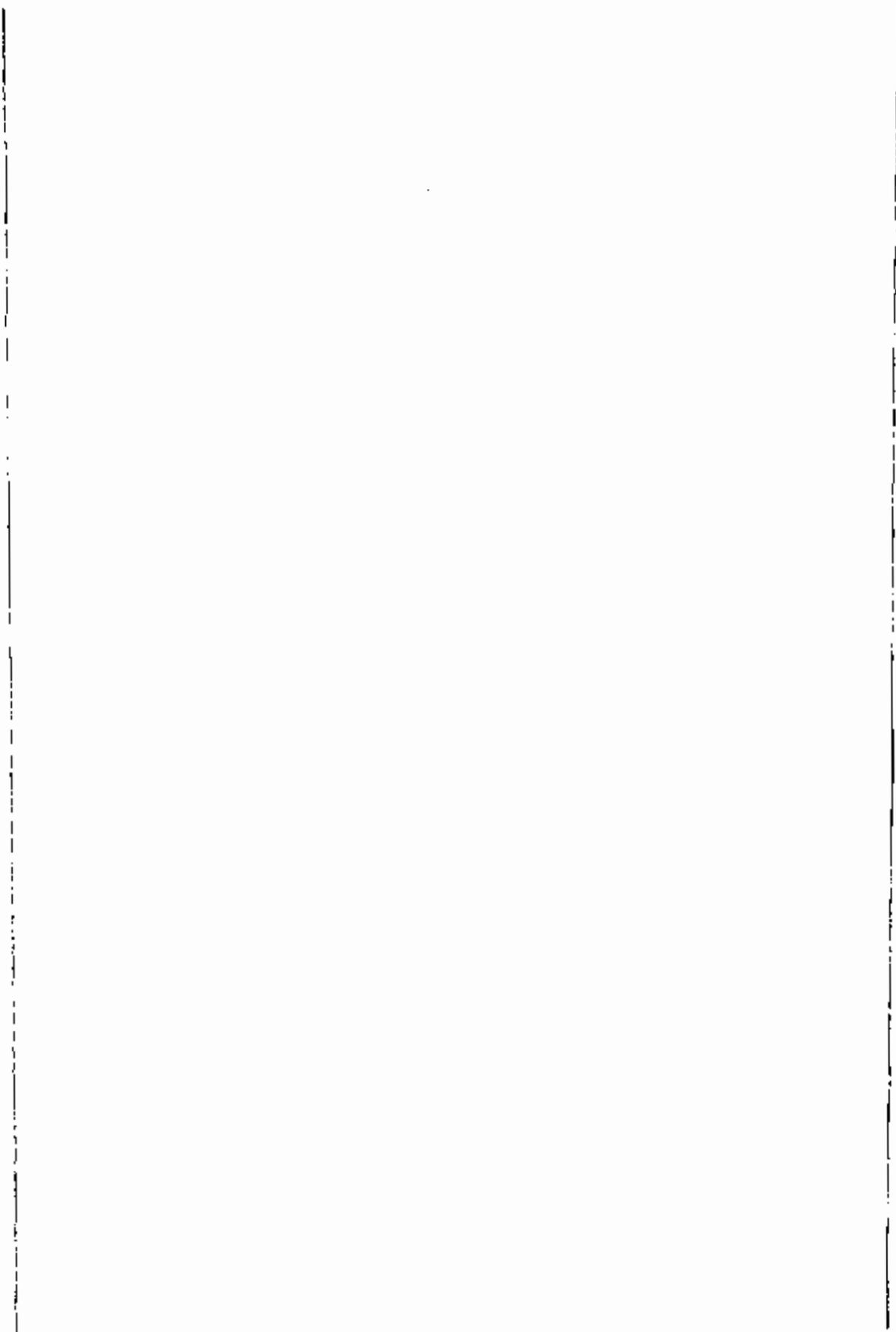
وثيقة رقم ٢٢٢ بدون تاريخ توضح الخدمات التي يقوم بها الدير .

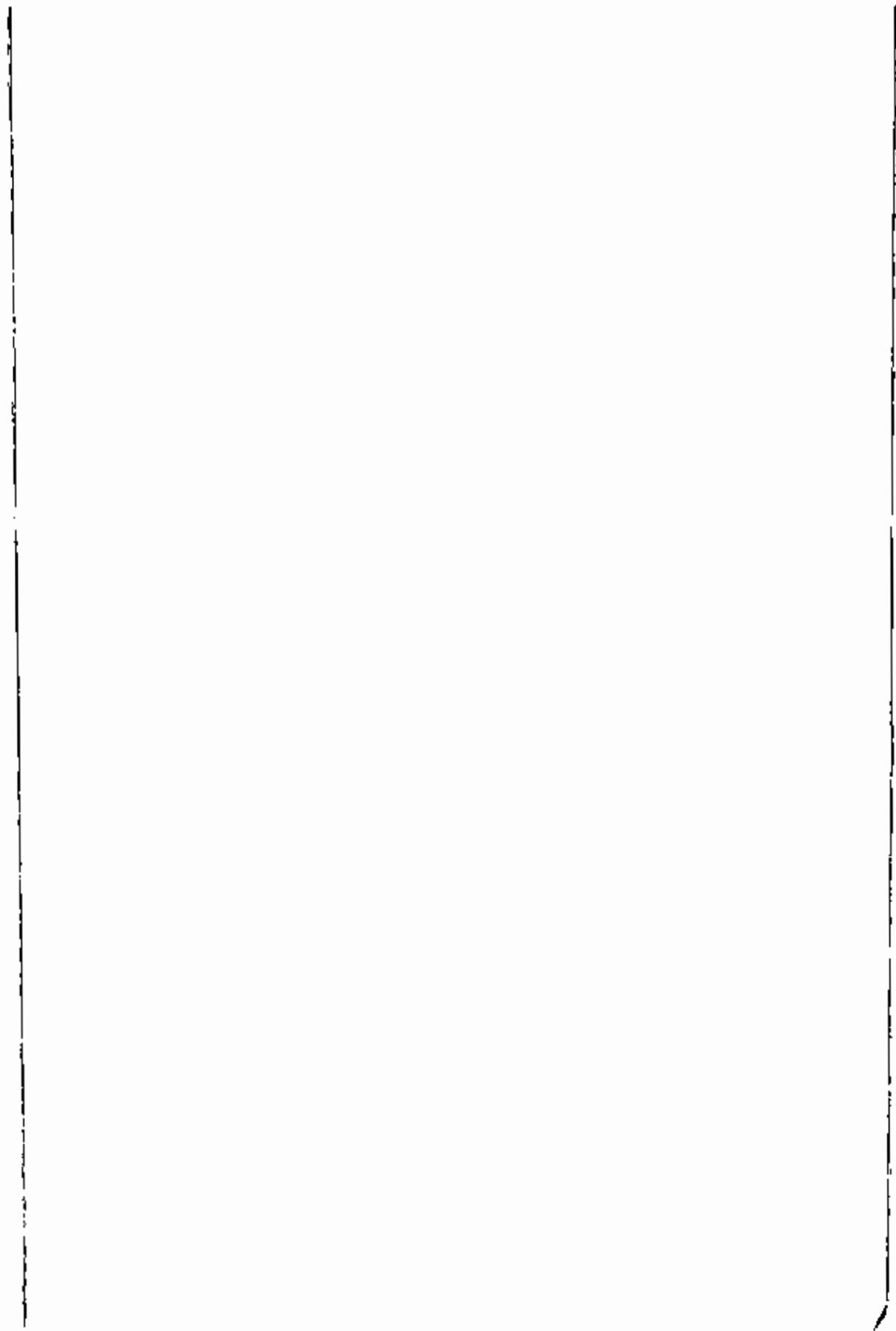
هـ .. ليشهد كلا من الحاضرين ومن يكتب عنه بإذنه وبحضوره من القاطنين بجبل المناجاة بيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وعلى ساير الأنبياء والمرسلين والواردين من الأقطار الحجازية وسائر الزوار من المسلمين لا يشلون فيها ولا يرتابون بانهم غزيرين يدي الله موقوفون وعن شهادتهم يسألون بأن هذا الدير في طريق منقطعة وحيات ناس كثير من المسلمين عليه ويطعم الفقراء والمساكين ويكسى العراة والملهوفين من حرب الحجاز وغيرهم وهو نفع كثير للمسلمين ويساعد كل ملهوف ويضيف الغرباء والمترددين والمقطعين من حرب الحجاز ويظمن كل حزين وخائف وجيعان وعريان وهو رد لجميع المسلمين وأن متا(١) ما خرب هذا الدير أضر بحال الناس كلهم فحرب العربان ونهج الصبيان وترحل النصرارة وأهل البلد وأصحاب الادراك ويضرب ذلك ضرر وخراب هذا الدير خليت البلد ويصير بذلك خوف عاصف من العربان العصاه على البندر وينقطع الطريق على المراكب وغيره ولا يعود عداله ولا أمان في البلاد كلها لكون الفقراء والمساكين والمترددين والزوار إذا راحوا الرهبان وخرب الدير أيس أحد يقم لكون أن المكان في أرض منقطعة وما لم عيشه الا من الدير وغصب عليهم بنشنتون في كل مكان من قلة الموجود وبالدير فقراً ومساكين من المسلمين وأن للدير المذكور أوقاف في الولاية السلطانية أدام الله ملك ماله وثبت قواعدها إلى يوم الدين يارب العالمين والوقوفات المذكورة في الشام المحروسة وما يليها في ولاية أفريديية وفي ولاية رودس وفي ولاية قبرص وجميع للولايات السلطانية ، وأنهم من قديم الزمان بوثائق شرعية على

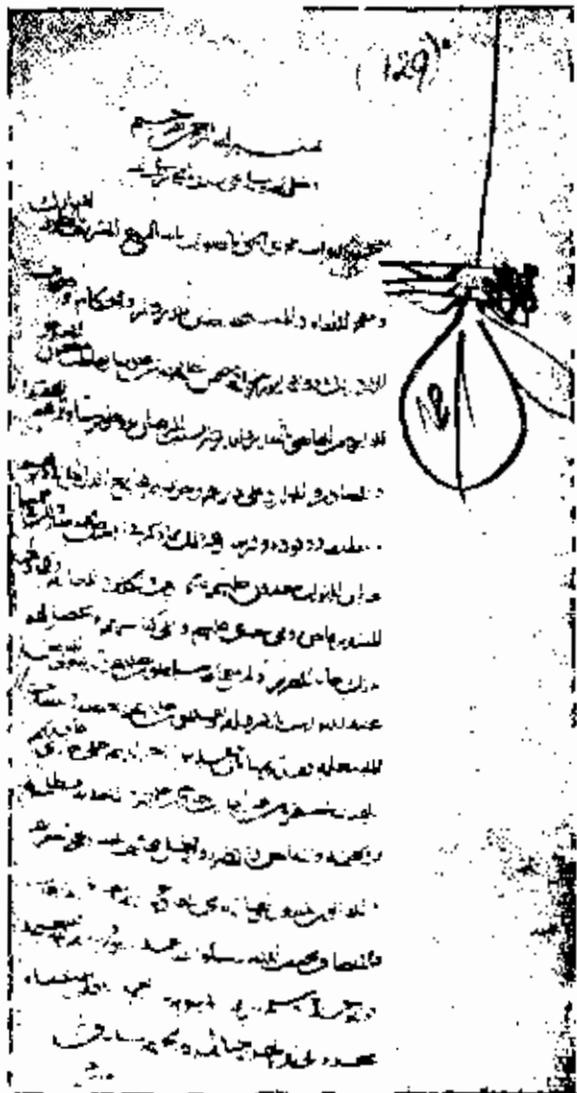
(١) من .

الدير المذكور وجميع ما يتحصل من الأوقاف في يد الرهبان
الناظرين على الأوقاف المذكورة كما شرح أعلاه ويصرفه
على خدمة الدير وعلى فقرا المسلمين والزوار والناظرين في
المسلمين والقطاين والصادرين والواردين من المسلمين وغيرهم
من الصدقات العالية أعلاها الله تعالى برور للأمر الكريم العالي
أعلاه الله تعالى بعدم من يتعرض لأوقاف الدير المذكور دير
طور سينا على جرى عرايدهم السابقة بحيث أن يحصل بهى
(بها) النفع لفقرا المسلمين وما تعملوا من خير تجوده عند الله تعالى
أن الله سميع مجيب .»

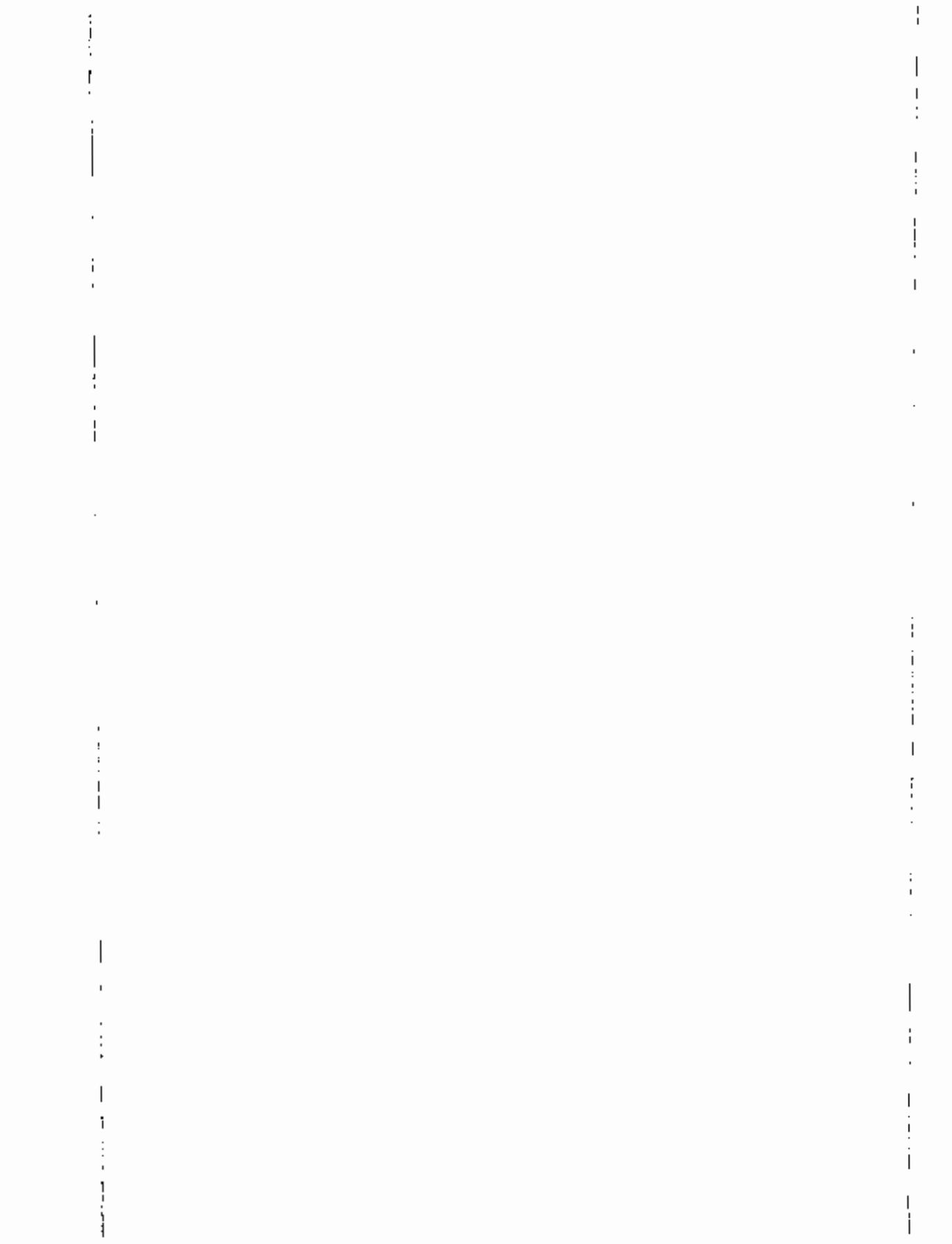






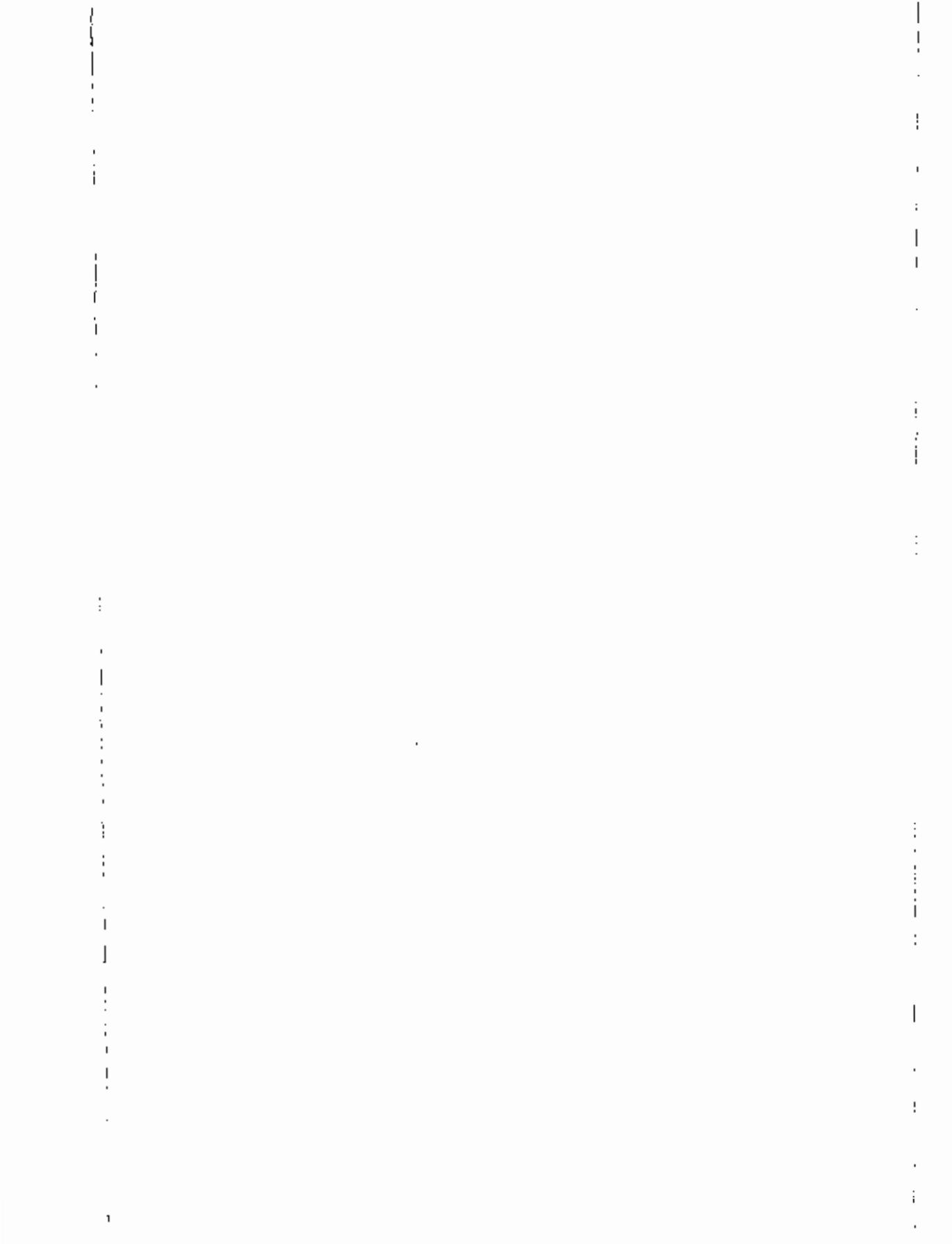


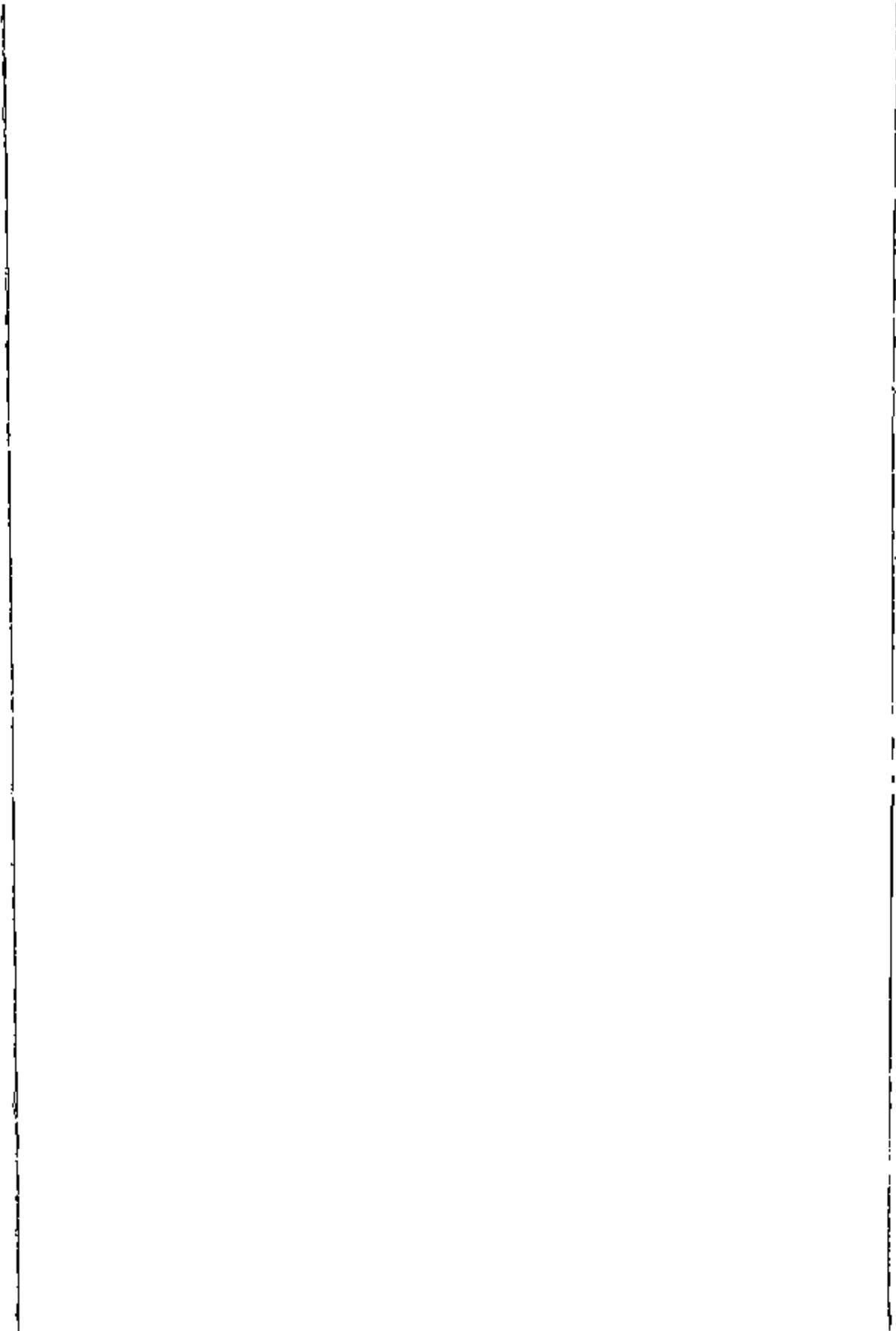
وثيقة رقم ١٢٩ مرسوم سلطان أبي تادكم شرطي للطور يمنح سكنى الأهالي
 بادساكن التابعة بدمر إلا بموانعه لرهبان بتاريخ ١٠ رمضان سنة ٨٩٤ (٢٥)
 مارس سنة ١٥٣٤ م

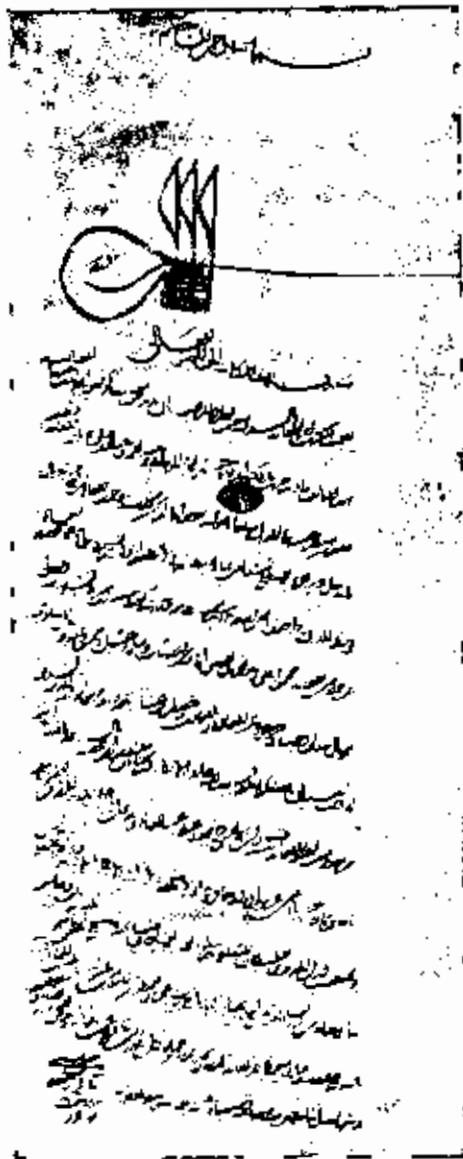


صدر هذا المظالم الشريف من بيان نص الترخيص الخاص بالعلامة
 ان حضور والى الديوان العالي جماعة من الرهبان الجاهل بالحوار المعروفين بطغرتنا ويايهم
 خطرت شريفة طابته وسند ان منبته الدينية من اهل الجوارح والهمم بعين صفة ورتبة
 مكنة في شغل العمل التوجيه الى الصواب بل ايج من صواب الالهي الكريمة الطوبى من تسليم
 على العباد للتورين بهم ووقع ما يهيم به و قد ريدت و قد ريدت في الشئيل
 ما يقع التورين و اذا حصل عجز او تقصير في العلاء او خلقه في الشئيل
 في سبب العجزة حكمه التورين السابقة عليه كتحليل العباد والمندرجين له
 من طرف العباد الى الرهبان من جميع البدنات فتمتضي ذلك القسم انما هذا
 الدين الصادق من بيان من العود فقد و هو له بين العباد كما طرقت
 اعله و تمسوا به اشارة و الهدى في الهدى الى انما الله
 ٢١٩٢

وثيقة رقم ١٧١ قرمان من ديوان مصر بشأن تنظيم نقل التلال الى الدير بتاريخ ١١٨٦ هـ (١٧٧٣ م)

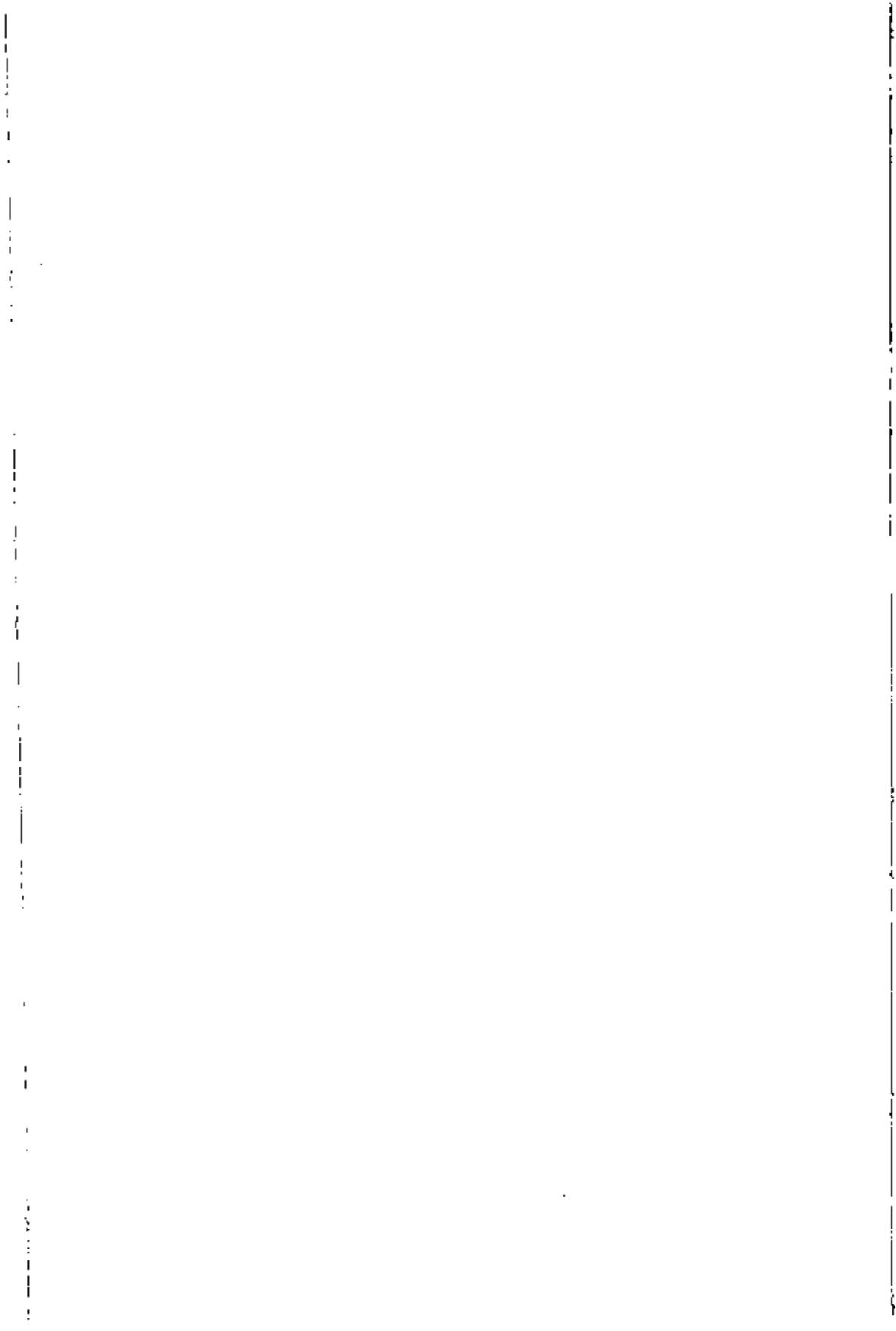






وثيقة رقم ٢٠٣ معاهدة بين مشايخ العرب وفضل لرهبان بشأن تجسير اليهود القديمة الموقعة بينهم بشريخ ٨ شوال سنة ١٠٩٠ (١٢ نوفمبر سنة ١٦٧٩)

1911



الاكتساح والنحت

بواسطة الرياح

للمكتوم جوده حسين جوده

١ - تطور البحث في تأثير الرياح على سطح الأرض وفي الصحارى :

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أشار De Luc (١٧٧٦) إلى أهمية الرياح في حمل الغبار ؛ وعالج هذه الظاهرة أيضاً Elie de Beaumont (١٨٤٥) ، واعتبر الرياح من أهم عوامل النقل . وقد أشار كل من Virlet d'aous (١٨٥٨) و Bravard (١٨٥٧) لأول مرة إلى أهمية تراكم الغبار في تشكيل سطح الأرض . وقد استطاع Blake (١٨٥٥) أن يكتشف أهمية الرياح كعامل نحت ، ومن بعده استمر Gilbert (١٨٧٤) في دراسة تلك الظاهرة . وكان O. Fraas (١٨٦٧) أول من شاهد عملية نشق الصحور بفعل الذبذبة والتفاوت في درجات الحرارة ؛ كما أشار إلى تكوين القشور الصلبة . .

وفيما يختص بالصحارى عموماً فقد وصف E. Desor (١٨٦٤) الصحراء الكبرى ، واستطاع أن يميز بين الصحارى الهضبية أو صحارى الحمادا Hamada ، و صحارى التعرية (البخا ، الجوف الحفرا ، الداجا ، الشط) والصحارى الرملية (الأرج Erg أو Areg) كآتماط من طبيعة الأرض الصحراوية . وقد تمسك هذا الباحث بنظرية الرحالة القدماء (هيرودوت و اراتومستينس وديودور ، وسكيلاكس وبطليموس) التي كانت تعتبر الصحارى قيعاناً لبحر قديمة . أما Pomel (١٨٧٢) فقد عارض تلك النظرية التي عارضها من بعده Pélagaud (١٨٨٠) ، ولكن O. Lenz (١٨٨١) عارضها ثم استطاع K. V. Zittel (١٨٨٣) أن ينتقها من أساسها بأبحاثه الجيولوجية والباليوغرافية في الصحراء الليبية . وقرر أن مظاهر التضاريس الصحراوية إنما تدين بوجودها

وتكوينها إلى تصافر تأثير الجو والمياه العذبة لا إلى تأثير الأمواج . ولكنه حدد تأثير الرياح بقوله أنه يرى تأثير الرياح الحقيقي في تكوين الكشبان وتوزيع وتنظيم الرمال ؛ أما الحفافات الشديدة الانحدار والأراضي الصخرية والأودية الجافة التي رأها في الصحراء فهي في رأيه أدلة قاطعة على النحت بواسطة المياه .

وقد درس V. Richthofen (١٨٨٧) تأثير الرياح دراسة مستنيضة في كتابه عن الصين ؛ وتلورت أبحاثه وأثمرت في نظريته عن تكوينات اللبس Loess

وقد تقدمت الأبحاث في جيومورفوجية الصحارى وتأثير الرياح بعد ذلك بفضل مجهودات وأبحاث E. Kaiser و Passarge و Johannes Walther

٢ - مجالات تأثير الرياح :

الرياح ظاهرة عالمية تنتشر في كل أرجاء الأرض ، لكنها لا تأتي كعامل مشكل لسطح الأرض إلا حيث تسود المحولة والجفاف ، فهنا يصبح لتأثير الرياح أهمية جيومورفوجية كبيرة . فالغطاء النباتي يكسر حدة احتكاك الرياح ويحمي التربة - إن لم يكن كلية فالحد كبير - من تأثير الرياح (أنظر R. Geiger ١٩٤٢ ص ١٠٠ وما بعدها) . وعلى العكس من ذلك نجد أن عمليات الحفر وقلب التربة وحرمان الأرض من نباتها وتدخل الانسان والحيوان في تدمير النبات ، كل ذلك يلائم عمليات التعرية الهوائية .

وعلى هذا نجد مناطق معينة تتميز بتأثير واضح للرياح هي (O. Maull ١٩٥٨ ص ٤٠٤) :

- ١ - المناطق الفقيرة في نباتها والحالية من النبات حيث يسود الجفاف ، أي مناطق الصحارى والامتيس وغيرها من الأراضي شبه الجافة .
- ٢ - سواحل البحار وبعض البحيرات .

- ٣ - الأراضي الحصوية النهرية والشطوط الرملية للأهوار التي تخلو من النبات ، ويدخل ضمن هذه بعض الأراضي الفيضية .
- ٤ - المدرجات الجبلية المنحدرة في النبات أو الخالية منه .
- ٥ - الأراضي البركانية الحديثة .
- ٦ - الأراضي الجليدية .
- ٧ - الطرق والأراضي الزراعية التي تخلو فترة من النبات (الشرافي)

وعلى العكس من ذلك لا تمارس الرياح أى تأثير واضح في الأراضي التي يغطيها غطاء نباتي كثيف وفي الأراضي الزراعية (علما ما ذكر منها تحت رقم ٧) . وأيضاً نجد أنه في المناطق تحت رقم ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ تتدخل عوامل أخرى يتدرج معها تكوين أشكال مورفولوجية من تأثير الرياح .

٣ - قوة الرياح :

من الممكن تعيين قوة الريح - كقوة الماء - بالقاعدة الآتية :

$\frac{U^2}{2}$ باعتبار حرف « ك » دالاً على كثافة الهواء المتحرك وحرف « س » دالاً على سرعة الريح . وسرعة الرياح في معظم الأحيان أكبر بكثير من سرعة المياه .

وتبلغ سرعة الرياح في الجبال الشاهقة وعلى السواحل بين ٧ - ١٠ متر في الثانية كمتوسط سنوي . ففي فالينشيا Valentia (جنوب ايرلندا) تبلغ سرعة الرياح ٧.٤ متر في الثانية كمتوسط سنوي ، وفي مرتفعات سينتس Saentis (جبال الألب - ارتفاعها ٢٤٤٠ متر) ٧.٧ متر وفي سون بليك Sonoblick (ارتفاعها ٣١٠٠ متر بجبال الألب) تبلغ سرعة الريح ٧.٥ متر كمتوسط سنوي . أما في بايكس بيك Pikes Peak (مرتفعات الروكي) فيصل المعدل السنوي لسرعة الرياح إلى ٩.٢ متر في الثانية . وتزداد سرعة الرياح على التضم المنعزلة التي يحيط بها فضاء واسع

حتى ولو كانت قليلة الارتفاع ؛ ففي مونت واشنطن Mount Washington في شمال مرتفعات الأبلاتش يبلغ المعدل السنوي لسرعة الرياح ١٥ متر في الثانية على الرغم من أن ارتفاعه لا يزيد عن ١٩٥٠ متراً . ويمكن القول عموماً أن سرعة الرياح تشتد في الأراضي الداخلية كلما ارتفعنا ؛ ففي أراضي منطقة ناوين Nauen غربى برلين تبلغ سرعة الرياح على ارتفاع ٢ متر ٣,٢٩ م/ثانية ؛ وعلى ارتفاع ١٦ م تبلغ سرعة الريح ٤,٨٦ م/ثانية ؛ وعلى ارتفاع ١٦ م تبلغ سرعة الريح ٤,٨٦ م/ثانية ، وعلى ارتفاع ٣٢ م يبلغ المعدل السنوي لسرعة الرياح ٥,٥٤ م/ثانية .

وبشدة تأثير الرياح على الخصوص عندما تبلغ سرعة الرياح نهايتها العظمى . ففي مرتفعات Saentis وصل المتوسط اليومي لسرعة الرياح ٣٢,٣ متراً في الثانية ، بل قد بلغت السرعة ٤٦,١ متراً/ثانية ، ويحدث ذلك على الخصوص في بعض أيام وسط الشتاء . وفي مدينة « زيبودريخ » تصل النهاية العظمى لسرعة الرياح أحياناً إلى ٢٤ م/ثانية .

وعلى الرغم من أن سرعة الهواء المتحرك تفوق سرعة المياه الجارية بكثير ، إلا أن الهواء أقل كثافة من المياه ودونها في كتلتها (ك) المتحركة ، وبالتالي فإن قوة الهواء المتحرك أضعف من قوة المياه الجارية . ولا يعتمد تأثير الرياح على كتلة الهواء وإنما على سرعته في مكان التأثير . وعموماً لا تتحرك الرياح في مسار ضيق محدود كما هي حال مياه نهر ، ولكنها تهب على مساحة كبيرة فتصقلها . وتلائم نفسها بالبيئة الجديدة التي قد تتميز باختلاف في طبيعتها ، وتباين في ارتفاعها . وتتسوق الرياح على الجنيد المتحرك والمياه الجارية في قدرتها على مقاومة الجاذبية الأرضية ؛ فهي تتحرك صعوداً إلى قمم المرتفعات وتهبط إلى أسافلها ؛ وهي في مسارها لا تنقيد بانحدار معين ولهذا لا يمكن تلبية الطبيعة التي تشكلها الرياح أن تظهر في صورة بيئة الأودية ، ولكنها تتطور إلى مظهر البيئة الجوضية ، وعندما يمر التيار الهوائي بعوائق فإنه يحتجز أمامها ، فيزداد عنفاً ، بينما يتوزع في ظهرها فتضعف قوته . ومع هذا فإن قوة الرياح الماطبة تشتد فيها وراء العقبة

خاصة إذا كان الانحدار شديداً ، ويزداد تأثيرها كلما كبرت زاوية الانحدار .

ويصبح دوام تأثير الرياح دون تأثير المياه الجارية في الجهات التي تهب عليها الرياح بانتظام . فتأثير الرياح يتغير بالتباين في قوتها وفي اتجاهاتها وفي تكرر هبوبها . ويزداد تأثيرها عندما تهب على دفعات وفي شكل هبات مختلفة السرعة ، وكثيراً ما تتدخل مظاهر التضاريس في إعاقتها أو في تغيير اتجاهاتها ، وكثيراً ما يحدث الخطأ في تمييز الجانب المقابل للرياح من الجانب المظاهر لها . وإلى جانب التيارات الهوائية السطحية السائدة ، هناك التيارات الصاعدة أو الدوامات التي تمتاز بقدرة كبيرة على الامتصاص صعوداً .

ولا تسبب الرياح قوتها في الهبوب فحسب ، وإنما تقوم أيضاً بالنقل هبوطاً وصعوداً (E. E. Free ١٩١١) . وذرات المواد التي تحملها الرياح هي التي تصنع « اغبرار الجنو » ، « والجر المغبر » كالماء العكبر من تأثير ذرات المواد الدقيقة العالقة بها .

وتتوقف مقدرة الرياح على النقل على سرعتها ، وذلك حينما تظل كتلة الهواء المتحرك ثابتة . وقد أجريت عدة تجارب لتعيين مقدرة الرياح على النقل مع اختلاف السرعة وباستخدام رمال من الكوارتز وكانت النتائج كالآتي (J. Thoulet ١٩١١ ، وأنظر أيضاً Sokolo ١٨٩٤ و Bagnold ١٩٤١) :

سرعة الرياح متر/ ثانية	قطر الحبيبات بالمليمتر	
٠.٢٥	٠.٠٣	رمل بالغ النعقة
٠.٥	٠.٠٤	
١.٥	٠.١٢	رمل دقيق جداً
٣.٠	٠.٢٥	رمل دقيق
٤.٠	٠.٣٢	
٧.٤	٠.٦	رمل متوسط
١١.٤	١.٠٤	رمل خشن

وتتحكم أيضاً في كمية ما تستطيع الرياح نقله عوامل أخرى تختص بالحبيبات نفسها كشكل الحبيبة وموضعها ، إذ تزداد مقدرة الرياح على تحريك الحبيبات والذرات التي تتميز بشكل غير منتظم .

وتستطيع عواصف الغبار وزوابع الرمال أن تنقل ما يحمله الهواء من مواد دقيقة عبر مسافات شاسعة قد تصل أحياناً إلى عدة آلاف من الكيلو مترات L. Wittschell ١٩٣٠ ، Rodewald ١٩٣١ . هذه العواصف والزوابع تهب من الصحراء الكبرى ، إذ تثيرها انخفاضات جوية تتحرك على طون حواف الأقاليم الجافة ، وتلك هي العواصف التي أطلق عليها « تيسلتر Zistler (١٩٢٦) » اسم السيروكو Scirocco . ومثال تلك العواصف ماهب منها في يوم ٩ - ١٢ مارس سنة ١٩٠١ فقد استطاعت تلك العواصف أن تنقل غبار الصحراء الكبرى الأفريقية إلى شمال القسم الأوسط من أوروبا . وقد قدر وزن ما سقط منها من غبار في شمال أفريقيا بـ ١٥٠ مليون طن متري . وفي إيطاليا ١.٣١٤ مليون طن ، وفي انجسا والمجر ٣٧٥ ألف طن ، وفي شمال ألمانيا - ٩٣ ألف طن (أنظر Hellmann و Meinardus ١٩٠١) . وفي شهر فبراير سنة ١٩٠٣ هبت عاصفة ترابية أعنف ، أمطقت على أراضي غرب ووسط أوروبا غباراً قدر وزنه بعشرة ملايين من الأطنان (Herrmann ١٩٠٣) ولا تتميز الصحراء الكبرى وحدها بظاهرة العواصف الترابية ، فهناك جهات كثيرة من أنحاء العالم تعرف زوابع الغبار وتعالق منها كسب الجزيرة العربية والعراق وإيران والقسم الداخلي من قارة آسيا حيث تنشأ فيه الزوابع التي تهب على الصين (أنظر Guppy ١٨٨١ و Harrington ١٨٨٦ و Richtshofen ١٨٧٧) ؛ وعدا هذه المناطق هناك أيضاً شمال غرب الهند (Baddeley ١٨٩٩) وأستراليا (Noble ١٩٠٤) . ولا يقتصر حدوث تلك العواصف في المناطق الصحراوية فحسب ، بل تصادفها أيضاً في الجهات شبه الصحراوية ، في أراضي الاستبس كما في جنوب أفريقيا والسودان (تهب نحو خليج غينيا) ، وأراضي الاستبس الروسية ، وفي براري أمريكا الشبانية ، وتتولد هنا على الخصوص في أراضي الغرب الجافة .

ويكرر سقوط الغبار الآتي من الصحراء الكبرى في أراضي وسط أوروبا كثيراً ، وهو - عدا المثاليين السابقين الواضح التأثير - يظهر هناك في شكل ثلج ملون ، إذ يختلط بالثلوج المتساقطة فيخلع عليها لونه . ففي سنة ١٩٠٦ (٢٢ - ٢٣ مارس) تساقط ثلج مصفر اللون على مرتفعات الألب الشرقية في جنوب النمسا وشمال إيطاليا (الألب الكارنية Carnic Alps) وفي سنة ١٩١٦ (٩ مارس) تساقطت ثلوج حمراء اللون على منطقة شتاير مارك Steiermark قرب جراتس Gratz بالنمسا . وفي سنة ١٩٣٦ (٢٨ فبراير) تلبت سماء المنطقة السالفة الذكر بسحاب أصفر اللون ما لبث أن تساقطت منه ثلوج غزيرة صفراء اللون . وبعد مرور بضعة أيام من ذلك التاريخ أهب مطر أصفر اللون على معظم الأراضي السويسرية . وقد تكررت حدوث هذه الظاهرة ست مرات في مدى عام واحد (حتى ٢٤ مارس سنة ١٩٣٧) وشملت معظم مرتفعات الألب .

وعدا الغبار الذي يتكون من ذرات دقيقة ، تستطيع الرياح أيضاً أن تحرك مفتتات صخرية وحصى يصل في حجمه إلى حجم بيض الدجاج . فالرياح إذن تمتاز بقدرتها على النقل من موضع والارساب في موضع آخر .

٤ - الاكتساح والنحت بواسطة الرياح :

تعتبر عملية التعرية بواسطة الرياح عملية مزدوجة تساهم فيها ظاهرتان يصعب تحديدهما أقوى تأثيراً . فعملية الاكتساح Deflation = Ausblasung بواسطة الرياح تؤدي إلى حمل ودفع وإزالة المواد الصخرية الخشة من غبار ورمال وحصى ذي حجم معين . أما عملية النحت Corrosion فتتم بواسطة انتمضاض الرياح المحملة بالمفتتات الصخرية التي تتحول إلى عواصف رملية تنمى على مسح الصخور وبربها وصلفها ، كما تستطيع نحر الصخور وحفره وتكوين كهوف وثقوب وخطوط غائرة . هاتان الظاهرتان - الاكتساح والنحت - تدأبان في العمل وتتناوبان التأثير في الصخر ، وهما يتم تأثير الرياح كعامل تعرية . فحينما ترقى عملية الاكتساح - بما ترفعه وتحمله من حطام صخري - إلى مرتبة النحت ، تبدأ عملية النحت في تفكيك صخري

وتنشئته وإعداده للاكتساح ، ثم يبدأ النحت من جديد . ولهذا فإن طبيعة الصخر عامل من العوامل الهامة التي تتوقف عليها قدرة تأثير كل من الاكتساح والنحت . وهناك خلاف بين الجيولوجيين والجيومورفولوجيين في تقييم قدرة كل من الاكتساح والنحت على تشكيل سطح الصحارى . فبرى كل من والتر J. Walther (١٨٩١ و ١٩٠١ و ١٩٢٤) الذى درس التعرية الهوائية فى صحراء حلوان ، وشفينفرت Schweinfurth (١٨٩٦) وكابزر E. Kaiser (١٩٢٣ و ١٩٢٦ و ١٩٢٧) الذى قام بأبحاثه فى صحراء ناميب Namib (أنظر الخريطة فى نهاية البحث) أن عملية الاكتساح أهم وأبعد أثراً واليا يرجع الفضل فى تكوين الأشكال الكبيرة فى الصحراء . بينما يعمل النحت على تكوين الأشكال الصغيرة فقط . ويعتقد هذا الفريق من الباحثين أن النحت بواسطة الرياح يقتصر تأثيره على الأراضى البانعة الجفاف والمحولة ، بينما يشمل تأثير الاكتساح مجالات أوسع رقعة وامتداداً .

وقد عارض بسارجى Passarge (١٩٠٩ و ١٩٢٤ و ١٩٢٦ و ١٩٣٣) هذا الرأى وقال إن صحراء ناميب نظراً لغناها بالرمال لا تصلح أساساً لمثل هذا التفسير ؛ وبناء على أبحاثه الجيومورفولوجية فى الصحارى المصرية ، استطاع أن يميز من خلال دراسته لمختلف العمليات التى تتم بناء على التباين فى طبيعة الأرض ، بين الدور الذى تقوم به عملية الاكتساح والدور الذى تقوم به عملية النحت . ففي الصحراء الشرقية التى تخلو من الرمال ، وتتميز بأرض مختلط فيها الغبار بالأملاح ، يوجد فيها الحطام الصخرى أسفل غشاء أو قشرة ملحية رقيقة لا يتعدى سمكها مليمترأ واحداً ؛ وهى من الرقة بحيث يستطيع الاصبع اختراقها بسهولة ؛ وتوجد تحت تلك القشرة مواد دقيقة الحبيبات ترابية هشة من الممل تحريكها ، ومختلط بها بعض الحبيبات الخشنة . وعلى الرغم من وجود تلك المواد الهشة فإن الرياح لا تقوى على اكتساحها ، ويرجع ذلك لانعدام وجود رمال ، وبسبب وجود القشرة الملحية الرقيقة التى تحمى تلك المواد الدقيقة من تأثير الرياح . وينضح تأثير

هذين العاملين حتى عندما تهب العواصف الشديدة ، إذ أن الجو يبقى نظيفاً خالياً من الغبار . هذه القشرة الملحية تماثل في تأثير الجوى ما يسمى بالغشاء الرافى الذى وصفه Mortensen (1929 و 1950) في صحراء شيل (أنظر أيضاً Blanck 1931) كما شاهده ووصفه Brandt (1932) و Passarge (أنظر المراجع السابقة له) في صحارى مصر ؛ هذا الغشاء يمثل قشرة متصلة لا يزيد سمكها عن بضعة مليمترات قليلة ، ويتركب من الغبار المش غير المتناسك الذى يوجد أسفله . ويبدو أن هذا الغشاء قد تكون نتيجة لتعرض الأتربة لرتوبة عرضية أعقبها تبخير سريع فتماسكت وتلاصحت وتصلبت . وشبهه بهذه القشرة الرقيقة الكلسية التى تتكون عادة في أراضي الامنيس ، والتى تغطى الأرض الجافة التى تحتوى على نسبة من أملاح الكلسيوم . ومثله أيضاً ما يحدث في أراضي العروض المعتدلة إذ تجف التربة السطحية في شكل قشرة صلبة . ولا يقتصر وجود تلك الظاهرة في صحارى مصر وصحراء أتاكاما Atacama فحسب ، بل توجد أيضاً في الصحراء الجزائرية ، وفي الجهات الغربية الجافة من أمريكا الشمالية حيث استطاع راسيل J. C. Russell (1889) أن يتعرف عليها في حوض نهر «سنيك» Snake . وفي صحراء مصر الغربية حيث يتوفر وجود الرمال مع وجود الأراضي التى يختلط فيها الغبار بالأملاح . تستطيع الرياح أن تقوم بوظيفة في الاكساح والنحت ، إذ تتوافر لديها معاول الهدم وهى الرمال . فالرياح هنا تستطيع بما تحمله من رمال أن تمزق الغشاء الملحي المتصلب ، وتنفذ إلى ما تحته من غبار فتلديه ، وسرعان ما يغير الجو حتى ولو كانت الريح ضعيفة ، وتهب على الصخور فتصقلها وتبريها وتخلع أشكالاً جديدة وفي منطقة بحيرة قارون باتليم الفيوم نجد أمثلة حية واضحة لتنعرية الهوائية سواء حيث توجد الرمال أو حيث ينعدم وجودها . ففى نطاق يتكون من « مارل » رملى (يحتوى على كربونات كلسيوم) ينتمى للعصر الكريتاسى يمتد على طول شاطئ البحيرة الشمالى مسافة تصل إلى حوالى عشرين كيلومتراً بعرض يتراوح بين 5 - 8 كم ، استطاعت الرياح أن تنحت وتكسح

من الأرض ما بلغ سمكه بين ٨ - ١٠ م منذ العصر البطلمي ، وحولت أرض النطاق إلى أشكال التلال الصخرية الطولية والأخاديد « الهوائية » أما في جزيرة القرون التي تقع في قلب البحيرة والتي تخلو من الرمال فتكون أرضها من تربة بنية قديمة ، شاهد مثلها بسارجي Passarge (١٩٣٣) في صحراء حلوان ، وعاد بنشأتها إلى عصر البليوسين . وقد غطت حواف الجزيرة من الطين البحري تلوها قشرة مياسكة تحميها من تأثير الرياح .

وقد لاحظ « ماول Mauli (١٩٣٢ و ١٩٥٨) من مشاهداته وأبحاثه في شمال الصحراء الكبرى الأفريقية اضمحلال تأثير الرياح في المناطق التي تحميها مثل تلك القشور الملحية أو الترابية الرقيقة . وفي منحدرات الشواهد Zeugen والجبال الجزيرية Inselberge التي تتربك من طبقات متعاقبة من صحور رملية وطفل جيرى (مارل) ورمال والتي تقع إلى الغرب من واحات توغورت (في الجزائر) نجد أن الطبقات الصلبة تبدو معلقة إذ قد أزيلت الرياح بما تحمله من رمال وغبار يتوافر في الاقليم ما تحميها من طبقات هشة (شكل ٢ ، ٣ ، ٤) مثل تلك الأشكال لا نجد لها في منطقة قريبة (في هضبة المزاب Mzab) تتألف من صحور جيرية كريتاسية يعوزها وجود الرمال .

وتعمل القشور السطحية بأنواعها المختلفة ومنها القشور الجيرية على حماية الأرض وإضعاف تأثير الرياح فيها ، ولكنها لا تستطيع أن تمنع هذا التأثير تماماً . وهذا يتوقف أولاً وأخيراً على حولة الرياح من الرمال . ففي المناطق العامرة بالرمال تصبح عملية النحت قوة فعالة في تشكيل سطح الأرض رغم وجود القشور المياسكة . أما عملية الاكتساح Deflation وحدها فلا تستطيع تكوين أشكال مورفولوجية إلا حيث تتوافر المواد الهشة العارية من كل حماية . ولا يشك في الأهمية الجيومورفولوجية لعملية الاكتساح ، فهي المشولة عن رفع كميات هائلة من الغبار في شكل عواصف

ترايبية وإن كانت عملية النحت Corrosion تساعدنا وتشد من أثرها في البداية .

٥ - الأشكال الجيومورفولوجية الناتجة عن فعل الرياح كعامل تعرية (الكتساح ونحت) :

بما لا شك فيه أن الأشكال الجيومورفولوجية التي نراها في المناطق التي يسودها تأثير الرياح قد أصابها الكثير من فعل التعرية الهوائية أكثر مما في الجهات الأخرى التي لا نعلم أن نجد لها مثيلاً فيها . وهذه الأشكال لم تتحول وتتشكل صوراً جديدة ، ولهذا لا يمكن اعتبارها أشكالاً مشابهة للتعرية الهوائية ، بل تذكر في معرض دراسة سمات البيئة المورفولوجية للصحارى ولهذا تبدو الأشكال المثالية الناجمة عن تعرية الرياح قليلة نوعاً . ونظراً لتداخل وتعاون عمليتي الاكتساح والنحت فإنه يصعب بل يستحيل أحياناً التفريق بين الأشكال التي تدين بنشأتها لفعل هذه أو تلك .

ومن بين الأشكال الهامة التي يتضح فيها تأثير التعرية الهوائية ما يطلق عليه باللغة الألمانية Windkanter أو Fazettengeschiebe وبالفرنسية Cailloux façonnés وبالإنجليزية Ventifacts^(١) (made by wind) أو Wind Cut Pepples وهي على الرغم من أنها أشكال مثالية الصخر إلا أن وجودها في مكان ما يدل على أن صقل الرمال كان أو ما يزال دائماً في العمل (شكل ٥)

وهي عبارة عن حصى أو قطع من الصخر تمزقت منه بتأثير القفز ، وتعرضت لانقراض هبات الرمال فترة طويلة ، فنشأ عن ذلك برى وصقل أحد جوانبها ، وتعرف حينئذ بذات الوجه أو الجانب الواحد Einkanter الذي تتعامد حافته مع اتجاه الرياح . وحين يتغير وضع قطعة الصخر

(١) أطلق الاسم على هذه الأشكال ليدل على أن الرياح هي التي صنعها أو شكلتها ، وقد أوحى إلى هذه التسمية الأشكال الحجرية التي كان يصنعها الإنسان في العصور الحجرية القديمة Artifacts (أنظر ص ٤١٠ من كتاب Maul ١٩٥٨)

أوالحصوة لسبب أو لآخر ، كأن تدور أو تنقلب بفعل قوة هبوب الرياح يتعرض جانب ثان ثم ثالث .. لهبوب الريح المحملة بالرمال ، فتتكون عدة أوجه تصقلها وتبرمها الرياح ، فينشأ عن ذلك أن يتحول الحصى إلى أشكال مثلك أو رباعية أو خماسية أو متوازية الأوجه والحواف . وقد ينشأ مثل لتلك لأشكال حينما يتغير اتجاه الرياح بانتظام ، ويبقى الحصى ثابت . وفي أثناء عملية بناء تلك الأشكال تجاهد الريح المحملة بالرمال في برى قطع الصخر ونحتها لتصبح في مستوى البقعة المحيطة بها ، ولكن يعوقها في سبيل ذلك مقاومة الصخر نفسه . وينشأ عن تضارب تلك القوى وجه مصقول يشهد انحداره كلما ازدادت صلابة الصخر ، كما في الجرانيت والكوارتز والكوارتزيت (متحول عن كوارتز الصخر الرمل في مستويات التحول الثلاثة العليا والوسطى والسفلى) والجراوفاكين (Grauwacken) (١) أما في حالتي الصخر الجيري وصخر الدولوميت (يتكون من كربونات كلسيوم وكربونات مغنسيوم) فتتكون أشكال هرمية ومخروطية ذات أوجه مسطحة . أما الحواف أو الأضلع الحادة للأوجه فلا تظهر إلا عند تمام تكوين تلك الأوجه Cloos ١٩١١ ، ١٨٨٧ Walther ، ١٩١١ و Tolman ١٩٠٩ و Bryan ١٩٣٥ ، ١٩٢٢ Davis و ١٩٣٥ Field و Lawson ١٩١٥) .

وتوزيع هذه الأشكال ليس منتظماً في كل الصحارى . فبينما يكثر وجودها في الصحراء النيلية وفي صحراء ناميب حيث قام بدراساتها كلوس Cloos ، على الخصوص ، نجدها قليلة أو نادرة الوجود في صحراء أتكاما وفي صحراء الجزائر ، حيث يكثر وجود أشكال أخرى عبارة عن أحجار جيرية تتميز بخطوط غائرة وحزوز غير منتظمة وبحواف مستديرة ، كما تبرز فيها عقد جيرية تفصل بينها فجوات كانت تحتلها مواد لائحة تحتها

(١) صخر رمل قديم يرجع إرمابه إلى الزمن الأول وما قبله وهو رمادي اللون أو رمادي مخضر ، ويتكون من الكوارتز والفلسبار كما يحتوي على حطام صخور ومعادن أخرى كاللوارتزيت والفليت Phyllite (متحول عن الصخور الرملية والطينية في مستوى التحول العلوى) .

الرياح أو عروق كلية تفصلها خلوط غائرة ، ويكثر أيضاً وجود الصخور التي صقلتها الرياح من جميع جوانبها فلا تكاد تظهر فيها الجوارف المستديرة . وتفتأ البثور أو الجذرات في أوجه الصخور في الغالب نتيجة لتأثير عمليات التحلل الكيماوى والتعرية الهوائية معاً .

وعدا هذا تتميز الأجزاء الشمالية من الصحراء الكبرى الأفريقية بتجعدات قد تبدو أحياناً في شكل مستويات من قطع صخرية صغيرة مصقولة برتها الرياح برياً دقيقاً ، وهى في الواقع تمثل مخلفات عمياء « الاختيار » التي تقوم بها الرياح التي تحمل ما تطيقه وتترك عدا ذلك من حطام صخرى يلتصق بأرض الصحراء في شكل « زرد الدرع » Steinchen-panzer كما يسميه Mortensen (١٩٢٩ و ١٩٥٠) ، أما Penk (١٩٠٩) فيسمى هذه الظاهرة « عمياء تاييس » Panzerung ، وهى عمياء تمتاز بها الصحارى .

أما الحصى ذو الأوجه المصقولة Windkanter فتتميز بوجوده الجهات التي تتوفر فيها عملية الصقل والبرى بواسطة الرياح المحملة بالرمال . ولهذا يكثر وجوده أيضاً في غير الأراضي الصحراوية القاحلة ، إذ يوجد بكثرة في الرواسب البليوستوسينية في شمال ألمانيا ، ولا يعنى هذا أن تشكيله قد تم في عصر البليوستومين فحسب ، وإنما قد تبين أن عملية الصقل والبرى لكثير من جوانبه ما تزال دائبة . ومثل هذا الحصى ما يوجد أيضاً في مناطق تراكم الرمال الهوائية في الجهات الداخلية كما في أخدود وادى نهر الرين إلى الجنوب من مدينة فرانكفورت .

وتستطيع الرياح المحملة بالرمال أن تنحت الصخور والحوائط الصخرية إلى ارتفاع محدود من سطح الأرض . ويشند تأثير النحت في تلك الصخور والحوائط على ارتفاع قليل من سطح الأرض (أى من قاعدتها) ، نظراً لأن الرياح تسهلك تسمى من قوتها في الاحتكاك بالأرض ، فنشأ عن ذلك أشكال تشبه الأرائك أو « العروش » أو المظلات ، يطلق عليها جبال الشواهد الصحراوية Wuestenzeugenberge والجبال الجزيرية Insei berge حيث

استطاعت الرياح أن تنحت الصخور من جذورها ، أو تنحت الطبقات
الليثة على مستويات مختلفة . كما تنشأ أيضاً بنفس الطريقة الأشكال الصخرية
التي تشبه في مظهرها عش الغراب . ويعتقد « لويس Louis » (١٩٦١)
أن العامل الرئيسي في تكوين تلك الأشكال ليس النحت في كثير من الأحوال
وإن لم ينكر أثره = وإنما عملية اكتساح المواد الخشنة التي تكثر عند أسافل
الصخور عقب سقوط المطر وازدياد الرطوبة نتيجة لعمليات التحلل والاذابة

وبفعل النحت تنشأ الحفر والثقوب في الصحارى . ومثل تلك الحفر
توجد أيضاً في المناطق الرطبة . ولكنها هناك قليلة ليست بالكثرة التي نجدها
في الجهات الصحراوية ، ولهذا يمكن اعتبارها ظاهرة تختص بها الصحارى
وللحفر الصحراوية التي لم يشترك في تكوينها عامل آخر غير النحت ، وبامطة
الرياح مظهر خاص ، إذ تبدو جوانبها مصقولة تماماً ، كما يخلو قاعها من
الرواسب أو يكاد . وتبدو بعض أشكال التعرية الهوائية كالأرائك والمظلات
والموائد وما شاكل ذلك نادرة لوجود في بعض الصحارى كما في إيران
وصحراء الجزائر وشمال صحراء شيبلي . ولهذا ينبغي التحفظ عند التعميم
في وصف أشكال التعرية الهوائية في الصحارى . وتستطيع الرياح أن تنحت
في الصخور الليثة كصخور المزل والصخور الطينية والرملية وتؤلف الجيرية
مكونة خطوطاً غائرة وقنوات تعرف بالفتوات أو الأخاديد الهوائية .
وبين تلك الأخاديد تمتد أحياناً حافات حادة مصقولة . وكثيراً ما تنفشر تلك
الأخدود الهوائية في أرض منبسطة متناسقة كما هي الحال في صحراء جوبي
Gobi التي تتكون أرضها من طبقات صخرية هشّة . ويعتمد Kaiser
(١٩٢٦) أن الأخاديد والفتوات الغائرة التي يصل عمقها إلى ١٥ متراً والتي
شاهدها في صحراء ناميب قد نشأت بفعل النحت الهوائي وعند أطراف الأراضي
الفيضية الواسعة في الأحواض الصحراوية المغلقة تنتشر مساحات واسعة
من الطفل والطين الملحي يطلق عليها البلايات Playas في أمريكا
اللاتينية ، والسبخات في الصحراء الكبرى والكيواير Kewire في إيران

وحيث تجف تلك الرواسب وتتصلب في الجهات التي تسودها رياح منتظمة الاتجاه ، يتحول سطحها بفعل الرياح إلى قنوات غائرة طويلة متوازية تقريباً ، ذات جوانب شديدة الانحدار ، يبلغ عمقها أكثر من المتر ، وعرضها حوالي متر أو أكثر . وفيما بين القنوات تبرز الأرض في شكل عروق أو ضلوع . وتبدو الأرض في مظهر مفرس فيصعب اجتيازها . ويطلق على هذه التضاريس في إقليم بحيرة لوب نور Lob-nor (شرق حوض تاريم) بتضاريس اليردائج Yardang . ويظهر أن ضلوع اليردائج يرتبط وجودها وثباتها بوجود شجيرات نامية أو يابسة تعمل جلودها على تماسك رواسب الطين والطين وبالتالي على تقوية مقاومة تلك الرواسب للنتح الهوائي (لويس Louis 1961)

وتستطيع الرياح أيضاً أن تكون منخفضات هوائية Blowouts و Wider osionswannen تتعاون في حفرها عملينا الاكتساح والنتح . ويعزو Walter (1891 و 1901 و 1924) تكوين منخفضات الواحات الالبية إلى عملية الاكتساح وحدها ، ومثله « كايزر Kaiser » (1923 و 1926 و 1927) في تفسير تكوين منخفضات صحراء ناميب ، كما يعزى تكوين منخفضات البانج كيانج P'ang Kiang في منغوليا والتي يصل عمقها إلى 140 متراً إلى عملية الاكتساح وحدها أيضاً (Maul 1958) . أما بارجي Passargo (1909 و 1924 و 1926 و 1923) فيرجع تكوين تلك المنخفضات وأمثالها إلى عملية النتح Corrosion وحدها .

ومن الممكن أن تنشأ « منخفضات الاكتساح » في منطقة تكون من واد هشة عارية تماماً من كل حماية . ومثلها التجاويف التي تنشأ في مناطق الكتيان الرملية (أنظر Maul 1958 ص 420 وما بعدها والصورة رقم 67) . أما حيث يغطي الرواسب الهشة غشاء صلب فإن عملية تكوين المنخفضات تحتاج في مرحلتها الأولى إلى عملية خمل Aufhebung (أي اكتساح Deflation) - ثم مثلاً في منطقة رملية مجاورة - تتمكن لعملية

النحت من الانقضااض على « النشاء الوافي » وتمزيقه ، فينتج بذلك المجال لعملية الاكناح من التيام بالعمل الرئيسي في تجويف المنخفض وتعبئته وتعاقب العمليات حينئذ على النحو الآتي :

عملية اكناح يليها النحت ثم عملية اكناح التعميق . أما التجاويف التي تنشأ بفعل الرياح في الصخور الصلبة ، فلا يقوى على حفرها سوى عملية النحت ، وأن كان يسبقها عملية اكناح تمهيدية قد لا تشتمد حولها بالضرورة من نفس المكان . هذه التجاويف تسمى حينئذ بتجاويف النحت . وقد استطاع Kaiser (1926) أن يميز في منطقة أمائه في صحراء ناميب منخفضة ضخمة عزى نشأتها إلى فعل عملية الاكناح الهوائي وحدها . ويرى Maul (1958) في أصل نشأتها رأياً آخر ، إذ يعتقد أنها لا يمكن أن تنشأ إلا بواسطة عملية النحت . أما لويس Louis (1961) فيرجع تكوينها إلى عمليتي الاكناح والنحت معاً . وقد قام Kaiser بدراسة صحراء ناميب ومنخفضاتها دراسة جيولوجية وطبوغرافية دقيقة ، وسجل نتائج أبحاثه على خرائط خاصة ملونة بقياس 1 : 25,000 . وقد استطاع أن يميز طبقات من الصخور الرملية وصخور الأركوز Arkose (1) التي ترجع إلى العصر الكامبري ، وصخور الدولوميت ، وهي جميعاً ترتكز على أساس من الصخور البلورية التي تتركب منها كتلة جنوب غرب أفريقيا . وقد وجد أن تلك الطبقات قد أصابها التواء بسيط يتفق خط ظهور طبقاته مع الاتجاه العام للرياح السائدة من الجنوب إلى الشمال . ولما كانت صخور تلك الطبقات تتميز بسهولة تحللها وتفككها ، لهذا استطاعت الرياح أن تكناح وتنتح تلك التكوينات مكونة لمنخفضات طويلة مغلقة ، يتراوح طولها بين 5 و 10 كيلومتراً ، وعرضها بين 250 و 1000 متر ، كما يصل عمقها إلى نحو 50 متراً .

(1) Arkose كلمة فرنسية تطلق على الحجر الرمل الذي يحتوي على نسبة كبيرة من

معدن الغلبار .

وتتمدد تلك المنخفضات ، وكذلك الأشربة البارزة التي تفصل بينها في اتجاه الرياح السائدة من الجنوب إلى الشمال تقريباً ، ولهذا يبدو ، يظهر المطع العام منتظماً متناسقاً ، ولكنها أحياناً تتفرع وتتشعب ، وتتصل ببعضها مكونة شبكة من المنخفضات .

وفي بعض الأماكن ، على مستويات مختلفة من منحدرات تلك المنخفضات وعند حواف قواعدها خاصة حيث تلتقي تلك الحواف بحصبات الميلات الجافة والتنتوات المعلقة ، توجد بقايا مجمعات Fanglomerate (١) ووجود هذه المجمعات بنظامها المعين يدل على أن تلك المنخفضات لم تنشأ عن حدوث حركة التوائية ، وإنما بواسطة نوع معين من التعرية يستطيع رفع تلك الرواسب صعداً وإخلاء المنخفضات منها ، ونعني بهذا النوع التعرية الهوائية .

وتبدو أهمية الأبحاث الخاصة بتلك المنخفضات في أنها تثبت بالدليل الواضح عظم الدور الذي تقوم به التعرية الهوائية في الجهات الجافة .

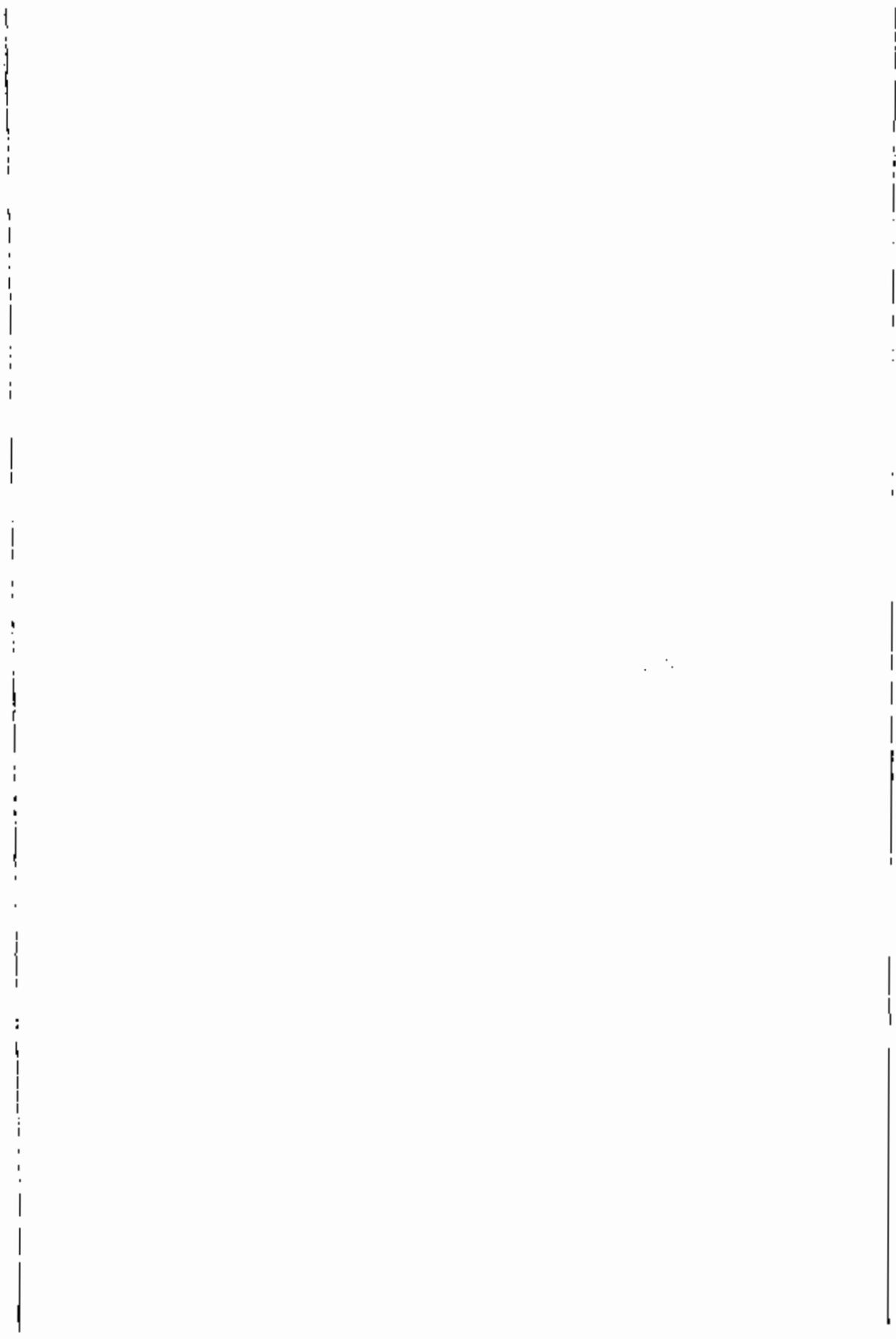
وتتميز التعرية الهوائية في عملها بعملية «اختيار» خاصة ، فعملية الاكتساح تنقل المواد الدقيقة بطريقة أو بأخرى ، وترتك المواد الخشنة في شكل غطاء يتكون من صخور وحصى يتناثر هنا وهناك ، هذا الغطاء يطلق عليه والتر Walther غطاء الاختيار Auslesedecke ، ويسميه بيارجي Passarge الرصيف الحصوي Steinpflaster ، أما Kaiser فيطلق على الغطاء ومخلفات عملية الاكتساح Deflationsruckstand ؛ فالأرض حينئذ قد عانت «تلبيس» Panzerung . بفعل التعرية الهوائية كما يقول بنك Penck (١٩٠٩) .

(١) Fanglomerate : (نوع من البريشيا breccie الطينية) عبارة عن رواسب تتميز بها الجهات الجافة ، وتنشأ من اكتساح «تكونيات» بواسطة مياه الأمطار الفجائية ، وإرسابها في شكل مروحة (ومن هنا جاءت التسمية من الإنجليزية Fan) في سهل قصب لوفي أحواض مختلفة ، وفي هذه الرواسب يختلط الحصى اللدب الكثير لزوايا بالمواد «مديقة» في غير قنسنو أو انتظام أو تجانس .

مثل هذا الغطاء الحصوي الناتج عن عملية اختيار الشعيرة الهوائية وصفه Nordenskjöld (١٩١٤) في جنوب غربي جزيرة جرينلندا ، وأطلق عليه اسم «الدرع الصخري Steinpanzer» ويغطي هناك الكتلة الصخرية القديمة التي تتكون منها الجزيرة . وهذا الغطاء كما قلنا يتركب من صفوف وحصى مختلف الأحجام أثرت فيه الشعيرة الهوائية فصقلته وبرته . ويظهر الحصى والصخور مبعثرة هنا وهناك ، ولكنها تتجاور وتلاصق أحياناً مكونة غطاء يختلف في سمكه الذي قد يبلغ ١٠ سنتيمترات ، وهو حينئذ يقى الأرض من فعل الشعيرة الهوائية . وعملية التليس هذه لا يقتصر ظهورها على الصحري والسواحل (جرينلندا) فقط ، وإنما نجدها أيضاً في أعلى المرتفعات التي تخلو من النبات فتتعرض لفعل الشعيرة الهوائية .

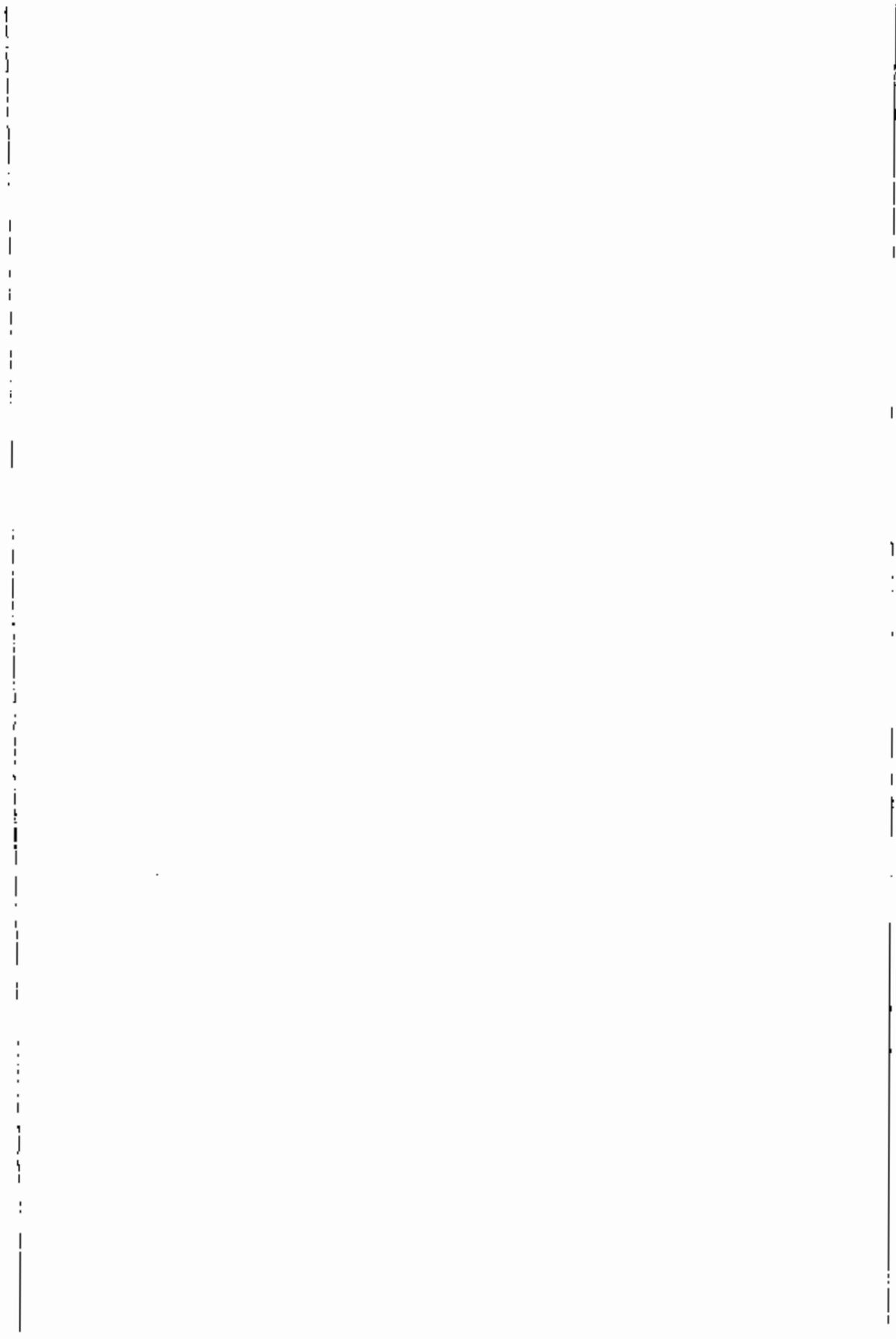


شکل (۱)



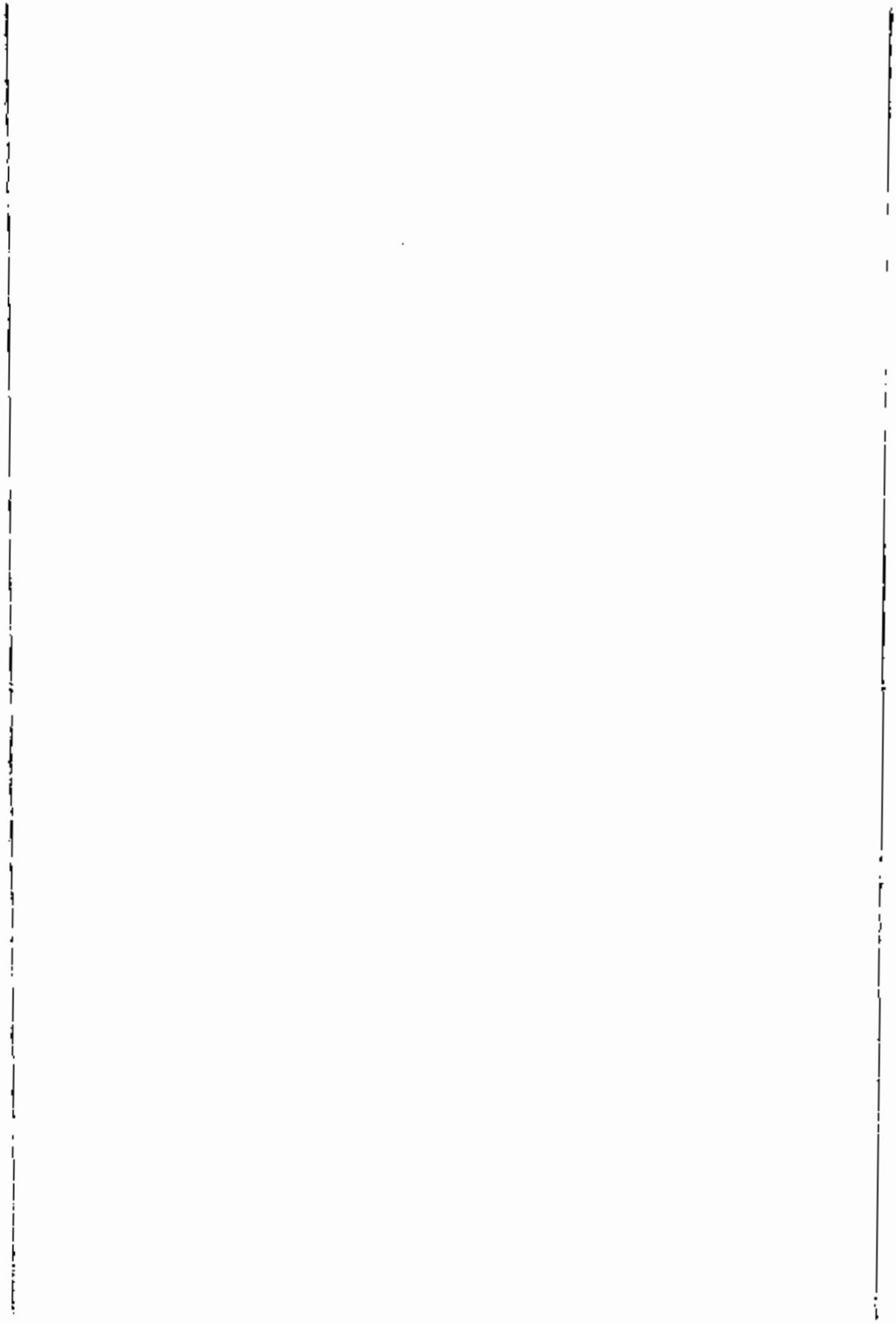


شکل (۱)



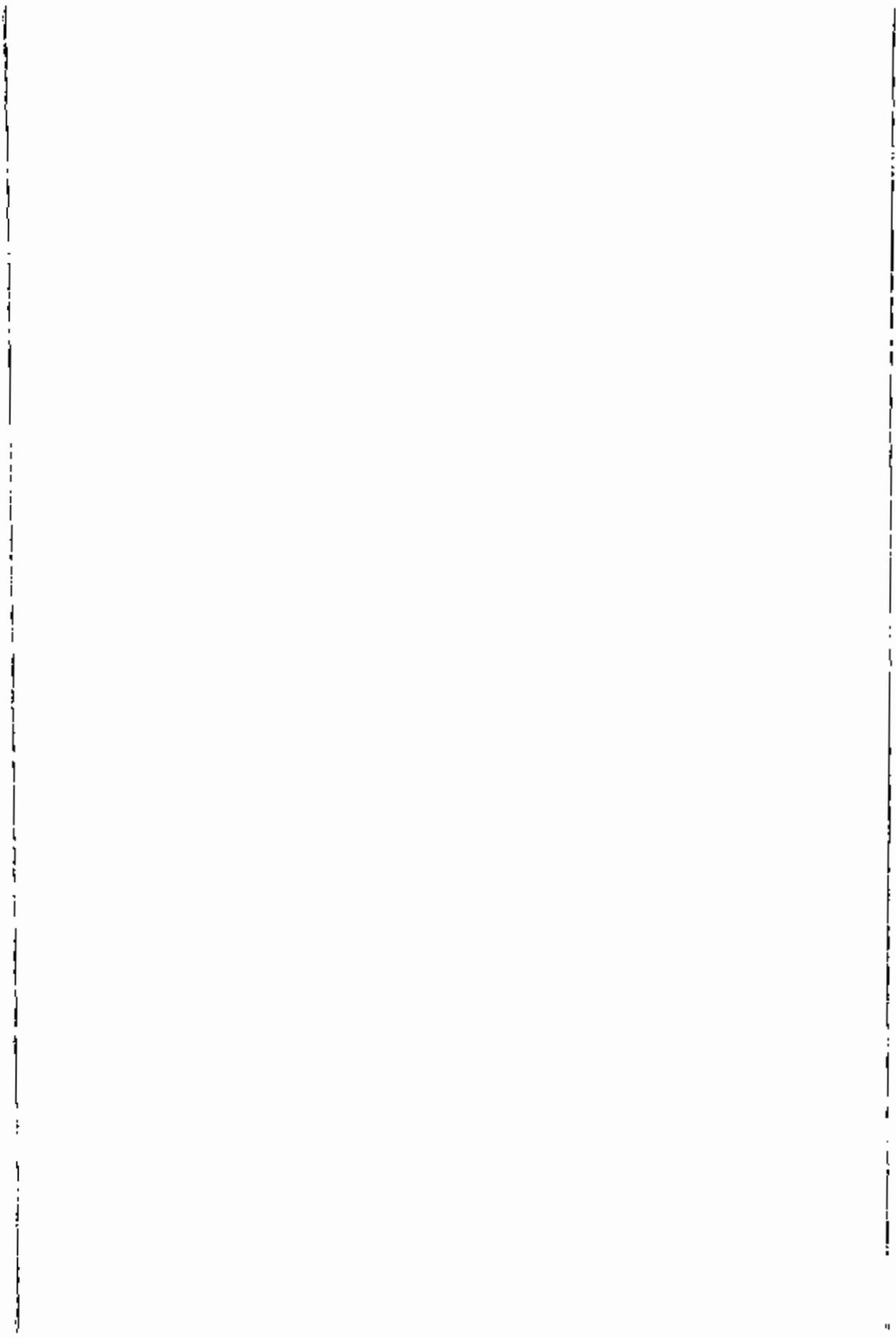
(+) 153

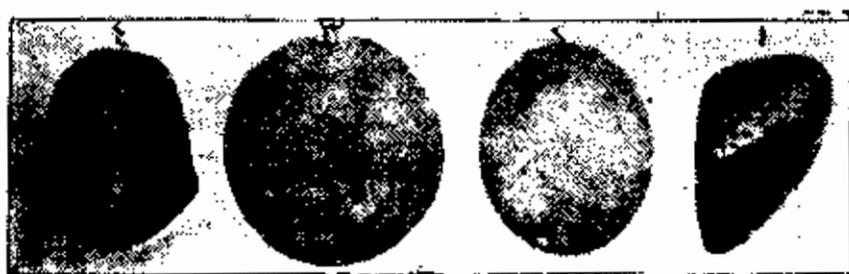




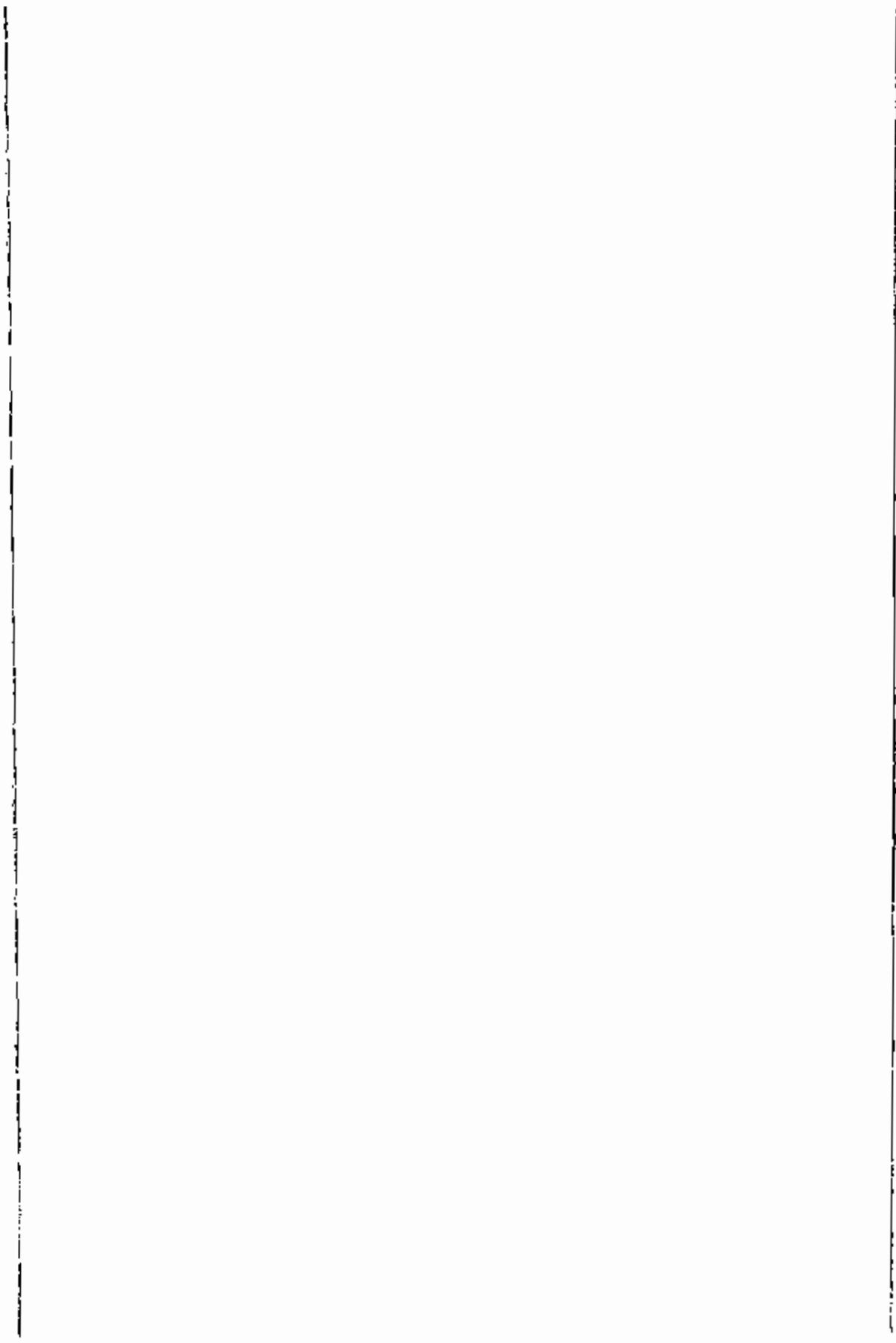
(1) 25



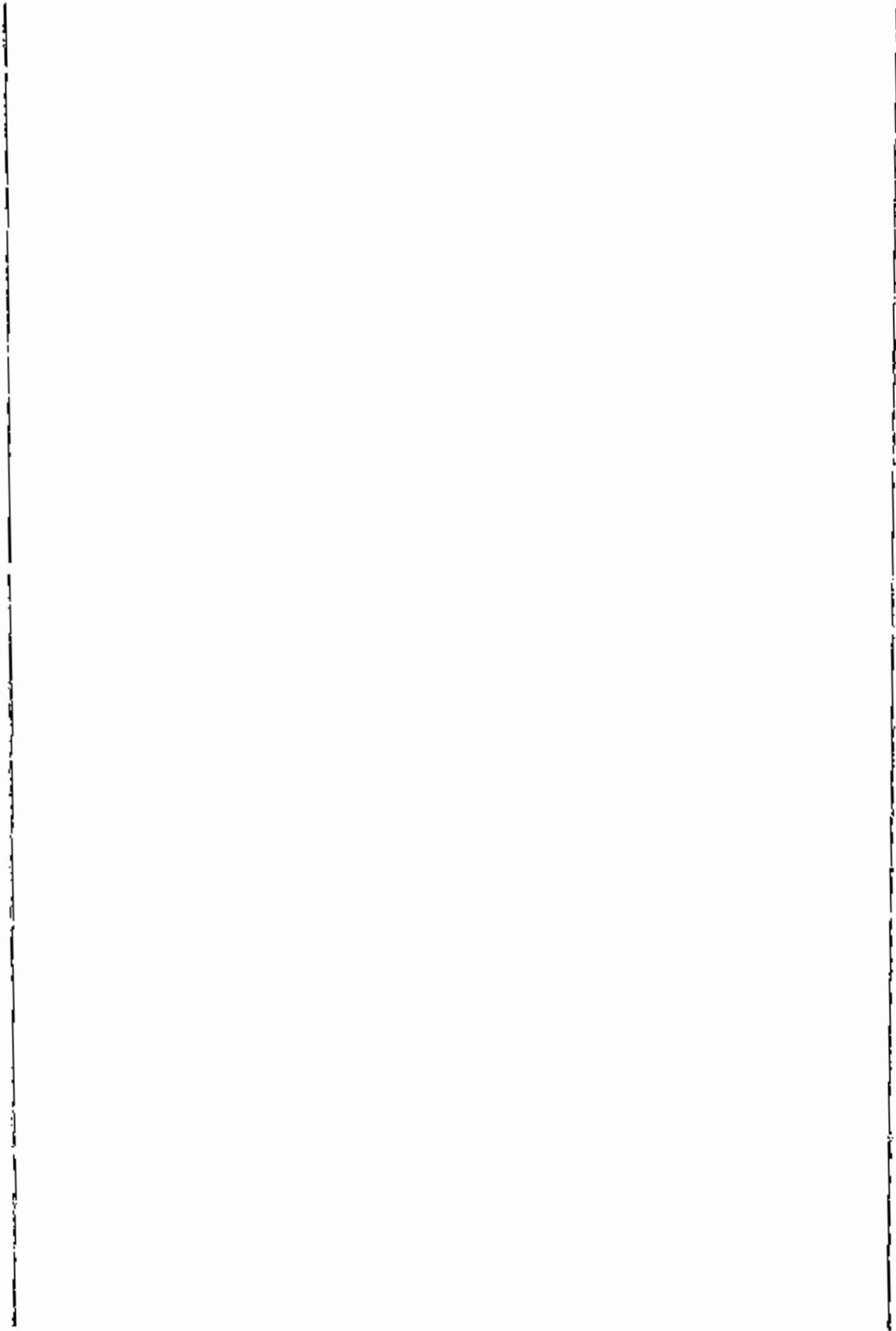




شکل (۵)







المراجع

- Baddley, P. F., 1889. Dust whirls and fairy daney's. *Month. Weath. Rev.* 27
- Bagoald, R. A., 1941. The physics of blown sand and desert dunes London.
- Ball, J., 1927. Problems of the Libyan desert. *geogr. Journ.*
- Blake, R., 1855. On the grooving and polishing of hard rocks and minerals by dry sand. *Ann. Assoc. Proceed.*
- Blunck, E., 1931. Wuestenkrusten oder Wuestensanbhaut ? *Pet. Mitt.*
- Blankwelder, E. 1931. Desert plains. *Jour of geol.* 39.
- Brandt, B., 1932. Die Staubhant in der Aegyptischen Wueste. *Mitt. Dresden.*
- Bravard, A., 1857. Observaciones geologicas sobre diferentes terrenos des transporte en la hoya de la Plata. Buenos Aires.
- Bryan, K., 1922. Erosion and sedimentation in the papago country, Arizona. *U.S. geol. surv Bull.* 730.
- Bryan, K., 1933/35. Progress in the geomorphology of arid regions. *Zeitch. geomorph.* 8
- Capot-Rey, R., 1943. La morphologie de l'Evg occidental. *Travaux de l'Inst. de Recher. Sahariennes (Univ. d'Alger).*
- Capot-Rey, R., 1945. Dry and humid morphology in the western Erg. *geog. Rev.*
- Capot-Rey, R., 1953. *Le Sahara Français.* Paris, Presse Univ. France.
- Cloos, H., 1911. Geologische Beobachtungen in suedarica. 1. wind und wueste in deutschen Namaland. *Neues Jahrbuch f. Min. geol. Palaeon., Beil. Bd.* 32.
- Davis, W. M., 1930. Rock Floors in arid and humid climates. *Jour. of geol.* 38.
- Desor, E., 1864. Le Sahara, ses différents types de déserts et d'Oasis. *Bull. Soc. Sciences nat. Neuschâtel.*
- D'Aoust, V., 1858. Observation sur un terrain d'origine météorique ou de transport aérien qui existe en Mexique. *Bull. Soc. géol.* 15.
- De Beumont, E., 1845. *Leçons de géologie pratique,* Paris.
- Franz, O., 1867. Aus dem Orient; geologische Beobachtungen am Nil, auf der Sinaihalbinsel und in syrien. *Stuttgart.*
- Free, E. E., 1911. The movement of the soil material by the wind. *washington.*

- Field, R., 1935. Stream caved slopes and plains in desert mountains. Amer. J. of Sc. 29.
- Gantler, E. F., 1928. Le Sahara. Paris.
- Geiger, R., 1942. Das Klima der bodennahen Luftschicht, 2. Aufl. Braunschweig.
- Guppy, H. D., 1881. Dust-winds of Hankow. Nature 24.
- Hellmann, G. & Meinardus, W., 1901. Der grosse staubfall vom 9. bis 12. Maerz 1901. in Nordafrika, Sued- und Mitteleuropa. Abb. Preuss. Meteorol. Jnstr. II Nr. 1, Berlin.
- Harrington, M., W., 1886. Peking dust-storms. Am. Met. T. 3.
- Herrmann, E., 1903. Die Staubaeflle vom 19. bis 23. Februar 1903 ueber dem atlantischen Ozean, Grossbritannien und Mitteleuropa. Ann. Hydr.
- Johnson, D., 1932. Rock fans of arid regions. Amer. Jour. of Sc. 5. Ser. 23.
- Johnson, D., 1933. Rock plains of arid regions. geog. Rev.
- Kaiser, E., 1923. Was ist eine Wueste? Mitt. geogr. Muenchen.
- Kaiser, E., 1926. Hoehenschicht enkarte der Deflationlandschaft in der Namib suedwestafrikas. Abh. Bayer. Akad. Wiss. Math. phys. Kl. 30, Mitt. geogr. Ges. Muenchen.
- Kaiser, E., 1927. Ueber Wuestenformen, insbesondere in der Namib Suedwestafrikas. Duesseldorfer geogr. Vortr. Breslau.
- Keyes, Ch. R., 1909. Baselevel of eolian erosion. Journ. of geol. 17.
- Keyes, Ch. R., 1910. Deflation and relative efficiencies of erosional processes under Conditions of aridity. Bull. geol. Soc. Am.
- Lawson, A. C., 1915. The epigene Profile of the desert. Univ. of Calif. Publ. Dep of geol. 9.
- Louis, H., 1961. Allgemeine geomorphologie 2. Aufl. Berlin.
- Machatschek, F. 1927. Die Oberflaechenformen der Binnen- und Hochwuesten. Duesseldorfer geogr. Vortr. u. Abh., Breslau.
- Maul, O., 1932. Geomorphologische studien aus dem oestlichen Atlaslaendern und der algerischen Sahara. Pet. Mitt.
- Maul, O., 1958. Handbuch der geomorphologie 2. Aufl. Wien.
- Mortensen, H., 1927. Der Formenschatz der nordchilenischen Wueste. Abh. Akad. Wiss. Math. Phys. Kl. N.F. 12., 11 Goeettingen.
- Mortensen, H., 1929. Ueber vorzeitformen in der chilenischen Wueste. Mitt. geogr. Ges. Hamburg.
- Mortensen, H. 1950. Das gesetz der Wuestenbildung. Universitas 5, H. 7. Stuttgart.

- Noble, A., 1904. Dust in the atmosphere during 1902 — 1903 Ebds 32.
- Nordenskiöld, O., 1914. Einige Züge der physischen geographie und der Entiv-
 klungsgeschichte Suedgroenland. Geogr. Zeitschr.
- Passarge, S., 1909. Verwitterung und Abtragung in der Steppen und Wuesten Alge-
 riens. Geogr. Zeitschr.
- Passarge, S., 1924. Die geologische Wirkung des Windes (in Salomon, Grundzuege
 der Geologie) stuttgart.
- Passarge, S. 1926. Die Wirkung des windes (in Blanks Handbuch der Bodenkunde I).
- Passarge, S. 1927. Die Ausgestaltung der Trockenwuesten in keissen Güertel.
 Dueseldorfer geog. Vortr. Breslau.
- Passarge, S. 1933. Morphologische Untersuchungen in der Wueste um Heluan.
 Abh. d. Ges. d. Wiss. Math. Phys. Kl. 3. H. 9, Berlin.
- Penk, A., 1909. Morphologie der Wuesten. Geogr. Zeitschr.
- Richtshofen, F., v., 1877 China. Bd. I Berlin
- Rodewald, M., 1930. Der grosse Staubfall vom 26. bis 29 April 1928 zwischen
 Weicksel und Asowschem Meer. Ann. Hydr.
- Russel, H., Ch., 1880. Dust storms in New South Wales. Quat. J. Roy. meteor.
 Soc. 6.
- Russel, J. C. 1889. Subaerial deposits of the arid regions of North Amerika. Geol.
 Mag. 6.
- Schweinfurth, G. (1895/96) Die Umgebung von Heluan als Beispiel der Wuestende-
 nudation.
- Thoulet, J., 1911. Analyse d'une poussiere sol éolienne et considérations générales
 relatives à l'influence de la déflation sur la constitution lithologique du sol
 océanique. Ann. d. l'Anst. Océan. Paris III. Fasc. 2.
- Tolman, C. F. V. 1909. Erosion and deposition in southern Arizona Bolsan region.
 Yearb. of Geology.
- Walther, J., 1887. Die Entstehung von Kantengeroellen in der Galarwueste.
 Sit zungsberichte, Saechs. Ges. wiss. Math. Phys. Klim Leipzig.
- Walther, J., 1891. Die Denudation in der Wueste und ihre geologische Bedeu-
 tung. Abh Saechs. Ges. Wiss. Math. Klim. 16. Leipzig.
- Walther, J., 1901. Ueber die geologische Taetigkeit des Windes. Naturwiss. 16
- Walther, J. 1911. Windkanter aus der libyschen Wueste. Zeitsh. Deutsch. geol.
 Ges. Berlin.

- Wahber, J. 1924. Das Gesetz der Wuestenbildung in Gegenwart und Vorzeit. 4. Aufl. Leipzig
- Wetzel, W., 1928 : Geogische und geographische Probleme des noerdlichen Chile. Zeitschr. Ges. Erdkunde. Berlin
- Wittschell, L. 1931. Ueber Sand-und Staubstuerme und ihre Bedeutung fuer die Morphologie der Erdoberflaeche, Zeitsch. f. geomorph. 6.
- Zistler, P., 1926. Die Temperatureverhaetnisse der Tuerkei, Der SUDAN (in L. Weickmann, Das Klima der Tuerkei). Leipzig.

دراسة في وثائق العصرين الفاطمي والايوبي

المحفظة بمكتبة دير سانت كاترين في سيناء

للدكتور جوزيف نسيم يوسف

مقدمة عن دير سيناء واثقوناته ومكتبته

في أخريات عام ١٩٦٣ قامت كلية الآداب بجامعة الاسكندرية بالاشتراك مع بعثتي جامعتي متشيجان وبرنتون بأمريكا ببعض الدراسات الفنية والأثرية والتاريخية في دير القديسة كاترين في شبه جزيرة سيناء . وقد أتيت لى فرصة زيارة الدير المذكور مرتين : الأولى في الفترة من ٣ إلى ١٤ أكتوبر ، والثانية من ٢١ إلى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٦٣ .

والدير (١) غنى عن التعريف . فهو يعتبر من الآثار الخالدة للامبراطور جستينيان (٥٢٧ - ٥٦٥ م) وزوجته الامبراطورة ثيودورا ، ولا يزال شاخصاً حتى اليوم يروى قصة قرون عديدة خلقت . وهو آية من آيات الفن والمعمار البيزنطى ، من حيث جماله وما احتواه من المباني الرائعة والصور الجميلة والفسيفساء ذات الألوان الخلابة الزاهية التي لا زالت تحتفظ بجمالها ورونقها حتى يومنا هذا . فضلاً عما يحويه من الكفوس والأواني والذخائر المتقنة من ذهبية وفضية . ومع ما للدير من أهمية ، فأنها لا تقاس بجانب مجموعة الأيقونات التي توجد به والتي لا مثيل لها في العالم ، خاصة إذا عرفنا أن حركة محطمي الصور والأيقونات في القرن الثامن . والتي لم تلم منها كنيسة أو دير في العالم المسيحى . لم تمتد إلى دير القديسة كاترين الذى كان خاضعاً للسلطات العربية وقتذاك . فحفظ لنا تراثاً له قيمته التي لا تنكر (٢).

(١) أنظر لوحة رقم ١ ولوحة رقم ٢ .

(٢) لقد توافقت على دير القديسة كاترين في سيناء منذ عام ١٩٥٠ عدة بعثات من جامعة الاسكندرية بالاشتراك مع بعض الجامعات وبعثات الطلبة بأمريكا ، لقيام بدراسات فنية وأثرية وتاريخية في المنطقة وضواحيها . وآخرها بعثة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية برئاسة أستاذنا الدكتور أحمد فكرى التي قامت بعدة زيارات للدير خلال عامى ١٩٦٢-١٩٦٣ . والدكتور -

وإلى جانب هذه المجموعة من المخطوطات المقدسة ، توجد مجموعة أخرى لا تغل عنها في أهميتها وقيمتها ، وهي المخطوطات والوثائق التي يحتفظ بها الدير (١) . إذ تمتع مكتبته بأهمية بالغة لما تحويه من مستندات نادرة لم يكن العالم حتى وقت قريب يعرف عنها شيئاً . فقد ظلت تابعة بالدير لأجيال طويلة لقيت فيها الكثير من الإهمال . ولكنها نقلت أخيراً إلى مخزن جديد تتوفر فيه وسائل الأضاءة والنظافة . كما أصبحت موضع اهتمام المسئولين بالدير وعنايتهم .

وهذه المجموعة من المخطوطات والوثائق (٢) دونت فيما بين القرن السادس والقرن التاسع عشر . ويبلغ عدد المخطوطات ٣٣٣١ مخطوطة

--- --
:-- أحد فكري يصدد اعداد مجلد يضم عدداً من الايقونات الهامة الموجودة بالدير والتي تمثل مختلف المصور . كما ينتظر أن يظهر في وقت قريب المجلد الأول من مجموعة المجلدات التي تنوي البعثة المشتركة إصدارها عن الدير . وفيما يتعلق بايقونات دير سيناء ، أنظر مقالنا الأمتداد في فايزرمان .
Weitzmann, Mount Sinai's Holy Treasures. Cf. National Geographic Magazine, Jan. 1964, pp. 109-127; Weitzmann, Thirteenth Century Crusader Icons on Mount Sinai. Cf. The Art Bulletin, Vol XLV, No. 3, Sep. 1963, pp. 179 - 203.

(١) في الفترة من يناير الى يونيو ١٩٥٠ قامت بعثة أمريكية مؤلفة من ثلاثين من مثليين عن مكتبة الكونجرس وبعض الهيئات الامريكية المعنية بالأبحاث والدراسات الشرقية بالاشتراك مع جامعة الاسكندرية بزيارة الدير . وأتمت تصوير حوال نصف المخطوطات وجميع الوثائق المخطوطة بمكبتها ، والتي يوجد لها صور ميكروفيلم بمكتبة كلية الآداب بالاسكندرية .

(٢) ظهرت عدة فهرس وكتالوجات لمكتبة القديسة كاترين في سيناء من وثائق ومخطوطات ، وذلك في الفترة من ١٨٨٦ الى ١٩٥٢ . وقد تضمن بعضها جانباً من المخطوطات ، بينما كان البعض الآخر أكثر شمولاً فاحتوى بياناً بكافة المخطوطات والوثائق . ومن أهم هذه الفهارس فهرس «جارت هاوزن» الذي صدر سنة ١٨٨٦ ، وفهرس «بنشفتش» سنة ١٩١١ - ١٩١٤ ، وفهرس «هافن» سنة ١٩٢٢ ، وفهرس «مار» سنة ١٩٤٠ . وقد تعرضت هذه الفهارس لبعض المخطوطات اليونانية . ثم فهرس «س نوبس» سنة ١٨٩٤ الذي تعرض لبعض المخطوطات السريانية . وفهرس «جيس» سنة ١٨٩٤ الذي تعرض لبعض المخطوطات العربية . وكذلك فهرس الدكتور مراد كامل ، وهو يقع في جزئين وقد صدر سنة ١٩٥١ ، ويتضمن جميع مخطوطات ووثائق سانت كاترين ، وقد قام باعداده بناء على طلب الجامعة العربية . وهناك أيضاً فهرس البعثة الأمريكية الذي ظهر سنة ١٩٥٢ ، ويقتصر على المخطوطات والوثائق التي قامت البعثة الأمريكية بالاشتراك مع بعثة جامعة الاسكندرية بتصويرها سنة ١٩٥٠ . كما نشر الدكتور عزيز سوريان حطية سنة ١٩٥٥ فهرساً مختصراً لجميع المخطوطات والوثائق العربية الموجودة بالدير . والدكتور عزيز سوريان في صدد نشر كتالوج تفصيل دقيق يقع في بضعة مجلدات للمخطوطات والوثائق العربية مع بيان محتوياتها وكافة التفاصيل المتعلقة بها .

مكتوبة بأحدى عشر لغة هي العربية والسريانية والحبشية والفارسية واليونانية والسلافونية والجورجية واللاتينية والأرمنية والبولونية . والجانب الأكبر منها في اللاهوت والكتب الكنسية والدينية ، وقليل منها في الفلسفة والموسيقى والرياضة والفلك والتاريخ والجغرافية والأجرومية والطب والقانون . أما الوثائق فيبلغ عددها ١٧٤٢ وثيقة ، منها ١٠٧٢ وثيقة باللغة العربية و ٦٧٠ وثيقة باللغة التركية . وهي تتضمن عهود ومراسيم ومنشورات وقرارات ومعاهدات وفتاوى وحجج ومحاضر وأوامر إدارية .

وقد أمضيت الشطر الأكبر من الزيارتين اللتين قمت بهما للتدبير بين جدران المكتبة ، حيث عكفت على الاطلاع على الوثائق العربية التي ترجع إلى العهدين الفاطمي والأيوبي ، وهي مدونة في الفترة من سنة ٥٠٢ هـ إلى سنة ٦٠٧ هـ (١١٠٩ - ١٢١١ م) .

وسنحاول فيما يلي تسليط بعض الأضواء على تلك الوثائق لكشف عن قيمتها التاريخية والنتائج التي يمكن استخلاصها منها .

وثائق العصرين الفاطمي والايوبي

تعتبر الوثائق المذكورة من التراث الخالد لما تضمنته من معلومات تلقى كثيراً من الضوء على طبيعة الحياة في منطقة طور سيناء ، وأحوال الرهبان الذين يعيشون هناك : والعلاقات التي كانت قائمة بينهم من ناحية وبين كل من العربان المحاورين لهم والنواب والولاة بالحصون الطورية والسلطات المشغولة بالديار المصرية من ناحية أخرى .

وقبل تناول هذه الوثائق بالدراسة والتحليل يحسن أن نهيدها بكلمة سريعة عن انتشار الرهبنة في طور سيناء ، وأسباب بناء الدير في عهد الامبراطور جستنيان .

كان يقطن جبال طور سيناء قبل القرن السادس الميلادي كثير من الرهبان الذين تركوا الحياة الدنيا إلى حياة التمسك والتبتل والبعد عن الملذات الزائلة . وكان يعيش بالقرب منهم بعض العربان الذين وفدوا إلى تلك المنطقة النائية

التحلاء من البحر الأحمر ومن بلاد الحبش وغيرهما من الجهات . وكان العربان يغيرون على رهبان طور سيناء ، ويعملون فيهم السلب والتهب بين وقت وآخر للحصول على لقمة العيش . وقد بلغت هذه المضايقات ذروتها في أوائل القرن السادس . فاجتمع الرهبان وأرسلوا وقدما من قبلهم إلى الجائلس على العرش البيزنطى وهو وقتذاك الامبراطور جستنيان ، يلتمسون منه الموافقة على بناء برج حصين يحتمون بداخله من مضايقات أولئك العربان . فوافق جستنيان على طلبهم ، وأرسل مندوباً من قبله إلى المتولى في مصر - وكان يدعى تاوزروس - بتقديم كافة التسهيلات اللازمة للرهبان من المال والرجال ومواد البناء ليتسنى إقامة البرج . وهكذا تم بناؤه في المكان الذى يدعى جبل الله ، وهو الذى تكلم الله فيه موسى . ويعرف هذا الموضع أيضاً باسم العليقة . وهكذا تم اختيار هذا المكان بالذات باعتباره من الأماكن المقدسة ، فضلا عن وجود الماء فيه .

ومع ذلك فإن العلاقات بين الرهبان داخل حصنهم الذى أصبح بمثابة دير لهم وبين العربان لم تكن دائماً ودية أو طيبة . وغير خاف أن العوامل الطبيعية والجغرافية لعبت دوراً كبيراً في إثارة الخلف والنزاع بين الطرفين . فالمنطقة - كما نعرف - عبارة عن صحراء جرداء قاحلة ، توجد بها مجموعة من الجبال الشاهنة التى يصل ارتفاع بعضها بضعة آلاف من الأقدام ، مثل جبل موسى وجبل القديسة كاترين (١) . وتتميز طور سيناء بجفاف جوها . أما مناخها فشديد الحرارة صيفاً شديد البرودة شتاءً حيث يكسو الجليد قمم الجبال . ويعتمد أهلها في معيشتهم على مياه الآبار والأمطار . وقد أدى هذا إلى وجود بعض الوديان الحصينة التى يمتلكها الدير مثل وادى الأربعين ووادى الثوران (٢) . وكان العربان يعيشون حولها ويتعيشون منها . وكلما نضبت المياه من مكان ، ينتقلون إلى مكان آخر سعياً وراء الرزق . ومن أهم مزارعات طور سيناء القمح والشعير

(١) أنظر لوحة رقم ٤ ، و لوحة رقم ٥ .

(٢) أنظر لوحة رقم ٦ .

والحبوب والغلة والزيتون وبعض الأنواع من الموالح والفواكه مثل الليمون والتين والرمان والتعب الذي كانوا يحتمسون منه النبيذ . ومن الدواب التي تعيش في طور سيناء الجمال والماعز . ومن هنا اكتسب سكانها صفة عدم الاستقرار والكند للحصول على لقمة العيش . ومن هنا أيضاً كانت تلك المشاحنات المستمرة بين الرهبان والعربان وغيرهم من الرحل الذين يقطنون في تلك الجهات ؛ وبين العربان وزوار المنطقة من الحجاج والمسافرين ، وهو ما تكشف عنه الوثائق التي نحن بصدد دراستها .

وعلى أية حال ، فقد كان العربان يقيمون في المغاور والجبال الخاوية للدير ، واستمرت مضايقاتهم للرهبان . كما كانوا يترصدون السياح الذين يزورون المنطقة حيث ينقضون عليهم ويعملون فيهم السلب . وعندما توالت الشكايات إلى الامبراطور جستنيان أرسل من بلاده مائة أسرة برجالها ونسائها وأطفالها إلى مصر . وكتب إلى المتولى عليها من قبله أن يجهز ذو أيضاً مائة أسرة أخرى بكامل أفرادها ، ويقوم بإرسال الأسر الماتين إلى طور سيناء لكي يعيشوا فيها وراء الجبل الذي يواجه الدير على بعد ثمانية أميال منه . وتكون مهمة هؤلاء الرجال هم زواجهم وأولادهم حراسة الدير ورهبانه ، والقيام على خدمتهم والدخول في طاعتهم . وحذر الامبراطور بتوقيع أشد العقاب على كل من يخالف ذلك . وطرده هو وأسرته من المنطقة . وقد عرف هؤلاء الناس أيام جستنيان باسم «عبيد الدير» أو «صبيان الدير»^(١) .

لقد استمرت العلاقة بين الرهبان والعربان بين شد وجذب إلى أن ظهر الاسلام في أوائل القرن السابع الميلادي . وبقيام حركة الفتح التي انتهت باستيلاء العرب على بلاد الشام وآسيا الصغرى ومصر وشمال أفريقيا ، أصبح الدير المذكور مخضع للسلطات العربية في مصر . واستمر خاضعاً لها بقية العصور الوسطى .

(١) أنظر كتاب تاريخ بناء الدير - مخطوط بدير سانت كاترين في سيناء تحت رقم ٦٩٢ ، ورقة ١ - ٢ ب .

ومن حسن الحظ أنه يوجد بمكتبة الدير إحدى عشر وثيقة أصلية باللغة العربية ترجع إلى زمن الفاطميين والأيوبيين، والتي تكشف عن طبيعة الحياة في هذه المنطقة الصحراوية النائية ، وأحوال رهبانها ونسبها ، والعلاقات القائمة بينهم وبين جيرانهم من العربان : وبينهم وبين أساقفتهم وهم المقلمين عليهم . وكذلك العلاقات بينهم وبين الولاة والنواب بالطور من ناحية ، وبينهم وبين الحكام بمصر من ناحية أخرى .

أهم ما يسترعى الانتباه في تلك الوثائق هو الالتفاتات التي كان يبثها رهبان طور سيناء إلى السلطات المسئولة بالديار المصرية في طلب رعايتهم وحمايتهم من المضايقات التي كانوا يتعرضون لها من العربان الذين يجاورونهم . ففى إحدى الوثائق التي ترجع إلى مستهل القرن السادس الهجري (أوائل القرن الثاني عشر الميلادي) جاء أن أستوف دير سيناء المسمى بيفرى يلتمس من الخليفة الفاطمي بمصر وهو آنذاك الأمر بإحكام الله (٤٩٦ - ٥٢٤ هـ) إصدار الأمر برعايته هو ورهبانه (١) . وخرج المنشور من ديوان الانشاء « بمضاعفة الاحسان اليهم ، ومتابعة الأنعام عليهم ، وتوفير حظوظهم من الرعاية ، واجزال نصيبهم من العناية والحماية .. وتعمونهم بالعدل العميم الشامل ، وبالانصاف المتكامل » (٢) . ولا تخرج معظم الوثائق العربية عن هذا المعنى . ففى وثيقة بتاريخ ذى الحجة ٥٤٨ هـ (فبراير - مارس ١١٥٤ م) خرج منشور من مصر « برعاية الرهبان المقدم ذكرهم ، ومن ينتجع اليهم ويطراً عليهم ، وأصحابهم وأهل ملتهم والتابعين والمتصرفين في تحصيل أوقافهم ، وغير ذلك من مصالحهم التي لا غنى عنها لأنهم وحفظهم وحياتهم . وصونهم في أنفسهم وأصحابهم السالكين سبيلهم . وكف الأيدي من الحاضرة والبادية عن أذيتهم وعن الامتداد بسوء اليهم . » (٣) وقد يتضمن المنشور

(١) « وسألوا (أى رهبان طور سيناء) في تحديد منشور برعايتهم وصيانتهم ، واجرائهم في سبط العدل عليهم حل رسمهم وعادتهم ، فتكون سبب النعم عليهم لا تقشع ، وحبل الاحسان لا ينعدم ولا ينقطع . » أنظر الوثيقة رقم ٦ سطر ١٠ - ١٢ .

(٢) أنظر الوثيقة رقم ٦ سطر ٢٠ - ٢٣ .

(٣) أنظر الوثيقة رقم ٩ .

إلى جنب رعاية الأسقف ورهبانه ومنع التعرض لهم بالأذى ، الأمر بالإنهاء على العرف الجاري والأمور المستقرة بينهم وعدم المساس بها . من ذلك منشور يرجع إلى منتصف القرن السادس الهجري (منتصف القرن الثاني عشر الميلادي) جاء فيه بعد البسملة والافتتاحية : .. واعتماده (أى أسقف طور سيناء) بالرعاية والملاحظة والمعونة والمرافدة ، والمبالغة فى اعزاز جانبه وتسهيل مطالبه ، والتخدير من تكليفه أو أحد من رهبانه أو جواره ، واجرائه على التوازن المرضية والأوضاع المختارة: (١). وفى وثيقة أخرى ترجع إلى أواخر القرن السادس الهجري (أواخر القرن الثاني عشر الميلادي) ورد «... وتقدمنا بأن يجروا رهبان هذا الدير المذكور على عادتهم المستقرة، ويقروا على القاعدة المنتهية المستقرة . وأن يتوخوا بالرعاية والحماية والحياطة، ويمنع من يتعرض لأذيتهم أو يطمع فى مضرتهم» (٢). وفى وثيقة من العهد المملوكى يرجع تاريخها إلى أواخر القرن السابع الهجري (أواخر القرن الثالث عشر الميلادي) يتأكد نفس المعنى . إذا جاء فيها : « من السلطان إلى النواب والولاة بالديار المصرية والبلاد الشامية بشمل رهبان طور سيناء بالرعاية والاحترام ، والاعفاء من المغارم ، والتوفير من المظالم على حكم التواقيع الشريفة التى بأيديهم . وأن تكف عنهم أيدي العدوان : وتجري أمورهم على منهج العدى وسنن الاحسان» (٣).

سبق أن ذكرنا أن جغرافية طور سيناء كان لها أثرها فى صيغ الحياة فى تلك المنطقة الصحراوية الجذباء التى تعتمد اعتماداً كلياً على أمطار الشتاء ومياه الآبار الجوفية، بصيغة خاصة . وكان من أهم منتجاتها القمح والشعير والحبوب والبقلة والنخيل والكروم . وكانت هذه المنتجات الزراعية على قلبها - تشير الكثير من الخلافات بين الرهبان والعربان . ويبدو أن شكواياتهم كانت تصل إلى مصر بهذا الخصوص ، وان كان الدير لم يحتفظ

(١) أنظر الوثيقة رقم ١٠ سطر ٣٢ - ٣٧ .

(٢) أنظر الوثيقة رقم ١١ سطر ٢٤ - ٢٩ . أنظر أيضاً الوثيقة رقم ١٢ سطر ٨ - ١٤ .

(٣) أنظر الوثيقة رقم ١٧ بتاريخ ٥ صفر ٦٩٠ هـ (٧ فبراير سنة ١٢٩١ م) .

لنا بصور منها . ففى منشور صادر من ديوان الانشاء بتاريخ ٣ رجب ٥٢٩ هـ (١٩ ابريل ١١٣٥ م) صدر أمر بمنع كل من يتعرض لاسقف الدير ورهبانه وما يختص بهم من قسح وشعبير وجيوب وكروم وما يتصر منها (١) . وفى منشور آخر بتاريخ ١٦ محرم سنة ٥٩٢ هـ (٢١ ديسمبر ١١٩٥ م) صدر الأمر « بأن لا يفسح للعربان ولا لغيرهم من الموافقين والمخالفين لهم فى الأديان فى اقتصاءهم » (٢) . ويحدث أحياناً أن يطلب العربان مقاضة رهبان الدير فى كرومهم ونخلهم وغيرها من الزرع . ويخرج منشور من الديوان بأن « لا يعرضوا فى كرومهم ونخلهم وزروعهم بأضرار ولا مقاضة ولا احتجاز ، ولا اقتطاع شئ من ذلك بوجه من وجوه الاجبار . واتكف عنهم أسباب المساءة العائدة بضريرهم » (٣) وأحياناً أخرى يطلب العربان مشاركة رهبان الدير فى الأرض الزراعية والوديان الخضراء التى بأيديهم ، وما تغله من خيرات . فليجأ الرهبان - كما دعتهم - إلى السلطات المختصة بحصر لحسم الأمر . من ذلك منشور يرجع إلى القرن السابع الهجرى (أوائل القرن الثالث عشر الميلادى) صدر فيه الأمر « بازالة الاعتراض عن الرهبان بطور سبناه فى الثلثة فدادين التى بأيديهم . وأن توفر زراعتها عليهم ، ويمكنوا من التصرف فيها ، وأن لا يتعرض لها أحد من العربان وأن يؤذيم فيها » (٤) . وفى منشور آخر يرجع إلى سنة ٦٠٧ هـ (١٢١٠ - ١٢١١ م) جاء « . . إلى كافة المقطعين والنواب والمترددين : باجرائهم (أى رهبان الدير) فى النخل المذكور أسوة ما هو يدهم من النخل وغيره ، واعفائهم من طلب المشاطرة . . » (٥) .

وثمة نوع آخر من النزاع تكشف عنه تلك الوثائق ، كان يشور بين الرهبان والمجاورين لديرهم الذين كانوا يطالبون بالسكنى معهم أو تخزين غلالهم فى ديرهم . من ذلك وثيقة مؤرخة فى ٥ ذى القعدة ٥٩٥ هـ (٢٩

(١) أنظر الوثيقة رقم ٨ بتاريخ ٣ رجب ٥٢٩ هـ (١٩ ابريل سنة ١١٣٥ م) .

(٢) أنظر الوثيقة رقم ١١ سطر ٣٢ - ٣٣ .

(٣) أنظر الوثيقة رقم ١٢ سطر ١٤ - ١٧ و ٢٠ .

(٤) أنظر الوثيقة رقم ١٤ .

(٥) أنظر الوثيقة رقم ١٥ .

أغسطس سنة ١١٩٩م) صادرة من ديوان الانشاء بمصر جاء فيها « .. وأن لا يلزموا (أى رهبان الدير) بمساكنة غيرهم ، ولا تخزين غلة ولا غيرها في ديرهم » (١) .

ونظراً لبعيد الدير عن المناطق الآهلة ، وصعوبة الطرق والمواصلات اليه ، وما كان يتعرض له المسافرون إلى طور سيناء لزيارة آثارها المقدسة من متاعب وصعاب ومن أخطار وأهوال ، ومنها هجوم اللصوص وقطاع الطرق عليهم وسلبهم ما معهم - فقد طلب المسئولون بالدير من الحكام بمصر الاذن باصدار الأمر بعدم التعرض لمن يقوم بزيارة الدير ، وتأمين الطريق المؤدى اليه . ففى وثيقة بتاريخ ١٦ محرم ٥٩٢ هـ (٢١ ديسمبر سنة ١١٩٥م) صدر الأمر بمنع من « يتطرق لاختافة سبيلهم المسلوك لزيارتهم .. ولا يعارض زوارهم من البلاد الشامية بوجه من وجوه اضرار أو أذية » (٢) .

وهناك ناحية أخرى تكشف عنها الوثائق المذكورة ، وهى الرسوم والغرامات التى كان النواب والولاة بالحصون الطورية يحصلونها من هؤلاء الرهبان. ويبدو أن الرهبان كانوا يلجأون إلى الجهات المختصة بمصر فى طلب ازالة هذه الأعباء عن كواهلهم . ويخرج الأمر من مصر .. بحسم مواد الضرر عنهم . واعضاءهم من كل ما يلزمونه ويطالبون به ، ويكرهون على أدائه والقيام به من الرسوم والمؤن والغرامات وسائر الكلف التى لم تجر العادة بها ، حملاً لهم على عدل الدولة ، ورفقا بهم ، ورعاية لذمة الاسلام فيهم ، وعملاً بقضايا السجلات التى بأيديهم . « (٣) ومن الوثائق الهامة فى هذا الشأن وثيقة يرجع تاريخها إلى ربيع الثانى ٥٥١ هـ (مايو - يونيو ١١٥٦ م) ردا على الخامس من أسقف دير سيناء المسمى أنطون ، وهى صادرة من ديوان الانشاء بمصر فى عهد

(١) أنظر الوثيقة رقم ١٢ سطر ١٨ - ١٩ .

(٢) أنظر الوثيقة رقم ١١ سطر ٣١ و ٣٥ .

(٣) أنظر الوثيقة رقم ٩ بتاريخ ذو الحجة ٥٤٨ هـ (فبراير - مارس سنة ١١٥٤ م) - راجع

أيضاً الوثيقة رقم ١١ سطر ٣٩ - ٣٥ التى جاء فيها «... ومنع من يتعدى بقطع رسومهم الجارى بها ماضى عادتهم .

الخليفة الفاطمي القائم بنصر الله . وقد جاء فيها « .. انتهى إلى حضرتنا استضرار أنظون أسقف طور سيناء بما يقصده به الولاية من الأجحاف .. ويلتمونه من جهة من رسم أحدثوه ، وهو عشرة دنانير وبساطان .. أنكرنا ذلك على معتمديه .. وخرج أمرنا بإيداع هذا المنشور الأمر بإزالة هذا الرسم وتعقيبه ، والمنع من التماسه من هذا الأسقف ، والحذر من تناوله من جهة» (١) .

وكيفما كان الأمر فقد كانت مثل هذه الالتزامات والشكايات موضع العناية من السلطات المصرية ، سواء أكانت فاضمية أو أيوية أو مملوكية . فكانت تصدر الأوامر بما يكفل اشاعة الاطمئنان لدى رهبان الدير وزواره . ففي منشور بتاريخ ٣٠ جمادى الثاني ٥٠٢ هـ (٤ فبراير ١١٠٩ م) جاء الأمر من الخليفة الفاطمي : بصرف العناية إلى ما يستنب من حال هذا الأسقف (يعنى أسقف طور سيناء) والمقيمين معه في الطور من طائفته وأهل ملته ونخلته . وليجربى أحوال جميعهم على السداد في الإقامة هنالك والاستقرار . (٢) وفي منشور آخر بتاريخ ١٦ محرم ٥٩٢ هـ (٢١ ديسمبر ١١٩٥ م) : « .. وسبيل كل واقف على هذا المثال من الأمراء والولاية أجمعين ، أيدهم الله ، والنواب وكافة المستخدمين ، وحمل الأمر على حكمه والانتباه إلى واجب رسمه ، والانكار على من خالفه بعد علمه ، عاملين بفجواه ، معتمدين على العلامة الشريفة في أعلاه .» (٣) وفي وثيقة تالفة بتاريخ ٥ ذو القعدة ٥٩٥ هـ (٢٩ أغسطس ١١٩٩ م) : « .. وأمرنا هذا لذلك مؤكدا ، ولا ثواب له ، أمان اليهم مجدد .. وليكن العمل بحسبه في اليوم والغد . وليقر بأيديهم بعد قراءته حجة لهم فيما بعد .» (٤) وقد حدد المنشور جهات الاختصاص والتنفيذ . فقد جاء في واحد منها تاريخه ذو الحجة ٥٤٨ هـ (فبراير - مارس ١١٥٤ م)

(١) أنظر الوثيقة رقم ١٠ سطر ٢٠ - ٢٥ و ٢٨ - ٣٢ .

(٢) أنظر الوثيقة رقم ٦ سطر ٣١ - ٣٣ .

(٣) أنظر الوثيقة رقم ١١ سطر ٣٦ - ٤٢ .

(٤) أنظر الوثيقة رقم ١٢ سطر ٣٢ - ٣٥ و ٤٠ - ٤٢ .

« .. فن قرأه أو قرىء عليه من الأمراء والولاة بالشرقية ومدينة القنما ومتولى الحرب بالطور - فليعلم ذلك من الأمر وليعمل به وليتنبه إلى موحية وحكمه . وليقر بأيديهم أو بيد من يقع عليه حجة لهم بما تضمنته في اليوم وما يليه» (١).

نخرج مما سبق ذكره بنتيجة هامة تكشف عنها وثائق طور سيناء بجلاء لا لبس فيه ولا غموض ، وهي سياسة التسامح التي سارت عليها السلطات الاسلامية في مصر حيال أهل الذمة . فقد أوضحت هذه الوثائق أن زهبان طور سيناء كانوا يعيشون في ديرهم الثاني وهم هادئين آمنين مطمئنين دون أن يلحقهم أذى أو بصيهم مكروه ، مع تأمين طريق الحججاج الذين كانوا يقومون بحجهم إلى هذا المكان المقدس . لقد اشتهر المسلمون بسعة صدرهم وتسامحهم الصادق في أمور الدين وفي الحريات الشخصية . وذلك يرجع لما أنطوى عليه الدين الاسلامي من رح التسامح والمحبة ولا سببا مع أهل الذمة (٢) . ويبدو هذا واضحا في جميع الوثائق العربية الصادرة من ديوان الانشاء بالديار المصرية إلى دير سيناء . من ذلك ما جاء في منشور يرجع إلى أواسط القرن السادس الهجري (أواسط القرن الثاني عشر الميلادي) « .. أنه لما كان من شيمنا ازالة المحرمات وتعقبة آثارها ، والمنع من الاستمرار عليها ، وتأكيده انكارها ، ورعاية من يحتوى عليه نطاق مملكتنا من أهل الذمة ، واعتمادهم بما يسبغ عليهم ملابس الخنو والرحمة . تساوى في عدلنا الصغير والكبير ، وشملهم من حسن نظرنا ما يسهل عليهم من المطالب كل مستصعب عسير .. » (٣) وجاء في وثيقة أخرى ترجع إلى أواخر ذلك القرن ما يؤكد نفس المعنى السابق « .. انا لم نزل والله الحمد نذب عن الرعايا الذين فوض الله تعالى أمرهم إلينا ، وأحالت الشريعة الظاهرة في حياتهم علينا . فنكف كف الأذى عنهم ، ونجازي على الاحسان من سلك

(١) أنظر خانمة الوثيقة رقم ٩ .

(٢) وكانت هذه هي نفس سياسة التسامح المتساعفة التي اتبعها العرب حيال الحجاج الأوروبيين واللاتين في الأراضي المنقمة في العصور الوسطى ، عندما كان بيت المقدس خاضعا للسلطات العربية سواء أكانت فاطمية أو أيوية أو ملوكية . أنظر جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين في الحرب النصليبية الأولى - الاسكندرية ١٩٦٣ - ص ١٢٩ ح ١ .

(٣) أنظر الوثيقة رقم ١٠ سطر ١٢ - ٢٠ .

طريقه منهم . فنقيل عثرتهم . ونكشف كبريتهم وعمهم ، ونضاعف ذلك
لبطاركتهم ورهبانهم وقسيسهم وكهانهم، وساكني الصوامع من زهادهم،
والمتقطعين بالأديرة من عبادهم. « (١)

وكان رهبان دير سيناء وأساقفتهم يقدرون تماماً ضمن معاملته السلطات
المصرية لهم . ويتضح هذا من منشور صدر من الديوان بمصر بتاريخ ٣٠
جمادى الثاني ٥٠٢ هـ (٤ فبراير ١١٠٩ م) جاء فيه « .. أنهى أسقف طور
سيناء المعروف بنفري وجماعة الرهبان والنصارى المقيمين معه ، أنهم في ظل
الدولة الحافظية آمنون ، وفي وطن عتقا ماكنون ، وأنهم مالم يكون في زمانها
يفتخرون . وبما يخرج من أوامرها يقشرفون » (٢) .

وتكشف الوثيقة الأخيرة أنه كان يتولى رئاسة الدير أسقف كان مقدماً
على رهبانه ومسئولاً عنهم وعن كافة شئون الدير . نستدل على ذلك من منشور
صادر من ديوان الانشاء بمصر في مستهل القرن السادس الهجري (مستهل
القرن الثاني عشر الميلادي) جاء فيه « .. بأن يخصص هذا الأسقف
بميزة عليهم (أي على رهبانه) في التكرمة بما له عليهم في شريعتهم من الرتبة
والتقدمة ، لينفذ فيهم أحكامه وليقومهم إلى الطريقة الحميدة زمامه » (٣) .

هذا عن النواحي التي تكشف عنها تلك الوثائق . وهناك مسألة أخرى
لا تقل في أهميتها سبق ذكره . إذ اتضح أنه ورد في عدد قليل من تلك الوثائق

(١) أنظر الوثيقة رقم ١١ سطر ١٤ - ٢٣ . ويتكرر نفس النص في معظم المنشورات الصادرة
لصالح رهبان طور سيناء . ففي واحد منها جاء « وحجم مواد الضرر عنهم ... رعاية لئمة الإسلام
فيهم » . أنظر الوثيقة رقم ٩ . وفي منشور آخر صدر بالأمر إلى الولا المختص بأن « يشملهم بكل
أرواح (يقصد رعادية) ، فإلهم رعدينا ورعايتهم ، وتختلف لوطاة عنهم بكون انقطاعهم في ذلك
المكان اشريف ، ولا يمكن أحداً من ذنبهم . فإلهم الا من هو المسكين الضعيف » . أنظر الوثيقة
رقم ١٢ سطر ٢٧ - ٣٢ .

(٢) أنظر الوثيقة رقم ٦ سطر ٧ - ١٠ .

(٣) أنظر الوثيقة رقم ٦ سطر ٢٤ - ٣٧ . كما جاء في الوثيقة رقم ١٠ سطر ٣٢ - ٣٥ ،
أمر برعاية أسقف طور سيناء والمبالغة في عزازه وتكريمه .

أسماء بعض أساقفة طور سيناء . بينما جاءت معظم الوثائق خلواً من أسماء أساقفة الدير . ولهذا أهميته الكبرى ، لأنه لا يوجد بالدير وثائق أو مخطوطات سواء بالعربية أو اليونانية القديمة أو غيرها من اللغات تضمنت أسماء أساقفة الدير وتراجم حياتهم في الفترة الوسيطة من التاريخ . ونيس من السهل لتعليل عدم وجود سجلات لأولئك الأساقفة . ولعله كانت توجد تراجم لهم وانتشرت مع الزمن نتيجة الأعمال . وإن كان هذا التعليل بعيد الاحتمال لسبب واضح وهو أن الدير احتفظ بوثائق ومخطوطات يرجع تاريخ بعضها إلى القرن السابع الميلادي والقرون التالية . وظلت باقية حتى يومنا هذا . فلو كانت هناك فعلاً تراجم لأساقفة الدير لاحتفظ بها مثلما احتفظ بغيرها من المستندات . وعلى هذا فإن ورود اسم أي أسقف من أساقفة طور سيناء في أي وثيقة من الوثائق المشار إليها يعتبر أمراً له قيمته واعتباره . . . وبعد التنقيب في وثائق العصرين الفاطمي والأيوبي أمكن الكشف عن أسماء ثلاثة من أولئك الأساقفة الذين توالوا إدارة الدير في فترات مختلفة متباعدة . ففي وثيقة بتاريخ ٣٠ جمادى الثاني ٥٠٢ هـ (٤ فبراير ١١٠٩ م) جاء أن اسم أسقف طور سيناء وقتذاك هو فيفري (١) . ونعرف من الوثيقة المؤرخة ربيع الثاني ٥٥١ هـ (مايو - يونيو ١١٥٦ م) أن أسقف الدير في ذلك الحين كان يسمى أنطون (٢) وفي وثيقة ثالثة بتاريخ ٥٩٨ هـ (١٢٠١ - ١٢٠٢ م) أن الأسقف وقتذاك كان يدعى صبحان (٣) .

وإذا كانت أسماء هؤلاء الأساقفة الثلاثة أمكن الوصول إليها عن طريق الوثائق المذكورة ، فإن المخطوطات والأيقونات المحفوظة بالدير تساعد بدورها على الكشف عن البعض الآخر . إذ جرت عادة البعض بالتأشير أحياناً على هوامش المخطوطات العربية واليونانية المحفوظة بالدير بما يفيد قراءتهم لها أو اطلاعهم عليها . وكانوا عادة يسجلون أسماءهم ويثبتون التاريخ كتابة

(١) أنظر الوثيقة رقم ٦ سطر ٧ . وفيفري هو تحريف للاسم اليوناني فيفريوس .

(٢) أنظر لوثيقة رقم ١٠ سطر ٢١ .

(٣) أنظر لوثيقة رقم ١٣ .

نحت تأشيراتهم . ويمكن الاستعانة بمثل هذه المخطوطات — ولو أنها قليلة العدد — إلى جانب الأيقونات والوثائق العربية التي وردت بها أسماء الأساقفة ، في تحديد الأخطاء والتواريخ التي تولى فيها هؤلاء الأساقفة أو غيرهم رئاسة الدير .

ولئن كان ما تقدم يبين مدى أهمية تلك الوثائق ومحتوياتها من الناحية التاريخية ، فإنها تثير بعض نقاط أخرى جديرة بالبحث والدراسة ، نخلص فيما يلي :

(أولاً) هل كان ديوان الإنشاء بمصر يحتفظ بصور أو أصول لتلك المنشورات التي كان يبعث بها إلى أساقفة دير سيناء ورهبانة ؟ وهل كان الدير يحتفظ أيضاً بصور من الأوامر التي كان يبعث بها إلى الولاة والنواب المختصين للتنفيذ ؟ ربما كان ديوان الإنشاء يصدر المكاتب من صورتين يبعث باحدهما إلى الدير الذي حفظها لنا من الضياع ، ويحتفظ بالثانية في الدير نفسه وتكون قد اندثرت مع الزمن . ويحتمل أيضاً أن الدير كان يكفى بإرسال المكاتب إلى الدير دون أن يحتفظ بنسخة أخرى منها . وسواء أكان الدير قد احتفظ وتذاك بصور لتلك المنشورات والأوامر أم لا ، فإنه لم يبق سوى الوثائق التي توجد بمكتبة القديسة كاترين في سيناء والتي حفظها لنا الزمن من الضياع . ومن هنا جاء اهتمام المؤرخين الحديثين في الشرق والغرب بها . فعكفوا على دراستها وتحليلها ونشرها نشرًا علميًا دقيقًا محققًا . وقد قام العلماء الانجليز والالمان أخيراً بنصيب وافر في هذا الميدان .

(ثانيًا) لقد كشفت المنشورات المرسلّة من السلطات المصرية إلى أساقفة الدير ورهبانة أنها رد على التماسات وشكايات مرسلّة من الدير . فهل كان الدير يحتفظ بصور من تلك التماسات والشكايات ؟ أم كان يكفى بإرسال المكاتب إلى مصر دون الاحتفاظ بصور منها ؟ ليس من السهل الاجابة على هذا السؤال أو البت فيه برأى قاطع . والمهم أننا لم نعتد في الدير ومكتبته على أي التماس أو شكوى من هذا القبيل . وهناك احتمالان لاثالث لهما : إما أنه كان يوجد صور لهذه المكاتب بالدير

أو ديوان الانشاء بمصر وضاعت مع الزمن . واما أن الرهبان كانوا يكفون بكتابة التماساتهم التي يعثون بها إلى الديار المصرية من نسخة واحدة دون أن يحفظوا بصور منها ، وفقدت هي الأخرى . والاحتمال الثاني هو الأقرب إلى الصحة نظراً لندرة الورق . وتناك من جهة ، ولعدم وجود أى مكانية من هذا الصنف بالدير من جهة أخرى . ولو كانت مثل هذه التماسات موجودة فعلاً ، لاحتفظ بها الدير مثلما احتفظ بالمنشورات والأوامر وخطابات التوصية التي كانت ترسل اليه من مصر . ومثلما احتفظ بالمخطوطات والوثائق الأخرى وغير ذلك من النخائر والمخلفات المقدسة .

هذا عن وثائق العصرين القاطن والأيوني المحفوظة بدير سيناء من الناحية الموضوعية . أما من حيث الشكل والصيغة ، فهناك عدة ملاحظات نوجزها في النقاط الآتية :

١ - تبدأ الوثيقة بالبسلة ثم الافتتاحية (١) التي يسهلها الكاتب بديوان الانشاء بذكر اسم الحاكم والقاب ، مع ايراد بعض الجمل في امتداحه . ثم ينتقل إلى مضمون التماس المقدم من أسقف الدير ورهبانه . ويعقب ذلك الأمر الصادر إلى الجهات المعنية بإزالة أسباب الشكوى واتخاذ اللازم نحو التنفيذ . وتختتم الوثيقة بآيات التاريخ الهجرى كتابة (٢) ، مع توجيه الحمد والشكر إلى الله سبحانه وتعالى والصلاة والسلام على نبيه محمد عليه السلام .

٢ - الوثائق صادرة من ديوان الانشاء بالديار المصرية ، والخط ديوانى حميل (٣) ، والكتابة مدونة بالمداد الأسود الذى احتفظ بلونه الداكن (٤) .

(١) يلاحظ أن الافتتاحية في بعض الوثائق غير موجودة لوجود قطع في اقتنايف من أعلا . مثال ذلك الوثيقة رقم ٨ ، و الوثيقة رقم ٩ التي يوجد تأكل في أعلاها ، وكذلك الوثيقة رقم ١٥ .

(٢) التاريخ في الوثيقة رقم ١٦ مثلاً غير كامل لوجود تمزيق بأخرها من جهة الشمال .

(٣) يوجد عدد قليل من هذه الوثائق التي تتميز بقطعها الردى . إذ أن كثيراً من كلماتها يصعب قرائتها أو تفسيرها . مثال ذلك الوثيقة رقم ٦ والوثيقة رقم ٧ .

(٤) هناك وثيقة واحدة ترجع إلى العهد القاطن ، وهي مدونة بالخبر الأسود الذى تحول مع الزمن إلى اللون البنى الفاتح ، وهي الوثيقة رقم ٧ .

٣ - يلاحظ أن معظم الكلمات غير منقوطة (١) ، وبعضها متشابهة (٢) كما أن بعض العبارات الديوانية مختصرة (٣).

٤ - جميع الوثائق خالية من الفصلات والوقفات والممزات التي راعينا البائها في الوثيقتين المنشورتين على الصفحات التالية ، الأول ترجع إلى العهد الفاطمي ، والثانية ترجع إلى زمن الأيوبيين .

هذا ويلاحظ أن جميع الوثائق المشار إليها مكتوبة على لفائف من الورق يتراوح طولها بين ٢٩,٥ سم و ٥٤٢ سم ، وعرضها بين ١٣ سم و ٤١ سم . وهذا الورق من النوع الذي كان مستعملاً حتى القرن الثالث عشر . وهو بصفة عامة في حالة جيدة من الصيانة والحفظ ، وإن كان يوجد ببعض اللفائف أحياناً تمزيق وثقوب صغيرة وتآكل في الجوانب (٤) . ولون الورق ضارب إلى الصفرة .

الوثيقة الأولى

الوثيقة رقم ١٠ - متاس ٢١×٤٨٨ سم - تاريخ ربيع الثاني ٥٥١ هـ (٥) (مايو - يونيو ١١٥٦ م) .

« من ديوان الخليفة الفاطمي الفائز بنصر الله إلى أنطون أسقف دبر سيناء ورهبانه: (٦) .

- (١) عدد قليل من هذه الوثائق بعض كلماته منقوطة ، مثل الوثيقة رقم ٦ والوثيقة رقم ١٢ . وكذلك بعض كلمات الوثيقتين رقم ١٠ ورقم ١١ .
- (٢) فسر ب مثلاً لذلك بالوثيقة رقم ٧ .
- (٣) أنظر لوحات رقم ٨ ج ، ٨ ط ، ٩ ب .
- (٤) الوثيقة رقم ٦ بها تآكل في أكثر من موضع ، وكذلك الوثائق أرقام ٩ و ١٢ و ١٤ .
- (٥) ترجع هذه الوثيقة إلى عهد الخليفة الفاطمي الفائز بنصر الله الذي حكم من سنة ٥٤٩ هـ إلى سنة ٥٥٥ هـ .
- (٦) اسم كل من الخليفة الفاطمي وأسقف طور سيناء مستمد من الوثيقة نفسها . أنظر سطر ٤ و ٢١ ، وكذلك لوحة رقم ٨ أ ولوحة رقم ٨ ج .

سطر

- ١ بسم الله الرحمن الرحيم .
- ٢ منشور تقدم بكتبه (١) فنى مولانا
- ٣ - الحمد لله على نبراته - (٢)
- ٤ وسيدنا الامام انقائز بنصر الله (٣)
- ٥ أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وعلى
- ٦ آباءه الطاهرين وأبنائه المنتظرين (٤)
- ٧ السيد الأجل ، الملك الصالح ، ناصر الأئمة ،
- ٨ كاشف الغمة ، أمير الجيوش ، سيف الاسلام ،
- ٩ عنان الأنام . كافل قضاة المسلمين ،
- ١٠ وهادى دعوة المؤمنين ، أبو الغارات (٥)
- ١١ طلائع الثائرى . وتضمينه
- ١٢ أنه لما كان من شيمنا ازالة المحرمات ،
- ١٣ وتعقبه آثارها - والمنع من الاستمرار
- ١٤ عليها ، وتأكيد انكارها ، ورعاية من
- ١٥ يحتوى عليه نطاق مملكتنا من أهل الذمة ،
- ١٦ واعتمادهم بما يسبغ عليه ملابس
- ١٧ الحنو والرحمة . تساوى في عدلنا

- (١) هذا السطر غير واضح في الوثيقة ، ولكن أمكن تفسيره بمقارنته بالسطر الثامن من الوثيقة رقم ١١ . أنظر الوثيقة رقم ١٨ .
- (٢) جملة اعتراضية بخط سائر . أنظر نفس الوثيقة السابقة .
- (٣) أنظر لائحة رقم ١٨ .
- (٤) وردت هذه العبارة في الوثيقة رقم ٨ «وأبنائه الأكرمين» ، بينما جاءت في الوثيقة رقم ١٠ «وأبنائه المنتظرين» .
- (٥) وضعنا أمامها علامة استفهام لأنها غير واضحة في الوثيقة .

- ٣٠ المنشور الأمر بإزالة هذا الرسم وتعقيبه ،
 ٣١ والمنع من التماسه من هذا الأسقف ، والحظر
 ٣٢ من تناوله من جهته . واعتماده بالرعاية
 ٣٣ والملاحظة والمعونة والمرافدة ، والمبالغة (١)
 ٣٤ في اعزاز جانبه وتسهيل مطالبه .
 ٣٥ والتحذير من تكليمه أو أحد من رهبانه معه ؟ ،
 ٣٦ أو جاره ، واجرائه على القوانين المرضية
 ٣٧ والأوضاع المختارة .
 ٣٨ فمن قرأه أو قرىء عليه من كافة الأمراء
 ٣٩ الولاية بالحصون الطورية(٢) - أدام الله عزهم -
 ٤٠ فليعمل بالمثل فيه ، وليتنبه إلى ما يوجه
 ٤١ حكمه ويقتضيه ، وليحذر من تجاوزه ،
 ٤٢ ويعاد به . وليقر ببد منجزه حجة له لمودعه .
 ٤٣ نسخ في ديوان(٣) المجلس الفاضل السعيد .
 ٤٤ ان شاء الله .
 ٤٥ نسخ والحمد لله رب العالمين .

(١) أنظر نوحه ٨ و نوحه ٨ ز (من سطر ٢٨ الى سطر ٣٣) .

(٢) يلاحظ أنه كان يتولى شؤون الحكم والادارة بالطور في العهد العثماني أثناء ، أسدهما يطلق عليه «الحاكم الشرعي ببندر الطور» والمقصود به الحاكم المدني ، والنقل « أنكنا ببندر الصوره وهو استولى عن حفظ الأمن والنظام . أنظر الوثيقة رقم ١٤٧ بمكتبة دير سيناء ، وهي عبارة عن فرمان يرجع الى العهد العثماني - مقياس ٤٧ X ٢٢ سم - بتاريخ ١ رمضان ١٢٩١ هـ (١٨ سبتمبر ١٩٠٣ م) .

(٣) الكلمة غير واضحة في هذه الوثيقة . ولكن بتقارننا بما جاء في الوثيقة رقم ٨ أمكن استقراءها .

- ٤٦ ان شاء الله تعالى (١) ، في شهر ربيع الآخر من
 ٤٧ سنة احدى وخمسين وخمسة .
 ٤٨ الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وسلم تسليماً . (٢)
 ٤٩ حمى الله ونعم الوكيل (٣) .

الوثيقة الثانية

الوثيقة رقم ١١ - مقامس ٥٤٢ (٤) ١٩٠٥٠ سم - تاريخ ١٦ محرم
 ٥٩٢ هـ (٢١ ديسمبر ١١٩٥ م .)

« منشور من ديوان الملك العادل أبي بكر بن أيوب خليل إلى رهبان
 طور سيناء »

سطر

- ١ بسم الله الرحمن الرحيم .
- ٢ منشور تقدم بكتبه مولى الملك العادل ،
- ٣ - الحمد لله وبه توجيبي - (٥)
- ٤ السيد الاجل ، الكبير العالم ، المؤيد المظفر ، (٦)
- ٥ المنصور ، المرابط ، المحام ، سيف الدين ، ناصر الاسلام ،

(١) مكتوبة بخط أكثر وضوحاً في الوثيقة رقم ١١ سطر ٤٢ . أنظر لوحة رقم ٨ ح .
 (٢) وردت في الوثيقة رقم ١١ سطر ٤٤ - ٤٥ مع إضافة ققرة ليا ، ونسبها « الحمد لله بن
 جلاله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين ، وسلم تسليماً كثيراً » . أنظر لوحة ٩ م .
 (٣) جملة ديوانيه مختصرة ، وهي أكثر وضوحاً في الوثيقة رقم ١١ سطر ٤٦ . أنظر أيضاً
 لوحة رقم ٨ ح ولوحة رقم ٨ ط (من سطر ٤٢ - ٤٩) .
 (٤) جاء في كل من فهرست الدكتور عزيز سوريال وفهرست الدكتور مراد كامل أن
 مقامس الوثيقة هو ١٩٠٥٠٧ سم ، والحقيقة أنه ١٩٠٥٠٤٢ سم . ولعله خطأ مطبعي .
 (٥) جملة اعتراضية مكتوبة بخط رضى مغاير . أنظر لوحة رقم ٩ .
 (٦) أنظر نفس لوحة السابقة .

- ٦ معين الأنام ، غياث الأنام ، جلال الدولة ،
- ٧ تاج الملة ، مجير الأمة ، سيد الملوك والسلاطين ،
- ٨ سلطان جيوش المسلمين ، قانع الكفرة
- ٩ والمشركين (١) - أبو بكر بن أيوب خليل أمير المؤمنين .
- ١٠ قرن الله النفاذ بنبيه وأمره ، وأنطق
- ١١ السن العباد بمحمد وشكره ، ونور بالحسنات
- ١٢ مواقيت ليله وساعات فجره ، واحيا الآمال
- ١٣ بما يحطره سباب سيده ، ويمتد به أيام بره .
- ١٤ وقضمينه ، أنا لم نزل والله الحمد نذب عن الرعايا
- ١٥ الذين فوض الله تعالى أمرهم اليها ، وأحالت
- ١٦ الشريعة الطاهرة في حياتهم علينا .
- ١٧ فتكف كف الأذى عنهم ، ويجازى على
- ١٨ الاحسان من سلك طريقه منهم .

(١) تتميز الوثائق العربية المنقوشة بالدير بأهميتها في الكشف عن ألقاب الخلفاء والسلاطين الذين تربعوا على عرش مصر خلال العصر الوسيط ، والتطور الذي طرأ عليها ، واختلافها من حاكم إلى آخر . ففي الوثيقة رقم ٦ بتاريخ ٣٠ جمادى الثاني ٥٠٢ هـ / ٤ فبراير سنة ١١٠٩ م حيث كان يحكم مصر الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله (٤٩٦ - ٥٢٤ هـ) وردت ألقابه كالأق: "بسم الله الرحمن الرحيم ، انفى ايد الله به أمير المؤمنين من بالغ أكله ، وأورثه اياه من مقام آتته القداة الاثمة كلهم" أنظر سطر ١ - ٤ من الوثيقة المذكورة . وفي الوثيقة رقم ٩ بتاريخ ذو الحجة ٥٤٨ هـ / فبراير - مارس ١١٥٤ م - زين الخليفة الفاطمي الضافر بالله (٥٤٤ - ٥٥٤ هـ) جاءه السيد الأجل الأنقل أمير الجيوش ، سيف الاسلام ، ناصر الامام ، كاض قضاء المسلمين ، وهادى دماء المؤمنين . أما في وثيقة رقم ١٢ بتاريخ ٥ ذو القعدة ٥٩٥ هـ / ٢٩ أغسطس ١١٩٩ م في عهد الملك العادل الأيوبي كانت ألقاب الحاكم كالأق : «مخرج الأمر العالي المولوى السلطان الملكى الأنقل ، ركن البولة ، عالي المنار ، ناص المير ، منصور له ونصر ، سمود لا برد ، وله اصدار نافذة في الأملراف والأقطار .» أنظر سطر ٢ - ٨ من وثيقة المذكورة . أنظر أيضاً الألقاب الواردة في المنشورين رقم ١٠ ، رقم ١١ .

- ١٩ فتقبل عشرتهم . ونكشف كربتهم وعنتهم ،
 ٢٠ ونضاعف ذلك لبطارتكهم ورهبانهم
 ٢١ وتسيبهم وكهانهم وساكنتي
 ٢٢ الصوامع من زهادهم . والمنقطعين بالأديرة
 ٢٣ من عبادهم (٢) .
 ٢٤ وتقدمنا بأن يجروا رهبان هذا
 ٢٥ الدير المذكور على عادتهم المستمرة ،
 ٢٦ ويقروا على القاعدة المستتبة المستقرة ،
 ٢٧ وأن يتوخوا بالرعاية والحماية والحياطة
 ٢٨ والكلاية . ويمنع من يتعرض لأذيتهم أو
 ٢٩ يطمع في مضرتهم . أو يتعدى بقطع
 ٣٠ رسومهم الجارى بها ماضى عادتهم . أو
 ٣١ يتطرق لاختافه سبيلهم المسلوك لزيارتهم .
 ٣٢ وأن لا يفسح للعربان ولا لغيرهم من الموافقين
 ٣٣ والمخالقين في الأديان في اهتضامهم ،
 ٣٤ ولا في تكليبتهم نقض ما أقرروا عليه من
 ٣٥ أحكامهم . ولا يعارض زوارهم من البلاد الشامية بوجه من
 وجوه اضرار أو أذية .
 ٣٦ وسبيل ؟ كل واقف على هذا المثال
 ٣٧ من الأمراء والولاة (١) أجمعين . أيدهم الله والنواب ،

(١) لم يحدد هذا المنشور جهات الاختصاص ، واكتفى بذكر الأمراء والولاة والنواب
 والمستخدمين . بينما كانت بعض الوثائق أكثر وضوحاً وتحديداً في هذا الصدد . مثلاً ذلك الوثيقة
 رقم ٩ التي جاء فيها : فمن قرأه أو قرىء عليه من الأمراء والولاة بالشرقية ومدينة القبرما ومنولى
 الحرب بالظور .هـ أنظر أيضاً لوثيقة رقم ١٠ سطر ٣٨ - ٣٩ .

- ٣٨ وكافة المستخدمين ، حمل الأمر على حكمة ،
 ٣٩ والانتفاء إلى واجب رسمه ، والانتكار على
 ٤٠ من خالفه بعد علمه . عاملين
 ٤١ بفضواه ، معتمدين على العلامة
 ٤٢ الشريفة (١) في أعلاه . أن شاء الله تعالى .
 ٤٣ كتب سادس عشر المحرم سنة اثنين وتسعين وخمسة .
 ٤٤ الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين ،
 ٤٥ وسلم تسليماً كثيراً .
 ٤٦ وحسبي الله ونعم الوكيل (٢) .

(١) المقصود بالعلامة الشريفة التي توجد في أعلاه المنشور ، أنها تصفى عليه صيغة رسمية وتجعله شاملاً للنفاد . أنظر نوحه رقم ١٨ ، ونوحه رقم ٩ .
 (٢) أنظر نوحه ٩ ب . هذا وتكاد خاتمة الوثائق التي ترجع إلى العهد الفاطمي تتفق في ألفاظها . وهذا ما يمكن أن يقال بالنسبة لتلك التي ترجع إلى العصر الأيوبي . فن وثائق الفاطميين الوثيقة رقم ٦ ص ٣٨ - ٣٩ « الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعلى آله الأئمة الطاهرين ، وسلم تسليماً . حسبي الله ونعم الوكيل . » وفي الوثيقة رقم ٩ « الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه ، وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين ، وسلم تسليماً . حسبي الله ونعم الوكيل . »
 أنظر أيضاً الوثيقة رقم ١٠ ص ٤٨ - ٤٩ . ومن وثائق العصر الأيوبي الوثيقة رقم ١٢ ص ٤٦ - ٤٨ « الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وصحبه وسلم . حسبي الله ونعم الوكيل . »
 أنظر أيضاً الوثيقة رقم ١١ ص ٤٤ - ٤٦ ، وهي ترجع إلى العهد الأيوبي .

المصادر

- ١ - وثيقة رقم ٦ بدير سانت كاترين في سيناء - مقياس 302×21 سم - تاريخ ٣٠ جمادى الثاني ٥٠٢ هـ / ٤ فبراير ١١٠٩ م .
« منشور من ديوان الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله الى فيقري أسقف طور سيناء ورهبانه » .
- ٢ - وثيقة رقم ٧ بدير سانت كاترين في سيناء - مقياس 190×14 سم - تاريخ ١٧ ذو القعدة ٥٠٣ هـ / ٧ يونيو ١١١٠ م .
« منشور من ديوان الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله الى رهبان طور سيناء » .
- ٣ - وثيقة رقم ٨ بدير سانت كاترين في سيناء - مقياس 222×22 سم - تاريخ ٣ رجب سنة ٥٢٩ هـ / ١٩ أبريل سنة ١١٥٢ م .
« منشور من ديوان الخليفة الفاطمي الخافظ لعين الله الى رهبان طور سيناء » .
- ٤ - وثيقة رقم ٩ بدير سانت كاترين في سيناء - مقياس 300×41 سم - تاريخ ذو الحجة سنة ٥٤٨ هـ / فبراير - مارس سنة ١١٥٤ م .
« منشور من ديوان الخليفة الفاطمي الظاهر بالله الى رهبان طور سيناء » .
- ٥ - وثيقة رقم ١٠ بدير سانت كاترين في سيناء - مقياس 488×21 سم . تاريخ ربيع الثاني ٥٥١ هـ / مايو - يونيو سنة ١١٥٦ م .
« منشور من ديوان الخليفة الفاطمي الظاهر بنصر الله الى أنجلون أسقف طور سيناء ورهبانه » .
- ٦ - وثيقة رقم ١١ بدير سانت كاترين في سيناء - مقياس $542 \times 19,0$ سم - تاريخ ١٦ محرم ٥٩٢ هـ / ٢١ ديسمبر سنة ١١٩٥ م .
« منشور من ديوان الملك العادل أبو بكر بن أيوب خليل في رهبان طور سيناء » .
- ٧ - وثيقة رقم ١٢ بدير سانت كاترين في سيناء - مقياس $287 \times 13,2$ سم - تاريخ ٥ ذو القعدة ٥٩٥ هـ / ٢٩ أغسطس سنة ١١٩٩ م .
« منشور من ديوان الملك العادل الى رهبان طور سيناء » .
- ٨ - وثيقة رقم ١٣ بدير سانت كاترين في سيناء - مقياس 37×12 سم - تاريخ ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ - ١٢٠٢ م .
« منشور من ديوان الملك العادل سيف الدين أبو بكر أيوب بن إسماعيل أسقف طور سيناء ورهبانه » .

- ٩ - وثيقة رقم ١٤ بدير سانت كاترين في سيناء - مقياس ٢٩,٥ × ١٧,٥ سم - بتاريخ ٦ رمضان ٦٠٦ هـ / ٩ / ١٢٠٩ م .
 • منشور من ديوان الملك العادل الى رهبان طور سيناء .
- ١٠ - وثيقة رقم ١٥ بدير سانت كاترين في سيناء - مقياس ١٢٥ × ١٣ سم - تاريخ ٥ / ٨ / ٦٠٧ هـ - ١٢١٠ - ١٢١١ م .
 • منشور من ديوان الملك العادل الى رهبان طور سيناء .
- ١١ - وثيقة رقم ١٦ بدير سانت كاترين في سيناء - مقياس ٩٧ × ٢١,٥ سم - للتاريخ غير كامل لوجود قطع بأخر الوثيقة .
 • منشور من ديوان الملك الكامل محمد الأيوبي الى رهبان طور سيناء .
- ١٢ - وثيقة رقم ١٧ بدير سانت كاترين في سيناء - مقياس ٣٠٧,٥ × ١٣,٥ سم - تاريخ ٥ صفر ٦٩٠ هـ / ٧ / فبراير ١٢٩١ م . من العهد المملوكي .
 • منشور من ديوان الملك الأشرف خليل الى رهبان طور سيناء .
- ١٣ - وثيقة رقم ١٥٧ بدير سانت كاترين في سيناء - مقياس ٤٧ × ٢٢ سم - تاريخ ١ رمضان ٩٩١ هـ / ١٨ / سبتمبر ١٥٨٣ م . من العهد العثماني .
- ١٤ - مؤلف مجهول : كتاب تاريخ بناء الدير - مخطوط بدير سانت كاترين في سيناء تحت رقم ٦٩٢ - مخطوط على الورق - تاريخه سنة ١٨٢٥ م .

الملوحات

- لوحة ١ دير سانت كاترين في شبه جزيرة سيناء .
 لوحة ٢ مباني منقطة الدير كاتينو من أهلا .
 لوحة ٣ حائط الدير من جهة الجنوب الغربي .
 لوحة ٤ الجبال المشاهدة التي تمتد من خلف منطقة الدير .
 لوحة ٥ الجبال والصحراء والوديان بمنطقة الدير .
 لوحة ٦ وادي فران في طور سيناء .
 لوحة ٧ ايقونة سلم الخلاص .
 لوحة ٨ (أ - ط) نماذج مصورة من الوثيقة رقم ١٠ .
 لوحة ٩ (أ - ب) انتاحية وخاتمة الوثيقة رقم ١١ .

SUMMARY

A STUDY ON THE FATIMID AND AYYUBID DOCUMENTS IN THE MONASTERY OF Mt. SINAI

By

JOSEPH NESSIM YOUSSEF (Ph. D.)

Preface

About the end of the year 1963, the Alexandria Faculty of Arts together with the Universities of Michigan and Princeton, resumed work on the treasures of the Monastery of St. Catherine at Sinai. I had the occasion to visit Sinai twice, the first time from the 3rd to the 14th of October, 1963, and the second from the 21st to the 25th.

I passed the greater part of both visits within the walls of Sinai's library. I was fully devoted to the study of the eleven documents of the Fatimid and Ayyubid period written in Arabic and dating from 502 to 607 A.H. (1109 - 1211 A. D.).

Hereafter, I give a brief idea about the contents of these documents, their value and historical importance, their form and style, and the conclusions which may be extracted from them.

The Contents of the Documents and their Importance

These documents are of great importance as they shed light on the conditions of the monks and their bishops in this desert area, the relations between the monks and their bishops, the relations between them and their bedouin neighbours, and lastly the relations between them and the officials in the castles at El-Tor and between them and the Egyptian authorities in Egypt itself.

These are, briefly, the main points in the documents.

I. The documents are answers to petitions sent by the monks of Sinai to the authorities asking for protection from annoyances suffer-

red from their bedouin neighbours. We find a clear example in documents no. 6 and 9.

2. The decrees issued by the Chancery of Egypt in favour of the monks of the Convent sometimes uphold the common usages, habits and traditions of the monks, as we find in documents no. 10,11 and 16.

3. Some of the decrees issued by the Chancery of Egypt are concerned with the disputes between the monks of Sinai and their neighbours concerning the products such as wheat, barley, corn, plum-tree and grapes, as we find in documents no. 8, 11 and 12. It happened sometimes that the bedouins asked the monks to give them a share of their land and its products, or to give them half of it. Decrees regarding this matter were addressed from Egypt in favour of the monks, as we find in documents no. 14 and 15.

The area is very poor, there is little rain and the monks possessed most of the cultivated land, while the bedouins had very little to live on. There were, therefore, frequent disputes, and the monks appealed to the authorities for help, and always got favourable replies.

4. These documents also reveal another kind of disputes, such as occasional differences between the monks and their neighbours who used to ask to be allowed to live with them, or to store corn in the Convent. Decrees were issued from Egypt approving the demands of the monks, as they appear in document no. 12.

5. Among the important matters contained in the documents are the orders from Egypt safeguarding the visitors of the Monastery, and keeping the road to Sinai safe. We know that the travellers to Sinai for the purpose of visiting its sacred remains and relics, had to run at that time many risks. We find a good example concerning this matter in document no. 11.

6. The representatives and governors at El-Tor sometimes, demanded from the monks dues, taxes and material and real penalties. The monks used to appeal to Egypt to abolish such charges and decrees would be issued from the Chancery accepting such petitions, as we find in documents no. 9, 10 and 11.

7. It is to be noted that the petitions of the monks and bishops of Sinai were always well-received by the Egyptian authorities. Orders were issued assuring the safety of the monks and their visitors, as it clearly appears from documents no. 6, 9, 11 and 12.

8. The documents reveal the religious tolerance shown by Moslem authorities in Egypt towards the monks of Sinai. The monks lived in their remote monastery enjoying security and tranquillity. Moreover, the safety of the pilgrims to the monastery was assured. This matter is attested by all the documents we possess. We find a very clear evidence in documents no. 9, 10, 11 and 12.

9. These documents point out that the monks of Sinai and their bishops quite appreciated the good treatment they received from the Egyptian authorities. This appears from document no. 6.

10. Certain documents, and in particular no. 6 and 10, ascertain that the Monastery was in charge of the bishops who were prior to their monks and responsible for all matters relating to the monastery.

11. Some other documents give the names of bishops of Sinai who were in charge of the Monastery at different periods. This has its importance, since the Monastery does not have any documents or manuscripts giving lists of the names of the bishops of Sinai and their biographies. Yet, the names of three of these bishops and their dates have been discovered. Thus, document no. 6 makes it clear that the bishop of Sinai in the year 1109 A.D. was called Nefrius (Ar. Nefry); while document no. 10 relates that the bishop of Sinai about the middle of the 12th century was named Antony (Ar. Antoun); and document no. 13 informs us that the bishop of the Convent at the beginning of the 13th century was called Simon (Ar. Simaan). The other documents are devoid of names.

The icons of Sinai help sometimes in revealing the names of some of the bishops of the Convent during the middle ages. We find a good example in the icon "Ladder of Salvation". Professor K. Weitzmann, who spent several years in the study of Sinai's icons and holy treasures, dates this icon from the 11th or the 12th Century. Bishop Antonius whose name is mentioned on this icon must have lived between the 11th and the 12th centuries. This Antonius, therefore, may be the bishop mentioned in document no. 10.

The Form and Style of the Documents

The documents were sent by the Chancery of Egypt. They are generally written in black ink which has kept its dark colour, and in a beautiful Arabic handwriting known as the "Djwany Handwriting", on rolls of white giving to yellow paper, the length of which being about 29.5, to 542. cm. and the breadth about 13. to 41. cm. Some of the sentences are intricate and abbreviated and devoid of punctuations as in documents no. 7,8 and 10.

And, in accordance with the traditions of the Chancery of Egypt, each document is headed by the expression "In The Name of God, the Merciful and Compassionate", and is preceded by the name of the reigning ruler and his titles. This is followed by the text of the petition addressed from the monks of Sinai to Egypt, and the motives of their complaints. After this comes the order of the ruler in favour of the monks. Finally the document bears the Hegira date in letters, raising praises and thanks to the ALLMIGHTY GOD, and prayers and salutations to his PROPHET MOHAMMAD.

Conclusion

Lastly, one may ask : Did the Chancery of Egypt keep any copies of the decrees which were addressed to the bishops and monks of Sinai ? Did the Chancery also keep any copies of the orders which they addressed to their representatives at El-Tor ? Did the Monastery, on its part, keep copies of the petitions addressed to Egypt? All these and other queries which occupy the minds of researchers have not yet received a decisive answer. All that can be said in this respect, is that, till now, no documents except those in Sinai have been found. They are therefore, of great value, and have roused the interest of historians in both East and West.

THE FATIMID AND AYYUBID DOCUMENTS
OF MT. SINAI (I)

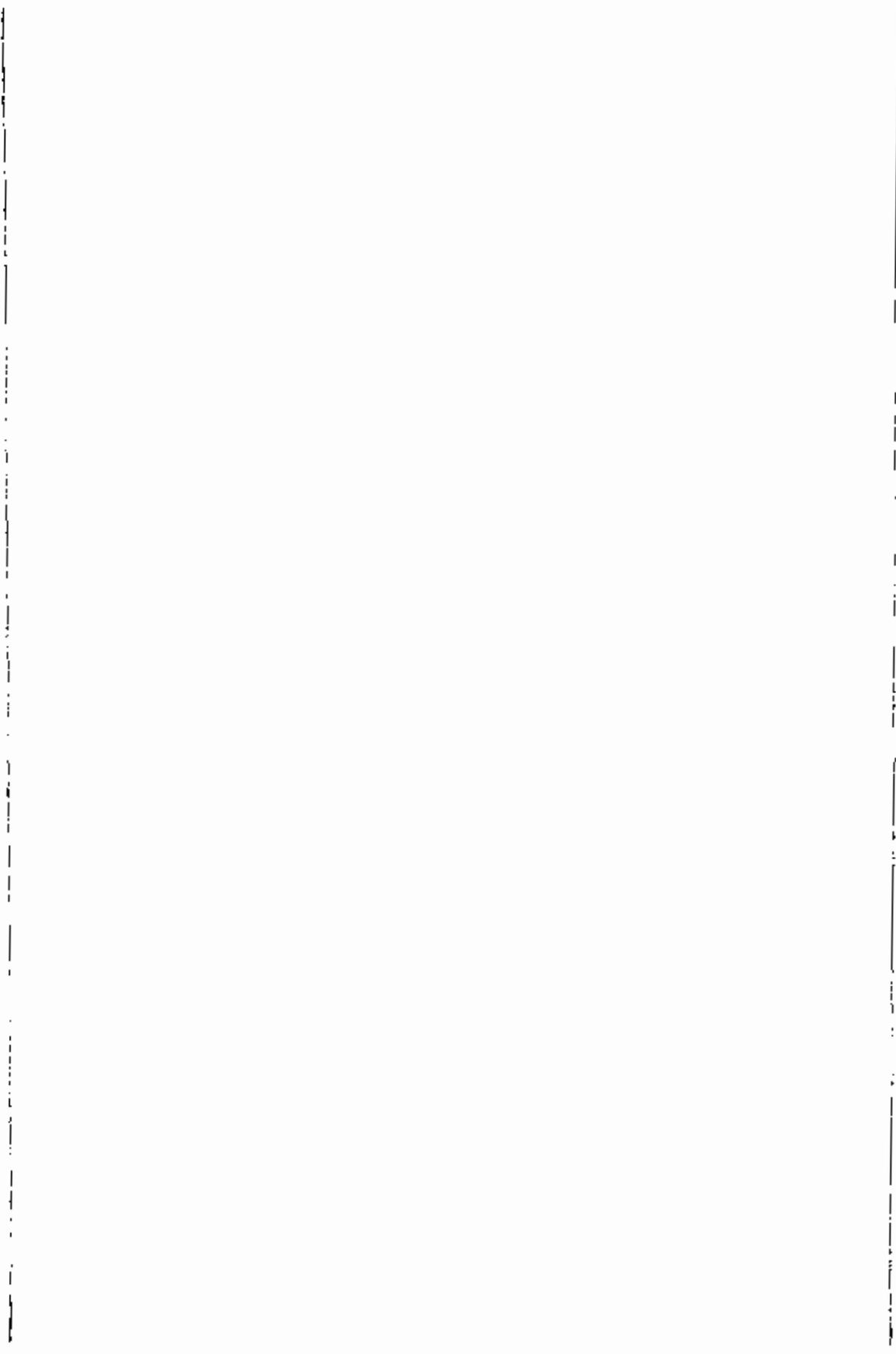
Roll No.	Dimensions	Material	Date
6	353. x 21. cm.	Paper	30 Jumada II 502 A.H. 4 February 1109 A.D.
7	165. x 14. cm.	Paper	17 Dhul-Qi'da 503 A.H. 7 June 1110 A.D.
8	322. x 22. cm.	Paper	3 Rajab 529 A.H. 19 April 1135 A.D.
9	305. x 41. cm.	Paper	Dhul-Hijja 548 A.H. February-March 1154 A. D.
10	488. x 21. cm.	Paper	Rabi II 551 A.H. May-June 1156 A.D.
11	542. x 19.5 cm.	Paper	16 Muharram 592 A.H. 21 December 1195 A.D.
12	287. x 13.2 cm.	Paper	5 Dhul-Qi'da 595 A.H. 29 August 1199 A.D.
13	37. x 13. cm.	Paper	598 A.H. 1201-02 A.D.
14	29.5 x 17.5 cm.	Paper	606 A.H. 1209 A.D.
15	125. x 13. cm.	Paper	607 A.H. 1210-11 A.D.
16	67. x 21.5 cm.	Paper	Explicit missing

1. Cf. Kamel, M., *Index of the Manuscripts of Mount Sinai's Library*. 2 vols. Cairo, 1951 (in Arabic); Clark, K. W., *Checklist of Manuscripts in St. Catharine's Monastery, Mount Sinai, microfilmed for the Library of Congress*, 1950. Washington, 1952; Atiya, A.S., *The Arabic Manuscripts of Mount Sinai. A Forward by W. Phillips*. Baltimore, 1955.



تصویر ۱

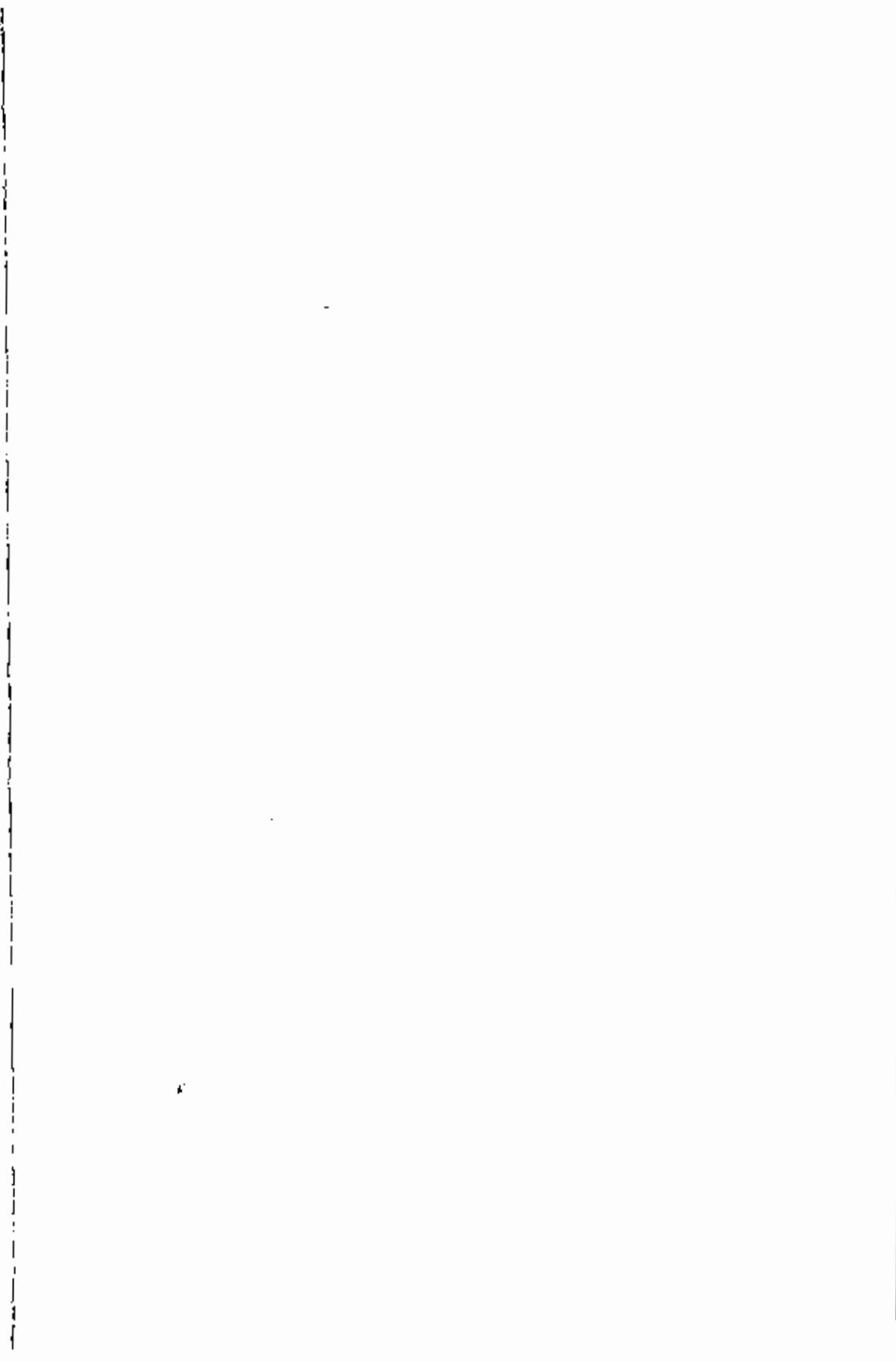
تصویر ۱: آرامگاه شاه جهان در دهلی



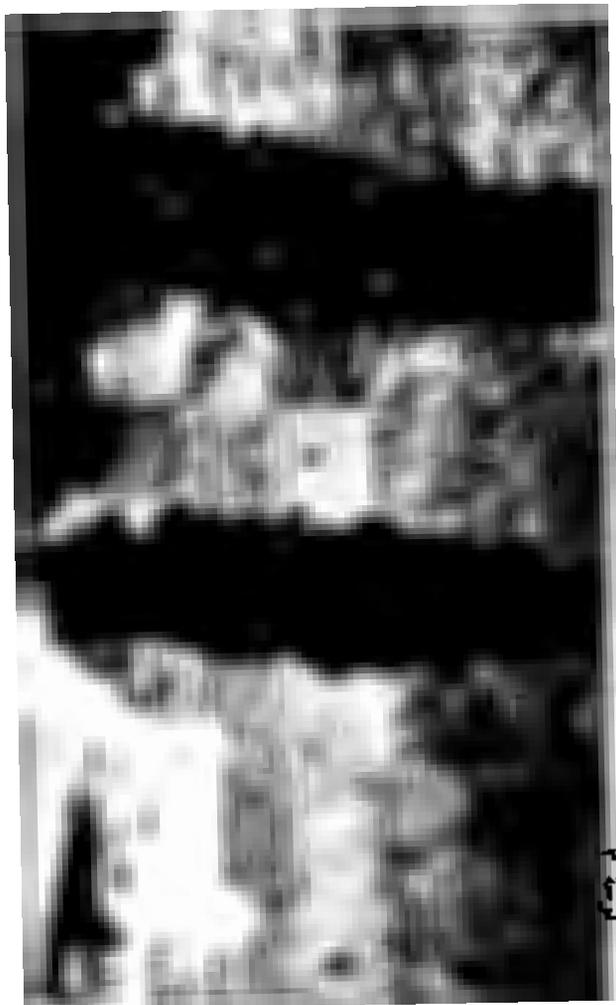


لوحة ۲

منايا مصفاة النور كا قلمو بن امل



محافظة القليوبية من جهة الكوبرى القروى



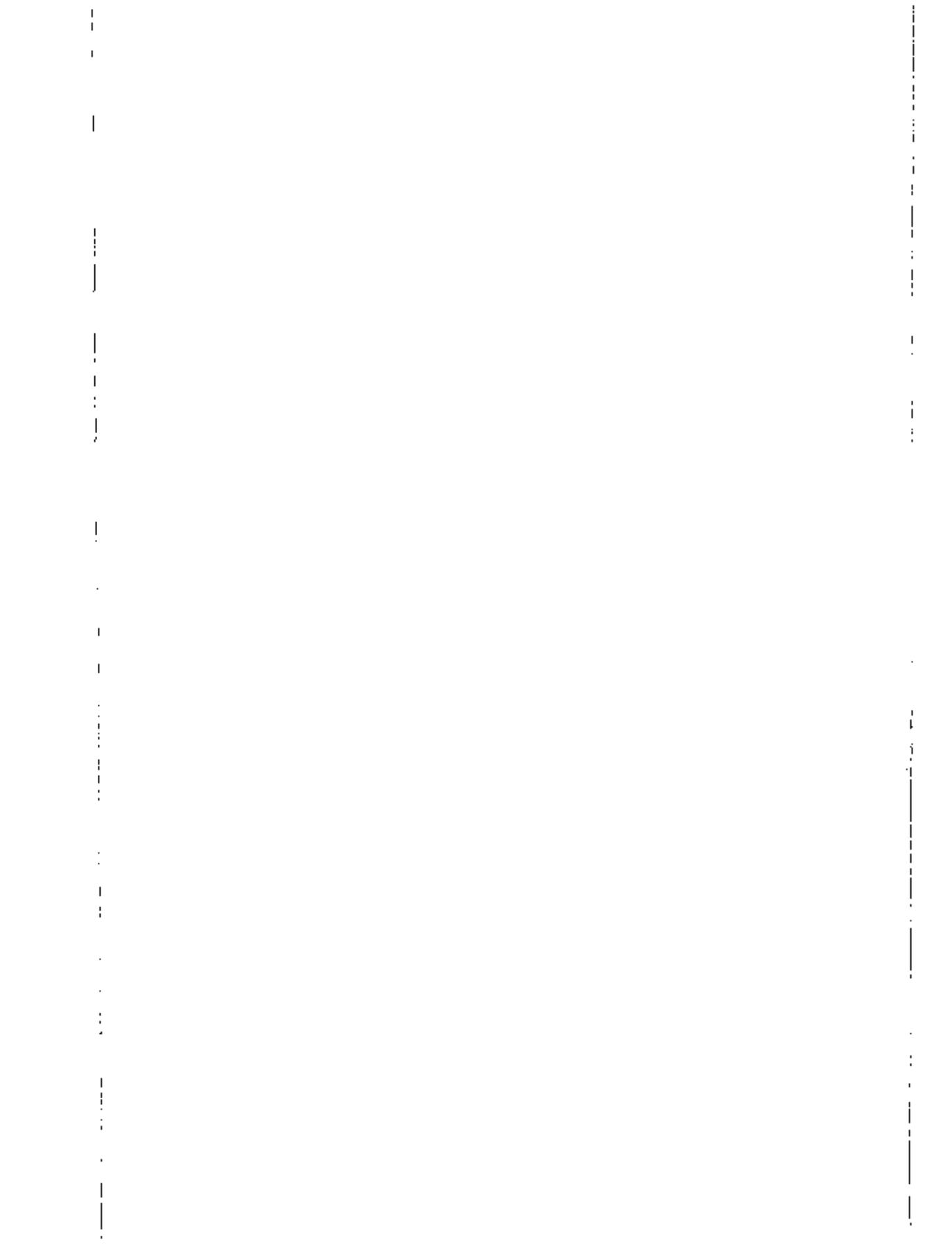
الوجه ٢

1

2



أطفال الصحراء التي تبعد عن عذبات منطقة البحر



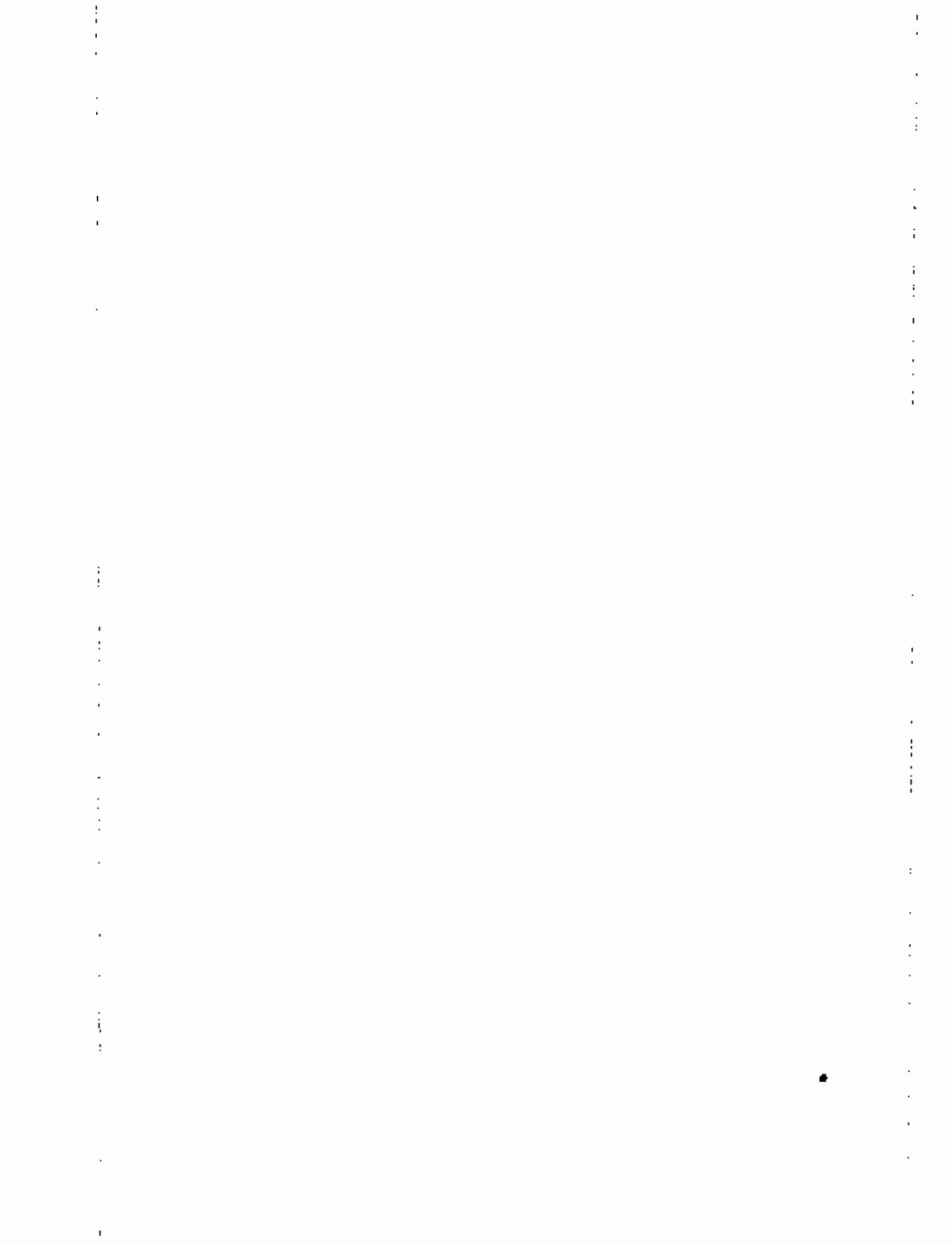


التيهات و التمساح و توديان منطقة البحر



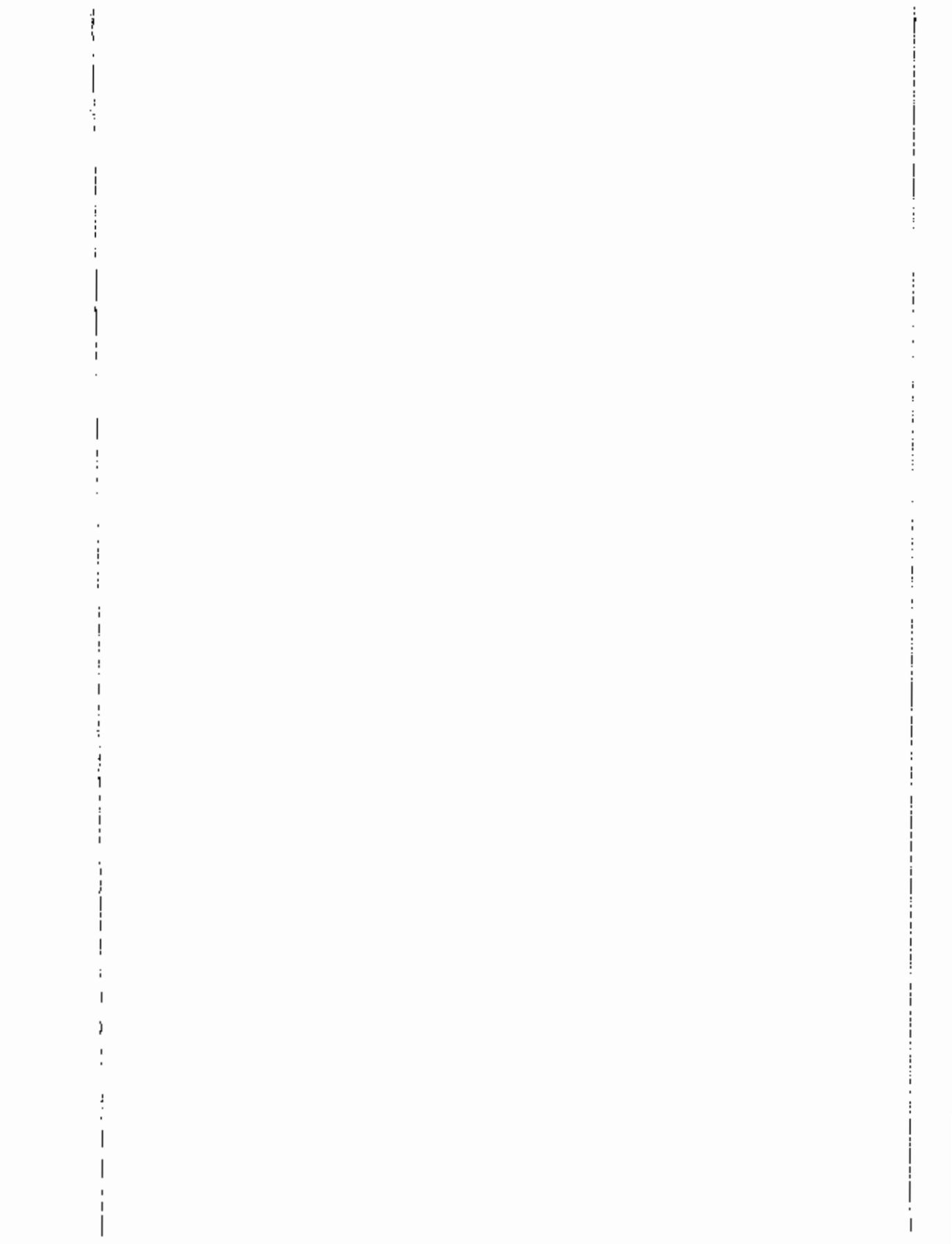


واقعہ قرآن فی طور سینا





انوار علی خان



مذبح مصورة من الوثيقة رقم ١٠

بسم الله الرحمن الرحيم
مفسر في معرفة معنى ما
العلماء
العلماء

وسيدنا الامام الفاروق عليه

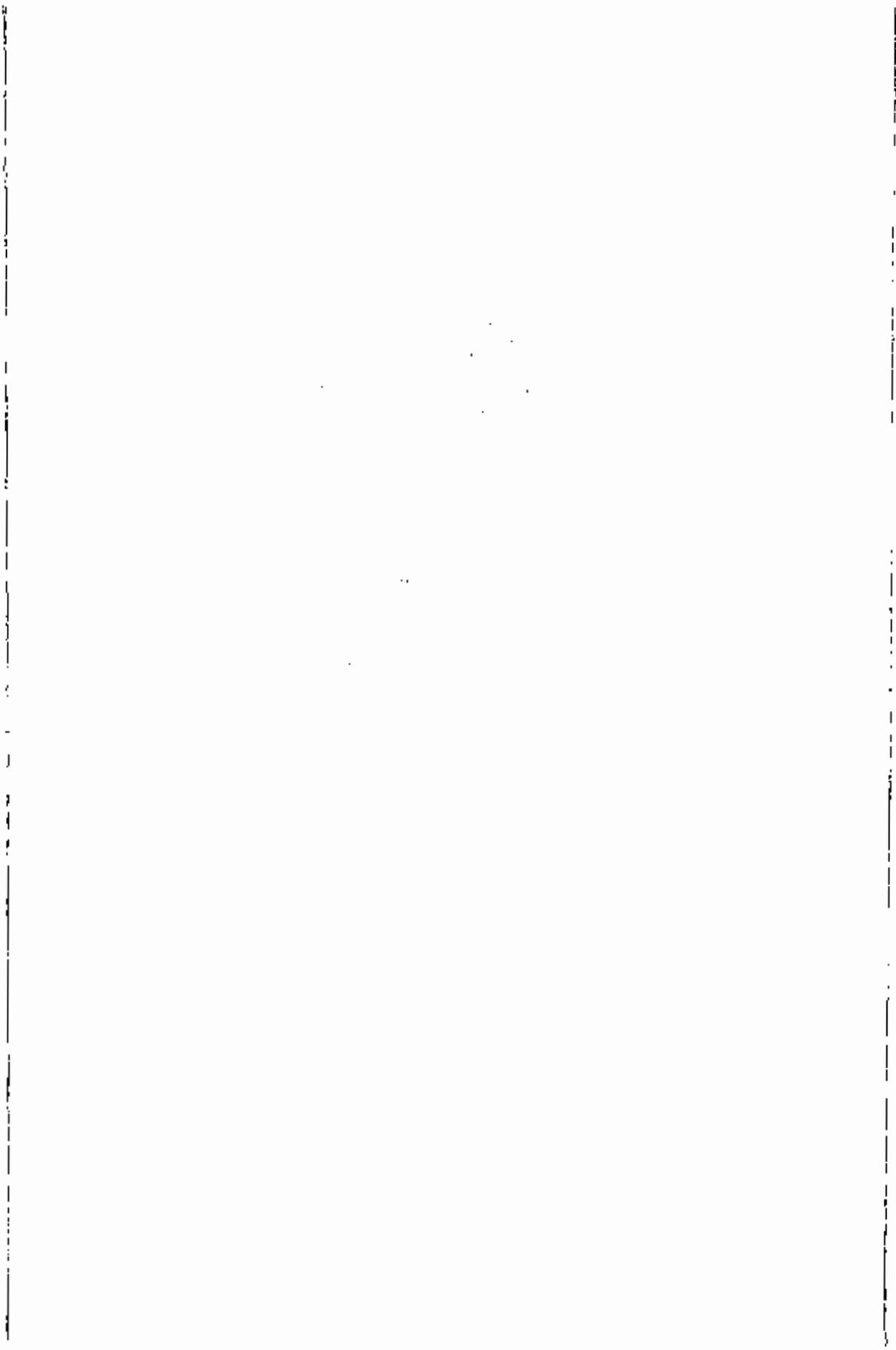
لوحة ٨ ا

واعماله واسم علمه

لكنه والامر لسانى وعدينا

الصعب والامر وشاهدين

لوحة ٨ ب



طوبى ما أسهل على المطالع

لم يسمع عسر وأذى

سوى الحصر ما استقر لراطله السقف

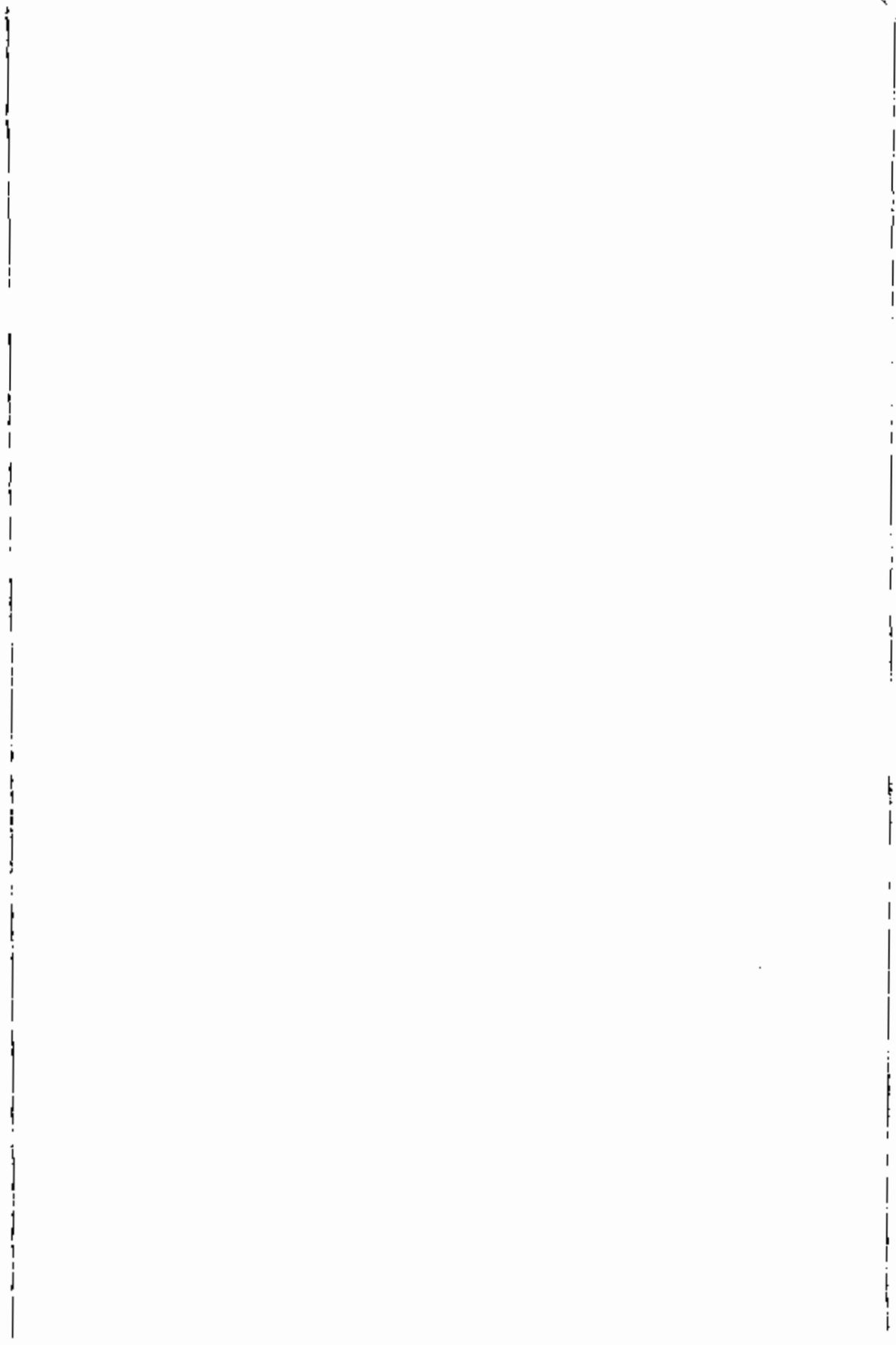
لوحة ٨ ب

طوبى سنا ما عسده بالواله

لأنه
لأنه
لأنه

ولم يسمع من عسر وأذى

لوحة ٨ د



والمشغول بالماضي هو اللائق
والخز

ميا ولما حجة واعمان والعباد

والملاط والمعون والملاط
الملاط

لوحة ٨ ز

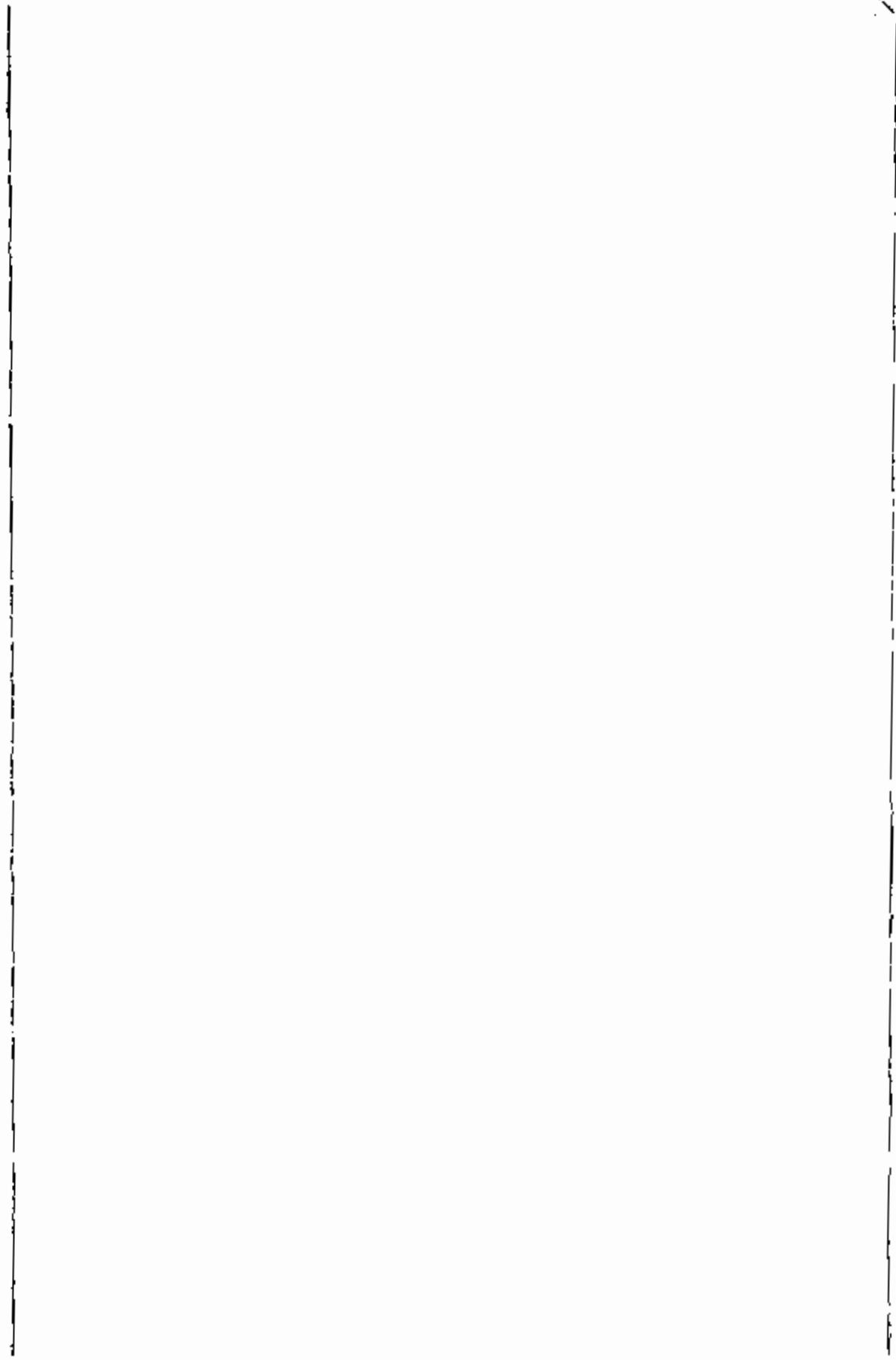
ويعاد ولما حجة واعمان والعباد

لنسمع منكم يا سيدي
والله اعلم
والله اعلم

لنسمع منكم يا سيدي
والله اعلم

سليمان عليه السلام

لوحة ٨ ح



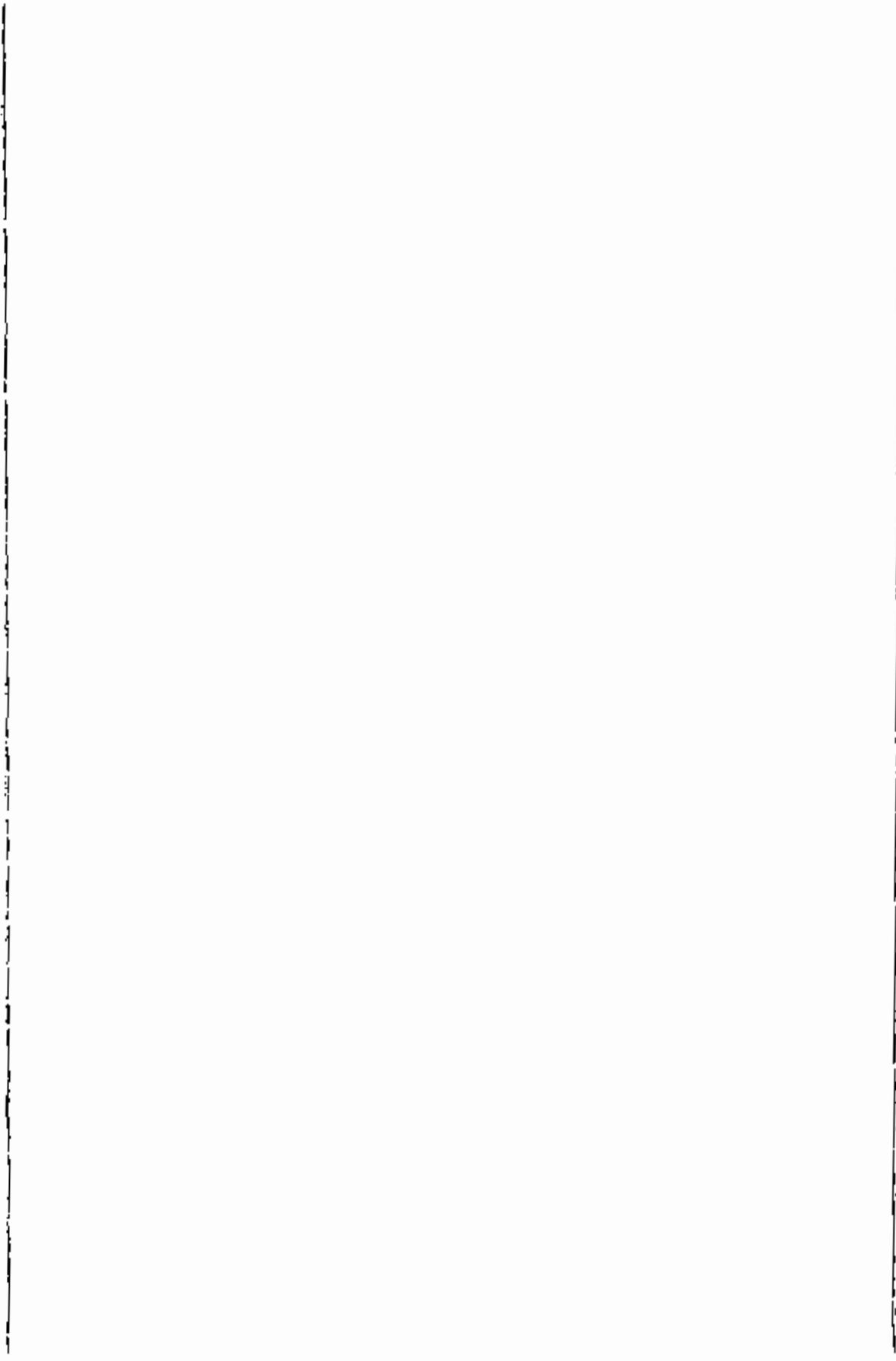
لجنة التحكيم

مناقشة

المسائل

حسب

لجنة ٨ ط



للأخوات وعمه وبناته
للعمه

وللمسكين من عمته وبناتها

عنده دارين كان أول

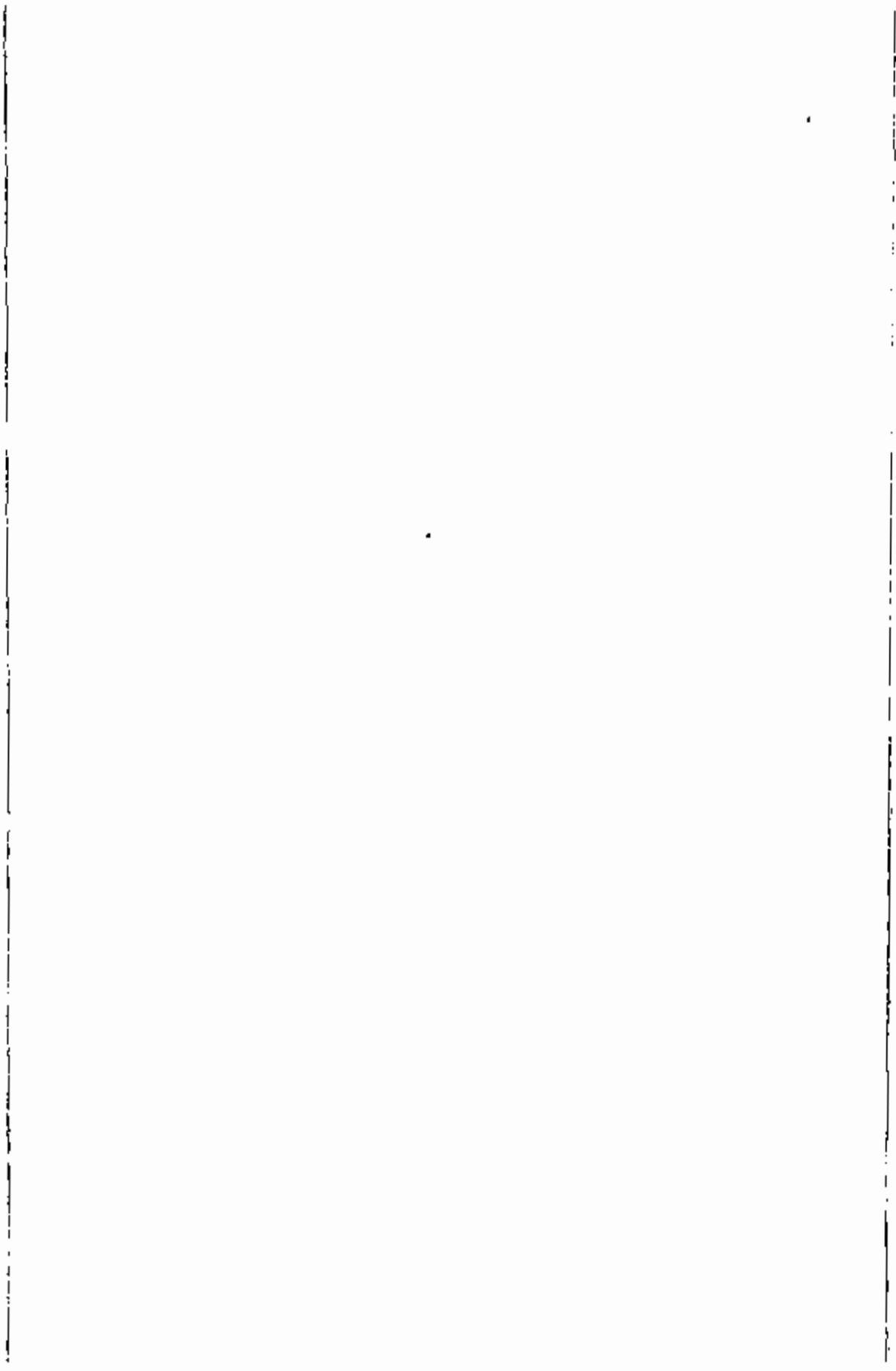
نوبة ٨ ٨

الدارين على عمته وبناتها

صدقا صده وجمع له بالمدح والثناء

للمسكين والارامل واليتامى

نوبة ٨ ٨



انتسابه وخدمة الوثيقة رقم ١١

صلى الله عليه وسلم
مستور يدركه الويل للملك العادل

أبي لهو (وهو يوتن)

السيد الاجل الكير العلاء المريد المظن

لوحة ٩ ا

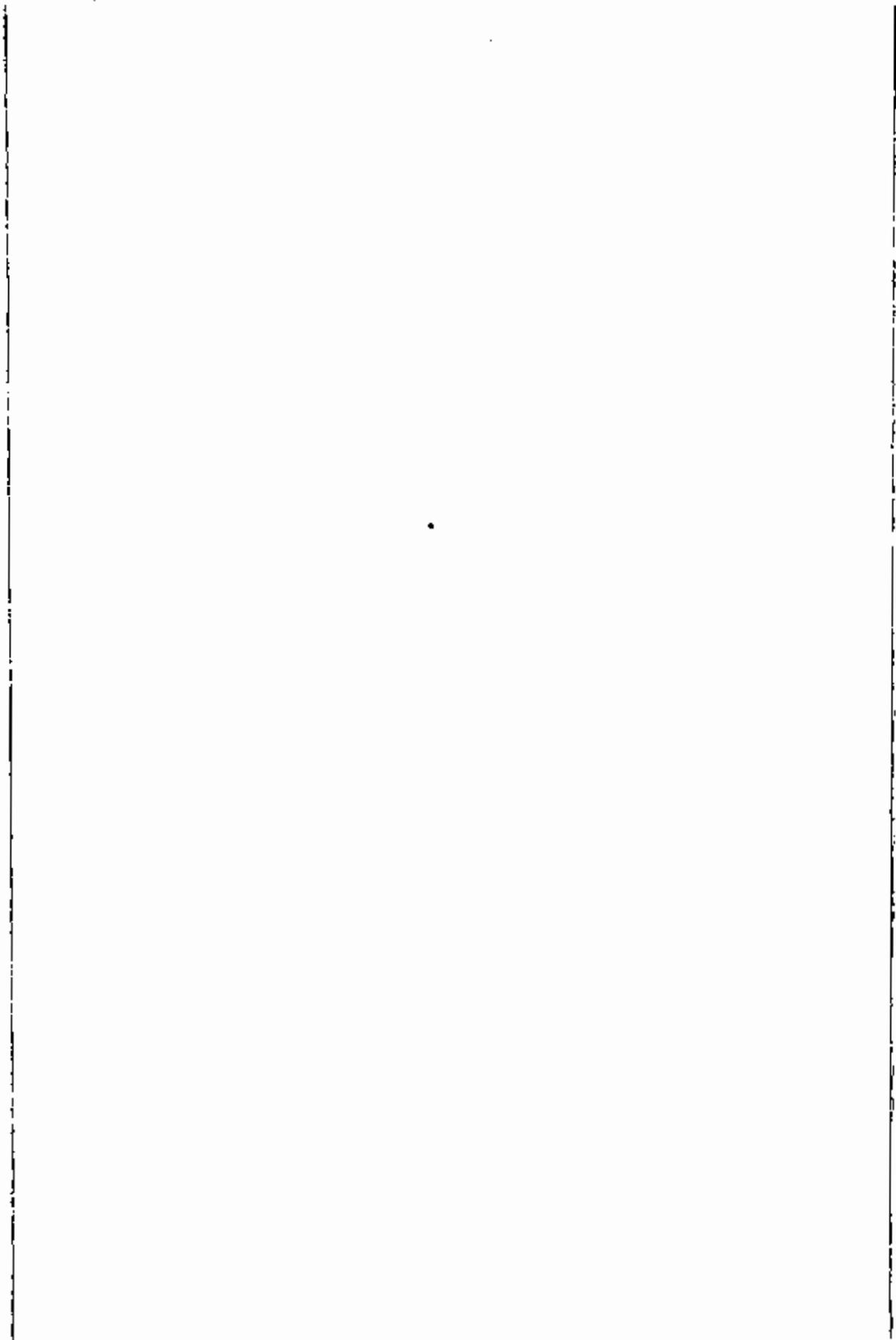
صلى الله عليه وسلم
عمره

الملك العادل المستور يدركه الويل للملك العادل

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم

لوحة ٩ ب



أندريا ترقيوس

للكاتبة فاطمة سالم سيف

مقدمة

وجد رواد الكوميديا في روما أرضاً خصبة لإنتاجهم فقد كان المزاج الروماني قبل ظهورها مهياً لتقبل ذلك النوع من الأدب إذ أُلّف أنواعاً متعددة من العروض الهزلية البدائية وتذوقها حتى تأصلت في كيان الرومان وأصبحت جزءاً من تراثهم القديم .

وترجع البذرة في إنبات الذوق الهزلي في روما إلى أشعار الفسكينين (Fescennini Versus) (١) التي كان يرتجلها سكان الريف في شكل حوار في مقاطعة أتروريا في موسم حصاد الكروم أو في عيده ويترشقون بها في سخرية ومرح ، وقد تطور هذا الشعر حتى اتصف بالعنف والمجون . فلما جاء إلى روما في وقت يسبق قوانينها الإثني عشر ، أخذ يتسرب إلى الأسر المحافظة كما يروي هوراتيوس ، ويهدد قديسيها بذو نكاته ، فأزعج أولئك الذين لدعوا بنابه الدسوي ، وكان موضع اهتمام الجميع حتى الذين لم يصبهم بسوء ، فوضع قانون يعاقب أي وصف (٢) بأشعار ماجنة جارحة وتظنب القانون ضمناً صقل هذه الأشعار وتهذيبها .

وعرف الرومان في زمن مبكر العرض الأوسكي Oscum Ludicrum الذي نبعث منه القصص الأيبلية وهي قصص مرتجلة كان يمثلها ممثلون مقنعون اشتهرت بها مقاطعة كباتيا وسميت بهذا الاسم نسبة إلى أيبلالإحدى مدنها ، ويرجع البعض أنها تطورت عن تمثيل هزلي عرف عن الدوريين في اليونان (٣) الكبرى واستمتع بها سكان روما حين انتقلت إليهم من المقاطعات الإيطالية ، لما فيها من مرح ومحاكاة هزلية وشغفوا بما تعرضه من

مشاهد الحياة في مدن الريف وما تتضمنه من شخصيات صورت في مواقف مضحكة كالحنون ماكوس والأخرس دسينوس وذى النحية بابوس حتى قام بتمثيلها شبان روما الأحرار لا المحترقون .

وتذوق الرومان قبل ظهور الكوميديا الميموس Mimus منذ أن كان في إحدى صوره البدائية وطربوا لرقصاته وتقليده فقد دخل روما في القرن الثالث ق . م . كما عرفته الإسكندرية في ذلك الوقت . والميموس إغريقي الأصل انتشر في أجزاء كثيرة من بلاد الإغريق وتشكل في صور مختلفة أساسها المحاكاة . ثم تطور في سيراكوزة إلى حوار يصحبه موسيقى ثم إلى تصوير لمشهد من الحياة العامة . وقد بدأ الميموس في روما ولقى عناية من الدولة في عهد سولا . ويشير شيشرون إلى مرحلة متقدمة من الميموس ويصوره كعرض ارتجالي لموضوعات غير محتملة الوقوع كالشجاذ يصبح صاحب ملايين ثم ارتقى بعد ذلك إلى نوع أدنى به شعر وشعراء .

ويقوى ليفيوس (4) إن منشأ الكوميديا الميميد هو الرقصات التي كانت تصاحب ثنائي والتي مارسها رجال من أثروريا حضروا إلى روما تلاحقوا في تهينة الآلهة حين أصابهم التوباء (364 - 363 ق . م) وقد قلد شبان روما الأحرار هذه الرقصات وأضافوا إليها حوارا من أشعار الفسكين المترجلة غير المنصوتة وتطور هذا الحوار إلى الساتورا . والساتورا عرض مسرحي غنائي لمشاهد من مختلف الموضوعات تصور مزيج من التمر والشعر بمصاحبة الموسيقى . وشعر الساتورا من مختلف الأوزان . ولكن رغم هذا المزج فإن أنغام الساتورا كانت تتألف مع كلماتها وحركات ميميداً تألفاً فنياً جميلاً ثم ارتقت الساتورا إلى عرض مسرحي تنقصه عقدة الملهاة يشوم به رجال محترقون . وساهمت الساتورا في تكوين الكوميديا والمجاء .

هذه هي الأنواع التي سبقت الملهاة في روما وهي كما نرى وظيفية أو إغريقية الأصل تمثل لباحث في تزيخ تطور الكوميديا نقطة للبداية

لا يمكن تجاهنها فقد نمت ذوقاً هزلياً وبلورته وساهمت في تكوين الملهة الرومانية كثيراً أو قليلاً . وظهرت الكوميديا ولم يقض ظهورها على العروض الهزلية المعروفة بل ظلت هذه العروض تشغى أذهان الرومان وقلوبهم بطورها وفتناً لأمزجهم ، وينضلون نوعاً على نوع تجاوباً مع أهوائهم وذوقهم يستمتعون به كعروض ثنوى بين فصول المسرحية ، ومن جهة أخرى لم تكن الكوميديا بدعة وطنية نبعت عن الرومان بل كانت نقلاً عن أصول إغريقية لميناندر وفيلسوم وديفيلوس السينوبى وابيخارموس الصقلى وغيرهم من أعلام الكوميديا الحديثة . وقد يكرن بعض رواد الكوميديا الرومانية أمثال نايفيوس قد ذهب إلى أبعد من هذا فتأثر بالكوميديا الإغريقية القديمة على الأخص في روحها وعنفها وتقدمها السياسى . فظهرت الكوميديا في روما إغريقية في مادتها وملبسها ومرح حوادثها ، لاتينية في لغتها . وسميت بالباليتا الرومانية نسبة إلى (pallium) وهو رداء إغريقى يلبس في هذا النوع من الكوميديا ويميزها عن غيرها من أنواع المسرحية أو دلالة على أصلها الإغريقى . وكان ليفيوس أندرونيكوس أول من نقل المسرحية عن الإغريق ٢٤٠ ق . م . فقدم للرومان أول ملهة ومأساة حين طالبوا بالمسرحية ونقلا ليفيوس في كتابه الملهة نايفيوس وبلوتوس وإلينيوس وكيكينيوس (٥) وترناتيوس ولم يعرف عن المشتغلين في هذا النوع بعد ترنتيوس سوى سكستوس توريلبيوس . ورغم ضياع الكثير من إنتاج معظم هؤلاء الشعراء أو الكتاب إلا أن النقل عن الإغريق لم يكن حرفياً بل كان نوعاً من الاقتباس أو التأليف الذى يبعد أو يقرب من الأصل الإغريقى بقدر ما أضافه الكاتب من عناصر وطنية أو بقدر ما أدخله من تغيير ، لذا نجد الباليتا الرومانية تختلف عن أصولها الإغريقية كما تختلف في صياغتها اختلافاً أدى إلى اختلاف خصائص كل من كتابها .

ويعرف عن ليفيوس أندرونيكوس أنه كتب المسرحية بأنواعها المختلفة وأنه الخلق الأساسية بين الرومان والإغريق وما تركه من أجزاء لثلاث

كوميديات لا تساعد الباحث على تكوين فكرة واضحة عن فنه وما أضافه إلى النماذج الإغريقية الأولى . ويعرف عن نايفيوس انه اتخذ من المسرحية أداة لإشباع روح النقد المتأصلة فيه ، ثم اتخذ البالياتا وسيلة لنقله السيامي لجزء قوانين الجمهورية انصارمة . وأضفى بلوتوس على ما نقله من نتاج إغريقي روحاً وطنية متأججة ، وكون ما يعرف بالكوميديا الشعبية التي تفيض بالقوة والعنف والحيوية . وفشل إينديوس في هذا المضمار واتجهت جديته إلى فروع أخرى من الأدب كالمأساة والمسرحية التاريخية والحوليات والمجاعة . وكان كايكيليروس حريصاً في تكوين عقدة المنهاة وفي حبكها كما أنه أثار مشاعر جمهوره بقرة وعنف في عصره وتمتع بتقدير الأجيال اللاحقة ففضله هوراتيوس على بلوتوس (٦) كما اعتبره سديجتوس (٧) أول شعراء المنهاة في روما . وإن كان سديجتوس ناقداً مضطرب الرأي إلا أن رأيه قد يعبر عن وجهة نظر رومانية إذ بنى على أساس تدعمه الحقيقة والواقع ، فقد كان كايكيليروس كاتب الكوميديا الأول بعد موت بلوتوس وتمتع مثل بلوتوس بشعبية واسعة بخلاف ترنتيوس ، وعنى بالعقدة المسرحية : الشيء الذي أهمله بلوتوس واهتم به ترنتيوس وجمع بين خصائص الكوميديا الشعبية وبين الفن المسرحي . أما ترنتيوس فقد أبقى على إغريقية المنهاة في مادتها وصورتها وروحها واتخذها أداة لنشر الثقافة اليونانية والتهذيب المجتمع وصاله ، وطور المنهاة من الناحية الفنية تطويراً لم يعرف من قبل . ولم يلق فن ترنتيوس استجابة من الذوق الجاهل غير المهذب فلم يحظ بما حظى به بلوتوس من تقدير وإعجاب لدى الشعب ، وإن قدرة رجال التفكير والأدب في عصره وفي أوائل الإمبراطورية ، وبرغم فن ترنتيوس الذي أدخله على المنهاة فإن البالياتا في عصره كانت في طريقها إلى الانحدار وانحدرت بالفعل بعد ذلك فقد سمها الرومان واهتموا بالترجاتا Comedia Togata (٨) التي كانت تعالج الحياة في روما أو في مدن الأقاليم رغم اقتباسها عن الإغريق ، واحتر الرومان

للتوجدنا ولاغرو فهي أقرب لحياتهم من البالياتا فهي تعكس مجتمعا رومانيا
للطبقة الوسطى بزيه القوي وعاداته وتقاليده وأصواته وظلاله . وتطورت
التوجدنا ووصلت ذروتها على يد Afranius الذي لمس أوتار القلوب
فصنعت له روما طويلا ، ويدين أفرايوس ميناندر كما يدين ليرنثيوس
بالتكبير من فنه . وقد اعتبر (٩) أفرايوس ميناندر الرومان . ولكن برغم
هذا التطور في المهارة النحصر الذوق الروماني في عصر الأباطرة واتجه الرومان
كما بدأوا إلى الغزليات الأنثوية وقد ظهرت في ثوب أدبي جديد، ثم نبوا
الميمرس المركز الأول وأصبح وسيلة لتمتد سياسي واجتماعي وقضى على
التخصص الأنثوية كما قضى تدريجياً على المهارة .

وهكذا نرى أن العناصر التي ساهمت في تكوين المهارة ساعدت أيضاً
على التخصا عليها .

وقد لا يتضح من هذا العرض السريع مدى تأثير العناصر الوطنية
والإغريقية على المهارة الرومانية وإن كنا قد أشرنا إليه . ولكن لو أمعن
الباحث في المهارة في مرحلتها الأولى لرأى التأثير المزدوج واضحاً في تكوينها
ولغتها وبنائها بل وفي روحها وأهدافها . فإن ليفيوس أندرونيكوس أكثر
من الغناء في المهارة Cantica (١٠) وأدخل مغنياً ينوب عنه في الغناء في
الرقص الذي يقوم هو فيه بالحركات اليدوية بمصاحبة الموسيقى ليبقى على
صوته لتجزء الحواري من المهارة . وقلده بلوتوس في هذا التخطيط واستعمل
الكاتبكاستيمالا واسماً بمصاحبة الموسيقى ولم تكن فكرة الغناء المفرد
أو التوسع فيه في المهارة الإغريقية الحديثة إذ يكاد الغناء ينعدم فيها فقد أبعثت
الكررس عن الاشتراك في حوادث القصة ولم يبق منه إلا ظل نراه ليعلم
عرض المسرحية، أو نراه بين فصولها ليحدد فترات الاستراحة . ولكن الغناء
في المهارة الرومانية أو الكاتبكاستيمالا تنوعها ترجع إلى ذلك الطرب البدائي والمحاكاة
والموسيقى والغناء الذي تتميز به الأنواع الغزلية الأولى . وقصد بلوتوس
في هذا التوسع في الاستعمال إرضاء ذوق تقليدي يتمسك به الرومان، فالطرب

والمحاكاة جزء من تراثهم . ثم إن لغة بلوتوس العامية ونكاته الجريئة وفكاهاته المتكررة هي إضافات على الأصل الإغريقي ترجع إلى ذلك الماضي البعيد الذي كان يتقاذف فيه سكان الريف بأشعار مرتجلة أساسها النكتة والبديهة والجرأة . لذا نرى روما تهتز طرباً للمهاة بلوتوس وتطالب بها بعد وفاته حقبة طويلة من الزمن فهي ترضى نزعات الرومان الفطرية والتقليدية . ومن هنا نرى بعض الاختلاف القائم بين الكوميديا الرومانية والكوميديا الإغريقية الحديثة . ومن هنا قد نرى أيضاً الفرق في روح الكوميديا الرومانية وأهدافها عن الأصل الإغريقي . فإن بلوتوس صور مجتمعاً شعبياً من الطبقة الوسطى وطبقة العبيد على حقيقته بلغته وروحه وعاداته تحت ستار من المرح والطرب والتسلية ، بين الجلد أحياناً والهزل أحياناً أخرى . أما الكوميديا الإغريقية الحديثة فقد هربت من واقع الحياة ولبأت إلى الخيال تحت ضغط الاستعمار المقدوني وقيدت بالصقل والتهديب حتى بعدت أحياناً عن الطبيعة البشرية .

فالكوميديا اللاتينية وإن كانت قد قلدت النماذج الإغريقية فقد خضعت لمؤثرات وطنية فكانت منذ نشأتها خليطاً من عناصر مزدوجة ومزيجاً من الإغريقية والرومانية .

تلك هي المراحل العامة التي مرت بها حياة الملهة في الأدب الروماني وهؤلاء هم أعلام هذا الفن وما بذلوه من جهد في نشأته وترقيته حتى أصبح يمثل جزءاً مهماً من التراث الفكري الروماني ، ولا شك أن ترنتيوس مما ترك من آثار في هذا الفن يمثل مرحلة جديدة بالدراسة المستقلة ، ومن هنا كان لابد أن نعرض لتاريخ حياته وثقافته وفنه عرضاً يلقى بعض الضوء على ما تصديت لترجمته من أعمال .

الواقع إن المراحل الزمنية لحياته معروفة وإن كان التناقض يشوب بعض تفاصيلها فقد ولد في قرطاجة ولم يكن قرطاجي الأصل فلقب Afer الذي يتميز به بطلق على العبيد الإفريقيين الذين كانوا في أفريقيا وكان ترنتيوس أحدهم ولأهله العبيد . ولا نعرف تاريخ ولادته بالضبط وتذكر الروايات أنه

ولد عام ١٨٥ ق.م ويذكر البعض (١١) الآخر أنه ولد قبل ذلك بعشر سنوات ويذكر بعض المحدثين (١٢) أنه ولد قبل عام ١٨٥ ق.م بأربع أو خمس سنوات. ومن هنا يظهر أن القدماء لم يعنوا بتحقيق تاريخ ميلاده ولا عجب في هذا فقد حضر إلى روما عبداً ولكن لما كان قريباً أسكيو أفريكاتورس فقد حددوا عام ١٨٥ ق.م وهو العام الذي ولد فيه سيكيو تاريخاً لميلاده والأرجح أنه ولد قبل ذلك التاريخ وأنه لم يكن في سن التاسعة عشرة حين قدم « أندريا » أوفى مسرحياته كما ذكر سوتونيوس، فليس من المنقول ألا يشير النقاد في عصره إلى صغر سنه ولاندماجه في سلك التأليف في وقت مبكر وليس من المنقول أيضاً ألا يتخذ عدوه لوسكيوس لافينوس من صغر السن هذا سلاحاً لاتهام ترنتيوس بعدم النضج، وقد ذكر ذلك الأستاذ شامبرى (١٣)

حضر ترنتيوس إلى روما عبداً صغيراً لترنتيوس لوكاتورس عضو الشيوخ ، ولعله كان قد اشتراه أو أعطى له هدية ويرى بعض القدماء أنه أسر في حرب ولكن هذا الرأي رد عليه فنستلاوين (١٤) أن هذا غير معقول لأن ترنتيوس ولد ومات في الفترة ما بين آخر الحرب البونية الثانية وأول الثالثة (٢٠١ - ١٤٩ ق.م) فلو أن التومديين والجايتولين أسروه لما وقع في يد قائد روماني ، إذ أن التجارة بين الرومان وبين القبائل الإفريقية لم تبدأ إلا بعد تدمير قرصاجة. ولقد تأثر سيد ترنتيوس بحمال عبده وذكائه فرباه تربية الحر وحرره في وقت مبكر واتخذ بعد تحريره : كما هي العادة عند الرومان ، اسم مولاه واحتفظ باسمه أيام عبوديته فأصبح كما هو معروف (Publius Terentius Afer)

وقد نشأ ترنتيوس في محيط يقدر الثقافة الإغريقية ويمجدها ولم ينظر إليه عبداً بل عومل كأحد الشبان النبلاء الذين يؤمنون منزل مولاه . ووجهه سيده إلى الاتجاه الأدبي الذي اختاره لنفسه متأثراً بما رآه منه من نضج وموهبة فكتب البائياتا مقلداً ميناندر وأبولودوروس أي بعض شعراء الكوميديا الإغريقية الحديثة التي اهتمت لها أثينا في القرن الثالث ق.م.

ويقع نشاط ترنتيوس الفكري في عصر من أزهى العصور في تاريخ روما السياسي فقد انتصرت على مقدونيا وسوريا ووضعت حداً لمطامع أنتيوكوس في البحر الأبيض المتوسط وانتصرت على الفرس وقامت بعدة أحلاف ودعمت نفوذها في أسبانيا ووضعت بذلك كله نواة لامبراطورية عظيمة سادت العالم القديم عدة قرون . أما في الداخل فقد ازدهرت ثروة البلاد وعم الرخاء نتيجة لهذا الغزو الجديد . ومن الناحية الأدبية قامت ثورة فكرية كان لها أعمق الأثر في الأدب والفلسفة والدين والتاريخ والفن لدى الرومان فقد أخذت حلقة سكيبيونتنشر التعاليم اليونانية من فلسفة وبلاغة وفن وأدب واتسعت حركة الترجمة عن الإغريق وشهدت أقلام الكتاب والشعراء متخذين من كل فرع من فروع الحضارة اليونانية نموذجاً ينير لهم الطريق . وقد اتصل ترنتيوس بهذه الحلقة وارتبط بها ارتباطاً وثيقاً فقد كان صديقاً لسكيبيو وليليوس الحكيم وفورميو وغيرهم من الكتاب والنبلاء المعنيين بالأدب .

في هذه الحلقة كتب ترنتيوس مسرحياته وكانت المفهية حين بدأ الكتابة في طريقها إلى الانحدار والسقوط وقامت في عهد ترنتيوس مدرسة جديدة ينزعها لوسكيوس لافينيوس تعترم الأعمال الإغريقية الرئيسية ولا تقبل أي تغيير فيها وقد ناصب لوسكيوس لافينيوس وهو شاعر هرم ، ترنتيوس العداوة واتهمه بأنه ليس المؤلف لمسرحياته وما هو إلا قلم يسر وراءه سكيبيو وجايوس لايليوس وغيرهم وقدرد (١٥) ترنتيوس على أعدائه في مقدمة مسرحية الاخوان وقال :

- 15 Nam quod isti dicunt malivoli, haminis nobilis
- 16 hunc adiutare adsidueque una ascribere :
- 17 quod illi maledictum vehemens esse existumant.
- 18 cam-laudem hic ducit maxumam, quom illis placet
- 19 qui vobis univorsis et populo placent,
- 20 quorum opera in bello, in otio, in negotio
- 21 suo quisque tempore usust sine superbia.

وكما نرى من هذا النص أنه لم ينف التهمة بطريقة قاضعة بل يفهم منه ضمناً أنه مؤلف للروايات المنسوبة إليه وأن أصدقاءه ساعدوه وأنه فخور بهذه

المساعدة وما زال الشك في حقيقة تأليفه يتسرب (١٦) إلى بعض الكتاب والنقاد في العصور الحديثة وإن كانت الأغلبية تؤمن أن ترنتيوس هو صاحب ملهياته وأن كل ما يدين به لأصدقائه هو أنه تعلم في صحبتهم لغة المجتمع الراقى وربما أسدوا إليه ببعض النصائح في اختيار موضوعاته أو في بعض تفاصيل التأليف .

وهذا الرأي في نظري أقرب إلى الواقع ، فعلاقة ترنتيوس برجل مثل سكيو أو لبيوس كانت تستند على روابط فكرية متينة ولم يلحق بتلك الحلقة الموجهة إلا لذكائه وموهبته فلولا هذا لما ارتفع ترنتيوس إلى مصاحبة النخبة من رجالات الفكر في ذلك العصر وهو مجرد عبد محرر . أما ما أورده سوتونيوس من إشارات تدل على أن ترنتيوس ليس مؤلفاً للمهياته فيمكن الرد على ذلك بأن الكثير مما أورده سوتونيوس عن ترنتيوس فيه تناقض أظهره العلماء من أمثال سيلر (١٧) ولعل الرواية التي تذكر أن جايوس نيبوس كتب ملهاة المعذب لنفسه تعزيز لفكرة راسخة في الأذهان في ذلك العصر وموقف ترنتيوس المليء إزاء هذه المهمة قد يعزى إلى مركزه الاجتماعي فلم تكن له شخصية هوراتيوس وقوته واستقلاله ليدافع عن مركزه الاجتماعي الوضيع وليظهر للملأ موهبته وفنه ويدافع عنهما رغم هذا المركز، ولعل ترنتيوس أيضاً وجد ميلاً من أصدقائه لإضافة فخر التأليف إليهم فسكت لرقته وأندلاقه حتى لا يسىء إلى رجال رفعه بصداقتهم .

ورجى لوسكيوس لافينوس ومدرسته اتهاماً آخر لترنتيوس بمس فنه ومسرحياته ، فهو يعيب عليه استعمال الـ *Contaminatio* أى مزج رواية إغريقية أصيلة بمشاهد أو شخصيات من رواية أخرى كما حدث في «أندريا» وفي «الآغه» إذ أن كلا منهما مزيج من مسرحيتين ، والمزج في نظر لوسكيوس لافينوس ومدرسته خرق لشيء مقدس . وأخذوا عليه أيضاً تقديم شخصيات في مسرحياته سبق أن قدمها نايفيوس وبلوتوس فقد أخذ من «كولاكس» التي ترجمتها نايفيوس وبلوتوس شخصية الجندي والمتطفل ووضعها في مسرحية الآغه ، وأخذ المشهد الأول من الفصل الثاني

في مسرحية الإخوان عن مسرحية « كومورينتس » بلوتوس ويعتبر لوسكيوس
لاينوس هذا التصرف سرقة لأن المسرحية المترجمة عن الأغريق في نظره ،
ملك خاص لصاحبها كالأصل الذي يعتبر خاصاً بمؤلفه . وقد رد ترنتيوس
فيما يخص المزج في مقدمة « أندريا » فقال إنه يفضل أن يتبع إسهال بلوتوس
ونايقيوس وعدم دقتهما عن اتباع دقة هذه المدرسة الجديدة وقطنها الغامضة
وحذر عدوه أو أعداءه جميعاً أن يخلدوا إلى السكرت حتى لا يظهر جهلهم
وعيوبهم . أما عن السرقة التي وصف بها فقد أجاب بأنه أخذ شخصية
الجندي والمتطفل عن ميناندر مباشرة دون أن يعرف أن نايقيوس وبلوتوس
كانا قد قدماهما للمسرح . ولم يتم بدحض سرقة مشهد من بلوتوس فالمشهد
المزعوم لا وجود له في مسرحية الاخوان .

فضلا عن ذلك وجه أعداء ترنتيوس نقداً آخر عن كتابته وأسلوبه
فوصموا كتابته بالثفاهة وأسلوبه بعدم القوة والحوية ..

“ tenui esse oratione et scriptura levi ”

هذه هي خلاصة العداوة التي تعرض لها ترنتيوس في حياته ومن الغريب
أن أصدقاءه سكتوا عن مناصرته برغم مركزهم المرموق .

وقد سافر ترنتيوس إلى بلاد الإغريق عام ١٦٠ ق.م ونجد الروايات
تتعدد في دوافع هذا السفر ويقول بوركيس (١٨) إن صداقة النبلاء
لترنتيوس كانت سبباً في خرابه المالي فسافر إلى بلاد الإغريق متضابقاً حيث
مات في استيمفالوس في أركاديا . ويقول نفس المرجع إنه لم يكن له مسكن
في روما يمكن لعبه أن يأتي إليه بأبناء موت سيده السابق عضواً للشيوخ . وتقول
رواية أخرى أن ترنتيوس أراد بهذا السفر أن يتعرف على ميناندر
وأبولودوروس ويدرس في البيئة نفسها عادات الإغريق ونظمهم ويشاهد
ملهياتهم ليختار لنفسه مثلاً جديدة يقتدى بها من بين مؤلفاتهم الزاخرة .

ولا يتفق الرواة أيضاً على الجهة التي سافر إليها ففي الوقت الذي يذكر بوركليوس أنها بلاد الإغريق يقول فولكاكيوس (١٩) إنه ذهب إلى آسيا ومن المحتمل جداً أنه ذهب إلى برجامون التي جذبته إليها بمكتبها الثغنية بالمخطوطات . ويختلف الرواة كذلك في سبب موته والمكان الذي مات فيه فيروى البعض أنه مات في استيفالوس في أركاديا بمرض أو حزن أصابه حين فقد مخطوطات مسرحيات كتبها في سفره ويروى البعض الآخر أنه رجع إلى روما حيث قضى نعيه .

ويستبعد سيلر أن الفقر كان الدافع الأول لسفره لأنه يناقض الواقع فقد ذكر في تاريخ حياة ترنتيوس أنه ترك حديقة على طريق آبيوس بالقرب من معبد مارس تساوى (٢٠ - ٣٠ فدانا) أورثها لابنته وأن ابنته تزوجت من فارس روماني فلو كان الأمر كذلك لما حدث هذا . ومن المحتمل أن تكون هذه الرواية شائعة أراد بها أعداؤه الإقلال من شأنه .

وقد كتب ترنتيوس ست مسرحيات وصلت إلينا كاملة ، لاقت في عصره نجاحاً تختلف درجته باختلاف الملهاة نفسها ، وأندريا هي أولى أعماله ويروى أنه حين عرضها على أيديل ذلك العهد أرسلوه إلى كايكليوس شاعر الملهاة العظيم ليبدى رأيه فيها . ويصف سوتونيوس هذه الحادثة فيقول إنه حين ذهب ترنتيوس إلى كايكليوس كان الأخير جالساً يتناول عشاءه وكان ثوب ترنتيوس يدعو إلى الاحتقار فجلس على مقعد بالقرب من الأريكة التي يجلس عليها كايكليوس وقرأ له مقدمة الملهاة ولم يكذبتم بضعة أبيات منها حتى دعاه كايكليوس ليجلس بجانبه ويتناول العشاء معه ويقراء له الباقي منها . وقرأ له ترنتيوس الملهاة وهو معجب به أعجاباً (٢٠) ليس بالقليل ويعقب سيلر على هذه الرواية بأنه من الصعب تصديقها إذ أن « أندريا » عرضت للتمثيل عام ١٦٦ ق.م وتوفي كايكليوس في نفس العام ومن جهة أخرى ليس من المعقول أن يظهر رجل مثل ترنتيوس في مناسبة كهذه يرى يدعو للاحتقار بمنعه من الجلوس بجانب كايكليوس ، وإن كانت الرواية

كما يرى سيالو ، محتملة الوقوع وجدبرة بالثقة مثل قصة اجتماع أكيوس
بياكوفوس في برانديزي (٢١)

وقد نالت أندريا نجاحاً عظيماً عام ١٦٦ ق.م وكان هذا النجاح سبباً في
أن قدم في نفس العام ملهامة «الآغة» التي أحرزت بدورها نصراً جديداً وفي
عام ١٦٥ ق.م عرض زوجة الأب لتمثيل في الألعاب الميجالية (٢٢) ولكنها
لم تمثل في الواقع إذ أن جمهور المشاهدين تركها ليشهد رقصاً على الحبل وألعاباً
أخرى. وقد لازم هذه المسرحية سوء الطالع حين عرضت للتمثيل مرة
أخرى عام ١٦٠ ق.م في الألعاب (٢٣) الجنازية التي أقامتها أبناء Aemilius Paulus
تأييناً لأبيهم الراحل، فقد مثل الفصل الأول منها فقط وعرضت للتمثيل للمرة
الثالثة في الألعاب الرومانية وفي هذه المرة لقيت نجاحاً. وفي عام ١٦٣ ظهرت
ملهامة «المعذب لنفسه» وفي عام ١٦١ فورميو وأخيراً ملهامة الإخوان التي
مثلت تأييناً للراحل Aemilius Paulus ١٦٠ ق.م .

وقد نقل ترنتيوس أربع مسرحيات عن ميناندر وهي أندريا والآغة
والمعذب لنفسه والإخوان ونقل مسرحيتين عن أبولودوروس وهي زوجة
الأب وفورميو .

وقد وردت أسماء هذه الكوميديات في مجموعة من المخطوطات
عل نحو مختلف عنه في مجموعة أخرى ولا يتفق مع تسلسلها
الزمني المعروف ، ففي المجموعة الأولى نجد هذا الترتيب
Andria ; Adelphi ; Eunuchus ; Phormio ; Heautontimorumenos ; Hecyra
ولعل هذا الترتيب أمجدى كما يرى ماروزو (٢٤) والترتيب الذي
تشغله فورميو شرحه بأن وقت ترتيب هذه الأسماء كانت فورميو تعرف
باسم Epidicazumenos أو كانت تكتب Formio أي بحرف "F"
بدلاً من Ph أما ترتيب المجموعة الثانية فهو كالآتي :
Andria Eunuchus Heautontimorumenos Adelphi Hecyra Phormio
وقد علل ماروزو هذا الترتيب بأنه وضع بالنسبة للملهامة التي
أخذت عن ميناندر أو عن أبولودوروس فالأربع كوميديات الأولى هي
أصلاً لميناندر والاثنتان لأبولودوروس. وأقدم مخطوط ترنتيوس هو مخطوط

A الذي عرض الملهيات وفقاً لترقيم زمني أخذ من الديداسيكاليا (٢٩) وهي البند التي توضع بدء كل ملهاة تشرح تاريخ تأليف الملهاة وتمثيلها إلى آخر ذلك. ويتبع الكثير من العلماء الترتيب الزمني الذي ورد في المخطوط A برغم أن الديداسيكاليا لا تتفق في ترقيمها مع ما تضمنته من إشارات بالنسبة للفواصل والابدلين الذين مثلت في عهدهم أو تحت إشرافهم الملهاة .

وتعتبر أندريا من النوع المزوج (٢٦) بالنسبة لحبوبة الرواية وحركتها أو هذوتها وتتكون من مقدمة وخمسة فصول، ومقدمة أندريا خرجت عن التقليد المألوف ، فالمقدمة عند بلوتوس كانت عرضاً لموضوع الملهاة تتضمن فكاهات وتعلقاً لتجذب نفوس المشاهدين وانتباههم وتشوقهم لتتبع الملهاة إلى النهاية . وقد اضطر ترنتيوس أن يحول المقدمة إلى دفاع عن نفسه وعن فنه المسرحي للعداء الذي قوبل به ، ولم يكن ترنتيوس راضياً عن هذا التحول بل اعتبره ضياعاً لجهود كان يمكن استغلاله فيها هو أفضل . أما الفصول كما هي مطبوعة الآن في الطبعات فلم تكن موجودة في زمن بلوتوس وترنتيوس وإن كان مبدأ التقسيم إلى فصول كان معروفاً . يقول أمبفيوس (٢٧) في هذا الصدد لقد مرتق الفصل الأول . ولم يحدد الشعراء أنفسهم فصول الرواية بل تركوا العناية بهذا التحديد لرئيس الفرقة الذي كان ينهى المشهد إذا كان خالياً بوقفه أو يستمر فيه متخذاً من اهتمام الجمهور أو عدمه عاملاً أساسياً في هذا التحديد .

ولم نشر المخطوطات إلى تقسيم الملهاة إلى فصول بل إنها أشارت إلى تقسيمها إلى مشاهد رقمت بأعداد دالة على الترتيب وبثبتت من الشخصيات التي تظهر فيها ، ويرمز لكل شخصية منها بحرف من حروف الأبجدية وفي حالة تغيير الشخصيات يتغير المشهد إلا إذا تركت الشخصية المنصة وعادت في الحد أن أو جاءت لتتشد أحياناً قليلة قبل مجيء الشخصيات الأساسية ثم تنصرف فلا يعتبر هذا تغييراً جوهرياً يدعو إلى تغيير المشهد .

وفصول أندريا الخمسة تدل على براعة ترنتيوس في تكوين مسرحياته :

الفصل الأول يقدم فيه ترنتيوس جميع العناصر اللازمة في فهم الملهاة وتنبعها فقد كشف لنا في حوار بين سيمو الشيخ وعبد المحرر سوسيا أن لسيمو ابنا يدعى بامفيلوس تركه ليفعل ما يشاء ولم يتدخل في شئونه الخاصة . اتصل ابنه بامرأة كانت قد جاءت من أندروس وبدأت تعيش حياة شريفة ثم اتخذت من الاغراف مورداً للرزق . وقد راقب سيمو سلوك ابنه وعرف أن علاقته بها كانت سطحية إذ كان يرافق أصدقاءه الذين كانوا على صلة بها ويساهم بنقوده في تناول الطعام معهم . وذاع صيت ابنه بين الناس لثانة خلقه ولرقة وتساهله، وأتى إليه صديقه الهرم كرميز يعرض عليه زواج ابنته الوحيدة من ابنه الشاب، واتفق سيمو على هذا الزواج وحدد له تاريخاً هو ذلك اليوم الذي تبدأ فيه القصة . وماتت كرميزس الغانية واشترك الشاب في تشييع الجنازة كما اشترك سيمو في تشييعها إرضاء لابنه، وفي المقبرة حين وضعت الجثة على النار (٢٨) اكتشف سيمو علاقة حب قديم بين ابنه وبين جليكريوم وهي أخت كرميزس ، كادت جليكريوم تقذف نفسها في النار حزناً على أخيها فاندفع ابنه وأبعدها وطوقها فألقت بنفسها على كتفه باكية في منظر غرامي مؤثر ، وجاء كرميز الشيخ صائحاً فقد بلغه الأمر ورفض أن يزوج ابنته من شاب له علاقة بامرأة أجنبية وها هو سيمو الآن يدبر خطة لينقذ ابنه من هذه العشيقة فهو يريد أن يتظاهر بأن الزواج سيتم في ذلك اليوم كما حدد ليختر بموقف ابنه ، فإن وافق عليه يذهب إلى صديقه والد العروس ويسترضيه وإن رفض الابن يستعمل حقه الأبوي ويجبره على الزواج من امرأة أخرى وهو الآن يطلب من سوسيا أن يساعدته في التحضير لزواج لا أساس له وأن يلاحظ ابنه بامفيلوس كما يلاحظ دافوس عبد بامفيلوس حتى لا يعرقل خطته . وبعد سوسيا بالمساعدة ويدخل إلى المنزل . ويظهر دافوس عبد بامفيلوس ويهدده سيمو بأن يرسله للعمل في الطاحونة مدى الحياة تحت السوط إن هوسعى في تعطيل زواج ابنه ويذهب دافوس باحثاً عن بامفيلوس ليخبره بموقف أبيه حتى لا يؤخذ على غرة، فهو يعرف مدى العلاقة التي

بين بامفيلوس وبين جليكريوم التي كانت على وشك أن تضع مولوداً من سيده ، ويأتى بامفيلوس وهو يلهث من الخوف دون أن يراه دافوس فقد قابله أبوه في القورم وطلب منه الإعداد للزواج .

وتظهر ميزيس خادمة جليكريوم ويدور بينها وبين بامفيلوس حوار يعرف منه أن جليكريوم تعاني آلام الوضع وتتألم أيضاً لفقد حبيبها الذي حيزوجه أبوه من امرأة أخرى ويؤكد بامفيلوس لميزيس أنه أمين على عهده وإخلاصه لجليكريوم وأنه يعتبرها زوجة له فقد ربطت كبريس بينهما وهى على فراش الموت وعهدت إليه بالمحافظة عليها فهي أمانة فى عنقه .

أما الفصل الثانى فهو يطور حوادث الملهة تدريجياً إذ يظهر فيه كارينوس وعبده بربا وقد جاء كارينوس يائساً يبحث عن بامفيلوس بعد أن سمع نبأ زواجه من محب وفى أثناء ذلك يظهر بامفيلوس على المسرح فيتوسل إليه أن يترك له العروس لأنه محبها وإذا لم يستطع بامفيلوس أن يجيبه إلى طلبه فعلى الأقل أن يوئجل الزواج حتى يتعد كارينوس عن أئبنا . وقد وعده بامفيلوس بأنه سيحاول ذلك بكل الطرق إذ أنه لا يحب هذه العروس لكنه يحب جليكريوم ويتفقان على أن يبدل كل منهما وسعه فى قسم هذا الزواج كل لمصلحته ، هذا لكى يتزوجها هو وذلك كى لا يتزوجها ، وهنا يظهر دافوس الذى يبحث عن سيده ليخبره بما وصل إليه من اكتشاف ، فقد شك دافوس فى أقوال سيمو وقهم خدعته وأهدافه وذهب إلى منزل العروس ليحقق شكوكه فوجده ما كئناً ليست به علامات العرس أو الترح ونصح كارينوس أن يذهب إلى أصدقاء كريميز والد حبيته ليتوسل إليهم ويكسب عطفهم حتى يساعدوه فى زواجه من فيلومينا حبيته ، ويستمع كارينوس لهذه النصيحة ويذهب بعد أن يترك عبده لمراقبة صديقه بامفيلوس ومعرفة خطواته . ثم ينصح دافوس بامفيلوس بأن يتنصع الرضوخ لوالده ويقبل الزواج ليفسد عليه خطته ، ويستمع بامفيلوس إلى هذه النصيحة ، ثم يظهر سيموثانية ويعرض على بامفيلوس الأمر كما تنبأ دافوس ويتظاهر بالموافقة ويجرى بربا عبد كارينوس ليخبر سيده بما سمع ، دون أن يعرف حقيقة هذا

التظاهر. ويعتقد الموقف في الفصل الثالث ويزداد سوءاً، فجليكريوم تضع مولوداً، ويسمى سيمو ودافوس صياحها في الخارج ويعرف سيمو من حوار بين ميزيس وليسيا أن ابنه قرر الاعتراف بالمولود ويعتقد أن هذه مؤامرة اشترك فيها دافوس لمنع الزواج، ولكن دافوس يقنعه بعدم اشتراكه فيها ويتفق مع سيمو على أن يترك له هذه المسألة ليعالجها بدهائه أما هو فعليه أن يستمر في الإعداد للزواج . ويأتي كريميز في الوقت الذي يفكر فيه سيمو أن يذهب إليه ويتوسل إليه بأن يرجع عن تصميمه ويزوج ابنته من ابنه ويقبل كريميز ثانية بعد امتناع، ويرسل سيمو دافوس لابنه ليهد نفسه للزواج . ويوجه بامفيلوس اللوم إلى دافوس إذ أنه تسبب في هذه المشكلة، وبعد دافوس بالتفكير في مخرج له من هذا المأزق المفاجئ .

وفي الفصل الرابع يلوم كارينوس بامفيلوس لإخلاله بوعدته ولخديعته فيلقى بامفيلوس اللوم على دافوس وتأتي ميزيس تطلب من بامفيلوس أن يذهب إلى سيدتها جليكريوم فهي قلقة تريد أن تراه، فيذهب إليها ويؤكد لها إخلاصه ويتحقق كارينوس من صدق بامفيلوس، ثم يتفق دافوس مع ميزيس أن تحضر المولود وقضه أمام باب سيمو لينفذ خطة لإنقاذ سيده من التورط الذي وقع فيه بسببه . في هذه الأثناء يأتي كريميز فيغير دافوس خطته بعض الشيء، ويخلق حواراً بينه وبين ميزيس أمام كريميز ، يوقف به الزواج .

قالت ميزيس إن المولود ابن بامفيلوس وادعى دافوس أنه لا يصدقها وأن هذه خطة مرسومة لمنع الزواج وأنها تدعى أيضاً أن سيدتها مواطنة أثينية وأن القانون يجبر بامفيلوس على أن يتزوجها، ولقد دفعت هذه المهزلة كريميز لأن يرفض زواج ابنته من بامفيلوس مرة أخرى . وتبدأ الملمهة تلجج خيوطاً لحل جميع العقد فيظهر كريستو وقد جاء من أندروس ليطالب بحقه في ميراث الغانية ويسأل عن جليكريوم وهل وجدت والديها فيعرف من ميزيس أنها لم تجدهما وأنها ورثت أملاك كريستو على أنها أخت لها ويصمم كريستو أن ينال حقوقه ويطلب مقابلة جليكريوم .

وفي الفصل الخامس يظهر كريميز يتبعه سيمو ويقوم بينهما حوار يتوسل فيه سيمو إلى صديقه ألابصدق ميزيس فالاولاد الذي رآه كريميز ليس ابن بامفيلوس بل هو مكيدة لمنع الزواج، ومواطنة جليكريوم الأثينية دعوى لا صحة لها وقد تنبأ دافوس هذه اللحظة منذ البداية، في هذه اللحظة يخرج دافوس من منزل جليكريوم فيسأله سيمو عن سبب ذهابه إليها وقد منعه من ذلك فيقول دافوس إنه ذهب مع سبده بامفيلوس ليرى رجلاً جاء من اندروس يقول إن جليكريوم مواطنة أثينية، ويعصف الغضب بسيمو عند سماع هذا التبا الذي يفسد عليه زواج ابنه من ابنة كريميز ويستدعي عبداً يقبذ دافوس ويبعده، ويطلب ابنه ويشبهه لوما وتقريباً ويخضع بامفيلوس لإرادة أبيه ولكنه يتوسل إليه أن يرى كريبتو ويستمع إلى ما يعرفه عن جليكريوم، وتتحل عقدة الملهاة بما يقصه كريبتو إذ يتضح أنه صديق قديم لكريميز وأن جليكريوم هي ابنته التي انقطعت أخبارها عنه سنين طويلة وقد رحلت وهي طفلة مع عمها فانيا ودفعتها عاصفة إلى ساحل أندروس وقد لجأ إلى والد كريميز الذي عنى بتربية جليكريوم بعد وفاة عمها فلما مات هو أيضاً جاءت كريميز بها إلى أثينا، ويسرع كريميز ليرى ابنته جليكريوم ويقبل سيمو أن يزوج ابنه منها بعد أن عرف حقيقة مولدها، ويوثق بدافوس وهو يتألم من جروحه ويظهر كارينوس نفسه فقد كان يتزق السمع إلى ما يقال في المسرح ويطلب من بامفيلوس أن يساعده لدى كريميز فيزوجه من حبيبته فيلومينا ويقبل كريميز هذا العرض (٢٩).

ونلمس من هذا العرض فن ترنتيوس المسرحي بوضوح فحوادث «أندريا» تتابع بطريقة طبيعية مشوقة تدفع القارئ إلى عقدة الملهاة تدريجياً حتى تصل إلى شدتها دون تكلف ثم تحل بعد ذلك دون عناء.

وقد ذكر ترنتيوس في مقلمة أندريا أنه أدخل تغييراً وإضافات على الأصل الإغريقي فلهااته مزاج من أندريا ومن برنثيا الإغريقيين لتشابه القصتين ولو أن ترنتيوس لم يذكر هذا المزج لنا لما شعر القارئ الحديث به، فقد

أظهر براءة في اختيار إضافاته وجعل من الأصل والإضافة وحدة منسجمة متكاملة .

ومن الإضافات القليلة المؤكدة من مقارنة أندريا ترنتيوس بأجزاء الأصول الإغريقية الباقية تقديم شخصيتي كارينوس وخدامه بيريا فهاتان الشخصيتان ليستا موجودتين في أندريا الأصلية كما أشار إلى ذلك دوناتوس (٢٠) إذ يقول non sunt apud Menandrum وقد اختلفت العلماء والفقاد في تفسير هذه العبارة فمنهم من يقول إنها اختصار لـ non sunt apud Andriam Menandri وهذا معناه أن الشخصيتين أخذهما ترنتيوس عن أصل إغريقي آخر لم يذكره دوناتوس، ومنهم من يعتقد أنها من اختراع ترنتيوس، والأرجح أن ترنتيوس نقلها عن أصل إغريقي فلم يكن ليجرؤ إزاء ذلك العلماء الذي قوبل به أن يتمم في أصل إغريقي شيئاً من ابتكاره ، هذا من جهة ومن جهة أخرى لم يكن ابتكار الجديد له أهمية كبرى عند القدماء الذين كانوا يديحون النقل ، ثم إن ترنتيوس أبقى على إغريقية الملهاة وطورها ليرتقى بها من الناحية الفنية والتشكيلية لا من ناحية الموضوع .

فضلا عن ذلك قد حور ترنتيوس المشهد الأول من أندريا الأصلية الذي كان يعرض فيه سيمو عناصر القصة بمفرده إلى حوار بين شخصية سيمو وسوسيا كما فعل ميناندر في برثيا وإن كان الحوار عند ترنتيوس بين سيمو وسوسيا والحوار في برثيا بين سيمو وزوجته . ولاشك أن جميع هذه الإضافات وغيرها مما لا نعرفها لضياح الأصول أضفت على أندريا الحركة والحياة كما أن شخصية كارينوس وبيريا توجد ازدواجاً وتقابلاً وكان ذلك عاملاً لتعميق الملهاة وإكسابها عنصر التشويق، فكارينوس يجب عروس بامفيلوس وهذا لا يحبها، ودافوس يمثل المكر والعقل المفكر في تدبير مؤامرات ومكايد ليخدم مصالح سيده، وبيريا تمثل القباء الذي لا يصلح إلا التوافة من الأمور، ثم إن هاتين الشخصيتين تتممان حلقة التقابل التي أوجدتها من قبل الشخصيات الأساسية (سيمو ، كريميز ، جليكريوم فيلومينا) وهكذا .

وقد رغب ترنتيوس بهذه الإضافات والتعقيد الابتعاد عن بساطة أندريا الإغريقية إذ أنها لا تناسب الذوق الرومانى الذى كان فى ذلك الوقت يحب الحركة والألوان والمفاجأة ، كما قصد أن يرتقى بالفن المسرحى (٢١) فى عصره .

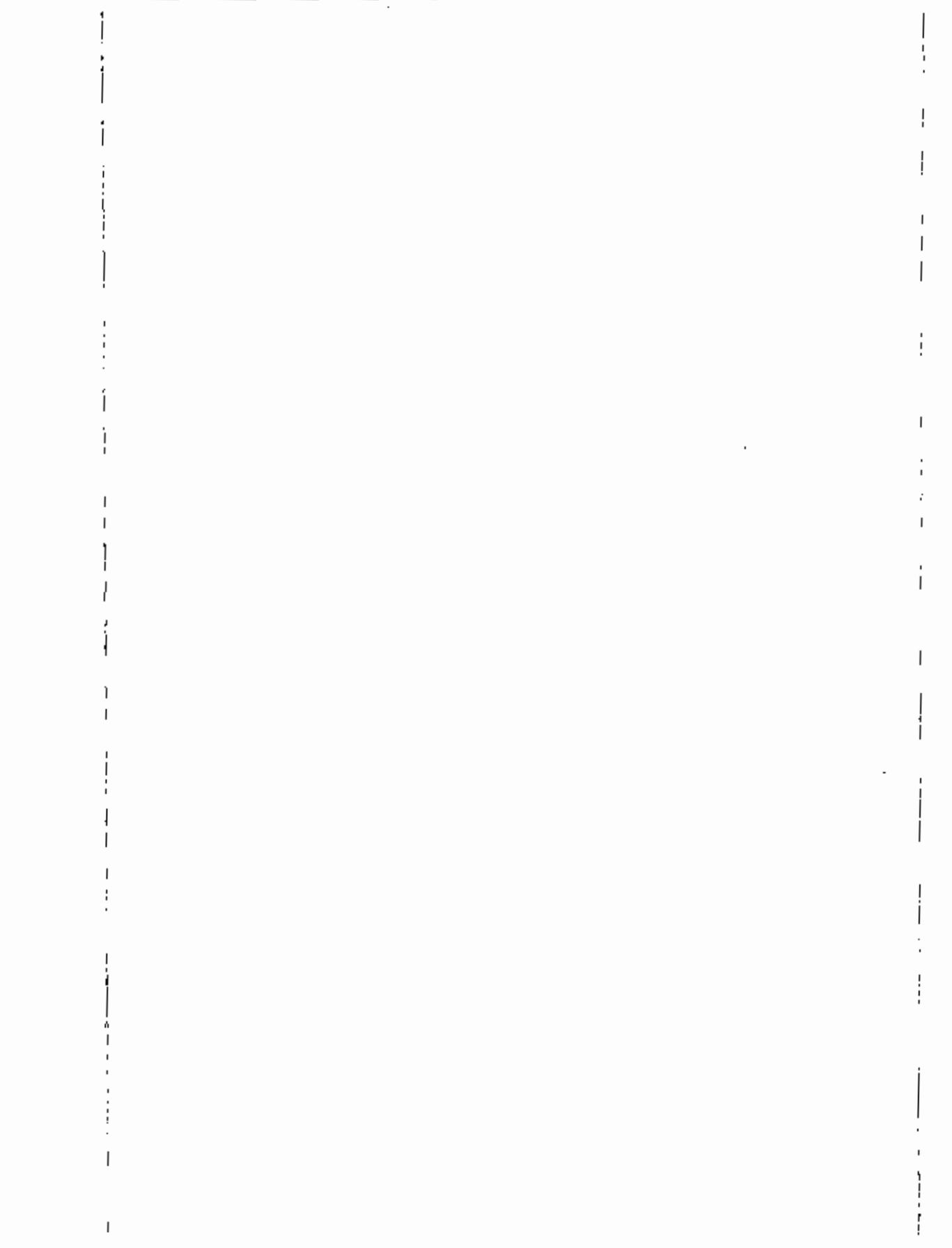
وشخصيات أندريا عديدة وهى كعظم شخصيات ترنتيوس توصف بعدم القوة والحيوية ، أما شخصية دافوس ومقدرته على الدس والتعمية فطقتها فى هذا المجال محدودة لا تقارن بدهاء « بسودولوس » بلوتوس . ويصف سيلر شخصيات ترنتيوس قائلا إنها تتفق مع النموذج العالمى لحياة المواطن الرقيقة اللينة الجانب، وهى مهذبة وتواجه العالم ببساطة وليس لها أى اهتمام جدى ولا تشعر بالواجب والطمرح .

ولو رجعنا إلى الملهاة نفسها لنرى مدى صحة هذا الوصف نجد أن سيمو لا يشعر بالواجب نحو ابنه فقد تركه تحت إشراف عبد ماکر وترك له أن يفعل ما يشاء ، ولم يغضب ولم يثر حين اكتشف حب ابنه لأخت غانية بل رسم خطة ترمى إلى زواجه من ابنة صديقه فى هدوء، ولكن حين علم أن حبيبة ابنه هى ابنة أخرى لصديقه قبل أن يزوجه منها برغم العلاقة الآتمة التى كانت بينهما . ثم إن بامفيلوس تنازعت عاتقة الحب والخضوع ومع ذلك لا ينطق بكلمة أمام أبيه ويخضع لأوامره إلى أن يواتيه الحظ فيتزوج ممن يريد . وكريميز المرم والد العروس يرفض أن يزوج ابنته لأسياب أخلاقية ثم يقبل إذا ما توسل إليه سيمو دون التحقق من حقيقة الأمر . أما الهذيب فراه واضحاً فى شخصية العبد دافوس إذ لا يتكلم بلغة العبيد ولا يقذف بنكات جريئة أو حركات رخيصة بل يرتفع إلى لغة الرجل المهذب ، كما نراه فى شخصية ميزيس خادمة جليكيروم التى كانت فضلاً عن هذا تتأمل فى أمور البشر أحياناً وتصدر أحكاماً عنهم ، ولكن برغم هذه البراعة فى التعبير وحال الصياغة فى الأسلوب الذى يميز ملهاة أندريا فإنه لم يكن لها هدف أخلاقى يسمو بالنفس أو فكرة عميقة ترضى العقل بل إنها تصور أئينا فى انحلالها الدينى وتصور أئينا بعد أن فقدت زعامتها السياسية وهى

تمثل الابقورية في ثوبها الرخيص من استمتاع بالحياة وحب للعالم ،
والناحية الخلقية الوحيدة التي نراها في هذه الملهة هي عذوبة الصداقة
والعطف وحنن المعاملة والتساهل والإخلاص ولعل هذه الصفات كانت
ضرورية للرومان في ذلك الوقت .

والجديد في هذه الملهة الذي امتازت به هي الطريقة التي كتبت بها ،
واللغة المصقولة التي استخدمت في التعبير عن حواشيها ثم الحكمة المسرحية التي
ربطت بين أجزائها ذلك إلى المنهج الجديد الذي مزج به بين مسرحي
أندريا وبرنثيا الإغريقيين وجعل منهما عملاً فنياً رائعاً . وبرغم أن هذه
الملهة قوبلت بنقد أعدائه في عصره لما فيها من فن وتجديد إلا أن فن
ترنتيوس حظى بعد ذلك بتقدير الأجيال الخالفة .

النص



الديداسكاليا

مفقودة

ولكن توجد عند دوناتوس (36, 3w) الحقائق الآتية : أندريا هي أولى ملهيات ترنتيوس وقد مثلت في الألعاب الميجالية في عهد الايدلين ماركوس فولفيوس ومانوس . جلابريو وقام بتثيلها لوكيوس انيليوس ولوكيوس أمفيوس توريو . وألف فلاكوس ابن كلوديوس موسيقاها وكانت تعزف بمصاحبة الناي ذى القصبة المزدوجة النيمية يساوى عنده عدداً من الناي ذى القصبة المزدوجة البسارية .

ملخص سلبكيوس أبولوناريوس

اعتدى بامفيلوس على جليكيوم التي ظنت خطأ أنها أخت غانية من مواليد أندروس وقد حملت جليكيوم منه ووعدتها بالزواج ولكن أباه خلب له ابنة كريمز ولما اكتشف الأب حب ابنة لجليكيوم تظاهر بأن الزواج سيتم فقد رغب في أن يكشف نوايا ابنة وشعره . لم يمنع بامفيلوس امتثالا لنصيحة دافوس ولكن حين رأى كريمز أن جليكيوم أنجبت ابناً من بامفيلوس مانع في هذا الزواج ورفض أن يتخذ من بامفيلوس زوجاً لابنته ثم اتضح لكريمز أن جليكيوم ابنته فزوجها من بامفيلوس كما زوج ابنته الثانية لكارينوس .

الأشخاص حسب الظهور

سيمو الشيخ - صوسيا - دافوس عبد بامفيلوس - ميزيس خادمة جليكيوم - بامفيلوس ابن سيمو - كارينوس صديق بامفيلوس - بريا عبد كارينوس - اسبيا قابلة - كريمز صديق سيمو - كريتو الشيخ غريب جاء من أندروس - درومو عبد - المغنى - جليكيوم محور القصة لم تظهر على المسرح .

المقدمة

منذ اللحظة التي وجه الشاعر فيها عقله إلى الكتابة اعتقد أن مهمته الوحيدة
أن ترضى ملهياته الأفراد وقد فهم أن المهمة قد تحولت إلى غير ذلك فهو
يبد جهده في كتابة مقدمات لا تزوى موضوع الملهاة بل تُرد على شائهم
شاعر هرم حقوق .

واستمعوا الآن ، أرجوكم ، إلى المآخذ التي تنسب إليه: ألف ميناندر
أندريا وبرينثيا والذي يعرف إحدى المسرحيتين يعرف كلتيهما فهما تتشابهان
في الموضوع ولكنهما تختلفان في التعبير والأسلوب ، ويعترف أنه نقل عن
برثيا ما يناسب أندريا واستعمله كما لو كان خاصاً به ، هؤلاء الأشخاص
يعيون عليه ذلك التصرف ويتناظرون في ذلك الأمر وهو أن المزج بين
قصتين لا يليق ، ألا يظهرون بفهمهم هذا أنهم لا يفهمون شيئاً ؟ فن
يلين شاعرنا هذا إنما يلين نابضوس وبلوتوس وإنيوس الذين يتخذهم مثلاً
له ويأمل أن يقلد إهمالم عن أن يقلد فطنة هؤلاء النقاد الغامضة وعلى ذلك
فلما أنصحهم أن يخلدوا إلى الخدوع وأن يكتفوا عن فاحش القول حتى
لا يكشف لهم عن أعمالهم الشائنة . ساعدوه وشاهدوا الملهاة دون تحز لتقد
أعدائه وتبينوا حقيقة الأمر حتى تعرفوا جيداً ما يبقى له من أمل في المستقبل
وهل ينبغي أن تشاهدوا مسرحياته التي يولفها فيما بعد أو تدينوها قبل عرضها .

الفصل الأول

المشهد الأول

سيمو - سوسيا

المنظر - أثينا - شارع في أثينا على جانبه منزل سيمو وعلى الجانب
الأخر منزل كريكسيس وجليكريوم ثم شارع على اليمين يتجه نحو القورم
وأخر على اليسار يتجه نحو الريف والميناء . هذا المنظر لا يتغير .

يدخل سيمو وسوسيا الطباخ وعبيد يحملون المثوبة .

سيموللعبيد - احموا أنتم هذه الأشياء إلى الداخل ؛ هيا اذهبوا أما أنت
يا سوسيا ، فاقرب مني ؛ إلى أريد أن أحدث إليك في أشياء
قليلة .

٣٠ سوسيا - اعتبر ما تريد قوله كما لو كان قد قيل. ألت تريدني أن أعني هذه الأشياء كما يجب ؟
سيمو - كلا بل لأمر آخر .

سوسيا - ما هو هذا الأمر الذى يستطيع فى أن ينتج أكثر من هذا ؟
سيمو - إن الأمر الذى أدبره ليس فى حاجة إلى فك ولكنه فى حاجة إلى تلك الصفات التى رأيتها متأصلة فىك وهى الولاء والكتبان
سوسيا - إنى أنتظر أن أعرف رغباتك .

٣٥ سيمو - إنك تعرف أن عبوديتك منذ اللحظة التى اشتريتك فيها ومنذ أن كنت صغيراً كانت عبودية عادلة ورحيمة ولقد حررتك لتصبح عبداً عتيقاً واعتبرت ذلك أسمى جزاء أقدمه لك (٢٢) إزاء ما قمت به من خدمة كريمة .

٤٠ سوسيا - إنى لمحتفظ بكل هذا فى ذاكرتى .

سيمو - ولست نادماً على ما فعلت .

سوسيا - وأنا سعيد يا سيمو إن كنت قد فعلت أو أفعل ما يرضيك وبسرك وأشكر لك هذا الصنيع لرضاك عني ولكن تذكر لى به أمر يجب لى الضيق ويبدو كأنه عتاب لتسيان صنيعك قل كلمة واحدة عما تريد منى .

٤٥

سيمو - سأفعل ذلك وسأنتبأ لك أولاً فى المسألة التى نحن بصددنا أن الزواج الذى تظنه قائماً ليس زواجاً حقيقياً .

سوسيا - لم تتظاهر بوجوده إذن ؟

٥٠ سيمو - ستسمع الموضوع كنه منذ البداية وبهذه الطريقة سوف تعرف مسلك أبى فى الحياة وخطى ، وما أريد أن تفعله فى هذه المسألة . فبعد أن ترك سن المراهقة ، ياسوزيا ، وكانت لديه لقدرة على أن يعيش بحرية أكبر (فقبل أن يترك هذه السن كيف يستطيع المرء أن يتحقق من طبيعته طالما كانت سنه الصغيرة وخوفه ومعلمه يتمعون هذه الطبيعة ؟)

سوسيا - هذا حق :

٥٥ سيمو - لم يتعلق بأية هواية من الهوايات كتربيه الخليل أو كلاب الصيد أو الذهاب إلى الفلاسفة تعلقاً تزيد درجته لواحدة منها عن الأخرى ، الشيء الذي يفعله جميع الشبان تقريباً بل كان معتدلاً في كل منها وكنت سعيداً بهذا .

سوسيا - كنت محمناً في هذا السرور . فالاعتدال في نظري هو أكثر الأشياء نفعاً في الحياة .

سيمو - هكذا كانت حياته ، كان سهلاً ولين الجانب في تحمل جميع الناس ووهب نفسه لعشيرته وأقرانه واتبع ميولهم وأهواءهم لا يعارض أحداً منهم ولا يفضل نفسه عليهم وبهذا الأسلوب من الحياة قد يعد المرء لصداقات دون أن يشعر حقداً بمنهى السهولة

سوسيا - لقد نظم حياته بعقل وروية ففي هذا الزمن يجلب لين الجانب الصداقة أما الحقيقة فلا تجلب سوى اليغص .

سيمو - وقد حدث في هذه الأثناء منذ ثلاث سنوات أن هاجرت امرأة ذات جمال وفي ريعان شبابها من أندروس بدافع الحاجة وإهمال الأقرباء لها وأقامت بالقرب منا

سوسيا - آه لكم أخشى أن تجلب هذه المرأة الأندرية شيئاً من الشر

سيمو - لقد بدأت حياة فاضلة وعاشت في حياء وتقدير ونضال تبحث عن رزقها بغزل الصوف ونسجه ولكن بعد أن جاءها عاشق

٧٥ يعدها بالثمن ثم آخر على نهجه قبلت العرض وبدأت تتاجر بعرضها ، كما نعرف عن طبيعة البشر فهي تنفر من

٨٠ العمل وتنحدر نحو المتعة . وحدث أن قاد عشاقها ابني صدقة إلى منزلها حتى يكون في صحبهم وعند ذلك قلت لنفسي لقد وقع في حبها وتعلق بها ، وفي الصباح كنت ألاحظ

غلمان هؤلاء العشاق في روحاتهم وغدواتهم وكنت أسأل
« يا غلام قل لي أرجوك من الذي امتحود على كريسيس
أمس ، فقد كان هذا هو اسم المرأة الأندرية .

٨٥

سوسيا - إلى متبع لأقربائك .

سيمو - كانوا يقولون لي إنه فايدروس أو جليكينيا أو نيكراتوس
فهؤلاء الثلاثة كانوا يحبونها في وقت واحد ، حسن حسن
« ولكن ماذا فعل بامفيلوس ؟ - بامفيلوس ؟

لقد ساهم في ثمن العشاء وتناوله معهم . كنت فرحاً
لما أسمع وكنت أكرر نفس السؤال في يوم آخر وهكذا ، ولم

٩٠

أكتشف شيئاً بمس أخلاق بامفيلوس من أية ناحية ولما
اختبرته اختباراً كافياً اعتقدت أنه مثل رائع للطهارة والنفقة
فإن من يحثك بطابع من هذا النوع ولا تتأثر به نفسه في
ناحية أخلاقية كذلك فتأكد أنه يستطيع أن يحدد شخصياً

٩٥

نظاماً لحياته ، وقد سرتني هذا الاكتشاف ، كما أن الجميع
أجمعوا على التحدث عن خصاله الحميدة وامتداح حسن حظي
لأبوتي لابن وهيت له مثل تلك الطبيعة ولكن لم أطيل عليك ؟
حضر عندي كريميز بمحض إرادته مدفوعاً بهذه السمعة الطيبة
ليعرض ابنته الوحيدة لتكون زوجة لابني ومعه صديق كبير
لقد سرتني الأمر ووعدته بإتمام هذا الزواج ، وحدد هذا
اليوم للزواج .

١٠٠

سوسيا - ما الذي يعوق ويتسبب في عدم إتمامه ؟

سيمو - ستمتع السبب الآن ، خلال الأيام القليلة التي جرت فيها
هذه الحوادث كانت كريميز جارتنا تموت .

١٠٥

سوسيا - ما أروع تصرف القدر لقد أسعدتني بهذا النبأ آه لكم كنت
أخشى كريسيس .

سيمو - في ذلك الوقت كان ابني يتردد على منزلها ويقف بجانب
عشاق كيريزيس ويعني كما يعنون بالجنائز وكان حزينا
في تلك الأثناء بل يذرف الدمع أحيانا ولقد سرق هذا الموقف
منه وأخذت أفكر على هذا النحو : إنه للعلاقة البسيطة التي
كانت بينه وبين هذه المرأة يتألم لموتها بهذه الدرجة كما لو
كانت تمت إليه بصلة القرابة ماذا كان يفعل لو أنه كان
قد أحبا ؟ وماذا يفعل عند موتي أنا ؟ كنت أظن أن جميع
تصرفاته هذه هي واجبات صدرت عن طبيعة إنسانية ونفس
رقيقة حساسة ولكن لم أطيل عليك ؟ من أجله ذهبت بنفسى
إلى تشييع الجنائز دون أن يربيني شر ما .

١١٠

١١٥

سوسيا - أى شر هذا ؟

سيمو - متعرف ، أخرجوا الجثة وبدأنا نتحرك وفي هذه الأثناء
رأيت صدقة من بين النسوة اللاتي اشتركن في الجنائز شابة
ذات قوام ..

سوسيا - لعله جميل .

١٢٠ سيمو - ووجه ياسوسيا في حياء لا يفوقه حياء ولأنها بدت لي تبكى
وتتألم أكثر من سواها ولأنها ذات قوام نبيل جذاب يفوق
قوام غيرها من النسوة اقتربت من حجرة انتظار السيدات
وسألت عن تكون هذه الشابة فأجابت النسوة إنها أخت
كيريزيس ، لقد هزنتي الإجابة وانقضت على في التوكالصاعقة
والأسفاه هذه هي الحقيقة ، من هنا جاءت الدموع ، هذه المرأة
هي مصدر ذلك الإشفاق .

١٢٥

سوسيا - لكم أخشى النتيجة التي تفودنى إليها !

سيمو - في هذه الآونة تقدمت الجنائز وتبعناها ووصلنا إلى المقبرة
ووضعوا الجثة على كومة الحطب الموقدة وبكى المشيعون
في هذه اللحظة اقتربت هذه الأخت التي حدثك عنها من

١٣٠

٢٣٦

اللهيب دون حذر حتى تعرضت للخطر ، هنالك وفي ذلك الوقت أظهر بامفيلوس حبه الذي واره وأخفاه ببراعة عني وعن الناس وهو يلهث من الخوف عليها فقد جرى وطوق خصر المرأة وقال وعزيرتي جليكريوم ماذا تفعلين لم تذهبين إلى النار لتلقى بنفسك إلى الهلكة؟ عندئذ أقلت بنفسها عليه يا كبة يا لها من طريقة كلها ألفة وود حتى أنك لترى بسهولة حياً متأصلاً !

١٣٥

موسيا - وماذا قلت له ؟

سيمو - رجعت من هناك غاضباً ومتحملاً بصعوبة ما رأيت ولكن غضبي لم يكن سبباً كافياً للومه وتقريعه ، فلو لته لقال : « ماذا فعلت وماذا اقررت وفيم أخطأت يا أبن لقد منعت امرأة رغبته في أن تلقى بنفسها إلى النار وأنقذتها من الموت » إنه لدفاع مجيد حقاً .

١٤٠

موسيا - لقد أصبت في تفكيرك فلو أنك لمت من مدي المساعدة لإنقاذ حياة ماذا كنت تفعل لمن تسبب في ضرر أو شر ؟

١٤٥ سيمو - جاءني كريميز في اليوم التالي يصيح أنه عمل لا يليق بالكرامة لقد اكتشف أن بامفيلوس اتخذ هذه الأجنبية زوجة له ولقد نفيت ذلك بإصرار وأكد هو صحة الأمر وأخيراً تركته وهو يرفض أن يزوج ابنته لابني .

موسيا - وابنتك حينئذ ألم ...

١٥٠ سيمو - وحتى هذا السبب لم يكن من القوة بماكان ليدفعني للومه .

موسيا - كيف قل لي أرجوك ؟

سيمو - لو أنني أنبتته لقال « لقد حددت بنفسك نهاية لهذه الأشياء يا أبن ، وهذه النهاية تقرب حين يتحتم علي أن أعيش وفقاً لإرادة شخص آخر أما الآن فأذن لي أن أعيش هذه الفترة بطريقتي الخاصة .

سوسيا - أي فرصة للتأنيب تركتها لنفسك ؟

١٥٥ سيمو - إذا رفض الزواج بسبب حبه فإن هذا الرفض يكون بداية

للإساءة إلى ، ينبغي أن ألاحظها والآن أحاول عن طريق

زواج مزعوم أن أجد سبباً معقولاً للتأنيب ، إن هو رفض

١٦٠ الزواج ، وإن كان لدى المحرم دافوس أية خطة ، ليقوم

بها في الوقت الذي لا تضر حيلة وخذعه شيئاً ، ذلك النوع الذي

أظنه سيعمل بكل ما أوتي من قوة حتى يصد رغباتي أكثر

من أن يدعني لأبي وباله .

سوسيا - أي سبب لذلك ؟

سيمو - أتسألني عن السبب ؟ عقل شرير ونفس شريرة فإذا شعرت

١٦٥ حقاً أنه ... ولكن لم أطيل عليك ؟ إذا حدث ما أتمناه وهو

أبني لا أجد عند بامفيلوس أي مانع يقضي كرميبي الذي يجب

أن أتوصل إليه ، وإني لأرجو أن أوفق في مهمتي وواجبك

الآن أن تتظاهر جيداً بأن الزواج قد تم لتدخل الرعب على

١٧٠ دافوس وتلاحظ ما يفعله ابني ، وأية خطة يدبرها معه .

سوسيا - هذا يكفي سأهتم بالأمر وأذهب الآن إلى الداخل .

سيمو - تقدم إني أتبعك . (ويذهب سوسيا)

المشهد الثاني

سيمو - دافوس

سيمو - ليس عندي شك أن ابني سيرفض الزواج فلقد شعرت بهذا

من رعب دافوس على ذلك النحو حين سمع أن الزواج

سيتم ولكن ها هو نفسه يخرج من المنزل .

١٧٥ دافوس - (وهو لا يرى سيمو) كنت أعجب لذلك الشيء أن يمضي

كذلك وكنت أخشى إلى أي اتجاه يتجه لين سيلدي الأنايم

الذى لم يقل قط كلمة لواحد منا بعد أن سمع أن العروس
لن تزوج من ابنة بل احتمال وقع هذا النبا بسهولة .

سيمو - (لنفسه) ولكنه الآن سيفعل هذا وإن يكون هذا التحمل دون
أن يصيبك شر كبير ، كما أعتقد .

١٨٠ دافوس - (ولم ير سيده بعد) هذه هي رغبته وهي أن تنقاد في غير حذر
بفرح زائف وتأمل بعد أن انتزعنا الخوف من أنفسنا ،
ليحسنا ونحن في ذهول (من هول المفاجأة) حتى لا نجد
فرصة للتفكير في منع الزواج ، يا له من ماكر !

سيمو - (لنفسه) ماذا يقول الجلال ؟

دافوس - (لنفسه) ها هو سيدي ولم أكن قد رأيته من قبل .

سيمو - يا دافوس .

دافوس - حسن ماذا تريد .

سيمو - هيا اقرب منى الآن .

دافوس - (لنفسه) ما الذى يريده هذا الرجل ؟

سيمو - ماذا تقول ؟

دافوس - عن أى شىء ؟

١٨٥ سيمو - أتسألنى ؟ ذاعت إشاعة أن ابنى عاشق .

دافوس - إن الناس لا يعنون إلا بذلك .

سيمو - أسمعنى أم لا تسمع ؟

دافوس - إن أذن قطعاً متجهة إليك .

سيمو - إن البحث في تلك الأمور الآن لا يلقى بأب عادل فافعله

من قبل لا يعنى فى شىء ، وطالما سمحت ظروفه بذلك

تركته يشبع ميوله ورغباته أما الآن فإن هذا اليوم فاتحة حياة

مختلفة تتصّب تغييراً فى سلوكه وعاداته وأطلب إليك من هذه

١٩٠

اللحظة يا دافوس أن ترجعه إلى الطريق القويم بل أتوصل إليك
إن كان من العدل للسيد أن يفعل هذا ، أنسأل عما أقصد ؟
إن جميع العشاق يتضابقون أن يقيدوا بالزواج .

دافوس - هكذا يقولون .

ميمو - ثم إذا اتخذ امرؤ لنفسه مرشداً في هذا الطريق وكانت نفسه
مريضة فإنه عادة يدفعه إلى اتجاه أمراً .

دافوس - فمما بهركيوليز لا أفهم شيئاً .

ميمو - ألا تفهم شيئاً (مهمهما) .

دافوس - إنني دافوس ولست أوديبوس .

١٩٥ ميمو - حقاً أتريد إذن أن أحدثك بصراحة عما بقي عندي من القول .

دافوس - نعم لا شك في ذلك .

ميمو - لو شعرت أنك تحاول أية خدعة في هذا الزواج لتمنع من

وقوعه أو أنك تريد أن تظهر للناس مبلغ دهائك في هذه المسألة

فسوف أجلكك بالباطل ثم أرسلك للعمل في الطاحونة حتى⁷

المات تحت شرط أو عهد أتخذه على نفسي على أن أحل

محللك في إدارة الطاحونة لو أخرجتك منها حياً والآن أفهمت

ما قلته أم لم تفهم بعد هذا أيضاً ؟

دافوس - لقد فهمته جيداً . لقد تحدثت عن واقع الأمر بوضوح تام

ولم تستعمل أية مراوغة أو دوران .

ميمو - قد أسمح لنفسي أن أخدع بسهولة أكثر في أي أمر آخر

من أن أخدع في هذه المسألة .

دافوس - كلام جميل كله نفاؤل أرجوك أقلت « أخدع » ؟

٢٠٥ ميمو - أتسخر مني ؟ إن تخدعني في شيء ولكني أقول لك لا تتصرف

باندفاع ولا نقل إنك لم تنصح من قبل ، فلأخذ حلوك

(يخرج ميمو)

- دافوس - حثاً، يا دافوس، لا يوجد أي وقت للإبطاء والبلادة على قدر
فهى الآن لرأى الشيخ فيما يتصل بالزواج ، فإن لم تُتدبر
الأمر بشيء من المكر والخديعة فسوف يقضى على وعلى
سيدي ولست متأكداً مما سأفعله فهل أساعد بامفيلوس
أم أخضع لما أمر به الشيخ ، إذا تركت الأول فإني أخاف
على حياته وإذا ساعدته فإني أخشى تهديدات الأخير وليس
من السهل مدهاته فإنه قد اكتشف هذا الحب أول الأمر
ثم إنه برقبتي كأنني عدو له حتى لا أدبر أية خديعة تمنع
الزواج ، إذا شعر بهذه الخديعة فقد انتهى أمرى ، فإن
تسلط عليه هواه تغل بعنة ما وأرستني إلى الطاحونة بحق
أو بغير حق ، أضف إلى هذه المتاعب شراً آخر : هذه
المرأة الأندرية سواء أكانت زوجة أم صديقة ، حامل من
بامفيلوس ومن الواجب الاستماع إلى ادعائهم وتأكيدهم
(فهمهم هي مهمة الخائنين لا العشاق) وقد قررا الاعتراف
بما ينجانة وابتكرا فيما بينهما خديعة معينة وهي أن هذه
المرأة مواطنة أجنبية . وقد حدث ذات مرة أن كان هناك
تاجر هرم غرقت سفينته بالقرب من جزيرة أندروس
ولقى الشيخ حثفه « أما هي فقد قذفها الأمواج إلى الساحل
فأخذها والد كريزيس وهي طفلة صغيرة يتيمة . يا لقصص!
وهي في نظري ، وحق مركبوليز ، لا تشبه الواقع ولكن
هذه القصة الخيالية تدخل على نفسيهما السرور . ولكن هاهي
ميزيس تخرج من منزل سيدتها أما أنا فسأذهب من هنا إلى
لفورم لأرى بامفيلوس حتى لا يفاجئه أبوه بأمر الزواج
وهو غافل .

المشهد الرابع

ميزيس

ميزيس - (تكلم مديرة المنزل) سمعت يا أرخيليس منذ مدة طويلة ،
سمعت ، إنك تأمرين بإحضار لسبيا ، قسماً بيولوكس ، هذه المرأة

سكير وصادقة وليست عندها الجدارة الكافية ليعهد إليها
المرء بامرأة تضع لأول مرة آتقى بها رغم ذلك ؟

٢٣٠

(تظهر على المسرح) أنظروا إلى عناد هذه العجوز الصغيرة ،
ذلك لأنها رفيقتها في السكر أيتها الآلهة أتوسل إليكم أن تيسروا
عليها الوضع وأن يكون ما قدر عليها من خطأ في حالات
أخرى غير حالة سبليتي ، ولكن من ذا الذي أراه ؟ أهو
بامفيليوس تلهث أنفاسه من الخوف ؟ أخشى أن يكون
قد حدث شيء ، سأنتظر لأعرف ما وراء هذا الاضطراب
من حزن .

٢٣٥

بامفيليوس - هل هذا عمل أو مشروع إنساني ؟ هل هذا ما يجب أن
يفعله الأب ؟

مزييس - ماذا يعني ؟

بامفيليوس - بحق الآلهة إذا لم تكن هذه إهانة فإذا تكون ؟ لقد قرر أن
يزوجني اليوم ألم يكن من الواجب أن أعرف قبل ذلك ؟ ألم
يكن من الواجب أن يعلن بهذا الأمر من قبل ؟

٢٤٠ مزييس - يا لتعاسي ماذا أشجع !

بامفيليوس - ما هذا ؟ ثم إن كريميز الذي سبق أن رفض أن يعهد بابنته
زوجة لي قد غير رأيه حين رأى إصراري وعدم تحوئي . هل
يحاول بعزمه هذا أن يتزعمني أن اتعيس من جليكريوم ؟
إذا تم هذا فإني هائم لا محالة . هل هناك رجل بهذه الدرجة

٢٤٥

من التعاسة والشقاء في حبه مثل أنا ؟ بحق السموات والأرض
أليست هناك طريقة ما أستطيع بها التخلص من علاقة النسب
بيي وبين كريميز ؟ لكم أهنت بشتى أنواع الإهانات ولكم
احتقرت . لقد قرروا وأنجزوا كل شيء لقد رفضوني
ثم استدعوني ثانية لم كل هذا ؟ إلا إذا كان للسبب الذي
أشدت فيه وهو أنهم لا يريدون لامرأة بل نوعاً من الوحش
لا يستطيع أن يعاشر أحداً جاءوا به إلى .

٢٥٠

٢٤٢

ميزيس - إن كلامه هذا قد قضى على أنا التعبية وشل أنفاسي من الحرف.
 بامفيلوس - ولكن ماذا أقول عن أبي؟ آه كيف يعالج أمراً له هذه الأهمية
 الكبرى يمثل هذا الإحمال؟ فنذ لحظة وجيزة حين مررتي بالقرب
 من النورم قال لي «ينبغي عليك أن تتزوج اليوم يا بامفيلوس»
 ٢٥٥ «وجهز نفسك لذلك ، ارجع إلى المنزل» لقد خيل لي أنه يقول
 «اذهب من هنا واشتق نفسك» لقد أذهلتني المفاجأة، أنظن أنني
 استطعت أن أتفوه بكلمة واحدة؟ أو أن أنتحل عذرا حتى
 ولو كان سخيفاً مزيفاً وغير لائق؟ كلا كنت كالأبكم ،
 لو كنت قد علمت بالأمر من قبل . ولكن ماذا كنت
 أصنع؟ لو أن أحداً سأني الآن ، لكنت فعلت شيئاً أنجذب
 به هذا الزواج ، أما الآن فأني ضيق أسلك؟ فهناك عدة
 ٢٦٠ مشكلات تتقف في سبيل وتتنازع عقلي وتدفعه إلى اتجاهات
 متضادة ، فحب وإشفاق على هذه المرأة من جهة وقلق
 بسبب الزواج من جهة أخرى، ثم احترام لأبي الذي يعاملني
 بهذا التساهل وسمح لي أن أفعل ما أهواه حتى الآن! والتعاسي
 أستطيع أن أعارضه بعد كل هذا؟ إني لا أستطيع أن أجزم
 بما سأفعله .

ميزيس - أنا انتعيسة أخاف إن أين يصل به هذا «التردد» أما الآن
 ٢٦٥ فمن الضروري جداً أن يتحدث هو مع سيدتي نفسها أو أحدهم
 شيئاً عنها فحين يتراوح العقل بين الشك واليقين ، يتأثر بأقل
 المؤثرات ويندفع إلى ناحية دون أخرى .

بامفيلوس - من الذي يتكلم هنا؟ أنت يا ميزيس؟ سلاماً

ميزيس - سلاماً يا بامفيلوس.

بامفيلوس - كيف حالها؟

ميزيس - أتسألني؟ إن انتعيسة تعاني آلام الوضع ، قدقمة من أن هذا
 ٢٧٠ اليوم قد حدد لزواجك ثم إنها تخاف أيضاً أن تهجرها .

بامفيلوس - ما هذا ؟ هل أستطيع أن أحاول ذلك وهل أَرْضَى أن تخدع
هذه البائسة بسبي أنا ، تلك التي وهبتى روحها وكل حياتها
والتي اتخذتها زوجة أقدرها تقديراً عميقاً من كل قلبي ؟
هل أسمح لها وقد نمت وترعرعت بين أحضان الطبيعة والشرف
أن تغير طبيعتها بدافع الحاجة ؟ كلا لن أفعل هذا : ٢٧٥

ميزيس - لو كان الأمر لك لما خشيت شيئاً ولكن عصف أهلك أيمكنك
أن تقاومه ؟

بامفيلوس - أتظنين أنني جبان أو جاحد أو متوحش لا يعرف الإنسانية
معنى أو قاس كالصلب حتى لا تؤثر فيه الألفة أو الحب أو الحياء
إلى حد لا أحافظ فيه على عهدي ؟ ٢٨٠

ميزيس - إنى أعرف شيئاً واحداً فقط وهو أنها جديرة بأن لا تنساها .

بامفيلوس - ميزيس ، ميزيس ماذا تقولين « أهى جديرة فقط بالأنا
أنساها » إن كلمات كريسيس عن جليكريوم ما زانت محفورة
في قلبي للآن فحين أشرفت على الموت استدعيتى فاقتربت
منها وأبعدتكن أنتن عن الغرفة وبقينا عن على انفراد وقالت : ٢٨٥

« عزيزى بامفيلوس إنك ترى جمال جليكريوم وشبابها ولا يخفى
عليك كم هما غير مجدين الآن لحفظ عفتها وثروتها إلى
أتمول اليك هذه اليد البني وبطيبتك وثقتك ووحدة هذه ٢٩٠

المسكينة ألا تنأى عنها وألا تهجرها فقد وضعتك موضع
الأخ الشقيق ، إن كانت قدرتك أنت فقط أعظم التقدير ،
إن كانت قد خضعت لكل رغباتك ، إنى أهلك لها زوجاً وصيديقاً ٢٩٥
وحامياً وأباً وأملكك جميع ما نملك وأتركه لثقتك وإخلاصك»
ووضعت يد جليكريوم في يدي واختطفها الموت وأخذت
العهد على نفسها وسوف لا أتقضه .

ميزيس - هكذا كان أملى .

- بامفيلوس - لم تخرجين من المنزل ؟
 ميزيس - لأستدعى قابلة .
 ٣١٠ بامفيلوس - أمرعى . أتسمعين ؟ احذرى أن تنفوسى بكلمة واحدة عن
 الزواج حتى لا تضيفى جديداً إلى آلامها .
 ميزيس - فهمت .

الفصل الثانى

المشهد الأول

كارينوس - بريسا - بامفيلوس

- كارينوس - ماذا تقول يا بريسا ؟ أتزوج فيلومينا اليوم من بامفيلوس ؟
 بريسا - نعم إن الأمر لكذلك .
 كارينوس - كيف عرفت ؟
 بريسا - لقد سمعت النبأ من دافوس فى الفورم .
 كارينوس - بالتعاسى لقد كان الأمل والخوف يتنازعان نفضى إلى أن
 سمعت هذا النبأ أما الآن فزنى متعب ومجهد وذاهل بعد أن
 ضاع منى الأمل .
 ٣٠٥ بريسا - أتوسل إليك ، بحق بلوكروس ، أن تمنى ما يمكن تحقيقه حيث
 إن ما تريده لا يمكن أن يتحقق .
 كارينوس - لا أريد شيئاً آخر ، لا أريد سوى فيلومينا .
 بريسا - إنه لمن الأفضل أن تحاول أن تبعد هذه المرأة عن فكرك
 من أن تتحدث عما يلهب رغبتك دون جدوى .
 كارينوس - من السهل على الأصحاء أن يبدوا النصيح السيد للمرضى ،
 ٣١٠ فلو أنك كنت مكافئ لظنرت إلى الأمر نظرة أخرى .
 بريسا - حسن ، حسن كما تريد .

كارينوس - ولكن ما أنا أرى بامفيلوس مما لا شك فيه أنني سأحاول بكل الطرق أن أنال هذه المرأة قبل أن أهلك .

بريا - (لنفسه) ماذا ينوي أن يفعل ؟

كارينوس - سوف أتوسل وأتضرع إليه ، سوف أحدثه عن حبي لها وسأحصل على تأجيل زواجه منها ولو لبضعة أيام ، في هذه الأثناء أرجو أن يحدث أمر ما .

بريا - (لنفسه) هذا « الأمر الذي يتوقع حدوثه » لن يحدث مطلقاً وسوف ينتهي بلا شيء .

٣١٥ كارينوس - ماذا يبدو لك يا برياً أذهب إليه ؟

بريا - لم لا ؟ إذا لم تحصل على شيء فإذهب إليه ليفهم أنك عشيقها المستعد إن هو تزوج هذه المرأة .

كارينوس - ألا تغرب عن وجهي ، أيها الوغد ، وتذهب إلى الشيطان ومعك هذه الشكوك ؟

بامفيلوس - ما أنا أرى كارينوس ، سلاماً .

كارينوس - سلاماً ، يا بامفيلوس . أحضر طالباً الأمل والسلامة والمساعدة والنصح .

٣٢٠ بامفيلوس - بحق بولوكوس ، ليس عندي وقت للنصح وليست لدى الوسيلة للمساعدة ولكن ما الذي تريه ؟

كارينوس - أتزوج اليوم ؟

بامفيلوس - هكذا يقولون .

كارينوس - إن تفعل هذا يا بامفيلوس ، ترني اليوم لآخر مرة في حياتي . بامفيلوس - كيف ذلك ؟

كارينوس - أخاف أن أخبره بالحقيقة . حدثه يا برياً أرجوك .

بريسا - سأحدثه .

بامفيليووس - ما هو الأمر أخبرتني؟

بريسا - إنه يجب خطيبتك .

بامفيليووس - إن شعورك نحوها يختلف عن شعوري . قل لي الآن هل هناك

ما هو أكثر من هذا بينك وبينها يا كارينوس ؟ ٣٢٥

كارينوس - كلا ، كلا يا بامفيليووس لا شيء مطلقاً .

بامفيليووس - انكم تمنيت لو أن علاقتك بها كانت أعمق من ذلك !

كارينوس - أتوسل إليك الآن قبل كل شيء بحق الصداقة وبحق الحب
ألا تزوجها .

بامفيليووس - سأبذل جهدي لاشك في ذلك .

كارينوس - ولكن إذا كان ذلك ليس باستطاع أو كان الزواج يحسن قبلك .

بامفيليووس - قلبي ؟

كارينوس - على الأقل أجله لبضعة أيام إلى أن أسافر إلى مكان ما حتى
لا أراه .

٣٣٠ بامفيليووس - استمع إلى الآن إلى أعتقد أنه ليس من واجب الحر حين

لا يستحق الشكر على خدمة أن يدعى لنفسه الفضل ويطلب

أن ينسب إليه الشكر ، أما عن نفسي يا كارينوس فلن أرفع

في الهروب من هذا الزواج أكثر من تعلقك به .

كارينوس - إنك أعدت في الحياة .

بامفيليووس - إن استطع الآن أن تفعل أي شيء أو إن استطع برين هذا ،

فنفذاه وابتكرناه واكتشفناه وأخرجناه إلى الوجود حتى يزوجك

أبوها من هذه المرأة ، أما من جهتي أنا فسوف أنجز كل هذا

حتى لا يزوجوني منها . ٣٣٥

كارينوس - يكفيني هذا .

بامفيليوس - يا للحظ السعيد ها أنا أرى دافوس الذى أعتمد على خططه
وقد جاء فى الوقت المناسب (٣٤) ؟
كارينوس - (لبيريا) أما أنت بحق مركيوليز فلا تنفعنى بشيء ولا تعرف
إلا ما لا حاجة لنا به ألا تنصرف من هنا ؟
بريا - أنا .. سأنصرف من هنا مروراً .

المشهد الثانى

دافوس - كارينوس - بامفيليوس

دافوس - أيتها الآلهة الأخيار أى خير أجلبه ولكن أين أجده بامفيليوس
لأنزع ذلك الخوف الذى يشعر به ولأملأ نفسه بالفرح ؟
٣٤٠ كارينوس - إنه فرح بشيء ما .
بامفيليوس - لا لشيء إنه لم يعرف بعد هذه المتاعب .
دافوس - وإن كان قد سمع أن الزواج بعد له الآن أعتقد أنه
كارينوس - أسمع ؟
دافوس - ... يبحث عنى فى المدينة كلها وهو يلهث ولكن أين أجده ؟
وأيّن أتجه أولاً ؟
كارينوس - ما الذى يمنعك من توجيه الكلام إليه ؟
دافوس - (لنفسه) أعرف أين أجده ويأخذ فى الانصراف ..
بامفيليوس - دافوس تجده هنا ، قف انتظر .
٣٤٥ دافوس - من الذى ينادىنى يا للعجب ؟ بامفيليوس - ها أنت
نفسك الذى أبحث عنه . لله درك يا كارينوس ! لقد
وجدتكما معاً فى الوقت المناسب إني أريد كما لأمر من الأمور .
بامفيليوس - إني هالك يا دافوس .

- دافوس - اصمغ فقط ما أنيثك به .
- بامفيلوس - إني ميت .
- دافوس - أعرف ما تخافه وتخشاه .
- كارينوس - إن حياتي في كفة القدر، قمماً بهركيوليز .
- دافوس - وأعرف أيضاً ما تخشاه أنت .
- بامفيلوس - زواجي
- دافوس - وأعرف هذا أيضاً .
- بامفيلوس - اليوم
- دافوس - لم تحاول أن تصم أذني حتى ولو كنت أنهم جيداً ما تريد قوله ؟ (ينظر إلى كارينوس) إنك تخشى ألا تزوجها (ثم ينظر إلى بامفيلوس) ، وأنت تخشى أن تزوجها .
- كارينوس - لقد فهمت حقيقة الأمر .
- بامفيلوس - الأمر نفسه . ٣٥٠
- دافوس - والأمر نفسه لاخطر منه ابنته انظر إلى .
- بامفيلوس - أتوسل إليك حررتي أنا الشقي بأسرع مايمكن من هذا الخوف .
- دافوس - حن . سأحررك منه إن كريميز لن يزوجك من ابنته الآن
- بامفيلوس - كيف تعرف ؟
- دافوس - أعرف . لقد خلدعني أبوك منذ هنية وقال إنه سيزوجك اليوم ، وقال أشياء أخرى عديدة ليس الوقت مناسباً لسردها ، وفي الحال انطلقت مسرعاً إلى الفورم لأخبرك بهذه الأشياء ولما لم أجلك، ارتقيت مكاناً معيناً هناك وأدريت بصرى حول المكان باحثاً عنك فلم أجلك في أى جزء منه وبالصدفة رأيت برياً خادم كارينوس وسألته وأجاب أنه لم يرك ولقد تضايقت وفكرت فيما يجب أن أفعل ، في هذه الأثناء بينما أنا راجع

وقع الشك في قلبي ففى قصة أبليك نوع من عدم الاسجام
فهو حزين والزواج مرتجل ، هذه الأشياء لا تراطط بينها .

بامفيلوس - إلى أى شىء ينتهى بنا الحديث ؟

دافوس - اتجهت إلى كريميز وحين وصلت إلى منزله وجدت السكون
مخياً أمام بابه وفرحت لذلك حقاً .

كارينوس - إنك على صواب .

بامفيلوس - استمر .

دافوس - انتظرت هذه الفترة فلم أر أحداً يدخل أو يخرج ولم أر
سيدة في المنزل ولا شىء من الزينة أو الحركة فاقتربت ونظرت
إلى الداخل .

بامفيلوس - فهمت إنه لدليل هام .

دافوس - هل تبدو هذه الأشياء مناسبة للزواج ؟

بامفيلوس - لا أظن ذلك يا دافوس .

دافوس - أتقول « لا أظن » ، إنك تفهم جيداً أن الأمر مؤكد . وحين
تركت المنزل لقيت غلام كريميز حاملاً خضراً وأصفاً
صغيرة ثمنها « أبول » لعشاء الشيخ .

٣٧٠ كارينوس - لقد تحجرت اليوم يا دافوس شكراً لله وهذا بفضلك وبجهدك

دافوس - لم يتحرر أحد بعد .

كارينوس - لم لا وقد رفض أن يزوجه ابنته كل الرفض ؟

دافوس - إنك لرجل مضحك ، أكان لزاماً عليه أن يزوجه ابنته تلك
إن هو لم يزوجه إياها ، ما لم تر أصدقاء الشيخ وتتوسل إليهم
وتداهمهم

كارينوس - إنك لتسدى إلى نصحاء قبا ، سأذهب برغم أن أملى هذا قد خاب

مرات عديدة ، وداعاً . (يخرج)

المشهد الثالث

بامفيلIOS - دافوس

٣٧٥ بامفيلIOS - ماذا يريد أبنى إذن ؟ لم هذا التظاهر ؟

دافوس - سأقول لك . لو غضب الآن لأن كرميمز ان يزوجك ابنته
لبدا لنفسه أنه غير محق في هذا الغضب قبل أن يختبر موقفك
من الزواج ، وان يكون مخطئاً في تصوره هذا ولكن لورفضت
الزواج أنقى الذنب عليك وعندئذ تثار الضجة .

٣٨٠

بامفيلIOS - سوف أتحمّل أى شىء .

دافوس - إنه أبوك يا بامفيلIOS وليس الأمر سهلاً ثم إن المرأة وحيدة
بمجرد القول والتنفيد سيجد سبباً آخر يخرجها به من المدينة .

بامفيلIOS - يخرجها ؟

دافوس - في الحال .

بامفيلIOS - قل لى ما الذى أفعله الآن ؟

دافوس - قل له إنك مستزوج منها .

بامفيلIOS - ماذا تقول ؟

دافوس - ماذا ؟

بامفيلIOS - هل أقول أنا ...

دافوس - لم لا ؟

بامفيلIOS - لن أفعل هذا قط .

دافوس - لا ترفض .

٣٨٥ بامفيلIOS - لا تقنعنى بذلك .

دافوس - فكر فيما ينتج عن هذا الأمر .

بامفيلIOS - سوف تقصينى هذه عن منزلها وتسجننى تلك في منزلها .

دافوس - لن يكون الأمر كذلك، إني أعتقد أن الأمر سيكون على هذا النحو، سيقول أبوك : « أريد أن تزوج اليوم » ستجيبه قائلاً :
نعم « سأ تزوج » تخبرني عن أي شيء يتخاضم معك ؟
وعندئذ ترزعج جميع خططه التي يتأكد منها الآن دون أن تعرض نفسك للخطر ، فليس هناك شك في أن كريمزلن يزوجك ابنته ، ولا تفعل من مجهودك الذي تبذله الآن بسبب خوفك من أن يغير رأيه ، قل لأبيك إنك ترغب في الزواج حتى لا يستطيع أن يغضب بحق ، وربما ترجو أن يكون سلوكك كافياً لأن يبعد عنك الزوجة ، وأنه لن يوجد من يمنحك ابنته زوجة لك فسوف يبحث لك عن امرأة فقيرة حتى لا يأذن لك بأن تضل ، ولكن إذا رأى أنك تتحمل الزواج راضياً فإنك تكون قد أتيت به عن الحرص ، وعند ذلك لا يتعجل في البحث عن زوجة أخرى ، ومن ثم قد يحدث ما يجلب لك الخير والسعادة .

٣٩٠

٣٩٥

بامفيلوس - أعتقد ذلك ؟

دافوس - هذا مما لا شك فيه .

بامفيلوس - أنظر إلى أين تسميني .

دافوس - ألا تلتزم الصمت ؟

بامفيلوس - سأقول له ذلك ولكن احذر ألا يعرف أن لي ابناً منها ولقد وعدت بالاعتراف به .

دافوس - يا للعمل الجريء !

بامفيلوس - لقد توصلت إلى أن آخذ على نفسي هذا العهد حتى تتأكد من أنني لن أهرمها .

دافوس - سوف أهتم بهذا الأمر ولكن ها هو أبوك : احذر أن يشمر بحزنك .

٢٥٢

المشهد الرابع

سيمو - دافوس - بامفيلوس

سيمو - رجعت لأرى ما يفعلون أو أية خطة يدبرونها .

٤٠٥ دافوس - (لبامفيلوس دون أن يسمع سيمو) ليس لديه أدنى شك أنك سترفض الزواج ، فقد حضر من مكان ما منزول بعد أن فكر في الأمر وهو يأمل أن يكون قد اكتشف أسلوباً من القول يقضى به عليك وعلى ذلك فاضبط نفسك وأعصابك .

بامفيلوس - سأحاول ذلك لو استطعت يا دافوس .

٤١٠ دافوس - ثق بي يا بامفيلوس ، إن أباك لن يتبادل معك كلمة واحدة اليوم إن قبلت الزواج .

المشهد الخامس

بريسا - سيمو - دافوس - بامفيلوس

بريسا - (لنفسه) أمرني سيدي أن أترك كل شيء آخر وأراقب بامفيلوس اليوم لأعرف ما فعنه فيما يتعلق بأمر الزواج لهذا اتبعه الآن حينما يذهب هيا أراقبه - ما هر شخصياً يتداول في الأمر مع دافوس .

٤١٥

سيمو - ها أنا أرى الاثنين .

دافوس - (لبامفيلوس) تذكر .

سيمو - يا بامفيلوس .

دافوس - (لبامفيلوس) انظر إليه كما لو كان ظهوره مفاجأة لك .

بامفيلوس - أهذا أنت يا أبي ؟

دافوس - (لبامفيلوس) لقد أتمنت دورك .

- سيمو - أريد أن تتزوج اليوم كما سبق أن قلت .
- بريسا - ترى أى جواب سيجيب ؟ إن مصلحة سيدى فى كفة اتقدر
وإنى أخاف عليه من رده هذا .
- ٤٢٠ بامفيلومس - - إنى لا أتوانى فى إطاعتك فى أى أمر من الأمور لا فى هذا
وحده .
- بريسا - يا للشيطان !
- دافوس - لقد أسكته هذا الرد .
- بريسا - ماذا قال ؟
- سيمو - إنك لتتصرف تصرفاً يليق بك حين أنال ما أطلب برضاك
- دافوس - أمتنىء أنا ؟
- بريسا - (لنفسه) على قدر ما سمعت فإن المرأة التى كان سيدى يريد لها
لنفسه قد ضاعت منه .
- سيمو - اذهب إلى الداخل الآن حتى لا تتأخر عندما نحتاج إليك .
- ٤٢٥ بامفيلومس - إنى ذاهب .
- بريسا - (لنفسه) ألا توجد ثقة بين الناس فى أمر ما، لقد صدق ذلك
المثل الذى اعتادت الناس قوله ، « كل يفضل مصلحته على
مصلحة الآخر » لقد رأيت العذراء وأذكر أنها بدت لى حيلة
وإنى أكثر عطفاً على بامفيلومس وأقل لوماً له إن كان قد
اختار أن يطوقها بذراعيه من أن يطوقها كارينومس سأذهب
لأعلمه باننبأ رغم ما سوف يصيبى من شر إزاء الشر الذى
أحبه له .
- (يخرج)

المشهد السادس

دافوس - ميمو

- دافوس - (لنفسه) يعتقد هذا الشيخ الآن أنى أحمل خدعة له وأنى
وقفت هنا من أجل ذلك .

سيمو - ماذا يقول دافوس ؟

دافوس - أى شىء أستطيع أن أقوله الآن ؟

سيمو - ألا تستطيع أن تفوه بشىء ؟ حسن .

دافوس - ليس عندي ما أقوله البتة .

٤٣٥ سيمو - لا شىء ؟ آه !

دافوس - (لنفسه) لقد حدث ما لم يرجه ، أشعر أن هذا يضايق الرجل

سيمو - ألا تستطيع أن تخبرنى بالحقيقة ؟

دافوس - لا يوجد ما هو أسهل من هذا .

٤٤٠ سيمو - هل الزواج يزعجه من أية ناحية بسبب علاقته بهذه الأجنبية ؟

دافوس - قسماً بهركيويز ليس هناك أى لزجاج وإن وجد فهو ليومين

أو ثلاثة ، أتفهم ؟ وسوف ينتهى بعد ذلك .

سيمو - لقد عاود التفكير فى المسألة وناقشها مع نفسه بطريقة سليمة ،

إنى أهنته على ذلك .

دافوس - كان يعشق طامد أحل له هذا العشق وطالما سمح له عمره بذلك

وكان ذلك حينئذ فى الحفاء وحرص على ألا يكون عشقه ٤٤٥

مجلبة للعار الذى لا يليق بالرجل الشجاع أما الآن فهو فى

حاجة إلى زوجة فوجه تفكيره نحو الزوجة .

سيمو - ولكنه يبدو لى حزناً بعض الشىء .

دافوس - إن حزنه هذا لا يمت إلى الموضوع بصلة .

سيمو - وما سببه إذن ؟

دافوس - إنه لسبب صبيانى .

سيمو - وما هو ؟

دافوس - لا شىء .

سيمو - ولكن قل ما هو ؟

٤٥٠ دافوس - إنه يقول إنك تقتر في الإنفاق على الزواج تقترأً بفوق الحد .

سيمو - أيقول لى أنفعل هذا ؟

دافوس - نم قال « إن مآءبة الزواج لا تكاد تساوى عشر درآخات

ولا يبدو عليك أنك تزوج ابنك » وقال : « والحآلة هذه

من أفضل دعوته إلى المآءبة من بين أصدقائى ؟ »

دافوس - وما ينبغى أن أقوله ببنى وبينك هنا إنك تقتر حقاً تقترأً

٤٥٥ بفوق الحد ولا أوافقك على ذلك .

سيمو - صه

دافوس - (لنفسه) لقد لمت الوتر الحساس فى نفسه .

سيمو - (لنفسه) سأعمل على أن تسيء الأمور فى طريقها المستقيم .

ما الذى يتضمنه هذا الكلام ؟ ماذا يقصد هذا الوعد ؟ إن

كان فىما يقصده أى شر فهو رأس هذا الشر ومتبعه .

الفصل الثالث

المشهد الأول

ميزيس - سيمو - دافوس - ليسبيا - (جلبكريوم)

ميزيس - (دون أن ترى الرجلين) بحق بولوكس إن الأمر كما تقولين

٤٦٠ ياليسبيا ، من النادر أن يجد الإنسان رجلاً يخلص لامرأة .

سيمو - (لدافوس) أليست هذه خادمة المرأة الأندرية ؟

دافوس - ماذا تقول ؟

سيمو - (لدافوس) نم إنها لكذلك .

ميزيس - ولكن بامفيلبوس هذا ...

سيمو - (لدافوس دون أن تسمع ميزيس) ماذا تقول ؟

- ميزيس - قد بقي على عهده .
- سيمو - (لداقوس) يا للشيطان .
- دافوس - (لنفسه) لكم أتمنى أن يتحول هذا إلى أصم وتلك إلى خرساء!
- ميزيس - فلقد أمر بالاعتراف بمن تنجب .
- ٤٦٥ سيمو - (لنفسه) يا إلهي ماذا أسمع ؟ انتهى كل شيء إن كان ما تقوله صحيحاً .
- ليبيبا - إنك لتحدثيني عن طيبة حيلة للشباب .
- ميزيس - إنها أحمل طيبة اتبعيني إلى الداخل حتى لاتأخرى عليها .
- ليبيبا - ها أنا أتبعك .
- دافوس - أي علاج أستطيع أن أجده الآن لهذا الشر ؟
- سيمو - ما هذا ؟ أبلغ به الجنون إلى هذا الحد ؟ ومن أجنبية ؟
- ٤٧٠ آه فهمت ياغباني أخيراً فهمت بكل صعوبة .
- دافوس - (لنفسه) ما الذي يدعى فهمه ؟
- سيمو - إنها لخلعة أتى بها ليبدأ مؤامراته فون يدعين أنها تضع حتى يدخلن الرعب في قلب كريميز .
- جليكريوم - (تصرخ في الداخل) أي يونواوكينا (٣٥) أتضرع إليك أن تراعديني وتنقديني .
- ٤٧٥ سيمو - آه .. آه .. أهذه المرحمة ؟ إنه لأمر مضحك فبعد أن سمعت أنني واقف بالباب أسرع ، إن هذه الأشياء يا دافوس ، لم تقمها تقياً كافياً ملائماً للزمن .
- دافوس - أنا ؟
- سيمو - هل فقد تلاميذك ذاكرتهم ؟
- دافوس - إني لا أفهم ما تقول ؟

سيمو - (لنفسه) لو أنه قد هاجني فجأة وكان الزواج صحيحاً لجعل
منى أضحوكة ولكن ما حدث الآن فيه خطر عليه أما أنا
فسفيتني بسر آمنة مطمئنة . ٤٨٠

المشهد الثاني

ليسيا - (تكلم من خصاص اباب) إن جميع الإشارات المألوفة واللازمة
للوضع الطبيعي أراها هنا للآن يا أرخيلس، لتغسل أولاً
ثم لتشرب القدر الذي أشرت به ، سوف أرجع بعد زمن
قصير ، وحق كاستور إنه لغلام جميل ولد لبامفيلوس
ادعوا الآلهة أن تبقية وتحفظه فإن لأبيه قلباً طيباً وقد خشي
أن يضر هذه الشابة الممتازة . ٤٨٥

سيمو - وهذه الخلدعة مثلاً ، من الذي يعرفك ويشك في أنها ليست
من اختراعك ؟

دافوس - أي اختراع هذا ؟

٤٩٠ سيمو - لم تأمر هذه المرأة فيما يجب أن يتخذ في حالة الوضع ولكن
بعد أن خرجت من عندها صاحت وهي في الطريق على من
في الداخل وأتقت بأوامرها عليهن أي دافوس .. دافوس
أعتقدني إلى هذه الدرجة؟ هل أبدو في نظرك ذلك الرجل
الذي يليق أن تبدأ في خديعته باحتيالك هذه العلانية ؟ احذروا
على الأقل أن أظهر بمظهر الذي تخافونه لو اكتشف الأمر .

٤٩٥ دافوس - (لنفسه) قسماً هركيوليز إنه شخصياً يخدع نفسه الآن ولا
أخدعه أنا هذا مما لاشك فيه .

سيمو - لقد حذرتك من قبل وهددتك ألا تفعل (أي شيء) من هذا
القبيل) هل خفت من هذا الوعيد؟ هل أفادك تحذيري إياك
شيئاً ؟ هل تراني أعتقد أن هذه المرأة وضعت طفلاً من
بامفيلوس ؟

دافوس - لقد فهمت خطأه ، وعندى الآن ما أفعله .

- سيمو - لم تلتزم الصمت ؟
- دافوس - أيمكن أن تصدق هذا ؟ كما لو أن هذه الأمور لم تعلن بها من قبل وأنها ستكون على هذا النحو .
- ٥٠٠ سيمو - من الذى أعلنى بها ؟
- دافوس - بارك الله فيك أفهمت من نفسك أن هذا ادعاء .
- سيمو - (لنفسه) إنه ليسخر منى .
- دافوس - لقد علمت بهذا الأمر فكيف جاءك هذا الشك إذن ؟
- سيمو - أتسألنى كيف ؟ لأننى أعرفك .
- دافوس - كأنك تقول إن ذلك العمل من تدبيرى .
- سيمو - إنى أعرف هذا تمام المعرفة .
- دافوس - إنك لا تعرف تماماً أى نوع من الأشخاص أنا ياسيمو .
- سيمو - ألا أعرفك ؟
- ٥٠٥ دافوس - إن أنا بدأت أحدثك بشيء ما اعتقدت فى الحال أنى أخدعك .
- سيمو - وأنا مخطيء فى هذا الاعتقاد أليس كذلك ؟
- دافوس - وعليه فلا أجرؤ أن أهنس بكلمة وحق هركيوليز .
- سيمو - أعرف شيئاً واحداً فقط أنه ليس هناك أى وضع .
- دافوس - لقد فهمت ؛ ولن يقف تدبيرهن عند هذا الحد ولن يمضى وقت طويل حتى يأتين بأطفال إل هنا أمام الباب وها أنا أنبتك الآن ياسيدى أن ذلك سيكون ، لتكون على علم به حتى لا تقول فيما بعد إن هذا العمل من تدبير دافوس أو من مكره واحتياله أريد أن أعبر من ذهنتك تلك الفكرة التى
٥١٠ كونتها عنى .
- سيمو - من أين عرفت هذا التدبير ؟

دافوس - لقد سمعت بالأمر وأصدقته واجتمعت لدى شواهد كثيرة
دفعتني إلى هذا الظن، أولاً قالت السيدة إنها حامل من بامفيلوس
ولقد تبين أن هذا غير صحيح والآن بعد أن رأيت أننا نعد لزواج
في المنزل أرسلت خادمة في الحال لتحضّر قابلة لها وتحضّر
معها طفلاً فإن لم تستطع إظهار الطفل لك، فلن نجد ما يمنع
الزواج.

سيمو - ماذا تقول؟ ما دمت قد علمت أن هذه هي خطيئة فلم لم
تخبر بامفيلوس في الحال؟

دافوس - من الذي انتزعه منها سواي إذن؟ فنحن جميعاً نعرف لكم
أحبنا بجنون أما الآن فهو يبحث عن زوجة لنفسه
ولنضع حداً لهذا الموضوع، انك الأمر لي، أما أنت
فاستمر في الإعداد للزواج كما تفعل الآن وأرجو أن تساعدنا
الآلة. (يخرج دافوس)

سيمو - إنه لم يدفني لأن أثق بأقواله تماماً ومع ذلك محتمل أن يكون
جميع ما قاله صحيحاً ولكني لا أعتقد على هذا كثيراً والأهم
من ذلك كله في رأيي أن يعدني ابني شخصياً بالزواج أما الآن
فأذهب لأرى كريميز وسوف أتوسل إليه أن يقبل ابني
زوجاً لابنته فإن وافق، فلم أوصل الزواج ليوم آخر؟ ولم لا يتم
الحفل اليوم؟ فلا شك أن في استطاعتي أن أخبره بحق على
الزواج إن رفض أن يحقق ما قد وعد.

المشهد الثالث

سيمو - كريميز

سيمو - أفرغك يا كريميز... (السلام) (٣٦).

كريميز - إنك الشخص الذي أبحث عنه

سيمو - وأنا كذلك لقد جئت كما تميت (٣٧).

كريميز - لقد جاءني بعضهم يقولون لي إن ابنتي تزوج اليوم من ابنك
وقد سمعوا هذا النبأ منك ولقد حضرت لأرى الآن من المحبون
فيكم أهم المحبين أم أنت . ٥٣٥

سيمو - استمع إلى بضع كلمات وسوف تعرف ما أريده منك كما
تعرف لإجابة سؤالك .

كريميز - إني مصغ لك ، قل ما تريد .

سيمو - أتوسل إليك يا كريميز بحق الآلهة والصدقة التي بيننا تلك الصداقة
التي بدأت منذ طفولتنا ونمت مع الزمن وبحق ابنتك الوحيدة ٥٤٠
وبحق ابني الذي وهبك الله القدرة على إنقاذه وحلك، أن
تساعلني في هذه المأنة حتى يتم الزواج كما أزمعنا على
إتمامه من قبل .

كريميز ٥٤٥ - أه لا تتوسل إلي كما لو كان من الواجب عليك أن تنال هذا
مني بمثل هذا التوسل أتظن أنني تحولت إلى رجل آخر منذ
أن عرضت ابنتي للزواج بابنك؟ فإذا كان الزواج فيه خير
لكليهما فلنأمر بامتداعها ، ولكن إذا كان فيه شر أكثر من
الفتح أرجوك أن تفكر فيه بما يحقق الخير لهما كما لو كانت
ابنتي هي ابنتك وابنتك ابناً لي .

سيمو ٥٥٠ - نعم هذا ما توقعت منك لذا أطلب أن يتم الزواج يا كريميز
فلولا إلحاح الظروف لما طلبت هذا منك .

كريميز - أي ظروف تعني ؟

سيمو - لقد تخاصم ابني مع جليكريوم وغضب كل منهما من الآخر

كريميز - (ساخراً) إني مصغ إليك .. صحيح .. صحيح

سيمو - وقد بلغت الخصومة درجة من الشدة حتى رجرت انتزاعه
منها .

كريميز - يا للقصص !

سيمو - إني أؤكد لك أن هذا قد حدث فعلاً ..

٥٥٥ كريميز - إن الحقيقة كما أقولها لك : إن غضب المتحابين وخصامهم هو في الواقع تجديد لحبهم .

سيمو - حسن إني أتوسل إليك أن نتخذ نحن الخطوة الأولى ونزوجه قبل أن تؤثر عليه دناءة هؤلاء النسوة ودموعهن وتحمله على الإشفاق ، وإن الفرصة لمواتية ، ومن جهة أخرى لقد كتبت الإهانات عاطفته وبزواجه من فتاة أصيلة يا كريميز ،
٥٦٠ يتخلص من هذه الشرور وينجو منها .

كريميز - أما ما أراه من ناحيتي فلا أظن أنه يستطيع أن يبقى على إخلاصه لها دائماً أو أستطيع أنا أن أتحمّل .

٥٦٥ سيمسو - ولكن كيف تعرف اتجاهه ما لم تتعرض لخطر المحازفة ؟

كريميز - إن المحازفة في حانقائتي لأمر جد .

سيمو - إن المضايقة تنتهي أخيراً إلى الانفصال هذا إذا حدث ، والانفصال تمنعه الآلهة ولكن إذا قومت ابني ففكر في الفوائد
٥٧٠ العديدة التي يجنيها فأولاً تكون قد أرجعت لصديقك ابنه وتكسب زوجاً مخلصاً لابنتك .

كريميز - ماذا تريد من ذكر كل هذه الأشياء ؟ إن كنت قد أقنعت عقلك أن زواجهما فيه مصلحة فلت راعياً في أن أقف في سبيل أي نفع لك .

سيمو - إنك لجدير ، يا كريميز ، بذلك التقدير العظيم الذي أشعر به بحورك دائماً .

٥٧٥ كريميز - ولكن ألا تحدثني عن ذلك ؟

سيمو - عن ماذا ؟

كريميز كيف عرفت أن هناك خصاماً بينهما ؟

سيمو - لقد أخبرني دافوس شخصياً ، كاتم أسرارهما والمتغلغل في معرفة خططهما وهو الذي حتى على الإسراع بالزواج قدر المستطاع . هل تظن أنه كان يفعل هذا أولاً أنه علم أن ابني وراغب في هذا الزواج ؟ وسوف نسمع بنفسك كلماته ، هيا تعالوا ادعوا دافوس ليحضر هنا ولكن ها أنا أراه يخرج شخصياً من المنزل .

٥٨٠

المشهد الرابع

دافوس - سيمو - كريميز

دافوس - كنت آتياً إليك .

سيمو - ماذا حدث ؟

دافوس - لم لا تستدعي العروس إن الوقت متأخر والليل يقرب .

سيمو - (لكريميز) أتمتع ذلك ؟ (لدافوس) كنت أخشى لمدة طويلة أن تفعل ما اعتادت أن تفعله عامة الخدم وتخدعني بالحيل لأن ابني عاشق .

دافوس - أفعل هذا وأخدعك ؟

سيمو - لقد اعتقدت ذلك فطالما خشيتك أخفيت عنك ما أريد أن أقوله الآن .

دافوس - وما هو هذا الشيء ؟

سيمو - ستعرفه ، فالآن أكاد أثق بك .

دافوس - هل اكتشف شخصيتي أخيراً ؟

سيمو - إن الزواج لن يتم (اليوم) ..

دافوس - وكيف هذا ؟ وما السبب في عدم إتمامه ؟

سيمو - لقد تظاهرت بوجوده حتى اختبركما .

دافوس - ماذا تقول ؟

- ميمو - هذه هي الحقيقة .
- دافوس - انظر إلى : لم أستطع قط أن أفهم هذا آه ما أروع هذه اللحظة الماكرة !.
- ٥٩٠ سيمو - استمع إلى ما أقول ، فبعد أن أمرتك أن تذهب إلى المنزل قابلت لحن الحظ صديقي هنا .
- دافوس - (لنفسه) هل نحن هالكون ؟
- سيمو - لقد أخبرته بما حدثني عنه منذ لحظة قصيرة .
- دافوس - (لنفسه) ماذا أسمع ؟
- سيمو - وتولمت إليه أن يزوج ابنته ولتوسلاتي الملحة قبل راعماً .
- دافوس - (لنفسه) إلى هناك .
- سيمو - ماذا قلت ؟
- دافوس - أقول إنه لعمل ممتاز .
- ميمو - ومن جهته ليس لديه أي مانع .
- كريميز - سأذهب الآن إلى المنزل لأمرهم بالاستعداد وسأرجع لأعلنكم بما تم (يخرج كريميز)
- ٥٩٥ ميمو - أرجوك يا دافوس حيث إنك أنت الذي عملت على إتمام الزواج ..
- دافوس - (لنفسه) نعم أنا وحدي الذي كنت سببه .
- ميمو - حاول أن تقوم ابني وتصلحه .
- دافوس - سأفعل وحق هركيوليز بجد ومثابرة .
- سيمو - تستطيع أن تقوم بذلك الآن في الوقت الذي استغفرت فيه المرأة عقله .
- دافوس - ليطمن قلبك .

سيمو - وهذه المناسبة أين هو الآن ؟

دافوس - سيتولاني العجب ان لم يكن في المنزل .

سيمو - سأذهب إليه وأبلغه ماقلته لـ . (يخرج سيمو)

٦٠٠ دافوس - إني هالك ولم لأنصرف من هنا قاصداً الطاحونة ؟ لا يوجد

أى احتمال للتوصل وطلب العفو، لقد أتلفت جميع الأشياء

وخذعت سيدى ودفعت بابنه إلى الزواج وتسببت في أن

يقام الحفل اليوم دون أن يتوقع سيمو ذلك ، وبرغم أنف

بامفيلوس، يا لدهائى! لو أننى قد ظلت ساكناً لما حدث أى

شر . ولكن ها أنا أرى بامفيلوس قادماً إني هالك، لكم وددت

أن أجد ما أدفع به نفسى إلى الهاوية .

المشهد الخامس

بامفيلوس - دافوس

بامفيلوس - أين ذلك المجرم الذى أوردنى مورد الهلكة ؟

دافوس - إني هالك .

بامفيلوس - ولكننى أعترف أننى أمتحنى ما أصابنى إذ أنى كسول

وتقصى المشورة كيف أعهد بنفسى وبمضيرى إلى خادم

ضعيف البصرة لا يصلح لشيء! إني أدفع الآن ثمن هذا الغباء

ولكنه لن يفلت دون أن أنتقم منه .

دافوس - (لنفسه) لو أننى تجنبت هذا الشر ، لعرفت جيداً أننى

سأكون آمناً بعد ذلك .

بامفيلوس - وماذا أقول لأبى الآن ؟ أتقول له إني لا أرغب الآن في

الزواج أنا الذى وعدته منذ لحظة قصيرة أن أتزوج ؟

وبأية شجاعة أستطيع أن أجرؤ على أن أفعل هذا ! إني

لا أعرف ما سأفعله الآن .

دافوس - (لنفسه) ولا أعرف أنا أيضاً ، سأعمل جاهداً لأعرف ،
٦١٥ سأقول له إنى سأكتشف شيئاً أدفع به هذا الشر .

بامفيلوس - (برى دافوس) آه !

دافوس - (لنفسه) لقد رأيت .

بامفيلوس - والآن ماذا تقول أيها الرجل الطيب ؟ أترى كيف أن خططك
ونصحتك كانت عاتقة لى أنا البائس !

دافوس - سأخلصك منها .

بامفيلوس - أستخلصنى ؟

دافوس - حقاً يا بامفيلوس .

بامفيلوس - حقاً كما فعلت منذ زمن قصير أليس كذلك ؟

دافوس - كلا بل أرجو أن أنقذك بطريقة أفضل .

بامفيلوس - آه كيف أستطيع أن أثق بك أيها الجلاد ؟ أنتطيع أن تصلح
٦٢٠ أمراً معقداً وميثوساً منه ؟ كيف اعتمدت عليك أنت الذى
دفعتنى من هدوء بالغ إلى الزواج ؟ ألم أقل لك إن هذا سيحدث !

دافوس - نعم لقد قلت .

بامفيلوس - ما الذى تستحقه الآن ؟

دافوس - الشئ ولكن اسمح لى أن أعود إلى نفسى لحظة ، سوف
أكتشف وسيلة ما .

بامفيلوس - واها لى ليس لى الفراغ حتى أختار العقاب الذى أريده
لك فالوقت يسمح لى بأن أحتاط لنفسى ولا يسمح بالانتقام
منك .

الفصل الرابع

المشهد الأول

كارينوس - بامفيلوس - دافوس

٦٢٥ كارينوس - (لا يرى بامفيلوس ودافوس) أهذا معقول أمكن نصوره ؟

أيتصف إنسان بهذه الدرجة من الدناءة الفطرية حتى يفرح لمصائب غيره وآلامه ويتخذ منها منفعة له ؟ آه ! أليس هذا صحيحاً ؟ إنه لأسوأ نوع من البشر ذلك الذى يتمتع بقليل

من الحياء ليرفض ما يطلب منه ، فإذا ما جاء الوقت لتحقيق ما وعدتكشف عندئذ حقيقة نفسه تحت ضغط الحاجة ويصبيه الخوف ومع ذلك تقصره الظروف على الرفض ، في تلك

الآونة يتفوه بأقبح الكلام «ويقول (من أنت ؟ من أنت بالنسبة

لى ؟ لم أترك لك امرأة هى لى أنا ، الأقرب لى نفسى هو نفسى أنا» وإن سألته أين وعدك وأين وفاؤك لاتجد أبة ذرة من الحياء حين تحتاج لى هذا الحياء ، فليس هو

فى حاجة لىه والكنك تجد الحياء حين لاتحتاج لىه ، والآن ماذا أفعل ؟ هل أذهب لىه وأشكوله هذا انضرر أو أطلب منه تفسيراً ؟ أصب عليه اللعنات ؟ قد يقول قائل إن ذلك

لن يفعلك بشىء .. (إنه سينفنى) كثيراً ! سرف أضيائه على الأقل وأشقى الغيظ الذى يضطرم فى نفسى .

بامفيلوس - (يتقدم لى الأمام ويخاطبه) لقد تسيبت فى هلاكى وهلاكك يا كارينوس عن جهل ما لم ناعلمنا الآلة .

كارينوس - أهكلنا وعن جهل ؟ أخيراً لقد وجدت لنفسك عذراً ، إنك نقضت وعدك .

بامفيلوس - كيف تقول « أخيراً » ؟

كارينوس - أنت فرض أيضاً الآن أن كلمائك هذه متضلفى ؟

٦٤٥ بامفيلوس - ما هذا ؟

كارينوس - بعد أن قلت لك إني أحبها، أعجبتك يا لتعاستي أنا الذي حكمت على قلبك من قلبي أنا !

بامفيلوس - إنك مخطيء في ظنك .

كارينوس - حقاً إن فرحك لم يبد لك كاملاً ما لم تخدع عاشقاً وتدفعه إلى التمسك بأمل زائف ؟ لتتخذها زوجة لك .

بامفيلوس - أتخذها زوجة ل أنا ؟ أه ! إنك لا تعرف كم من المتاعب والشورر أعيش فيها وكم من المضايقات أثارها هذا الجلاذ بنصائحته وخططه .

٦٥٠

كارينوس - أى عجب في هذا لو أنه اتخذك مثلاً له يحتذيه ؟

بامفيلوس - لو أنك عرفتنى وعرفت حبي لما قلت هذا .

كارينوس - أعرف : حين خاصمت أباك منذ لحظة قصيرة وهو غاضب عليك لذلك لم يستطع أن يجبرك على الزواج منها اليوم .

٦٥٥ بامفيلوس - كلا ليس هذا بصحيح وإنك بزعمك (٣٨) هذا تعرف

أقل مما كنت أعتقد عن المتاعب والآلام التي أواجهها ، هذا الزواج لم يكن يعد لي أنا ولم يطلب شخص ما أن يتزوج

كارينوس - أعرف : لقد أسرعت في الزواج ويزادتك (يريد أن يذهب)

بامفيلوس - انتظر إنك لا تعرف بعد .

كارينوس - إن الذي أعرفه جيداً أنك متزوج اليوم .

٦٦٠ بامفيلوس - لم تعدبني ؟ استمع إلى : لم يسكت عن الإلحاح كى أقول

لأني إني مستعد للزواج ولم يسكت عن التحريض والتوسل حتى دفعني إلى القبول .

كارينوس - ومن يكون هذا الشخص ؟

بامفيلوس - إنه دافوس .

كارينوس - دافوس ؟ ولم ؟ (٣٩)

بامفيلوس - لا أعرف ولكن الذى أعرفه تماماً أن الآلهة كانت غاضبة على قاطعته .

٦٦٥ كارينوس - هل فعلت هذا يا دافوس ؟

دافوس - نعم فعلت .

كارينوس - ماذا تقول أيها المحرم ؟ إنكم أتمنى أن تهبك الآلهة نهاية جذيرة بإيجرامك ولنغرض أن أعداءه قد رغبت في أن تدفعه إلى الزواج أى نصح كانوا يدونه سوى هذا ؟

دافوس - لقد خدعت ولكننى لم أهزم .

كارينوس - أعرف ذلك .

٦٧٠ دافوس - لم أنجح في هذه اللحظة وسوف أحاول خطة أخرى ما لم تعتقد

أن من فشل في البداية لا يستطيع أن يحول هذا الفشل إلى نصر .

بامفيلوس - بالعكس تماماً إنى أعتقد حقاً أنك ستعدى زيجتين بدلا من واحدة لو أنك بذلت حرصك ويقتظك .

٦٧٥ دافوس - إنى عبدك يا بامفيلوس وواجبى هو أن أحاول القيام بخدمة بكل

ما أوتيت من قوة ليلا ونهاراً وأن أعرض نفسى للخطر طالما كان

هذا في صالحك، أما أنت فاعف عني إن حدث غير ما أتوقه .

إنى فشلت فيما أقوم به الآن ولكننى أحاول جاهداً أن أنجح .

أو من الخير أن تبحث أنت نفسك عن وسيلة أخرى

على أنه من الأفضل لك أن تتخلص منى .

بامفيلوس - هذا ما أريده . ارجعنى أولاً إلى الموقف الذى كنت فيه .

دافوس - سأفعل .

بامفيلوس - ويجب أن يكون ذلك في الحال .

دافوس - (مهمها) ولكن انتظر إن باب جليكريوم يقع .

بامفيلوس - هذا لا يعنيك ..

دافوس - أبحث ...

بامفيلوس - (مكثراً) أما زلت هنا ؟

دافوس - ولكني سأخبرك بما انتهيت إليه من تدبير .

المشهد الثاني

ميزيس - بامفيلوس - كارينوس - دافوس

ميزيس - (تحدث جليكريوم داخل المنزل) سيكون إما هنا وإما هناك، وسوف أهتم بالبحث عن حبيك بامفيلوس وأصعبه إليك أما أنت يا عزيزتي جليكريوم فلا تحزني الآن .

٦٨٥

بامفيلوس - ميزيس .

ميزيس - من هناك ؟ آه ! بامفيلوس ، ما أسعدني بلقائك في هذه اللحظة .

بامفيلوس - ماذا حدث ؟

ميزيس - أمرتني سيدتي أن أتوصل إليك أن تذهب إليها إن كنت تحبها وتقول إنها ترغب في رؤيتك .

بامفيلوس - يا لتعاسي إلى هالك : إن هذا الشر يتجدد (بوجه الكلام لدافوس) أتعرف أنني وتلك البائسة تعاني هذه الآلام بسوء تدبيرك! فهي تدعوني الآن لأنها شعرت أنهم يعدون لزواجي .

٦٩٠

كارينوس - أما من ناحية هذا الزواج (٤٠) فكم يسهل على المرء أن يستطيع العيش في هدوء لو أن هذا الرجل كان قد ظل هادئاً!

دافوس - والآن إن لم يكن هذا جنون طبيعي فعليك أن تحمله عليه .

ميزيس - فما بيولوكس، إن الأمر لكذلك ولهذا فالبائسة كئيبه حزينة .

بامفيلوس - ميزيس أحلف لك بكل الآلهة أنني لن أهجرها قط كلا وإن عرفت أنني سأضطر إلى أن أتخذ من جميع الرجال أعداء لي ،

٢٧٠

لقد تخيّبها طويلاً ونلتها وعاداتنا متفقة ، ليذهب إلى الجحيم
أولئك الذين يريدون التفرقة بيننا فلن ينزعها منى سوى الموت .

كارينوس - لقد عدت إلى رشدى .

بامفيليوس - إن تنبؤات أبولو ليست أكثر صدقا من إجابتي هذه . لو أنه
كان من المستطاع ألا يعتقد أن الزواج توقف بسببي ،
وهذا ما أطلبه : فإني سأعمل على أن يعتقد ، إذا لم يكن
مستطاعاً ، أن الزواج توقف بسببي وليس ذلك أمراً عسيراً فما
رأيك في ؟

٧٠٠

كارينوس - إن تعاستك لتوازي تعاستي .

دافوس - إني أبحث عن خطة .

كارينوس - إنك لشجاع .

بامفيليوس - أشعر بالمجهود الذى تبذله في محاولتك .

دافوس - سأجعل النتيجة في صالحك لا شك في ذلك .

بامفيليوس - ينبغي أن يكون هذا في الحال .

دافوس - نعم لقد وجدت الخطة الآن .

كارينوس - وما هي ؟

دافوس - إنها له وليست لك ، لا تخفي ، في تصورك .

٧٠٥ كارينوس - هذا يكفيني .

بامفيليوس - قل لي ما الذى سوف تفعله ؟

دافوس - أخشى ألا يكون هذا اليوم كافياً لما سأقوم به من أعمال

فلا تصور أن لدى وقتاً للكلام وعلى اذنك فاذهبنا من هنا فان

وجودكما يعوقني .

بامفيليوس - سأذهب لرؤيتها .

دافوس - وأنت من هنا إلى أين تذهب ؟

كارينوس - أترى أن أخبرك بصراحة ؟

دافوس - (لنفسه) نعم .. نعم لقد بدأ يقص على قصة أخرى .

كارينوس - ماذا سيحدث لي ؟

٧١٠ دافوس - ألا تخجل من نفسك ؟ ألا بكفيك أنني حددت لك يوماً صغيراً لأؤخر فيه زواجه ؟

كارينوس -- ولكن يا دافوس

دافوس - ماذا إذن ؟

كارينوس - (دبرلي خطة) لا تزوجها .

دافوس - هذا مضحك .

كارينوس - فئات عندي إن استطعت أن تصل إلى شيء .

دافوس - لم آتي إليك وليس عندي ما أعينك به ؟

كارينوس - ولكن إذا كنت تستطيع .

دافوس - سأتي إليك .

كارينوس - سأكون في المنزل .

دافوس - أنت يا ميزيس انتظري هنا قليلاً حتى أخرج من المنزل ثانية .

٧١٥ ميزيس - لم ؟

دافوس - عليك أن تفعل هذا .

ميزيس - أسرع ولا تتأخر .

دافوس - أقول لك إنني سأرجع في لحظة .

(يذهب إلى منزل جليكريوم)

المشهد الثالث

ميزيس - دافوس

ميزيس . حقاً إن المرء لا يملك لنفسه شيئاً! أيتها الآلهة إنك لتشهدين علي:
إني اعتقدت أن بامفيليوس هذا الخبير المطلق والصديق والعاشق
والزوج ، يساعدها في أي ظرف ، والآن لكم تتحمل المسكينة
من العناء بسببه! من الواضح أن الضرر الذي يجلبه عليها الآن يزيد
عن الخير الذي سبق أن فعله ولكن ها هو دافوس يخرج
من المنزل . يا رجل ، الرحمة لي ما هذا ؟ أتوصل إليك : إلى
أين تحمل الطفل ؟

٧٢٠

دافوس . إني في حاجة إلى سرعة خاطرك ودهانك ومكرك لتدبير
هذا الأمر .

ميزيس - ما الذي تدبره ؟

٧٢٥ - دافوس - خذي الطفل بسرعة وضعيه أمام بابنا .

ميزيس - أتوصل إليك ، أضعه على الأرض ؟

دافوس - خذي أغصاناً من المذبح من هنا وافرشيها له .

ميزيس - لم لا تمل هذا بنفسك .

دافوس - حتى إذا تصادف أن اضطررت إلى التقسم لبيدي بأثني
لم أضعه ، أستطيع أن أفعل هذا بضمير نقي .

٧٣٠ ميزيس فهمت : إن صحوة جديدة للضمير قد انتابتك ، أعطني الطفل

دافوس - اسرعي أكثر من هذا حتى تجدي الوقت لنفهم ما أنجزه
يا الهي !

ميزيس - ماذا حدث ؟

دافوس - إن والد العروس أقصد على الأمر بحضوره إنني إن أتبع
الخطوة التي أزمعت عليها .

- ميزيس - لا أفهم ما تتحدث عنه .
 دافوس - سوف أنظركم ياني آت من جهة اليمن من هنا . راعى أن تعزى
 كلامى بأقوالك حين تدعو الحاجة لى ذلك .
 ميزيس - إننى لا أفهم شيئاً مما تفعله ولكن إذا كان هناك ثمة حاجة
 لى مجهودى سأملك حتى لا أعرق مصلحتكما أنت وبامفيلبوس
 فأت تدرك الأمور أكثر منى .

المشهد الرابع

كريميز - ميزيس - دافوس

- ٧٤٠ كريميز - رجعت بعد أن قت باللازم لزواج ابنتى لآمر باستدعائها . ولكن
 ما هذا؟ إنه لطفل لاشك فى ذلك ، يا امرأة ، أنت التى وضعتى هنا ؟
 ميزيس - (تبحث عن دافوس) أين هو ؟
 كريميز - لم لا تجيئىنى ؟
 ميزيس - (لنفسها) إنه ليس فى أى مكان هنا ، يا لتعاسى ! لقد تركنى
 الرجل وذهب .
 ٧٤٥ دافوس - (يظهر ثالية من جهة اليمن) أينها الآله أى حشد فى الفورم
 وكم من الناس يتناقشون وأى غلاء فاحش فى أثمان المأكولات !
 (لنفسه) ليس عندى ما أقوله أكثر من هذا .
 ميزيس - لم تركتنى وحيدة ؟
 دافوس - (مهمهما) ما هذه القصة الجديدة يا ميزيس ؟ من أين جاء هذا
 الطفل لى هناك من الذى أحضره ؟
 ميزيس - أيجنون أنت حتى تسألنى هذا السؤال ؟
 ٧٥٠ دافوس - من الذى أسأله إذن لى لا أرى أحدا سواك هنا .
 كريميز - (لنفسه) أعجب من أين أتى .
 دافوس - ألا تجيئىنى على ما أسأل ؟

- ميريس - آه
- دافوس - تعالى إلى يميني (يمس في أذنها)
- ميريس - إنك تهذي ألم (تحضره) أنت شخصياً
- دافوس - يقطعها (ويمس في أذنها) احذري أن تقولى كلمة واحدة سوى الإجابة على سؤالى (عالياً) أتسبينى ؟ من أين جاء ؟ تكلمى بوضوح .
- ميريس - من منزلنا .
- ٧٥٥ دافوس - ها ها ها ! لا عجب إن تصرفت هذه الغانية بهذه الوقاحة كرميز - (لنفسه) هذه الخادمة من عند المرأة الآندرية لقد فهمت .
- دافوس - أبدو لك مغفلين إلى هذا الحد لتسخرى منا على هذا النحو؟ كرميز - (لنفسه) لقد جئت في الوقت المناسب .
- دافوس - أسرعى وارفعى الطفل من أمام الباب (يمسك يدها ويمس) انتظري احذري أن تتحركى من هذا المكان . ٧٦٠
- ميريس - لتدمرك الآله ! لأنك أرعبتني أنا البائسة .
- دافوس - هل تسمعيني أو لا تسمعين ؟
- ميريس - ماذا تريد ؟
- دافوس - أضيف على ذلك سؤالاً آخر لمن هذا الطفل الذى وضعته هنا ؟
- ميريس - ألا تعرف ؟
- دافوس - دعى ما أعرفه جانباً وأجيبينى عن سؤالى .
- ٧٦٥ ميريس - ابن سيدك .
- دافوس - أيهما الشيخ أم الشاب ؟
- ميريس - ابن بامفيلوس .
- دافوس - (يمهم) ماذا ؟ ابن بامفيلوس ؟
- ميريس - حسن أو ليس ابنه ؟
- كرميز - (لنفسه) كنت على حق حين كنت أفرد دائماً من هذا الزواج .

- دافوس - بالعمل الشائن الجدير بالعتوبة !
- ميزيس - ما هذه الضجة التي تحدثها ؟
- دافوس - ألم أرك بتضمي تحمليين الطفل إلى منزلكم أمس ؟
- ميزيس - بالك من رجل وقح !
- ٧٧٠ دافوس - إنه الواقع رأيت كأنثارا متفضخة وقد أخفت شيئاً تحت ملابسها.
- ميزيس - وحتى بولوكس أشكر الآله لأن كثيراً من النسوة ذوات المولد الحر ساعدن في الولادة .
- دافوس - آه إنها لاتعرف الرجل الذي بسبه دبرت هذا الأمر (إن المرأة تفكر على هذا النحو لو أن كريميز رأى الطفل يوضع أمام الباب فإنه سوف يرفض زواج ابنته) تسما بجوييتر إنه لسبب ادعى تزويجها .
- ٧٧٥ كريميز - (لنفسه) لن يفعل ذلك وحتى هركيوليز .
- دافوس - لكي تكوني على علم بما سيحدث ، إن لم ترفعي الطفل ، فإني أدرجه في الحال إلى وسط الطريق وأدرجك أيضاً في الطريق .
- ميزيس - تسما ببولوكس إنك سكران .
- دافوس - إن ألعيبك لتتابع فتطرد الواحدة الأخرى وأسمعك الآن
- ٧٨٠ همين أن ميدتك مواطنة أثينية ...
- كريميز - يههمهم (دون أن يسمعه أحد)
- دافوس - ... وأن القانون ليجهره (بامفيلبوس) على أن يتزوج منها .
- ميزيس - أرجوك ؟ وبعد أفليست مواطنة ؟
- كريميز - (لنفسه) كدت أقع ، دون أن أعلم ، في شر مضحك .
- دافوس - من الذي يتكلم هنا ؟ أهذا كريميز ؟ لقد حضرت في اللحفة المناسبة اشبع .

كريميز - لقد سمعت كل شيء الآن .

دافوس - أسمع كل ما قيل ؟

٧٨٥ كريميز - أقول لك لقد سمعت منذ البداية .

دافوس - أحقاً سمعت ؟ يا الهي أرأيت مثل هذا الإجرام ! ينبغي أن نجر

هذه المرأة من هنا وتشتق ، هذا هو ذلك الرجل الذي يعنيه

الأمر ، إنك لمخبطة لو اعتقدت أنك تسخرين من دافوس .

ميزيس - بالتعاسى ! لم أقل سوى الصدق ياسيدى الشيخ .

كريميز - أعرف الموضوع كله ، هل سيمو فى المنزل ؟

دافوس - نعم إنه هناك .

(يخرج كريميز ويقرب دافوس من ميزيس)

٧٩٠ ميزيس - لا تلمسنى ، أيها المجرم ! بحق بولوكس إن لم أخبر جليكريوم

بكل هذا

دافوس - أيها الغبية إنك تجهلين معنى هذا التظاهر .

ميزيس - كيف أعرف ؟

دافوس - إنه هو بامفيلوس ولم تكن هناك وسيلة أخرى لعرفه ما نود

أن يعرفه .

ميزيس - (تتهم) كان عليك أن تنبأ أن من قبل .

٧٩٥ دافوس - أعتقدين أن هناك فرقاً بسيطاً بين ما يصدر تلقائياً عن الطبيعة

وما يصدر عن الصنعة والتذكير ؟

المشهد الخامس

كريتو - ميزيس - دافوس

كريتو - (لنفسه) لقد قيل لى إن كريميزيس تسكن فى هذا الشارع تلك

التي فضلت أن تكسب ثروة هنا عن طريق غير شريف على

أن تعيش فقيرة وشريفة في وطنها ، وعند وفاتها تؤول أملاكها
إلى بحكم القانون ، أرى أننا أستطيع أن أسألكم ، سلاماً . ٨٠٠

ميزيس - يا ألخي من اندي أرى ؟ أليس هذا كرينو ابن عم كرينيس -
نعم إنه هو .

كرينو - سلاماً يا ميزيس .

ميزيس - عليك السلام يا كرينو .

كرينو - و كرينيس بهم

ميزيس - لقد تركنا تعساء بوفاتها .

كرينو - وكيف حالكن وكيف الحال هنا ؟ ألسن بخير ؟

ميزيس ٨٠٥ - نحن ؟ بلى إننا لكذلك ، يقولون إننا نقبل الواقع حين لا نستطيع
أن نجد ما نريد .

كرينو - وجلبكريوم ؟ أوجدت والديها هنا ؟

ميزيس - لكم وددت أن تجدهما .

كرينو - ألم تجدهما بعد؟ لقد حضرت في وقت مشوم : وحق بولوكس

لو أنني عرفت ذلك لما نقلت قدمي إلى هنا قط ، كان يقال

عنها دائماً إنها أخت لكرينيس واعتبرت كذلك ، وهي تملك

ما كان لكرينيس من ثروة وملك . والدخول في قضايا

لغريب مثل أنا - إن أمثلة الآخرين تربي كيف أن هذا الأمر

ليس بالسهل ولا بالنافع ، في الوقت نفسه أعتقد أن لها صديقاً وحامياً

فقد كانت قد شبت حينها سافرت من أندروموس وقد يصيح الناس

بأنني محتال وشحاذ يتصيد الميراث ، فضلاً عن هذا لا يرضيني

أن أسلب الفتاة نفسها . ٨١٠

ميزيس - أيتها الغريب الفاضل ، وحق بولوكس يا كرينو ، إنك
لتخلق بأخلاق انقضاء .

كرينو - خذيني إليها لأراها حيث أتى حضرت إلى هنا . ٨١٥

ميزيس - عظيم

دانوس - (لنفسه) سأتيهما ، لا أريد أن يراني الشيخ في هذه اللحظة.
(يذهبون إلى منزل جليكر يوم وتخلو المنصة من المثليين)

الفصل الخامس

المشهد الأول

يدخل كريميز ويتبعه سيمو

٨٢٠ كريميز - لقد اختبرت صداقتي نحوك ، ياسيمو ، بما فيه الكفاية نعم بما فيه الكفاية وبدأت أقرب من خطر كبير . ضع نهاية لتوسلاتك ، حين كنت حريصاً على أن أرضى رغباتك كدت أضع حياة ابنتي موضع اللهو والسخرية .

سيمو - كلا كلا الآن أتوسل اليك وأطلب منك أكثر من ذي قبل باكريميز ، أن تحقق ذلك الصنيع الذي بدأته بانقول .

٨٢٥ كريميز - انظر كيف أن رغبتك وحاصك جعلت منك رجلاً غير عادل : فطالما تصل إلى غرضك فإنك لا تفكر في أن الطيبة لها حدود ولا تفكر أيضاً فيما تطلبه ، وإن فكرت نأبت عن أن تتقلني بالأخطاء .

سيمو - أي أخطاء ؟

٨٣٠ كريميز - أنسألي ؟ لقد دفعتني أن أزوج ابنتي زواجاً مضطرباً مشكوكاً فيه من شاب يعشق امرأة أخرى ، ينفر من حياة الزوجية كما يبرأ ابنك رغم عذابها وحزنها . ولقد نلت موافقتي وبدأت أعد للزواج حيناً لآمت الظروف أما الآن فالظرف غير ملائم وينبغي عليك أن تلائم نفسك مع الظروف ، يقولون إنها مواطنة أثنائية وهناك طفل ولد ، دعنا من هذا الأمر .

ميمو - أتوصل إليك باسم الآلهة ألا تترك عقلك يصدق أولئك النسوة
اللاتى ينصب اهتمامهن الأول وهدفهن الأول على أن يكون
ابن فاسقاً فى نظرك فقد دبرن وقمن بكل هذا لمنع الزواج
فإن نزعنا الدافع الذى من أجله قمن بهذه الأشياء فموف
تفضل حاجتهن .

كريميز - إنك لخطيء لقد رأيت الخادمة تناقش دافوس .

ميمو - أعرف .

كريميز - كان ذلك دون تظاهر إذ لم يشعر أى منهما بوجودى .

ميمو - أصلق ذلك وقد تنبأ لى دافوس منذ زمن طويل أنهن سيقمن
بهذه الألعوبة ولا أعرف كيف سها على اليوم أن أخبرك
بالأمر كما كان عزمى .

المشهد الثانى

دافوس - كريميز - ميمو - درومو

دافوس - (يخرج من منزل جليكيروم ويحدتها وهو واقف على الباب)
أطلب منك الآن أن تكونى مطمئنة لنفسى .

كريميز - ها هو عبدك دافوس .

ميمو - من أين يخرج ؟

دافوس - (يستمر فى الكلام مع جليكيروم) بحمايتى وحماية الغرب .

ميمو - (لنفسه) أى شر يأتى به الآن ؟

دافوس - (يتجه الى الأمام دون أن يراه) لم أر فى حياتى شيئاً مناسباً
أكثر من هذا الرجل ، وعجبت فى هذه اللحظة .

ميمو - من الذى يتحدث عنه هذا الوغد ؟

دافوس - إن الأمر كله الآن فى مأسن .

- سيمو - لا بد أن أحدثه .
- دافوس - إنه سيدي ماذا أفعل ؟
- سيمو - ملاماً يا صاحب الطيبة .
- دافوس - آه هذا هو سيمو ها هو رجلنا كريميز . كل شيء معد في الداخل .
- سيمو - لقد عنيت بالأمر جيداً .
- دافوس - استدعها حين تريد .
- سيمو - حسن فهي الشيء الوحيد الذي يتقنا الآن أخبرني ، أي شأن لك في ذلك المنزل ؟
- دافوس - شأني أنا ؟
- سيمو - نعم شأنك أنت .
- دافوس - شأني أنا ؟
- سيمو - شأنك أنت .
- دافوس - ذهبت هناك منذ لحظة فقط .
- سيمو - كما لو كنت أمالك كم من الزمن مكثت ؟
- دافوس - ذهبت مع ابنك .
- سيمو - هل بامفيلبوس هناك في منزلها ؟ بالعداني بالنعاسي ألم تقل إن خصاماً حدث بينهما ، أيها الجلال ؟
- دافوس - نعم إن هناك خصاماً بينهما .
- سيمو - ولم هو معها الآن وماذا يفعل هناك ؟
- كريميز - ما الذي تتصوره ، إنه يتشاجر معها .
- دافوس - ستمع شيئاً يحط من كرامتك لقد وصل هناك شخص لا أعرف من هو ، شيخ كله ثقة وحكمة وذكاء وإذا نظرت إليه يبدو لك رجلاً له قيمة العظيمة وترى على وجهه الصدق وتلمس في كلماته الثقة .
- سيمو - ماذا تحمل من الأنباء ؟

دافوس - لا أحل إلا ما سمعته من ذلك الرجل .

سيمو - وأخيراً ماذا يقول ؟

دافوس - يقول إنه يعرف أن جليكريوم مواطنة أثينية .

٨٦٠ سيمو - (همهم) درومو درومو :

دافوس - ماذا حدث ؟

سيمو - درومو !

دافوس - أصغ إلى .

سيمو - إن أضفت كلمة أخرى . . . درومو !

دافوس - أتوسل إليك أن تصنى إلى .

درومو - ماذا تريد يا سيدي ؟

سيمو - خذ هذا الرجل وجره إلى الداخل بأسرع ما تستطيع .

درومو - من ؟

سيمو - دافوس .

دافوس - لم ؟

سيمو - أقول لك إنه يسرني أن أفعل هذا .

دافوس - ماذا فعلت ؟

سيمو - خذ .

دافوس - إن اكتشفت أنني كذبت عليك في شيء ، فاقطنى .

سيمو - لا أصغى لشيء وسوف أمزك هزأ .

دافوس - حتى ولو كان الأمر صحيحاً ؟

٨٦٥ سيمو - نعم - خذ . ولو كان كذلك ، قيده وراقبه وقيد رجله ويديه

معاً ، أسمع ؟ اذهب الآن ، بحق بولوكمس ، سوف أريك اليوم ،

لو عشت ، نتيجة المحازفة في خدعة سيدك وسوف أريه
نتيجة المحازفة في خدعة أبيه (وسدد بقبضة يده وينظر إلى
منزل جليكر يوم) .

كريميز - آه ! إلا تغضب إلى هذا الحد ياميمو .

٨٧٠ - سيمو - آه يا كريميز يا لاني العاق ! إنك لتشفق على حناً ؟ وهذا العناء
الكبير الذي قمت به لمثل هذا الابن ! تعان الآن يا بامفيلوس
اخرج يا بامفيلوس ، أليس لديك أي حياة ؟

المشهد الثالث

بامفيلوس - سيمو - كريميز

بامفيلوس - من يناديني ؟ إنه أبي ، إلى هالك .

سيمو - ماذا تقول ؟

كريميز - آه . الأفضل أن تخبره بالأمر نفسه وأن تترك الألفاظ النابية .

سيمو - (لكريميز) كما لو كان في استطاعتي أن أقول عنه ما هو أقطع

٨٧٥ مما قلت (لبامفيلوس) قل لي أخيراً : هل جليكر يوم مواطنة
أثينة ؟

بامفيلوس - هكذا يعلنون .

سيمو - هكذا يعلنون ؟ بالمرأة الكبيرة ! هل يفكر فيما يقول ؟ هل

يخجل من أعماله ؟ انظر هل يدل لونه على أية فتحة من الحياء ؟

لقد بلغت نفسه درجة من الضعف يتحسس معها للاحتفاظ

٨٨٠ بتلك المرأة برغم العادات والقانون وبرغم إرادة أبيه وبرغم العار
انذى يصاحبه !

بامفيلوس - يا تعاسي !

سيمو - (بههم) أتشعر بذلك أخيراً يا بامفيلوس ؟ إن كلمة التعاسة

٨٨٥ لتطبق عليك تماماً في ذلك اليوم الذي دفعت فيه عقلك ليفكر

على هذا النحو : أن تحقق رغباتك مهما كان الثمن ولكن

لم أقول هذا ؟ ولم أعذب نفسي ؟ ولم أمزق قلبي وأضايق شيخوختي
بجنونك ؟ أذلك كفى أنال جزاء ما قد ارتكبته أنت من أخطاء
للتحورذ عليها ولتردعني وتعيش معها ؟

بامفيلوس - أبى .

٨٩٠ سيمو - لم "كلمة أبى" كما لو كنت فى حاجة إلى هذا الأب ؟ ها قد نلت
المزول والزوجة والأطفال رغباً عن إرادة أبك ، وجلبت
أشخاصاً ليقرولوا لأنها مواطنة من هذه المدينة ، لقد انتصرت .

بامفيلوس - ألا تسمح لى بوضع كلمات ؟

سيمو - ماذا تريد أن تقوله لى ؟

كريميز - نعم ، ياسيمو ، استمع له .

٨٩٥ سيمو - أأصغى له ولم ، ياكريميز ، ؟

كريميز - ولكن دعه يتكلم .

سيمو - ها أنا أسمع له بالكلام .

بامفيلوس - أعترف أنى أحب هذه المرأة ، وإن كان هذا خطأ منى فإنى
أعترف أيضاً . أضع نفسى تحت رحمتك التى أى عبء على
كاهن ، مر . أتريد أن أتزوج وأن أهجر عشيقى ؟ سوف أتعمل
هذا بقدر المستطاع ، ولكن أتوسل إليك أن تنبى بطيبي هذا
حتى لا تظن أنى تأمرت مع هذا الشيخ . ابلن لى أن أبرىء
نفسى من هذه التهمة وأحضره هنا أمامك .

٩٠٠

سيمو - تحضره ؟

بامفيلوس - لإسمح لى يا أبى .

كريميز - إنه أطلب عادل امنحه الإذن .

بامفيلوس - فليكن توسلى ذا أثر عليك .

- سيمو - ليكن ما تريد طالما لا أكتشف أنه يخذلني يا كريميز .
 (يخرج بامفيلوس ليحضر كرييتو)
 كريميز - إن الأب ليكفى بأقل عقوبة لخطأ ابنه الجسيم .

المشهد الرابع

كرييتو - كريميز - سيمو - بامفيلوس

كرييتو - لا تزدد من توسلاتك فأى دافع من هذه الدوافع يدفعني إلى إنجاز ما تنصح به . إما توسلك أو حقيقة الواقع أو ما أتمناه شخصياً لجليكريوم . ٩٠٥

كريميز - من الذى أرى أهو كرييتو من أندروس ؟ إنه هو .

كرييتو - سلاما يا كريميز .

كريميز - ما الذى أتى بالضيف إلى أينا وهذا يندر منه ؟

كرييتو - ها قد أتيت ولكن أليس هذا سيمو ؟

كريميز - نعم إنه هو .

كرييتو - أنسأل عنى ؟

سيمو - أنت الذى تقول إن جليكريوم مواطن أثنية ؟

كرييتو - أنتكر ذلك ؟

سيمو - أجنث هكذا وأنت مستعد لهذا الأمر ؟

كرييتو - أى أمر ؟

٩١٠ سيمو - أنسألنى ؟ أتفعل هذه الأشياء دون عقاب ؟ أتغرى شاباً لم يبلغوا مبلغ الرجول لاخبرة لهم بالحياة ربوا تربية فاضلة وتدفعهم إلى الخدعة وتغرى نفوسهم بالإغراء والوعود

كرييتو - أنت مسلم العقل ؟

- سيمو - وتربط حبهم للعشيقات برباط الزواج ؟
- بامفيلوس - إني هالك أخشى ألا يصمد الغريب .
- ٩١٥ كريميز - لو أنك عرفته معرفة كافية لما حكمت عليه هذا الحكم ، إنه لرجل شريف .
- سيمو - أهذا رجل شريف ؟ ولهذا الشرف جاء اليوم في الوقت المناسب وهو يوم الزواج ، ذلك الشخص الذي لم يأت من قبل ؟
- أهو حقاً جدير بالتصديق يا كريميز ؟
- بامفيلوس - لولا خشيتي أبي لآلته برد جميل .
- سيمو - أيها المخادع .
- كريتو - (بهمهم)
- كريميز - هذه هي طريقته لا تعأ بها يا كريتو .
- ٩٢٠ كريتو - عليه أن يرى ما سيكون إن استمر في قول ما يريد فسوف يسمع أشياء لا يرغب في سماعها . هل أنا أثير خصوصياته • أو أهتم بها ؟ إنه شر يتعلق به ولا بد أن يتحملة بنفسه هادئة إذ أنني أقول ما قد سمعت ومن السهل معرفة صدقه أو كذبه . فقد كان هناك منذ بضعة سنين أثبتني قذفته الأمواج إلى ساحل أندروس بعد أن انحطمت سفينته وكانت معه طفلة واحدة صغيرة وبحكم الحاجة لجأ صدقة يادى الأمر إلى أب كريميز .
- ٩٢٥ سيمو - إنها بداية القصة .
- كريميز - دعه يقص القصة .
- كريتو - لم يقاطعني على هذا النحو ؟
- كريميز - استمر .
- كريتو - وأبو كريميز الذي استضافه ، قريب لي ومنه سمعت أن ذلك الرجل كان أثينياً ثم مات في منزل قريبى .

- كريميز - وما اسم هذا الرجل ؟
- كسريتو - ما اسمه ؟ صبرا
- بامفيلپوس - فانيا ...
- كريميز - (يهتمهم) إني هالك .
- ٩٣٠ كسريتو - أوكد أن اسمه كان فانيا حقاً إني على يقين من ذلك وقد قال إنه من رامنوس
- كريميز - يالهي (لنفسه)
- كسريتو - هذه هي القصة عينها التي سمع بها الكيرون من أهل أندروس
- كريميز - لكم وددت أن يكون الأمر كما أرجو (عالياً) حدثني وماذا قال عن الطفلة أقال إنها ابنته ؟
- كسريتو - كلا
- كريميز - ابنة من أذن ؟
- كسريتو - ابنة أخي .
- كريميز - لاشك أنها ابنتي .
- كسريتو - ماذا تقول ؟
- سليمو - ماذا تعني ؟ (الكريميز)
- بامفيلپوس - (لنفسه) أصغ جيداً ، يا بامفيلپوس !
- كريميز - إن فانيا كان أخي .
- سليمو - لم تظن ذلك ؟ لقد عرفته وأعرفه .
- ٩٣٥ كريميز - لقد سافر من هنا هرباً من الحرب وتبعني إلى آسيا وخشي أن يترك الطفلة هنا ومنذ ذلك الوقت لم أسمع ما حدث له .
- بامفيلپوس - انني أضبط نفسي بصعوبة فإن قلبي يتنازعه الخوف والأمل والفرح لهذه النعمة العظيمة المفاجئة .

سيمو - إني في غاية من السرور أن تكتشف أبوتك لها .

بامفيلوس - إني متأكد من ذلك بأبي .

٩٤٠ كريميز - ولكنني لأرتاب في أمر واحد .

بامفيلوس - (لنفسه) عليك وعلى ارتيابك اللعنة فأنت جدير بها إنك الكره بعينه ! إنك تبحث عن عقدة فيما هو سهل .

كربتو - ما هذا الارتياب ؟

كريميز - إن اسمها لا يتفق مع اسم ابنتي .

كربتو - كان لها اسم آخر في الصغر .

كريميز - وما هو ؟ هلا تذكره ؟

كربتو - اني أبحث عنه في ذاكرتي .

بامفيلوس - (لنفسه) هل أسمح لذاكرته هذه أن تقف عثرة لفرحتي

● في الوقت الذي أستطيع أن أشفي نفسي في هذه الحالة؟ (عالياً)

● إن الاسم الذي تبحث عنه ، يا كريميز ، هو باسبولا .

٩٤٥

كريميز - باسبولا هو بعينه .

كربتو - إنه باسبولا .

بامفيلوس - لقد سمعته منها مليون مرة

سيمو - أظن يا كريميز أنك متأكد أننا جميعاً سعداء بهذا الاكتشاف .

كريميز - إن الآلهة تشهد أني أعتقد ذلك .

بامفيلوس - أما الباقي يا أبي

سيمو - إن ما حدث يدفعني إلى أن أصلح ما فسد .

بامفيلوس - أنها الأب اللطيف ! أما فيما يتعلق بزوجتي فسوف تبقى كذلك

● كما تزوجتها فهل يمنع كريميز (٤١) ؟

٩٥٠ كريميز - ليس هناك ما هو أفضل من هذا إلا إذا كان لأبيك رأي آخر .

بامفيلوس - ألك رأى آخر يأتى ؟

سيمو - طبعاً لا .

كريميز - إن مهرها ، بابامفيلوس ، عشر تالنتات

بامفيلوس - أوافق

كريميز - إنى مسرع إلى ابنتى . تعال معى يا كريتو فإنى لا أظن أنها

تعرفنى .

سيمو - لم لا تأمر بإحضارها إلى منزلنا ؟

بامفيلوس - إنه لاقتراح سليم ، سأكلف دافوس بهذا الأمر .

سيمو - لا يستطيع .

بامفيلوس - ما السبب ؟

سيمو - لأن لديه عملاً آخر يتعلق به أكثر من هذا وأكثر أهمية له .

بامفيلوس - ما هو ؟

سيمو - إنه مقيد .

بامفيلوس - أبى إنك لم تكن على حق فى تقييده .

سيمو - ما كنت إلا على حق فى ذلك .

بامفيلوس - أتوسل إليك أن تأمر بترك قيوده .

سيمو - حسن ليكن هذا .

بامفيلوس - وبسرعة .

سيمو - إنى داخل إلى المنزل .

بامفيلوس - ما أسعده من يوم وما أغره .

المشهد الخامس

كارينوس - بامفيلوس

كارينوس - (لنفسه) رجعت لأرى ما يفعل بامفيلوس وهماو ذا .

بامفيلوس - قد يظن أمرواً أنى لا أتخيل أن هذا صحيح ولكن يسعدنى

٩٦٠ في هذه اللحظة أن يكون الأمر صحيحاً وأظن إن كانت حياة الآلهة خالدة فلأن رغبتهم ملك لهم، ولكن من الذى أتمنى رؤيته أكثر من غيره في هذه اللحظة لأخبره بما حدث لى؟ (يدخل دافوس)

كارينوس - (لنفسه) من أين جاء له هذا الفرح ؟

بامفيلوس - ها أنا أرى دافوس الذى لا يفضلهُ امرؤ في العالم إنى أعرف أنه الشخص الوحيد الذى يفرح من أعماقه لفرحى .

٩٦٥ دافوس - أين بامفيلوس ؟

بامفيلوس - دافوس !

دافوس - من هذا ؟

بامفيلوس - أنا يا دافوس .

دافوس - أوه يا بامفيلوس !

بامفيلوس - إنك لا تعرف ما حدث لى .

دافوس - كلا ولكنى أعرف ما وقع لى أنا .

بامفيلوس - وأعرف أنا كذلك .

دافوس - إنه لمن عادة البشر أن تعرف ما حدث لى من شر قبل أن أعرف

ما حدث لك من خير .

بامفيلوس - حبيبى جليكريوم وجدت والديها .

دافوس - إنه لعدل إلهى جميل .

كارينوس - مهمهما (دون أن يسمعه أحد) .

٩٧٠ بامفيلوس - وأبوها أعظم صديق لنا .

دافوس - من هو ؟

بامفيلوس - إنه كريميز .

دافوس - يا نلبأ السعيد .

بامفيلوس - وليس هناك ما يعوق الزواج منها .
 كارينوس - (لنفسه) هل يعلم هذا الرجل في يقظته بالأشياء التي يريد بها ؟
 بامفيلوس - أما فيما يتعلق بالطفل باداقوس . . .
 دافوس - آه لا تزد كلمة . إنك الوحيد الذي تحبه الآلهة ؟
 كارينوس - إني في أمان إن كان ما يقوله صحيحاً (يتقدم إلى الأمام)
 سأكلمهما .
 بامفيلوس - من هذا الرجل ؟ أنت يا كارينوس ؟ لقد جئت في الوقت
 المناسب .

٩٧٥ كارينوس - إنه لتصرف إلهي رائع .

بامفيلوس - أسمع ؟

كارينوس - سمعت كل شيء . تعال ، فكر في وأنت في غمرة سعادتك ونوفيقك ،
 إن كريمز الآن لك ، أعرف أنه سينجز لك كل ما تريد .

بامفيلوس - إنك في ذاكرتي ، سيطول الوقت لو انتظرت حتى يخرج
 من المنزل . اتبعني من هنا إنه في منزل جليكريوم الآن
 أما أنت ، باداقوس ، فاذهب إلى منزلنا أسرع ، وادع من يأتي بها
 من منزلها ، لم تقف ، لم تنتظر ؟

دافوس - إني ذاهب .

(يذهب بامفيلوس و كارينوس إلى منزل جليكريوم)

٩٨٠ دافوس - للجمهور لا تنتظروا حتى يعودوا من منزل جليكريوم
 ويظهروا ثانية لأنهم سوف يتدبرون الاتفاقات والترتيبات
 الباقية في الداخل .

والمنى - صفقوا . (٤٢)

فبراير سنة ١٩٦٤

1

2

3

4

5

6

7

8

9

10

تذييل

١ - ترجع تسمية هذه الأشعار بهذا الاسم كما يروى Festus إلى مدينة فسكينا أو إلى كلمة Fascinum فهو يقول :

Fescennini versus qui canebantur in nuptiis ex urbe Fescennina dicuntur allati, sive ideo dicti quia fascinum putabantur arcere .

ويرجع Seller الرأى الأخير إذ أن هذه الأشعار من مميزات الريف اللاتيني وليست خاصة بأية مدينة في مقاطعة اتروريا وقد يكون اسم المدينة فسكينا يرجع إلى نفس الاشتقاق . راجع :

Seller, The Roman Poets of the Republic footnote page 35.

ولعل رأى Seller بنى على أساس ما أورده فرجيل من وصف لأشعار غير مصقولة كان يرتجئها الأوزونيون بعد موسم الحصاد في غناء ومرح تكريماً لباخوس Georg. II. 385 Scqq ويعنى فرجيل بالأوزونيين هنا سكان لاتيوم وإن كانت الكلمة تعنى الإيطاليين عموماً وكانت أصلاً تطلق على سكان قبيلة قديمة تسكن الجزء الجنوبي من إيطاليا . فلعل أشعار الفسكينين يرجع أصلها إلى هذا النوع الذى كان يعنى لباخوس فالنوعان متشابهان لدرجة كبيرة وفيهما عناصر مشتركة كعدم الصقل والارتجالية والمعبث والمرح والمجون ثم إنهما يشدان في موسم حصاد الكروم أو في عيدة ، واشتهار بلدة فسكينا أو فسكنيوم بهذه الأشعار لا يؤكد نشأتها في هذه البلدة أما ما ذكره Festus من أن أشعار الفسكينين كانت تنشد في حفلات الزواج فيمكن أن يعلل بأن ذلك حدث في زمن متأخر عن زمن نشأتها الأولى ، فهي أشعار اشتهرت باتصالها بالحصاد عامة وبحصاد الكروم خاصة فهي لذلك نشأت في الريف أصلاً ، ثم انتقلت منه إلى روما في زمن يسبق القواين الاثني عشر . راجع :

Seller, Roman Poets of The Republic page 35 .

وقد يكون قد أنشد نوع شبيه بها في حفلات الزواج خاصة بهذه المناسبة
ثم تسميت هذه الأشعار إلى الأسر المخزومة المحافظة كما يروى هوراتيوس
(راجع هامش ٢) .

Horat. Epist II. 1,145 Seqq — ٢

Magna Graecia — ٣ أو اليونان الكبرى وهي المستعمرات اليونانية
في جنوب إيطاليا وصقلية .

Livius, VII, II. — ٤

٥ — ذكرنا هنا أسماء أعلام الكوميديا المشهورين ونجاهلنا غير المشهورين
فهناك أسماء لشعراء الكوميديا نسبت أعمالهم إلى بلوتوس في عصر شيشرون

راجع

Seller, The Roman Poets of the Republic page. 152.; ibidem page 201

وهناك أيضاً L. Lanuvinus ومدرسته في عصر ترنتيوس

Horat. Epist., 11,1,58/59 — ٦

٧ — ناقد مضطرب الرأي عاش في القرن الأول الميلادي راجع قاموس
أكسفورد الكلاسيكي ص ٩٥٣ طبعة ١٩٥٠ .

٨ — Comoedia Togata نسبة إلى Toga وهو رداء روماني
يلبس في هذا النوع من الكوميديا ويميزها عن غيرها من المسرحيات .

Horat., Epist II. L 57 — ٩

١٠ — تنقسم الملهاة إلى قسمين Diverbia و Cantica
حوار يكتب بأياميوس سيناريوس ويشغل النصف الأكبر من
الملهاة وخاصة الفصل الأول أما الكانتيدكا فروعان : نوع يلتقى دون

غناء مصاحبة موسيقى ونوع آخر يغنيه المغنى في الوقت الذي يقوم فيه الممثل بإشارات يدوية . والكاثيكا الإنقائية تكتب بالأيامبوس السبتناريوس والأيامبوس التروكايبوس أو الأيامبوس الأوكوناريوس والثانية أى الغنائية كانت تكتب بالأيامبوس الاكوناريوس والتروكايبوس ثم تتغير الأوزان إلى التزاميات الكريمية أو الباخية أو الأيامية الكواترنية إلى آخر ذلك وكان اختلاف الأوزان يحدث تغييراً يلائم الشخصيات ومزاجها فالخزات الداخلية لعاطفة قوية يعبر عنها بالأيامبوس الاكوناريوس وبالغناء أما الحالة المادئة فيعبر عنها بالتروكايبوس السبتناريوس .

١١ - راجع :

Seller, Roman Roots of the Republic (footnote page 205).

١٢ - مثل Dziatko راجع :

E. Chambery, Terence Comedies Librairie Garnier Freres. Introduction page II.

Ibidem, Introduction, page I. -- ١٣

١٤ - راجع :

Suetonius, Vita Terenti, Introduction "quidam captum esse existimant quod fieri nullo modo potuisse Fenestella docet"

أما Fenestella فهو مؤرخ توفى عام ٢٠ بعد الميلاد وكان حجة في القانون القديم والدين والعادات ولا يعرف اسمه كاملاً وتوجد شذرات من مؤلفاته في كتاب : Peter, H R. Reliq 11, 1906

(A) P. Harvey The Oxford راجع :

Companion to Classical Literature p 175.

(B) The Oxford Classical Dictionary 1950.

١٥ - مسرحية الإخوان المقدمة (١٥ - ٢١)

١٦ - راجع :

E. Chambrey, Terence Comedies Librairie Garnier Freres,
Introduction page IV.

١٧ - راجع :

Seller, The Roman Poets of the Republic page 204 Seqq.

١٨ - راجع :

Porcius Licinius vita Terenti; Confer Seller, The Roman Poets of the
Republic, page. 205.

١٩ - راجع :

Suetonius Vita Terenti

٢٠ - راجع :

Suetonius Vita Terenti

٢١ - راجع :

Seller, The Roman Poets of the Republic page 206.

٢٢ - الألعاب الميجالية التي تقام تكريماً لسيوليانى إبريل تحت
إشراف الايديليين .

٢٣ - الألعاب الجنائزية التي تقام لتأبين رجل عظيم وكانت تتضمن
التمثيل .

٢٤ - راجع :

J. Marouzeau, Terence, Comedies, Les Belles Lettres page 12.

٢٥ - فى النصف الأول من القرن الثانى قبل الميلاد اهتم علماء الرومان
بالباليانا مقلدين نموي الإغريق فقد أعادوا النظر فى نصوص المسرحيات
وقد ألف سولبيكيوس القرطاجى نبدا تعرف بالديداسكاليا محتوى على
تاريخ تأليف المسرحية وتمثيلها وكل ما عمت إليها بصلة ونطبع الديداسكاليا
فى طبعات المسرحيات برغم رداءة أسلوبها .

٢٦ - قسم النقاد القدامى الكوميديا إلى ثلاثة أنواع بالنسبة للحوية
الحركة : (١) *Motoria* وهي الكثيرة الحوية والحركة وتعتبر أغلب
كوميديات بلوتوس من هذا النوع كذلك فورميرو ترنتيوس (٢) *Statoria*
أو الخادمة مثل ملهارة المعذب لنفسه لترنتيوس (٣) *Mixta* أو مزيج من
الحركة والهدوء مثل أندريا .

٢٧ - هو رئيس الفرقة التي قامت بتمثيل جميع كوميديات ترنتيوس
وإن كان هناك رئيس لفرقة أخرى اشترك في تمثيل الكوميديات التي تعددت
فيها الشخصيات . ولقد ذكر هذه العبارة في مقدمة زوجة الأب لترنتيوس
بيت ٣٩ .

٢٨ - كان الرومان يحرقون جثث موتاهم .
٢٩ - توجد لهذه الملهارة نهاية أخرى .

٣٠ - *Donatus* رجل النحو والبلاغة في منتصف القرن الرابع
الميلادي كتب تعليقا على أعمال ترنتيوس ، راجع قاموس اكسفورد الكلاسيكي
ص ٢٩٧ ، ١٩٥٠

٣١ - انشىء الذى لم يفهمه عدوه لوسكيوس لافينوس .

٣٢ - عام ١٦٦ ق . م .

٣٣ - تضع بعض المخطوطات نقطة بعد *Liberaliter* فينسى الكلام
عند هذا الحد وتبدأ حملة جديدة مثل طبعة :

E. Chambery Terence Comedies Librairie, Garnier, Freres.

هنا أتبع المخطوط الذى يضع نقطتين بعد *Liberaliter* لانصال الفكرة

٣٤ - هذه الترجمة أمثلها علينا كلمة *Optume* .

٣٥ - يونو أو هيرا عند الإغريق ولها صفات كثيرة وكلمة
Lucina معناها التي تأتي بالمولود إلى عالم النور .

٣٦ - هذه عبارة معتقة يقصد بها السلام (*Salutem iubere*) وعلق

دوناتوس عليها بقوله :

„deest saluere, quod opprimitur ab interventu alterius personae.

راجع :

Marouzeau, Terence Comedies les Belles Lettres (Note de La page 163)

٣٧ - اختلفت القراءات هنا فبعض الطبعات تنسب العبارة

(*optato advenis*) إل كريميز وبعضها ينسبها إلى سيمو وقد فضلت

القراءة الثانية لأنها أقرب للواقع فسيمو لم يذهب بعد لمقابلة كريميز ومن
المعقول أن يتعنى أن يأتي كريميز إليه .

٣٨ - أثارت الجملة (*quo tu minus scis*) كثيراً من الحيرة

لدوناتوس ولكثير من المعلقين بعده ، راجع :

Marouzeau, Terence Comedies, Les Belles Lettres (note de la page 173).

ولقد ترجمت هذه العبارة بطرق مختلفة وقد فهمتها على هذا النحو .

٣٩ - اختلفت القراءات هنا ولإني أتبع القراءة :

„Davos ? quam ob rem

كما وردت في طبعة

The Loeb Classical library

T. E. page with English Translation by Jhon Sargeant.

٤٠ - لقد سببت كلمة „quibus“ بعض التباس ولقد اتبعت تعليق

دوناتوس المذكور في :

J, Marouzeau, Terence Comedies, Les Belles Lettres Tome I (note de la
page 176)

٤١ - إنه لإجراء قانوني أن يوافق الأب على زواج ابنته .

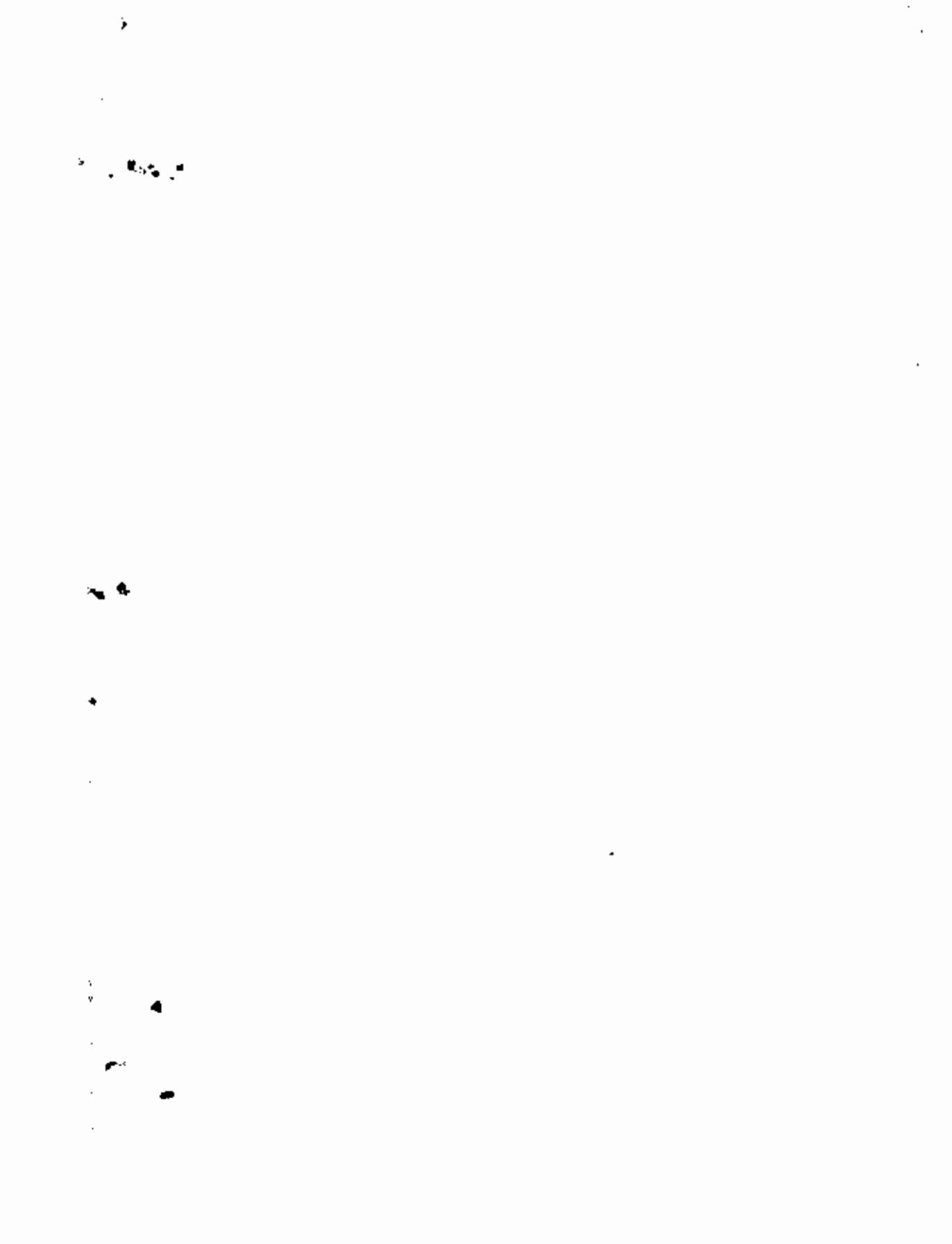
٤٢ - راجع هامش (٢٩) .

(١) النصوص والقواميس

- E. Chambery, Terence Comedies, Librairie Garnier Freres.
J. Marouzeau, Terence Comedies, les Belles Lettres.
J. Sargeant, Terence vol. I & II Loeb Edition.
The Oxford Classical Dictionary (reprinted) 1950.
The Oxford Companion To Classical Literature 1951 (Paul Harvey).

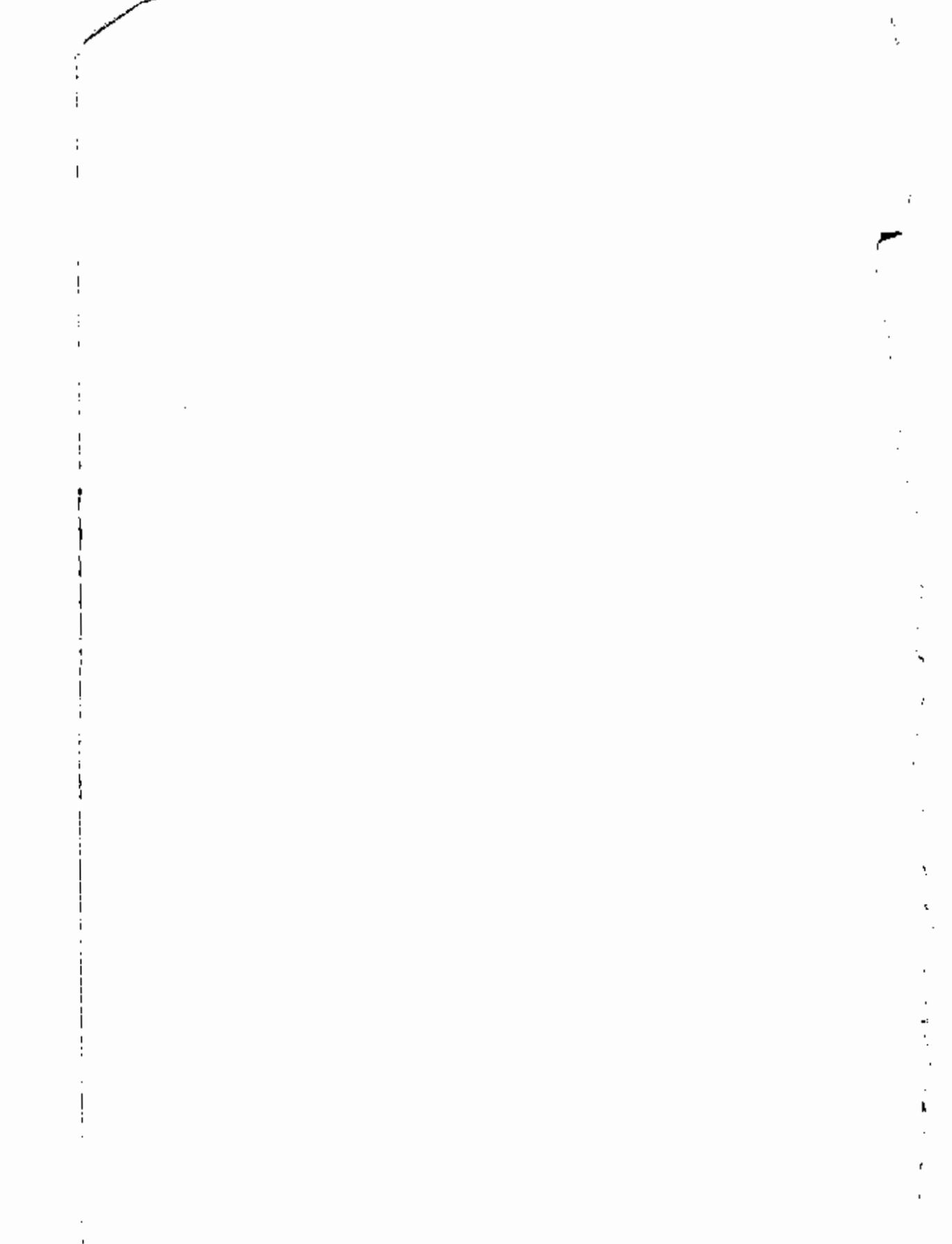
(٢) المراجع

- M. Bieber, The History of the Greek & Roman Theater 1939.
E. R.ieu, The Classical Heritage and its Beneficiaries, Cambridge 1954.
G. E. Duckworth, The nature of Roman Comedy Princeton University Press 1952.
J. W. Duff, A Literary History of Rome from the Origins to the close of the golden age, London 1925.
M. Grant, Roman Literature, Cambridge University Press 1954.
M. Hadas, A History of Latin Literature Columbia University Press 1952.
W. A. Laidlaw, Latin Literature, Methuen 1941 .
J. W. Markall, Latin Literature (reprinted) London 1952.
K. J. Maidment, The Later Comic chorus CQ xxix (1935) 1 — 24.
G. Murray Aristophanes 1933 (Chapter on Menander).
G. Norwood, The Art of Terence, 1923
G. Norwood Greek Comedy (1933).
A. W. Picard-Cambridge, Dithyramb, Tragedy and Comedy, Oxford Clarendon Press (1927).
J. U. Powell & E. A. Barber, New Chapters in the History of greek Literature First Series (Powell — Barber Oxf. Clar. Press 1921; Second Series Oxf. Clar. Press 1929.
J. U. Powell (alone)) Third Series Oxf. Clar. Press 1933.
W. Y. Sellar, The Roman Poets of the Republic oxford, 1881.
Suetonius, Vita Terenti.



تم بحمد الله ، حج هذه المحاضرة بمطبعة
جامعة الاسكندرية ، في يوم الأحد ٢٢
من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٥ ، الموافق
١٧ من أكتوبر سنة ١٩٦٥

مدير المطبعة
محمد يوسف البساطي



PHILIPPE DE MEZIERES
AND
THE NEW ORDER OF THE PASSION

By
ABDEL HAMID HAMDY

PART II.

THE SOURCES

In Part I we have dealt with the main facts of Philippe's life. We propose now to limit our enquiry, and examine closely such evidence as relates to his principal preoccupations in the crusade, and the foundation of his new Order of the Passion.

Of the plans for this new Order widely circulated in Mézières' own day, there remain three documents, one of which is the Bibliothèque Mazarine MS. 1943. It measures 27.5 x 20 centimetres.¹ This MS. consists of two separately paginated parts, the first (47 folios, 2 columns) a treatise entitled '*Liber de Penitencia compositus ex multis sententiarum floribus sanctorum patrum et doctorum Ecclesie Sancte Dei*' is ascribed by Molinier² to a certain Jean de Dambach, a German Dominican of the 14th century. This first part is not the subject of the present study. The second part of the MS. is the '*Nova Religio Militie Passionis Jhesu Christi pro adquisicione Sancte Civitatis Jherusalem et Terre Sancte*'. It is composed of 123 folios (2 columns), divided as follows :—

1. 'Prefacio seu quoddam compendium Regule militaris Passionis Jhesu Christi,' ff. 1 r. — 15 v. 2;
2. 'Epistola,' ff. 16 r. — 23 r. 2;

1. Cf. A. Molinier, 'Description de Deux MSS. contenant La Règle de la Militia Passionis Jhesu Christi de Philippe de Mézières,' in *Archives de l'Orient Latin*, vol. I, Paris, 1881, p.338. As I have seen only photostatic copies of the MSS. connected with this study, I have quoted Molinier's measurements thereof.

2. *loc. cit.*

3. 'De Habitu et vestimentis religiosorum ac ipsorum uxorum', ff. 24 r. — 44 r. 1;
4. 'Prologus regule militaris seu milicie Passionis Jhesu Christi', ff. 45 r. — 50 v. 1;
5. 'Tituli librorum regule militaris seu milicie Passionis Jhesu Christi,' ff. 51 r. — 53 v. 1;
6. 'Rubricæ' or chapter headings of thirty books with the exception of the 27th book which has been omitted, ff. 54 r. — 123.

The first 44 folios constitute the first redaction which dates circa 1368.¹ To this Philippe added the second redaction which he wrote in 1384.²

The manuscript originally belonged to the Convent of the Celestines of Paris.³ One scribe evidently wrote the entire text of the 'Nova Religio Passionis'. There are corrections in folios 16—24 in the same hand, probably indeed by the author himself. The word 'milicia' has frequently been substituted for the word 'religio.' There are some leaves missing between ff. 118 and 119 which contain the rubrics of the 27th book of the Rule of the Chivalry of the Passion.

The second document (now in the 'Bibliothèque de L'Arsenal' *De la Chevalerie de la Passion de Jhesu Crist, MS. 2251*) was written in 1396, a few months before the battle of Nicopolis.⁴ This manuscript, known as the third redaction, measures 25.7 x 21 centimetres.⁵ It is composed of 114 folios (long lines), divided as follows :-

1. 'Le prologue', f. 1 r. — v.;
2. 'L'epistre', ff. 1 v. — 7 r.;

1. *ibid.*, p. 339.

2. *Nova Religio Passionis*, f. 46 v. '...date sunt viro peregrino alie tabule due ... continentes pias et largas constituciones, consilia et decreta presentis regule milicie Passionis Jhesu Christi eurrente, videlicet anno Domini m. ccc. LXXX. iiii.'

3. On f. 1 r. of the 'Liber de Penitencia' are the words 'volumen signatum 115 Celestinatorum Parisiensium', and f. 123 r. 2 of the 'Nova Religio' ends with the words 'Iste liber est de Conventu Celestinatorum de Parisiis.'

4. *Chevalerie de la Passion*, f. 14 r. 'jusques aujourduy qui est l'an de la nativite de Nostre Seigneur Dieu Jhesu Crist m. ccc. iiii^{xx} et xvi.' The battle of Nicopolis took place on 25th. Sept. 1396 (Vide A. S. Atiya, 'The Crusade of Nicopolis', London, 1934, p. 150) and no mention of it was made by Philippe.

5. Cf. Molinier, *op. cit.*, p. 344.

3. 'Une declamacion du vielz escripvain', ff. 7 r. — 43 r.;
4. 'La substance abregee de la Chevalerie de la Passion de Jhesu Crist en Francoys', ff. 44 v. — 91 v.;
5. 'La copie du prologue du livre du commencement de la sainte Chevalerie de Nostre Seigneur Jhesu Crist', ff. 92 r. — 102 v.;
6. 'Une briefve recapitulacion du nombre des combatans de la sainte Chevalerie et du tresor en gros et des finances qui doivent estre paiees.', ff. 103 r. — 112 r.;
7. 'Ce sont les chevaliers etc.' (a list containing the names of the adherents of the Order), ff. 112 v. — 114 v..

This MS., according to Molinier ¹, belonged to the Convent of the Celestines of Paris. On the first fly-leaf, there is the inscription which reads :—

'Ce livre appartient maintenant au sieur de .. Le Normant... du Roy, lieutenant particuliere civil et criminel au bailliage du Pallais a Paris'. Molinier, however, reads the inscription as follows :—²

'Ce livre appartient maintenant au sieur de Chèvremont Le Normant, conseiller du Roy, lieutenant particulier civil et criminel au bailliage du Pallais à Paris'. There is also ZS written under the title. In 1680, the MS. was in the Billothèque du Convent des Augustins refformer du faubourg S. Germain des Paris, fils (?) de la Reine Marg (aret ?) ;³.

Three scribes seem to have taken part in writing the manuscript; the first was apportioned ff. 1 r. — 23 v. and f. 75 r.; the second ff. 24 r. — 43 r. and 75 v. — 91 v.; the third ff. 44 r. — 74 v. and 92 r. — 114 v..

The third document belongs to the Ashmole Collection in the the Bodleian Library at Oxford (*La su(b)stance de la Chevalerie de la Passion de Jhesu Crist en Francois*, MS. 813). The exact date of composition of this document is unknown, but there is reasonable justification

1. *op. cit.*, p. 346.

2. *loc. cit.*.

3. *Vide f. 1 r.*

for conjecturing between 1389 and 1394.¹ It is a slim volume in folio² composed of 31 leaves (2 columns) which are divided as follows:—

1. 'La su(b)stance de la Chevalerie de la Passion de Jhesu Crist en Francois,' f. 2 r.;
2. 'L'Epistre', ff. 2 r. 2 — 4 r.;
3. 'Les rebriches des causes pour lesquelles ceste Chevalerie de la Passion Jhesu Crist est necessaire..' ff. 4 r. — 5 v. 2;
4. Expansion of the 'causes'³ ff. 6 r. — 15 v. 2;
5. 'Comment ... Vierge Marie... sera tressingulere advocate de ceste sainte Chevalerie'., ff. 16 r. 1 — 17 v. 1;
6. 'Le prologue de la sainte Chevalerie de la Passion de Jhesu Crist', f. 18 r. 1 — v. 2;
7. A list of officials, number of councils, chapters, buildings, habits and vestments, arms, schools and some other rules and regulations for governing the new Order, ff. 19 r. 1 — 27 v. 2;
8. Examples from earlier crusades intended to revive prowess and encourage knights to join the Order, ff. 28 r. 1 — 32 r. 2;
9. 'L'Oroison briefve', f. 32 r. 2 — v. 1;
10. 'Oratio', f. 32 v. 1—2.

The entire text of the manuscript was written by one scribe. There is a transcript of this MS. in the Ashmole Collection (No. 865), made for Elias Ashmole himself (1617 — 1692), and therefore of no independent value.⁴

1. La substance de la Chevalerie, f. 10 v. 2: Mézières here speaks of the schism in the Church. The West was divided into two camps, one supporting the French Pope, Clement VII (1378—1394), and the other the Neapolitan Pope, Boniface IX (1389 — 1404): ... 'deux generations de Catholiques, desquelles l'une partie, jusques a present ou propos de cestui chapitre, a tenu et tient fort., Clement souverain, Pape de Romme, et l'autre partie Boniface..'

2. Vide Molinier, op. cit., p. 346.

3. We may note here that Philippe furnished the rubrics of twenty motives, but in the expansion four have been omitted (9th — 12th).

4. Vide infra, pp. 29—30 for particulars.

We do not exactly know to whom this MS. was sent by Philippe. It may have been any one of the supporters of the Order in England, a list of whose names Mézières has left us. Or it may have been sent to Thomas Arundel who was the Archbishop of Canterbury (1396 — 1414), and whose grandfather was one of the supporters of the Order.¹ In any case the MS. was in the possession of the Arundel family, until it became the property of Lord William Howard (1563 - 1640) who was a scholar and is said to have amassed a great number of printed books and manuscripts.² On the first page of the MS. there is the autograph of Lord 'William Howarde' of Narworth (also at f. 2 r.) with his usual cognizance - a lion rampant - which identifies this as the Arundel manuscript cited by Ashmole.³

How this manuscript came into the possession of Elias Ashmole is a matter of speculation. We only know from his 'Diary'⁴ that 'the George of gold which Thomas, late Earl of Arundell and Surrey, wore in his journey to Vienna in 1636', was given him by Henry, late Duke of Norfolk, his grandson. Further entries in his 'Diary' show some connection with the Arundel family.⁵ But we find no mention therein as to how the 'Substance de la Chevalerie' was made accessible to him, whilst he was preparing his history of the Order of the Garter in which he gives a summary of the manuscript.⁶

These three documents have been treated at varying length by:--
a. N. Jorga in his well known work 'Philippe de Mézières et la Croisade au XIV^e Siècle, Paris, 1896.'⁷

1. Thomas Arundel's mother was the daughter of the Earl of Lancaster (D.N.B., London, 1885, vol. II, p. 137 et seq.) whose name is mentioned in Mézières' list; see 'Chevalerie de la Passion, Ars. MS. 2251, f. 114 v..

2. D.N.B., London, 1891, vol. XXVIII, pp. 79 — 80.

3. 'The Institution, Law and Ceremonies of the most Noble Order of the Garter', London, 1672, p. 83.

4. 'The Diary and Will of Elias Ashmole', edited by R.T. Gunther, Oxford, 1927, pp. 149 — 50.

5. *ibid.*, pp. 133, 137 — 8.

6. 'The Institution, etc.', pp. 83 — 7.

7. This is the standard work on Mézières, and reference to it has already been made in Part I.

- b. A. Molinier, 'Description de Deux MSS. contenant La Règle de la Militia Passionis Ihesu Christi de Philippe de Mézières', in *Archives de l'Orient Latin*, vol. 1, Paris, 1881, pp. 335-364.
- c. A. S. Atiya who has frequently referred to Philippe's documents on his new Order of Chivalry in his 'The Crusade in the Later Middle Ages,' London, 1938, p. 139 n.2, and p. 141.

In no case have the contents and the relationships of one document to the other been thoroughly scrutinised so as to give the reader a clear picture of these sources. Jorga, for instance, arranging Philippe's works in chronological sequence in his bibliographical introduction¹, puts Ashmole MSS. 813 and 865 together with the Mazarine MS. 1943 as being the first redaction, made circa 1368, and, again, as being the second redaction of 1384. This is obviously not the case, as Ashmole MS. 865, as we have seen², is a transcript made in the seventeenth century. Besides, Ashmole MS. 813 is only partly connected with the first redaction of the Mazarine MS. Folios 2 r. 2 - 10 v. of the former³ are a French translation of folios 16 r. 1 - 23 r. of the latter.⁴

Furthermore, Jorga says that a French translation of the 'Prologus' of the second redaction of 1384 is to be found in Ashmole MS. 813 (ff. 18-27)⁵. This again does not indicate a close examination of the two MSS. The 'Prologus' of the second redaction, referred to by Jorga, occupies ff. 45 r. - 50 v.,⁶ whereas Ashmole's is in f. 18 r. 1 - v. 2, and in ff. 19 r. - 27 v. 2.⁷ Philippe gives us, quite abruptly, the list of officials, etc.

1. *op. cit.*, pp. VII and VIII.

2. *Vide supra*, p. 4, and *infra* pp. 29-30.

3. These folios comprise the epistle, the rubrics of twenty motives and the expansion of the first six.

4. This part of the Maz. MS. includes the epistle, the rubrics and expansion of the only six motives Philippe gives in the first redaction; for details, *vide infra* pp. 33-4, and notes.

5. *op. cit.*, p. 347.

6. *Vide supra*, p. 2, and *infra*, pp. 35-6.

7. *Vide supra*, p. 4.

Prior to Jorga's work on Mézières, Molinier in his treatment of the third redaction¹ divides the MS. into four distinct parts. Of the second part he says that ff. 44 — 91, and Ashmole MS. 813 are a translation (with certain additions) of the first Latin redaction². We have already discussed briefly the connection between the Ashmole MS. and the first redaction of 1368.³ The Arsenal MS. ff. 44—91 is not entirely identical with the Ashmole MS.. A close comparison between both reveals the following :—

- a. Minor differences which have been indicated in footnotes in our transcription of the Arsenal MS.
- b. Three lacunae in Ashmole MS. between ff. 11 v. 2 — 12 r. 1, 15 v. 2 — 16 r. 1 and 18 v. 2 — 19 r. 1.
- c. In the Arsenal MS., ff. 28 r. 1 — 32 v. 2 of the Ashmole MS. are wanting.⁴

Dr. Atiya, on the other hand, states that Philippe de Mézières' chief works during the years 1384—96, are :—*Nova Religio Passionis* (Bodleian MSS.⁵ Ashmole 813 and 865, and Bibl. Mazarine MS. 1943; and Arsenal 2251 etc.⁶ This is rather a vague statement, as we have already seen that the date of Ashmole 813 is unknown, and Ashmole 865 is a transcript made in the seventeenth century,⁶ and that the Mazarine MS. 1943 (first redaction) dates from circa 1368.⁷

We have given the description of the three documents, the statements of Jorga, Molinier and Atiya, and have indicated briefly the vagueness in each case attempting a clarification as a result of a closer examination of the MSS.. We propose now to analyse their contents, and at the same time to determine the interrelation of these manuscripts. We shall overlook the chronological order of composition of the documents, and deal first with the Arsenal MS. 2251.

-
1. 'De la Chevalerie de la Passion', Arsenal MS. 2251; vide supra, p. 2-3.
 2. Molinier, *op. cit.*, p. 347.
 3. Vide supra, p. 6, and infra, p. 31 et seq.
 4. Vide infra, p. 29 for a more detailed exposition of the matter.
 5. 'The Crusade in the Later Middle Ages', p. 139 n. 3.
 6. Vide supra, p. 4, and n. 4.
 7. Vide supra, p. 2, n. 1.

The contents of the Arsenal MS. 2251, as have already been suggested in the description,¹ are divided into seven chapters.

§ 1. LE PROLOGUE. (f. 1 r. — v.)

Comment la Chevalerie de la Passion Jhesu Crist est figuree par la manne des enfans de Israel.

This is a short prologue in which Philippe reproaches those knights who have failed to respond to his call for joining the Order of the Passion. The foundation of this Order has been delayed because of the prevailingly sinful state of the world, as well as the savage war between England and France. The Order, however, is gaining the support of princes, barons, and knights from different parts of the West, such as Aragon, Navarre, Spain, Italy, France, England, Scotland, and Germany.²

§ 2. L'EPISTRE. (ff. 1 v. — 7 r.)

Mézières draws an analogy between the ingratitude of the Children of Israel, when they declined God's offer of the manna, and that of Christians who are reluctant to join the Order of the Passion. This Order, in Philippe's opinion, will provide its members with all their requirements for the recovery, and defence of the Holy Land.³

Next the author exposes the different arguments of those who opposed the foundation of the Order, just as the Children of Israel abominated the manna. Princes, barons, and knights cannot abandon their lax ways, nor can they live a pious life, as did their valiant predecessors. Their pride, avarice, despotism, and cruelty leave bitterness in the hearts of their subjects, as garlic and onion do in the mouth.⁴ Philippe concludes the epistle, praying to God that the holy Order may take as its exemplar the noble prince 'Caleph' who conquered the Holy Land and Syria.⁵

1. Vide supra, p. 2 — 3.

2. f. 1 r. — v.

3. ff. 2 v. — 3 r.

4. ff. 4 r. — 6 v.

5. f. 6 v. Mézières here refers to Caleb who was a Hebrew leader at the time of the conquest of Canaan.

§ 3. UNE DECLAMACION DU VIELZ ESCRIPVAIN
SOLITAIRE. (ff. 7 r. — 43 r.)

Philippe, 'le viel escrivain', addresses both the supporters and opponents of the Order of Chivalry. He invites both sides to listen to the sad story of his career, which he expounds in the form of a parable. He describes himself entering a palace of crystal, wherein he found four queens :—

Providence Divine, Pierre Destinacion, Dispensacion and Permission Divine.¹

The queens were surrounded by their counsellors, 'Madame Misericorde et Verite, Paix et Justice, Prudence et Temperance, Force et Pacience, Foy, Esperance, Compassion et Humilite, Souffisance, Diligence, et Longanimite, et... surtoutes... chanceliere des roynes... Madame Charite'.²

On the right of the queens sat prelates, clergy, princes, barons, knights, squires, and several others; on the left, several knights, and some gloomy individuals.³ 'Le viel escrivain', an old man, doubled with age and bearing a tattered book, was a special messenger of Providence Divine for more than forty years, during which he journeyed to all corners of the earth. Now he returned to the Queen in order to report on the fruits of his mission, and beseech her to relieve him of his duties, on account of his advancing years. Because of his zeal for the deliverance of the Holy Land, he was called 'Ardant Desir'.⁴

Mézières then recounts his early career. He was in the service of 'un grand prince orientale catholique'. Knowing of his eagerness to recover Jerusalem from the followers of 'Mahomet', Queen Providence commissioned him to pursue this aim, and announce to Christians the plan for the foundation of his new Order of Chivalry.⁵ Armed

1. f. 7 r. — v.

2. f. 8 r.

3. f. 8 v.

4. f. 9 r.

5. f. 10 r.

with the advice of the various queens, 'Ardant Desir' was accompanied by 'Doulce Esperance' and her sister 'Pacience', to defend him against 'Desperacion' and tribulations.¹ Queens 'Predestinacion' and 'Dispensacion' offered him their 'besans' to comfort and guide him on his pilgrimage.² Philippe adds that it was in Jerusalem that God inspired him with the idea of founding the Order, and that he celebrated a mass of thanks-giving in the Church of the Holy Sepulchre.³ His long mission, Philippe subjoins, lasted from 1347 to 1396.⁴

Mézières returned from Jerusalem to his master, 'le prince orientale', who approved of the idea of founding the Order. To gain supporters, 'Ardant Desir' was sent by his master to Pope Innocent VI, as well as other western leaders, notably, Jehan, Duke of Normandy and the elder son of Philippe de Valois, King of France.⁵

Philippe then goes on to speak with warmth of his oriental prince, Pierre I de Lusignan, of his bravery and achievements, of his own visits in Pierre's company to the courts of Europe in search of aid, of the capture of Alexandria, and Pierre's offer of one third of the revenues of the city for the foundation of the Order.⁶ Ardant Desir's efforts which lasted for fifteen years, continues Philippe, brought him sometimes joy and encouragement, but more often disillusionment and bitterness. Nevertheless, he was comforted to find princes, barons, knights, several popes of Rome, clergy, persons of great authority, several masters in theology, six royal dukes of France and England, counts, viscounts, together with a large number of knights from other Christian countries all willing to join the Order of the Passion.⁷

Then he proceeds to tell how he presented to Queen Providence 'le livre de ma messagerie', and, pleading weariness, begged the Queen to appoint another knight who would carry on the mission of reviving the

1. ff. 10 v. — 11 r.

2. f. 12 r. — v.

3. f. 13 r.

4. f. 14 r.

5. ff. 15 v. — 16 r.

6. ff. 16 r. — 17 v.

7. f. 18 r. — v.

memory of the Passion of the Slaughtered Lamb, through restoring peace and unity to the Church¹. The book *Ardant Desir* presented to 'Providence Divine' contains 'a menu et a gros tout le procès de sa legacion, les personnes bien et ruoins disposees des dessus dix royaumes et regions a la dicte Chevalerie, les empeschemens publics et secrez, et les dissimulations qu'il avoit trouve entre les clers et les seculiers touchans a la dicte Chevalerie et au bien publique de la foy catholique, et toutes autres choses recitables qui au propos faisoient a escrire'.²

On the contents of the volume being examined, *Ardant Desir* was found to have discharged his mission to the utmost limits of his capacities. He was congratulated on his zeal, and advised to think of his soul, and await God's will³.

Then 'Providence Divine' points out in a long discourse how her 'besans'⁴ were used throughout the ages by Moses, the judges of Israel, the kings of Jerusalem, and such sovereigns as Constantine, Justinian, Heraclius, Charlemagne, Godfrey of Buillon, and Pierre de Lusignan. Without these 'besans', comments 'Providence Divine', these rulers would never have vanquished their enemies.⁵

'Providence Divine' continues her speech, urging reform of the Church and the combating of sins prevalent everywhere. The new Order of the Passion, she holds, is a panacea capable of healing all the ills of Christendom, and she compares it to the rôle of Noah's Ark in saving humanity from the flood.⁶ Former mistakes are to be avoided; knights who were induced by 'Vaine Gloire' to undertake the passage to the Holy Land, and hurry home, are now to remain at least three years in God's service. The amount of money they were wont to squander in eight or ten months would suffice to maintain them

1. f. 18 v.

2. f. 20 r.

3. ff. 20 v. — 21 r.

4. We find it difficult to say what precisely the connotation of 'besant' is in the present text. It is of course, a gallicisation of 'bezant', a Byzantine gold coin. Here it may denote the gifts of faith.

5. f. 23 r. — v.

6. ff. 26 r. — 28 v.

during the three years' service.¹ A hundred thousand warriors to be assembled from seven 'langaiges' or nations, she adds, are to go directly by sea to the East and strike the serpent's head, following the example set by Scipio Africanus.² Queen 'Providence' concludes her address recommending the new Order of the Passion to those present, and assuring them of the fruit it will bear for Christianity in future.³

§ 4. LA SUBSTANCE ABREGEE DE LA CHEVALERIE
DE LA PASSION DE JHESU CRIST EN FRANCOYS.

(ff. 44 v. — 91 v.)

This rather long chapter may be divided into two parts :—

- a) L'Epistre. (ff. 44 v. — 72 r.)
- b) Le Prologue de la substance abregie de la sainte Chevalerie de la Passion de Jhesu Crist. (ff. 72 r. — 91 v.)

a) *L'Epistre.*

In a brief prologue preceding the epistle, Philippe succinctly expounds the reasons which make the foundation of his Order necessary for both the Church and Christendom at large. The Order of Chivalry is to redeem Jerusalem and the Holy Land, to defend and spread the Catholic faith, and revive the memory of the Passion. If it be founded, knights of the Order are to be sent to the Holy Land to prepare the way for the kings, Charles of France and Richard of England. While awaiting their arrival, the knights are to inaugurate God's holy war.⁴

Philippe then appeals to Christians in the West to amend their lives, and eschew the three deadly sins of pride, avarice, and lust. Through pride and its daughter, ingratitude, the Lord's Passion has been forgotten. Christians, high and low, are slaves to avarice, and, driven by lust, they destroy one another, instead of forming a common front against the infidel.⁵

1. f. 35 r.

2. ff. 36 v. — 37 v.

3. f. 40 r. — v.

4. f. 44 r. — v.

5. ff. 44. v. — 46 r.

The object of the new Order of the Passion, explains the author, is to combat pride and ingratitude with true obedience and modesty; lust with temperance, moderation and conjugal fidelity; and avarice with the love of God and the revival of His Passion which is chosen as the Order's symbol. Once the Holy Land is conquered, the Passion of the Slaughtered Lamb will illuminate the whole world. The Catholic faith will be disseminated far and wide as a result of the victories of this new Order.¹

There follows the rubrics of twenty motives for the foundation of the Order.² These may be outlined as follows :-

1. Christians in general, and knights in particular may be induced to amend their lives by following the exemplary devotion of the Order.

2. The memory of the Passion may be revived among Christians.

3. Relief and succour may be promptly sent by the Order to Eastern Christians.

4. The Holy Land may be delivered from the infidel, and retained in Christian hands.

5. Catholicism may be propagated throughout Eastern countries, and the schismatic Greeks.

6. Tyrants, heretics, and schismatics who disturb the Roman Church may be resisted and prevented from causing trouble by the Order.

7. Dissensions in God's Church may be healed, and its unity restored under the one True Shepherd of Souls.

8. After the establishment of peace between England and France, the Order of the Passion may be sent to the Holy Land as a precursor to the kings, in order to occupy the enemy's land, pending their own arrival.

9. The Order may serve as a vanguard for the protection of the two kings, and their Christian host, when they land in enemy territory.

1. ff. 46 v. — 47 v.

2. For the rubrics, vide ff. 47 v. 50 r.

10. The Order may furnish guidance and discipline to unruly volunteers who, if left without command, would create confusion in the ranks of God's army.

11. The wounded and the dead may be recovered from infidel hands by the Order.

12. The Order may serve as a body-guard for the kings, while fighting in open fields.

13. Towns and fortresses conquered by the kings may be entrusted to the knights of the Order for protection.

14. The kings may be kept well informed of the enemies' secrets and activities by the Order.

15. The Prince of the Order, or his deputies, may work indefatigably to negotiate an honourable treaty between the kings and the infidel.

16. Knights of the Order may visit the sentinels of the army, and the guards of war-machines, to comfort and protect them from the enemy's spies, and false Christians.

17. Knights of the Order may suppress rumours within the Christian camp, and settle disputes among warriors.

18. Knights may help Christians to fulfil their vows to perform pilgrimages.

19. Younger sons or brothers of English and French nobility, with little or no inheritance to hope for, may acquire a spiritual heritage, by joining the Order of the Passion.

20. Knights of the Order may perform pilgrimages on behalf of one of the kings, hindered from fulfilling his vow to make the holy passage.

Philippe then treats of each of these twenty motives for founding the Order at considerable length.¹ For our purpose we shall cover only such items as contain Philippe's more interesting ideas. Eastern Christians, according to our author, are in urgent need of help. He divides them into two groups of which the first comprises Cypriots,

1. ff. 50 r. — 68 r.

Hospitallers, Greeks, and their adherents. These are exposed to continual attacks by the infidel. If they are not soon rescued by their Western brethren, they will certainly be annihilated. Pierre de Lusignan made several attacks on the infidel and gained for Christianity Sathalie (Adalia) in Turkey, Leas (Ayas) in Armenia, Tortosa and Tarabulus in Syria and Alexandria in Egypt. But receiving no aid from his Christian brothers in the West, it proved impossible to retain these cities for Christ. The second group comprises Armenians, Christians of the Levant, Copts, Indians, Nubians, and Ethiopians, all of whom are subject to Saracens, Turks, and Tartars. The urgency of their plight requires the foundation of the new Order of Chivalry to relieve these Eastern Christians from suffering. ¹

Philippe, in expanding the fourth motive, bewails the spread of vice among all classes of Christians. Rulers and princes of the West set out to rescue the Holy Land, but, after a short stay, return home, leaving Eastern Christians in a worse state than they were before. Older orders of knighthood, in Philippe's view, have forgotten their mission. Chastity is not observed in the East and faith is deteriorating. The new Order of the Passion shall prove the remedy. It shall be stationed in the enemy's land, and fight for and conquer territories which will be firmly retained in its hands, and Jerusalem and the Holy Land shall be delivered. ²

As for the schism between the Eastern Church and Rome, the solution is proposed in the fifth motive. If the Order of the Passion be established permanently in the East, leading there a pious life, it will fight courageously, defeat the infidel everywhere, disseminate the Catholic faith, and finally win the admiration of the world. Oriental and schismatic Christians will be enlightened, and eventually embrace Catholicism. ³

The great schism in the Roman Church is the subject of the author's seventh motive. The West is divided into two camps, one supporting Pope Clement,⁴ and the other Boniface.⁵ Each camp has

1. ff. 52 r. — 53 r.

2. ff. 53 r. — 55 r.

3. ff. 55 r. — 56 r.

4. Clement VII of Avignon (1378 — 94).

5. Boniface IX of Rome (1389 — 1404).

arguments to support its own position. Meanwhile the schism has had deplorable consequences. Bloodshed is frequent; bitter hostilities and rancour are undermining the faith. It is therefore Philippe's earnest hope that, by founding the Order, Christians, will rally together under its banner, unite to revivify the memory of the Passion, and deliver the Holy Land.¹

The importance of intelligence operations for the armies of the Cross is stressed by Mézières in his expansion of the fourteenth motive. Christian communities under Muslim rule will supply the Order with information about the infidel's conditions, and the secrets of the sect. Once these data are in the hands of the kings, the task of the conversion of the infidel to Catholicism will be immensely facilitated.²

To ensure victory, Christian armies must be endowed with unity, mutual esteem and obedience. If, however, disputes and quarrels arise, the task of mediation should be undertaken by members of the Order competent to maintain the unity of the crusading forces.³

Philippe concludes his epistle with a long passage in which he states that Virgin Mary will be the Order's mother and protectress, the bright and shining star, guiding the warriors to victory.⁴

b) *Le Prologue de la substance abregie de la sainte Chevalerie de la Passion de Jhesu Crist.*

Philippe here repeats his contention that the loss of Jerusalem and the Holy Land was due to the sins of Christians, and to their ingratitude in face of Christ's Passion. He has worked day and night for fifteen years, to bring about the foundation of the new Order. As a royal messenger of Pierre de Lusignan, King of Cyprus, he paid visits to three popes at Rome, to Emperor Charles⁵ and to other courts of kings and princes on purpose to raise recruits for his master. The outcome of these efforts was the expedition under Lusignan which captured

1. ff. 56 v. — 57 v.

2. ff. 63 v. — 64 r.

3. ff. 66 r. — 67 r.

4. ff. 69 v. — 72 r.

5. Charles IV of Luxemburg (1347 — 78).

Alexandria, 'the Queen of Egypt'. The evacuation of the city in compliance with the counsel of the other leaders, in Philippe's view, was a major act of treason against the Catholic faith. ¹

Our author then relates the assassination of Pierre de Lusignan, his service with the 'Fleurs de Lis', and his retirement to the convent of the Celestines in Paris after Charles V's death.² His hopes were raised anew in his declining years by the rapprochement between Richard of England and Charles of France, and by their mutual efforts to establish peace and to reform not only the Church, but all Christianity.³

Mézières thereafter states in brief that the new Order of the Passion is to represent the four estates of society, so that its reform of Christendom may be comprehensive. These four estates, according to our author, are as follows :—

'L'estat de l'eglise; l'estat de chevalerie; l'estat des nobles non chevaliers et de bourgeoisie'; and finally, 'l'estat de gens de mestier et des labourcurs'.

Priests, canons, and other clergy will be chosen from the first estate to attend to the spiritual welfare of the Order. The prince and the warrior knights will be selected from the second, a number of brothers will represent the third and a number of sergeants the fourth. The Order, thus formed, will be as a mirror reflecting all levels of Christian society, and will revive the memory of the Lord's Passion, liberate Jerusalem, and spread the Catholic faith ⁴.

Philippe then furnishes a list of twenty four officials who, under the chairmanship of a chief, will be the governing body of the Order of Chivalry.⁵ The chief will be called the Prince, and the twenty four officials will form the Quotidian Council. A similar system is to be adopted in the local government of other cities and convents. But

1. ff. 72 r. — 73 r.

2. f. 73 v.

3. ff. 73 v. — 74 v.

4. ff. 74 v. — 75 r.

5. ff. 75 v. — 76 r. The list is repeated on f. 107 v., and the difference between the two is noted in a footnote f. 76 r.

the officials of the central government will be called 'grans'.¹ There will also be five, 'grans presidans honnerables', in remembrance of the five wounds of Our Lord. Then follows a list detailing the other posts in the principal convent².

Each president, or commander of a region will have under his command a number of knights and sergeants in addition to priests and canons.³ A lesser commandant of a castle will have at his disposal six, eight or twelve knights, and a proportionate number of brothers, sergeants and priests; whilst the captain of a fortress will be able to dispose of two or four knights, in addition to a reasonable number of other ranks.⁴

Mézières thereafter provides a list of 58 posts of officials of the rank of 'brother',⁵ and the list is followed by the names of five councils. These may be summarised as follows:—

1. The Quotidian Council — to be composed of twenty four counsellors.

2. The Particular Council—to be composed of some 40 or 50 knights of the Order, i.e. the twenty four of the Quotidian Council in addition to the great presidents and honorary presidents, the ten executives of justice, four commissaries, three or four doctors of Divinity, and Canon and Civil Law.

3. The Great Council—to consist of eighty or a hundred men of the Order, i.e. the forty or fifty of the Particular Council, in addition to forty or fifty brothers and sergeants.

4. The Universal⁶ Chapter — to consist of all the aforementioned numbers, besides the presidents and their deputies from the provinces.

5. The Universal Chapter — to be composed of a thousand knights, and to meet once every four or six years.

1. *loc. cit.*

2. ff. 76 v. — 77 r.

3. f. 77 v.

4. f. 79 r.

5. ff. 79 r. — 80 r.

6. 'Universal' here is a mistake for 'General.' Cf. Ashmole MS. 813, f. 19 v. 2.

Philippe does not state specifically the duties of each Council, except that the Universal Chapter was to reform all the knights and grand officials, and to impose punishment, if necessary, according to the decrees of the Order. The five Councils were to meet under the chairmanship of the Prince, to examine all issues concerning the Order of Chivalry.¹

As regards justice in the Order, Mézières tells us that criminal cases will be judged by a 'grant justicier,' but civil cases will be judged by a 'grant bailli'. A 'potestat' will administer justice in the principal city as well as in every city or castle, to townsmen, foreigners, and the inhabitants of the outskirts of the city.²

A knight will be elected every year in the General Chapter, and is to be called 'Seneatur', and, together with twenty four discreet knights, he is to hold the Chapter in the principal convent in time of war.³ Similarly, a 'Dictateur' will be elected to hold with others the Universal Chapter, every four or six years.⁴

Philippe then deals with education in the Order of Chivalry. Languages in his view are important, since the Order is to be established in the East. Eight languages are to be taught by specialised masters, but he does not say what these languages are. Arrangements are to be made in other convents, similar to those obtaining in the principal convent.⁵

In order to avoid the possibility of a deterioration in the sexual morals of the Order, Philippe would allow its members to take wives. The nature of their various duties in an Eastern climate necessitates this concession which will encourage knights to volunteer in greater numbers, and lead a life of conjugal fidelity.⁶

The Order of the Passion, as our author designs it, is to hold all possessions in common; private ownership is strictly prohibited under penalty of excommunication. Members of the Order are required to attend fully to warfare, and exercise their true chivalry.⁷

1. ff. 80 r. — 81 r.

2. f. 81 r. — v.

3. f. 81 v.

4. loc. cit.

5. f. 82 r.

6. ff. 82 r. — 83 r.

7. f. 83 r. — v.

As for accommodation, Philippe tells us that the Prince of the Order is to take up his residence in the castle of the principal city. Honorary presidents, and the president of the city and principal convent are to reside in the same castle. Each of these presidents is to have, under his command, twenty four knights, twenty four brothers, and fifty sergeants, in addition to a number of squires, servants, etc... The total will be 500 or 600 warriors, prepared for any exigency. The castle itself, as the author instructs us, is to be capable of accommodating one to two thousand warriors.¹

Philippe then adds that there will be a church, a hospital, a baptistery, and other buildings, including a stately palace for entertaining Western rulers, coming to the East for purposes of war or pilgrimage.² The principal convent will contain also three dining halls, wine-cellar, stores, cisterns, mills, baths, and all other facilities for the Order.³ The principal convent, says Philippe, will be the example of the Order's government, and the pattern to be adopted by all presidents in their communities, according to the local possibilities.⁴

Mézières proceeds to deal with the habits and vestments of the Order which, he says, should represent the Passion. Members of the Order are to wear coats girded with red belts, and red caps and mantles of white cloth over the coats. On the front of the mantle there is to be a cross of red cloth or serge, two fingers broad, and of the same length as the mantle.⁵

In a passage on the arms of the Order of Chivalry, Philippe describes the banner, which is to be white in colour with a red cross and a black compass in the middle, representing the agony of the Passion. Inside the black compass, there is to be an 'Agnus Dei' of golden colour, representing the glory of Jesus Christ after the resurrection. The Order should have another more solemn banner to be carried in time of war.⁶

1. ff. 83 v. — 84 r.

2. f. 84 r. — v.

3. ff. 84 v. — 85 r.

4. loc. cit.

5. ff. 85 v. — 86 r. This passage is repeated on ff. 101 v. — 102 r.

6. f. 86 r. This passage is also repeated on f. 102 v.

Philippe then says that, on active service, a knight of the Order is to have under him a fully-armed squire, a valet to carry his lance and helmet, another to carry his trunk, and a third on foot to lead his pack-horse. A brother of the Order is to have three or four horses, and three attendants of whom one or two must be skilled in the arts of war. ¹

Our author then reveals his views of an ideal organization. According to him, all posts are to be allotted by election, and for the duration of one year. Efficiency in the execution of his duty is the only justifiable motive for prolonging an official's term of office. The election of the Prince, of the presidents, and officials is to be carried out in a well-organized, albeit unprecedented manner. All such corrupt practices as simony or favouritism are ruled out. Officials, high and low, are required to give an account of their activities, at least once a year, to the 'commandeurs des comptes' according to a procedure to be clearly set forth in the Rule of the Order. ²

Philippe also suggests that the Order should have its own currency. Coins are to be minted of three metals; the bezant and shakel of gold, the drachma and the sou of silver, and the denier and maille of a third metal which he does not specify. The insignia of the Order are to be shown on these coins in memory of the Passion. ³

Mézières concludes 'La substance abregée' saying that the Order of the Cross, or the 'nouvelle Monarchie ou temps avenir' comprising Christians from all parts of the West, will be competent to conquer the Holy Land, to convert all the regions of the East to the Catholic faith and to revive the memory of the Passion. ⁴ The Order, he continues, will abide by its Rule, 'which will be contained in greater detail in thirty books, and one or two volumes of substantial bulk'. ⁵

1. f. 86 r. — v.

2. ff. 86 v. — 87 v.

3. f. 89 v.

4. f. 90 r. — v.

5. loc. cit. '...laquelle regle en XXX livres et un volume ou II, non pas petit, clerement sera contenue'.

§ 5. LA COPIE DU PROLOGUE DU LIVRE DU
COMMENCEMENT DE LA SAINTE CHEVALERIE DE LA
PASSION DE NOSTRE SEIGNEUR JHESU CRIST.

(ff. 92 r. — 102 v.)

Philippe opens this prologue by saying how necessary it is to explain in detail, to Christians in the West, the organization of the new Order of the Passion, and its objects.¹ He therefore proposes writing five books, the first being a large work in two volumes, one in French and the other in Latin. This work will be entitled the *livre de sainte Regle*, and will comprise thirty books on laws, decrees, and regulations necessary for governing the Order in the East.² It should be kept in the care of the authorities, and is not to be 'trop commun ne demonstre publiquement'.³

The second is a small work in French and in Latin, called *la substance abregie de la Chevalerie de la Passion Jhesu Crist*. This work, is supposed to be the abridgement of the first one, and is to be circulated in the West.⁴

The third is *le livre du Secret de la sainte Chevalerie*. This book, as Philippe says, contains all the particulars of the expenses needed for the Order of Chivalry and the method of raising the funds. Like the first work, *le livre du Secret* should be kept in the care of those who will be the governing body of the Order.⁵

The fourth is another small book containing a summary of *the livre du Secret*. This summary should also be circulated among Catholics.⁶

The fifth book, somewhat larger than the fourth, explains the government, the way of living in common, joining the Order, and states by what principles the behaviour of members during the voyage should

1. These, in sum are; — To call sinners to penitence; to revive the Cult of the Passion; to conquer the Holy Land, and retain it in Christian hands; and to spread the Catholic faith in the East.

2. f. 92 r. — v. f. 'Jaquel livre de sainte Regle nomme et appelle contendra largement XXX livres remplis de diverses matiers, loys, decrez et constitutions tous necessaires...'

3. loc. cit.

4. ff. 92 v. — 93 r.

5. f. 93 r. — v.

6. f. 93 v.

be governed. This book is to be entitled *le livre du Commencement de la sainte Chevalerie*.¹

Then Philippe goes on to propose that the Order of Chivalry is to be assembled from seven nations or 'vij langaiges', and should contain the following numbers :—

1000 knights; 2000 brothers, squires, nobles, merchants, bourgeois, and others of the habit of the Order; 6000 sergeants, arbalisters, archers, warriors, and others of the habit of the Order; 4000 squires and men-at-arms not of the habit of the Order; 6000 'gros varlez' provided with coats (of mail ?) and helmets; 2000 'varlez' in similar armour.

The total number of the Order in the first passage is twenty one thousand². To this number Philippe adds 10,000 warriors of the fleet, making the total 31,000.³

Now our author deals with the financial matters of the organization. Each member of the Order, knights, brothers, and sergeants, has to pay money into the treasury of the Order for food, clothing and arms. These contributions vary in proportion to the knight's fortune, and according to the number of people in his service, and the number of horses at his disposal. Any member may join the Order for three or five years. Thus a knight with three horses, two 'gros varlez', and a 'varlet a pie', pays for the period of three years, the sum of 500—700 francs.⁴ If the period of service be five years, the knight pays 600—1000 francs.⁵

Mézières's calculation of the income to the treasury is based on the supposition that half the number of each category will be well-off, and the other half poor. So the thousand knights will pay their contributions on the following basis, for the period of three years :—

1. ff. 93 v. — 94 v.

2. ff. 94 v. — 95 r.

3. f. 99 r.

4. f. 95 v.

5. loc. cit.

500 — each pays 700 francs	=	350,000
500 — each pays 500 francs	=	250,000
		600,000

Two thousand brothers will pay for the period of three years :—

1000 — each pays 400 francs	=	400,000
1000 — each pays 300 francs	=	300,000
		700,000

Six thousand sergeants etc. will pay for the period of three years :—

3000 — each pays 150 francs	=	450,000
3000 — each pays 100 francs	=	300,000
		750,000

Four thousand squires etc. will pay for the period of three years :—

1000 — each pays 400 francs	=	400,000
1000 — each pays 300 francs	=	300,000
2000 — each pays 200 francs	=	400,000
		1,100,000

Two thousand 'varlez' etc. will pay for the period of three years: —

2000 — each pays 100 francs	=	200,000
-----------------------------	---	---------

The total will be 3,350,000 francs, ducats, or florins. ¹

The other six thousand 'gros varlez' equipped with mailcoats and helmets, will be provided for by their masters.

It is to be noted. Philippe states, that the funds gathered to cover the expenses of the Order, during the period of three or five years, are not to be spent before arriving in the East. ²

1. f. 96 v.; cf. also ff. 104 — 105 r.

2. f. 97 r. — v.

The expedition should embark on vessels of different kinds and sizes. Their numbers estimated by Mézières should be as follows :—

30 'galees armez'; 50 'thaffloresses armez'; 20 'lins armez'; 50 'huissiers armez'; 15 'pansres sanz rimee', and 120 'navires grosses et moyennes'.¹ This fleet will serve to transport 21,000 men in addition to 10,000 marines. All these will be ready to disembark on the enemy's coast in the face of hostile resistance.²

The expenditure estimated by Philippe will amount to 500,000 ducats or florins for the fleet; and 1,200,000 ducats or florins will be spent on food, provisions, arms, and all other necessities for the Army of the Cross. The total expenditure amounts to 1,700,000 ducats or florins, and the remainder therefore is 1,650,000. This sum of money is to last the Order of Chivalry for three years in the East.³

§ 6. UNE BRIEFVE RECAPITULACION DU NOMBRE
DES COMBATANS DE LA SAINTE CHEVALERIE... ETC.,
ET DU TRESOR EN GROS ET DES FINANCES QUI DOIVENT
ESTRE PAIEES. (ff. 103 r. — 112 r.)

In this brief recapitulation, Mézières repeats again the numbers of the knights and warriors required to begin the holy war, and the respective amounts of money to be paid by those who assume the habit, and those who do not do so. The total, which has been aforementioned, will amount to 3,350,000 francs, ducats, or florins.⁴

He further proposes that, as the Order will be composed of seven 'langaiges', its Prince should be annually elected from each nation in turn, so that all nations will be represented once in a seven-year cycle.⁵

The remainder of Philippe's recapitulation is a mere repetition of previous statements on matters pertaining to the organization of the Order. Indeed, the only official, who has not heretofore been mentioned,

1. f. 99 r.

2. f. 99 v.

3. f. 100 r. — v.

4. ff. 103 r. — 107 r.; *vide supra*, pp. 23, 24.

5. f. 107 r.

is 'le grant centurion', This official is to have under him 100 knights, 200 brothers, and 400 sergeants. He is empowered to send aid, in case of emergency, to the great presidents of regions and cities etc...¹

§ 7. CE SONT LES CHEVALIERS ET AUTRES BIENEUREUX
EN DIEU, AUSQUELX LA NOUVELLE CHEVALERIE DE
LA PASSION JHESU CRIST A ESTE REVELEE PAR UNE
POVRE CREATURE PREMIERE MESSAGIERE A LA
CRESTIENTE DE LA CHEVALERIE... (ff. 112 v. --- 114 v.)

In these last two folios Mézières provides us with a list of the adherents of the Order.² The list begins with the four 'Messages' who were the first to adopt his idea of founding the Order. From 1390 to 1395, they undertook the task of preaching the said Order in several countries in the West.³ They succeeded in winning over some who promised to become knights of the Order, and others who promised to support it. Although the list is impressive,⁴ it does not include more than sixty names of the former,⁵ and twenty-seven of the latter.⁶

At this stage, and before we resume our study of the other documents, we may pause for a moment to consider some of the points which have so far presented themselves. To begin with, it is clear that the first part of the MS. (ff. 1-43) is a new addition which bears a certain resemblance in its theme to the introductory part of the *Songe du vieil pelerin*, rather than to any part of the two redactions of 1368 and 1384. The remainder of the MS. (ff. 44 - 114) comprises several chapters, parts of which are repeated in one chapter or another. For instance, the two passages on the 'habits' and the 'arms' of the Order, which

1. f. 108 r.

2. This list has been published by Molinier, *op. cit.*, pp. 362-4, and is available in an abbreviated form in Atiya's *Crusade of Nicopolis*, Appendix II, pp. 133-5.

3. f. 112 v.

4. Among those who promised to become knights were the Duke of Bourbon, the Marshal Boucicaut, and the Admiral Jean de Vienne, in France; the Duke of York and his son, the Count of Rutland, and the Count of Northumberland, in England.

5. ff. 113 r. — 114 r.

6. f. 114 r. — v.

are given in the 'Substance abregie',¹ are repeated in the 'Copie du prologue du livre du Commencement'². Furthermore, the fact, that the MS. was written by several scribes,³ gives the impression that it was meant to be a kind of collection composed by some members of the Convent of the Celestines, where Philippe de Mézières spent the last twenty five years of his life. If this be the case, we must ask the question: Was there an original draft made by the hands of Philippe himself? Could that original have been the tattered book which the 'viciil escripvain' was carrying?⁴

In chapter 5 'La Copie du prologue du livre du Commencement.'⁵ Mézières, as we have seen, expresses his intention of writing a large *Book* in two volumes, one in French and the other in Latin. This *Book* was to contain thirty 'livres' covering matters relevant to the organization of the Order, and therefore to be entitled the 'livre de sainte Regle'.⁶ He did not refer to the rubrics of the thirty *Books* which he wrote in Latin in the second redaction of 1384;⁷ nor do we find any reference to a French translation. This latter fact might be taken as evidence that he did not write this *Book*. In any case, the rubrics of the thirty 'livres' may be considered as the plan of such a work, but circumstances must have prevented Philippe from realising his intentions.

Our author did however write the second book which still exists and which is supposed to be the abridgement of the first one.⁸ This was done in two forms. The first—*La substance de la Chevalerie de la Passion de Jhesu Crist en Francoiis*—constitutes Ashmole MS. 813. The second is *La substance abreegee de la Chevalerie.. etc.*, contained in the middle part of the Arsenal MS.⁹ The substance of both is identical.

-
1. ff. 85 v. — 86 v.
 2. ff. 101 v. — 102 v.; vide supra, p. 20, and notes.
 3. Vide supra, p. 3.
 4. ff. 8 v. — 9 r.; vide supra, p. 9.
 5. ff. 92 r. — 102 v.; vide supra, p. 22.
 6. f. 92 r. — v.; vide supra, p. 22, n. 1.
 7. Maz. MS. ff. 54 r. — 123.
 8. ff. 92 v. — 93 r.
 9. ff. 44 v. — 91 v.; vide supra, p. 12 et seq.

apart from few exceptions which will be discussed later. Philippe did not, so far as we know, translate this 'Substance' into Latin, or, if he did, it is not extant.

The third *Book* which was to be called—*Le livre du Secret... qui contient les finances et tresor... et ce que chascun doit paier en commun*,—¹ may never have been written, and, even if it were, is no longer extant. It is true that the information embodied in ff. 94 v. — 100 v., in regard to the number of men required by the Order in its first passage, their contribution to the common treasury, and the number and kind of vessels needed for the Order's transportation,² falls in with the kind of information one would expect in the 'livre du Secret', or its abridgement.³ But could one call those seven folios a book?

Philippe's fourth *Book* was to be a slim volume in the form of a 'quayer' containing an abridgement of the 'livre du Secret.' This 'quayer', together with the 'Substance abreegee' of the Rule, as Philippe suggests, was to be circulated among Catholics.⁴ We know that Mézières had sent the 'Substance' of the Rule to England, as we shall see, but we are unaware of the existence of a similar book on the 'Substance du livre du Secret.'

The fifth *Book*, which Philippe tells us will be entitled 'le livre du Commencement',⁵ most probably was not written. The copy of its prologue has been given us, yet the contents differ from what one would expect.⁶

* * *

The second of our sources to be treated here is 'La substance de la Chevalerie de la Passion de Jhesu Crist en Francois', Ashmole MS. 813. This manuscript is almost identical with the middle part (ff. 44 v. — 91 v.) of the Arsenal MS. 2251. A comparison of the two reveals the following:—

-
1. f. 93 r. — v.; vide supra, p. 22.
 2. Vide supra, pp. 23 — 25.
 3. f. 93 v.
 4. loc. cit.
 5. ff. 93 v. — 94 v.; vide supra, pp. 22 — 23.

1. Several passages in the Arsenal MS. are wanting in the Ashmole, viz., ff. 58 v. — 62 v., ff. 68 v. — 69 v., and ff. 73 v. — 79 r. The first passage is omitted from Ashmole MS., between ff. 11 v. 2 and 12 r. 1; the second, between ff. 15 v. 2 and 16 r. 1; and the third, between ff. 18 v. 2 and 19 r. 1. On the other hand, ff. 28 r. 1 — 32 r. of the Ashmole is omitted from the Arsenal.

The passages omitted from Ashmole MS. comprise some of the motives for the creation of the Order (from the middle of the eighth to the middle of the twelfth), part of a passage concluding his motives, and part of his prologue, together with the names of the knights and other officials of the Chivalry of the Passion.

The passage omitted from the Arsenal MS. contains a series of battles where former crusaders, vastly outnumbered, nevertheless defeated large Muslim armies. Philippe's stated reason for writing this passage is to revive the Christians' former prowess.¹ This is followed by a passage on the crusades of Frederick Barbarossa and St. Louis which met with disaster, and our author's views as to the causes of their failure². Then Philippe gives us his written reply to those Christians who might oppose launching another crusade. The MS. closes with 'L'oroison briefve', and an 'Oratio' in Latin.³

2. Apart from variations in orthography in the same word, there are words and phrases which are found in one manuscript, and not in the other.⁴ In other cases, words or phrases are substituted in place of others.⁵ Numbers, also, are frequently different.⁶

1. Ashmole MS. 813, ff. 28 r. 1 — 29 r. 1.

2. *ibid.*, f. 29 r. 1 — 29 v.

3. *ibid.*, f. 32 r. — v.

4. E.g. cf. Ars., f. 50 v., 'trop plus les cuers que ne font les paroles.', Ash. f. 6 r. 2, 'trop plus les cuers que les paroles.'

5. E.g. cf. Ars. f. 46 r., 'plus ardamment de estre en la cuisine.', Ash. f. 3 r. 2, 'plus ardamment demourer en la cuisine.'

6. E.g. cf. Ars. f. 58 v., 'a son premier passage aura environ dix mille.', Ash. f. 11 v. 2, 'a son premier passage aura lxx ou lxxx mille.'

MS. Ashmole 813 has been reproduced in its entirety in a 17th century MS.,¹ conserved in the Bodleian (from f. 389 to f. 465), and the six pictures representing the costume of the Order of the Passion have been copied in ink in the transcription on ff. 377 — 387.²

Examination of this MS. reveals that the passages omitted from Ash. 813 are also omitted from it. Ashmole himself realised that there were certain lacunae in the MS. from which he was copying. For in Ash. 865, at f. 415 r. which corresponds to the end of f. 11 v. in Ash. 813, he has written in the margin — 'here should have come in several leaves which are wanting in ye originall 12.21'. At f. 425 (Ash. 813, ff. 15 v. — 16 r.) Ashmole has left suspension points, with a marginal annotation to the effect — 'that which is here wanting seems to be some quantity being lost from the original 16.' Although Ashmole failed to spot the gap at f. 18 v., it seems certain that the leaves representing the three lacunae previously referred to were lost prior, not posterior, to the time when Ashmole had the MS. copied, circa 1672.

* * *

We come now to the third document of the sources, the 'Nova Religio Militie Passionis..' Bibliothèque Maz. MS. 1943.³ But before we seek to establish a connection between the three documents, we ought to bear in mind that Mézières wrote these treatises on the same subject, at different stages of his life. Contents of the three redactions, therefore, are bound to contain repetition. Some of his ideas remain the same, while others may be changed or expanded according to the development of events, or as a result of wider experience. The *Prince* of the Order, for example, was to be someone probably like Pierre de Lusignan, and when the latter was assassinated, the *Prince* was to be elected by the Order and could be deposed by the General Council.⁴ Again, the *Prince* in the last redaction was to be elected from among the seven 'langaiges' from which the Order was to be formed.⁵ In the first redaction, the *Prince* was to have twelve knights

1. Vide supra, p. 4.

2. I have not seen the original MS. 865. The information used here has been kindly supplied by the Assistant Librarian of the Bodleian Library at Oxford.

3. Vide supra, pp. 1 — 3.

4. cf. Maz. MS. f. 6 v. 2, et *ibid.*, f. 97 r.

5. Ara MS., f. 107 r.; vide supra, p. 25.

to assist him whereas the number was doubled in the second and third redactions.¹

We purpose now to analyse briefly the contents of the Maz MS., and to compare it with the Arsenal version.

§ 1. PREFACIO SEU QUODDAM COMPENDIUM REGULE
MILITARIS PASSIONIS JHESU CRISTI. (ff. 1 r. — 15 v.)

This preface contains the rubrics of ten chapters designed by Philippe to remind Christians of their ingratitude to God, and to urge them to amend their lives by following the example to be set by the Order of the Passion. Then he speaks of the formation of the Order, of its habits and vestments, of the *Prince*, of the officials in control of the administration, of the names of their posts, and of the clergy who were to attend to the spiritual welfare of the Order. He tells us that members of the Order are to observe vows of poverty, conjugal fidelity, and obedience and to aim at the highest degree of perfection. The Virgin will be the supreme protectress of the Order, which represents the Passion of our Lord.²

Mézières then summarises the mission of the Order and the aims it sets itself in five points : —

1. Sinners, men-at-arms, companies, and landless younger sons will achieve salvation by joining the Order and having their energies redirected into proper channels.

2. Being self-disciplined, the Order will be sufficiently powerful to overthrow tyrants and suppress rebels who disturb the peace of God's Church.

3. The wisdom, experience, and capacities of the Order will serve to bring the Greek schismatics within the fold of the Catholic Church.

4. It will combat infidelity and fight the Turks, who are already approaching the gates of Catholic Europe.

1. First redaction, Maz. MS. f. 7 v.; second redaction, *ibid.*, f. 54 r. 1 — v. 1; third redaction, Ars. MS. f. 75 v.; *vide infra*, p. 32.

2. f. 1 r. 1 — 2.

5. The ultimate goal is the redemption of Israel, the deliverance of Jerusalem and the Holy Land from the hands of 'the enemy, and the dissemination of Catholicism in the East. ¹

In expanding the rubrics of the ten chapters, Philippe explains, in his exposition of the third, that the Order is to be formed from the four estates of society, namely :—

'Status sacerdotalis; status militaris; status civilis; and status laboratorum. ² This chapter has been maintained in his third redaction, which we may regard as a French translation of the Latin ³. In his seventh chapter he states that the *Princeps* is to be assisted in governing the Order, by ten knights and two consuls. These are to be called :— ⁴

*Arsenal version.*⁵

Magnus connestabulus.	Le grant constable.
Magnus cancellarius.	Le grant chancelier.
Magnus marescallus.	Le grant mareschal.
Magnus admiratus.	Le grant amiral.
Magnus thesaurarius.	Le grant tresorier.
Magnus provisor.	Le grant proviseur.
Magnus advocatus.	Le grant advocat.
Magnus procurator.	Le grant procureur.
Magnus moderator.	Les deux grans moderateurs.
Magnus justiciarius.	Le grant justicier.
Duo magni consules.	Les deux grans consuls.
	Le grant promoteur de la divine pitie.
	Les deux grans protecteurs.
	Les deux presidans d'onneur.
	Les deux venerables anciens.
	Le vis chancelier.
	Le presidant de la cite et principal convent.
	Les deux grans referendures.

1. f. 1 r. 2 — v. 1 — 2.

2. ff. 4 v. — 5 r.

3. Ars. MS. ff. 74 v. — 75 v. ; vide supra, p. 17.

4. Maz. MS. f. 7 v.

5. Ars. MS. ff. 75 v. — 76 r.; vide supra, p. 17, n. 5.

These two lists of posts of officials are those of the first and third redactions; but whereas the former gives twelve, the latter gives twenty-four.

The preface is concluded with the tenth 'capitulum' on the Virgin, who will be the Supreme Protectress of the Order.¹ This chapter is much longer than corresponding passages which come at the end of the epistle in both Ars. and Ash. MSS.² The beginning and end in the French version may be called a paraphrase, while the middle part has been curtailed. In order to show how close the resemblance is, we shall here collate the Latin text with a parallel extract from the French :—

'Cum enim in ista sancta religione, secundum apostulum, fundamentum aliud nemo potest ponere praeter id quod positum est quoddam est Christus Ihesus et memoriae suae Passionis. Dignum videtur ymo per necessarium ut illa quae ab initio et ante secula creata se nominat...'³

French : 'Comme il soit ainsi, selonc le dit de l'apostre Saint Pol, (que) en ceste sainte Chevalerie de la Passion Ihesu Crist nulz homs vivant ne peut mettre autre fundement que celui qui est ja mis, lequel fundement est Ihesu Crist et la memoire de la sainte amere Passion, pour ce il est chose digne et convenable et tresnecessaire que ceste dame, qui en la Sainte Escripture se dit estre creee pardurablement et devant tous les siegles, c'est la douce Vierge Marie, royne de misericorde, soit prise et esleue...'⁴

§ 2. EPISTOLA IN PREFACIONE REGULE MILITARIS PASSIONIS JHESU CHRISTI, DE MOTIVIS CLARE CONCLUDENTIBUS SANCTAM MILICIAM PASSIONIS JHESU CHRISTI HODIE IN ECCLESIA DEI ET IN CONVENTU CHRISTICOLARUM MAXIME AD PARTES ORIENTALES FORE NECESSARIAM, ... (ff. 16 r. 1 — 23 r. 2.)

This chapter comprises the epistle (ff. 16 r. 1 -- 17 v. 2), the rubrics or chapter headings of six motives Philippe adduces for founding his

1. ff. 10 r. 2 — 15 v. 2.

2. Ars. MS. ff. 69 v. — 72 r. and Ash. MS. ff. 16 r. — 17 v.; vide supra, p. 16.

3. Maz. MS. f. 10 r. 2.

4. Ars. MS. f. 69 v.

Order (ff. 17 v. 2—18 r. 1), and the expansion thereof. (ff. 18 r.—23 r. 2). The epistle is identical with the French version in both Ars. and Ash. MSS.¹ But the French version is preceded by a short prologue in which Philippe mentions Richard II of England (1377—1399) and Charles VI of France (1380—1422).² The rubrics and their expansion correspond to the first six of the twenty motives in the French MSS.³ The French version of the rubrics may be safely called a translation or paraphrase of the Latin,⁴ while their expansion is more or less modified.⁵

§ 3. DE HABITU ET VESTIMENTIS RELIGIOSORUM AC IPSORUM UXORUM. (ff. 24 r. — 44 r.1)

Philippe deals at great length in this chapter with the habits and vestments of the *Prince*, the knights, the brothers and sergeants of the Order. Minute details are also given of the habits of the clergy and those of the wives of the Order's members. These details are repeated in the form of rubrics only in the second redaction⁶; but the short passage on habits in the third redaction⁷ does not correspond to these rubrics.

1. Ars ff. 44 r. — 47 v.; Ash. ff. 2 r. — 4 r.

2. Vide supra, pp. 23—4.

3. Rubrics : Ars. ff. 47 v. — 48 r.; Ash. f. 4 r. 2 — v.1; et supra p. 25; expansion : Ars. ff. 50 r. — 56 v.; Ash. ff. 6 r. 1 — 10 v. 1.

4. E.g. Maz. f. 17 v.2 : *Prima causa est ut Christiani universaliter procertim seculares exemplo nove et inaudite devocionis in lucem producte a Deo moveantur peccata sua dimittere et in melius electorum vitam emendare*. Ars. f. 47 v. : *La première cause que cest Chevalerie soit necessaire, c'est assavoir que par l'exemple d'une si nouvelle et si solennelle devocion les crestiens et par especial les hommes d'armes soient esmeuz de laisser leurs pechiez et de leur vie amender*.

5. E.g. fourth motive : Maz. ff. 20 v.2—21 r. 1; cf. Ars. ff. 53. r.—54 r. and Ash. ff. 8 v. 2—9 r. 1, and sixth motive : Maz. f. 22 v. 1—23 r. 2; cf. Ars. f. 56 v. and Ash. f. 10 r. 2.

6. Actually the Max. MS. (secundus liber, f. 58 r. 1 — v. 2.) contains most of the headings of the present chapter.

7. Ars. ff. 85 v. — 86 r. and repetition on ff. 101 v. — 102 r.; Ash. f. 23 r. 2—v. 2; vide supra p. 20.

§ 4. PROLOGUS REGULE MILITARIS SEU MILICIE
PASSIONIS IHESU CHRISTI. (ff. 45 r. — 50 v. 1.)

Here Philippe reviews his earlier career :— his departure for the East, his deep regret at abandoning Alexandria, his relationship with Charles V who died in 1380; his withdrawal thereafter from the world to the mountain of the Celestines where God inspired him in 1384 with two new tables containing at great length the laws and decrees of the Order of the Passion, which he offered to the knights of the Cross.¹

These two new tables, Philippe adds, are the present prologue and the 'Regula' of the Order. Containing so many and diverse laws and regulations, the *Rule* has been divided into thirty books according to subject-matter, and each book has itself been subdivided into chapter headings. Mézières' stated reason for so doing is that the *Rule* may be read, understood, and observed to the letter. He expresses his earnest wish that the Virgin should be the advocate of the Order of the Passion.² Finally Philippe urges the Knights of the Crucifix to observe the *Rule* in its entirety, including the provision for conjugal fidelity, never to allow avarice and pride to overcome their observance of its code, and to guard against the temptation of fraternising with foreign or schismatic women. If they fulfil these vows, Christ will be the enemy of their enemies, and will concede them unprecedented victories, so that every Eastern land 'your foot treads on will be yours and God will multiply your seed and your subjects as many as the stars in the sky which are impossible to count.'³ Philippe in the end suggests that the new Order should be called the 'Orientalis Monarchia militum Passionis Ihesu Christi.'⁴

It is evident from the contents of this prologue that it does not correspond to the prologue of the Arsenal MS., nor can it be regarded as a translation, or even a paraphrase⁵. It is true that the salient features of Philippe de Mézières' life are there, just as they are present

1. ff. 45 r. — 46 v.

2. f. 49 r. 1 — v. 2.

3. f. 50 r. 1.

4. loc. cit.

5. Vide supra, p. 6, and notes.

in the 'declamacion' and the 'prologue' of the third redaction.¹ And since there is a lacuna in the Ash. MS. in the middle of the prologue between ff. 18 v. 2 — 19 r. 1, it cannot be said, as Jorga alleges,² that this MS. contains a French translation of the prologue of the Mazarine MS.

§ 5. TITULI LIBRORUM REGULE MILITARIS SEU MILICIE
PASSIONIS IHESU CRISTI. (ff. 51 r. — 53 v. 1)

Philippe furnishes us in this chapter with the titles of thirty books into which he has divided the Rule of the Order of the Passion. The titles are given here in an abbreviated form which may serve our purpose. These titles are :—

- Book I. Of the names of posts to be filled by knights, clergy, brothers, and sergeants.
- Book II. Of the habits and vestments of the prince, the patriarch, archbishops, bishops and knights, and those of their wives.
- Book III. Of the divine Cult of the Passion.
- Book IV. Of the office and authority of the patriarch, and the rest of his ecclesiastical staff.
- Book V. Of hospitality and hospitals, and of charity in the Order.³
- Book VI. Of the duties and powers of the prince and of the other members of the Order, and of the appointments of presidents and officials, knights and brothers, etc...
- Book VII. Of ecclesiastical and military judges, and of judicial officers of the Order.
- Book VIII. Of councils and chapters, and of convening them.

1. Ars. MS., 'Une declamacion'.. ff. 7 — 43 et vide supra, pp. 9 — 12; for the 'prologue', Ars. ff. 72. r. — 91 v. et vide supra, pp. 16 — 17.

2. Jorga; op. cit., pp. 347—8 n. 3; vide supra, p. 6.

3. Maz. MS., f. 51 r. 1 — 2.

- Book IX. Of dining-halls and other buildings for the accommodation of the knights of the Order.
- Book X. Of holy war and how the prince and the presidents of the Order are to go to war.
- Book XI. Of the various kinds of arms, and of the standards and banners of the Order.
- Book XII. Of tents and war-machines of various kinds.
- Book XIII. Of the four sins, and their grades.
- Book XIV. Of decrees and regulations, and of their strict obedience.
- Book XV. Of justice, civil and criminal.
- Book XVI. Of the election of the prince, patriarch, archbishops, bishops, and other high officials.
- Book XVII. Of the reception of Catholics, clergy as well as knights, in the Order.
- Book XVIII. Of the regulations of the Order embodied in the present Rule, and of those to be made in future. ¹
- Book XIX. Of money, weights, and measures of the Order.
- Book XX. Of the numerous schools teaching various subjects, and of their teachers and doctors.
- Book XXI. Of wives, widows, sons, and daughters, of members of the Order.
- Book XXII. Of the reception of Western rulers and magnates coming to the East for purposes of pilgrimage or war.
- Book XXIII. Of quarrels and disputes between members of the Order, and how to settle them.
- Book XXIV. Of the importance of unity and harmony in the Order, and of the prompt remedy for any controversy arising among its members.

1. *ibid.*, ff. 51 r. 2—52 v. 1.

- Book XXV. Of general reform and how it is to be carried out.
- Book XXVI. Of the construction of churches, a palace for the prince, cities, castles and habitations for members of the Order.
- Book XXVII. Of the maintaining of apostolic, imperial and royal prerogatives, and of recording the names of benefactors giving possessions and grants to the Order.¹
- Book XXVIII. Of the distribution of food, clothes, arms, horses and other requirements among members of the Order.
- Book XXIX. Of avoiding sins and embracing virtues.
- Book XXX. Of the moral and spiritual reward offered by God to knights, joining the Order of the Passion.²

§ 6. RUBRICE (CHAPTER HEADINGS OF THE THIRTY BOOKS) ff. 54 r. — 123.

This chapter constitutes the greater part of the Maz. MS. and is closely connected with the previous one. Here we are provided with the headings of each of the thirty books of the Rule which Philippe intended to expand later,³ but probably never did.

The first book has been divided into seven chapters, and each chapter into rubrics.⁴ It contains some five lists in which Philippe details the hierarchy of the Order. The first and third lists are of posts to be filled by knights, the second by the clergy, the fourth by 'brothers' and the last by sergeants. The first, third and fourth correspond to a large extent to parallel lists in the Arsenal MS.⁵ The

1. ff. 52 v. 1 — 53 r. 2.

2. f. 53 r. 2 — 53 v. 1.

3. f. 54 v. 2^o, 'prout in regula dæclarabitur'; cf. also such phrases in the Ars. MS. (f. 87 v.) as 'selonc ce que en la regle plus clerement sera determine'.

4. ff. 54 r. — 57 v. 1.

5. ff. 54 r. 1 — v. 1, 55 r. 1, 55 v. 2 — 56 r. 2; cf. Ars. MS. ff. 75 v. — 76 r., 77 r. — v., 79 r. — 80 r. et supra, pp. 17 — 18, 32.

second comprises the posts of the clergy, namely :— the patriarch, archbishops, bishops, archdeacons, deans, vicars, and others, who are to look after the spiritual welfare of the Order.¹ In the fifth list, Mézières enumerates the posts of chief artisans, overseers, and wardens, namely :— ‘Magister carpentarius, magister cementarius, magister fabricator armorum, magister ferrifaber, director bovum, custos cisternarum and custodes frumenti et ceterorum granorum etc...’²

The second book dealing with habits and vestments embodies, as has been said,³ only the rubrics of the third chapter⁴ in the present MS. The third book is consecrated to ecclesiastical matters such as the Cult of the Passion, funeral processions, hours of prayers and the service to be conducted in the churches of the Order.⁵ The direction of the religious affairs in the Chivalry by the patriarch and his staff is the subject of the fourth book.⁶ The chapter general of the clergy is to convene once a year in the principal convent, under the chairmanship of the patriarch, and in the presence of the prince. In the fifth book,⁷ we are told that a hospital for the sick, and a home for widows and orphans are to be built in every city and castle. The prince’s wife (the princess), and the wives of presidents and great officials are to nurse the sick and comfort them. In the sixth book, Philippe deals with the duties of each member in the organisation of the Chivalry⁸. Among other duties, the prince is to rule, to receive pilgrims and guests, to watch over the conduct of all members of the organisation, and to see that peace and harmony prevail among them. The great constable is to take the place of the prince in his absence. The main duty of the great moderator is to maintain friendship and love among the Chivalry. The great ‘provisor’

1. Maz. MS. f. 54 v. 2.

2. ff. 56 v. — 57 r. 1.

3. vide supra, p. 34, n. 7.

4. ff. 24 r.1 — 44 r.

5. ff. 59 r. 1 — 62 v.

6. f. 63 r. 1 — v. 1.

7. ff. 64 r.1 — 65 r. 2.

8. ff. 66 r.1 — 69 v.1.

is concerned with the food-supplies of the Order.¹ The great bailiff is to administer justice in the principal convent, and the other bailiffs in other convents, but civil and criminal cases are to be tried by the great judge. Further, a doctor in law, or a master in theology, and an educated knight are to be chosen to write the chronicle of the Order.

In the tenth book, Mézières speaks of discipline in the army, of obedience to superiors, of war-machines, and of standards and standard-bearers. Spoils should be gathered, and distributed among all warriors of the Order. Prisoners of war are to be treated with compassion by the Chivalry of the Cross.²

The next important book on our author's list and the last we are to deal with, is the twentieth.³ Here he enumerates the various schools for teaching the different branches of knowledge known to his generation. His plan of ideal education in the Order is that schools should be under the direction of a head-master. Children are to start their education at the age of five or six. To realize uniformity in the Order, they are to learn how to speak Latin, and to study its grammatical rules. Philippe also speaks of a school where boys are to learn 'Caldeicam seu Arrabicam vel Sarracenicam', and of other schools teaching the Tartar, the Greek and the Armenian languages. Mézières' plan includes other schools for teaching the art of music, writing, liberal arts, Civil and Canon Laws, and the Holy Scripture. Philippe points out that the same chain of schools, or at least a great part of it, is to be founded in other cities and castles of the new Order of the Passion.

This chapter, needless to say, bears no resemblance to any part of the French MSS., with the exception of the lists indicated above. But we must admit that Mézières' fundamental ideas remain very often the same; the rubrics of a book are compressed into a short paragraph in the Ars. and Ash. MSS⁴.

1. f. 67 r. 2 — v. f. 'De potestate et statu magno provisoris... et qualiter vigilanti oculo ... a longe studere debeat cum effectu de provisione victualium.' Dr. Atiya's statement that the 'provisor' is 'presumably for educational purposes' is erroneous. See 'The Crusade in the Later Middle Ages', p. 142 n. 2.

2. ff. 78 r. 1 — 81 r.

3. ff. 103 r. 1 — 104 r. 1.

4. E.g. Book V on hospitality and hospitals etc., cf. Maz. ff. 64 r. f — 65 r. 2, and Ars. f. 84 r., Ash. f. 22 r. 2 — v. 1; Book IX on dining-halls and meals, Maz. ff. 75 r. 1 — 77 v., Ars. f. 85 r., Ash. 22 v. 2 — 23 r. 1; Book XIX on money etc., Maz. 102 r. 1 — v. 2, Ars. 89 v., Ash. 26 v. 1; Book XX on schools and education etc., Maz. 103 r. 1 — 104 r. 1, Ars. 82 r., Ash. 20 v. 2.

CONCLUSIONS

Philippe de Mézières' life has been briefly reviewed in Part I of this article. Here in Part II the three documents pertaining to his new Order of Chivalry have been scrutinized and the relationship of the manuscripts to one another has been duly established. It remains to say that Philippe's intention to enlarge the rubrics of the thirty books is evident from such remarks as 'will be clearly determined in the Rule'.¹ The fact that he had completed his third redaction before the battle of Nicopolis took place in Sept. 1396 is shown from the absence of any mention of its result. From all accounts,² the Western knights committed the same faults and follies despite his several appeals that they should amend their lives. Did the failure of the Crusade of Nicopolis make Philippe see the futility of writing the Rule? Did he discern with his shrewd eye that the Holy War at the end of the 14th century was practicable no more?

A full transcription of the Ashmole MS. 813 and of the Arsenal MS. 2251 will be published as Part III and Part IV of this study³. The transcription of the Mazarine MS. 1943, I hope, will be ready for publication soon. The photostatic copy of a few leaves from the first two manuscripts will be published as an illustration.

1. *Vide supra*, p. 38 n. 3.

2. For the description of the battle of Nicopolis, see Atiya 'The Crusade, of Nicopolis', London, 1934, pp. 82 - 97; Runciman (S.) 'A History of the Crusades, vol. III, Cambridge, 1954, pp. 457 - 61.

3. I should like to acknowledge here my infinite debt to Professor G. W. Coopland and Miss G. Winter for the help and encouragement they offered me in transcribing the aforementioned French MSS.

PHILIPPE DE MEZIERES
AND
THE NEW ORDER OF THE PASSION

By

AEDEL HAMID HAMDY

PART III.

Transcription of the Ashmole MS. 813.

LA SUSTANCE DE LA CHEVALERIE DE LA PASSION
DE JHESU CRIST EN FRANCOIS

2. r. 1.

L'epistre en la priefation de la regie de la Chevalerie de la Passion Jhesu Crist, c'estassavoir des motifs et raisons clerement demontrans que ceste nouvelle Chevalerie de la Passion Jhesu Crist, en l'eglise de Dieu et ou convent des crestiens, aujourdul est expediente mais tres necessaire; c'estassavoir en substance pour la redemption de la sainte cite de Jherusalem et de la Terre Sainte, pour la multiplication et defention de la sainte foy catholique, pour raffressir et renouveler la pitense memoire de la Passion du doulz Jhesu Crist entre les crestiens, ausi comme ja oublice, et pour mander ceste noble chevalerie outre mer devant les tresdebonnaires princes Charle et Richart, roys de France et d'Engleterre, par la grace de Dieu faisans le saint passage, comme une bonne fourriere; et la par ladite Chevalerie aparellier la voie du seigneur avec saint Jehan Baptiste, c'estassavoir devant les roys, en prenant places convenables pour la venue des roys en la terre des anemis de la foy et la attendre les roys, en combatant vaillamment, et commencer la sainte bataille de Dieu. Tout ce soit fait par la bonte de Dieu/

2. r. 2.

et par l'ordenance et sage determination des tresdebonnaires roys, instituant et creans de novel ceste sainte Chevalerie avec la confirmation et

benediction de notre tressaint pere le pape de Rome, vicair de Jhesu Crist.

L'EPISTRE

A tous loiaux crestiens catholiques, presens et avenir, desirans a veoir la biaute de la maison de Dieu qui est en Jherusalem et le saint lieu de l'abitation de la gloire en laquelle Dieu vult souffrir mort amere pour la redemption du monde : Vostre zelateur et amoureux en Dieu. Phelippe de Maisieres, indigne chancelier d'un petit royaume de Chipre, jadis apele; la delivrance de la maison de Dieu, la redemption du saint lieu et la prostration ou conversion des anemis de la foy par vous soit faite ou pourchasie, ou nom de nostre seigneur Jhesu Crist.

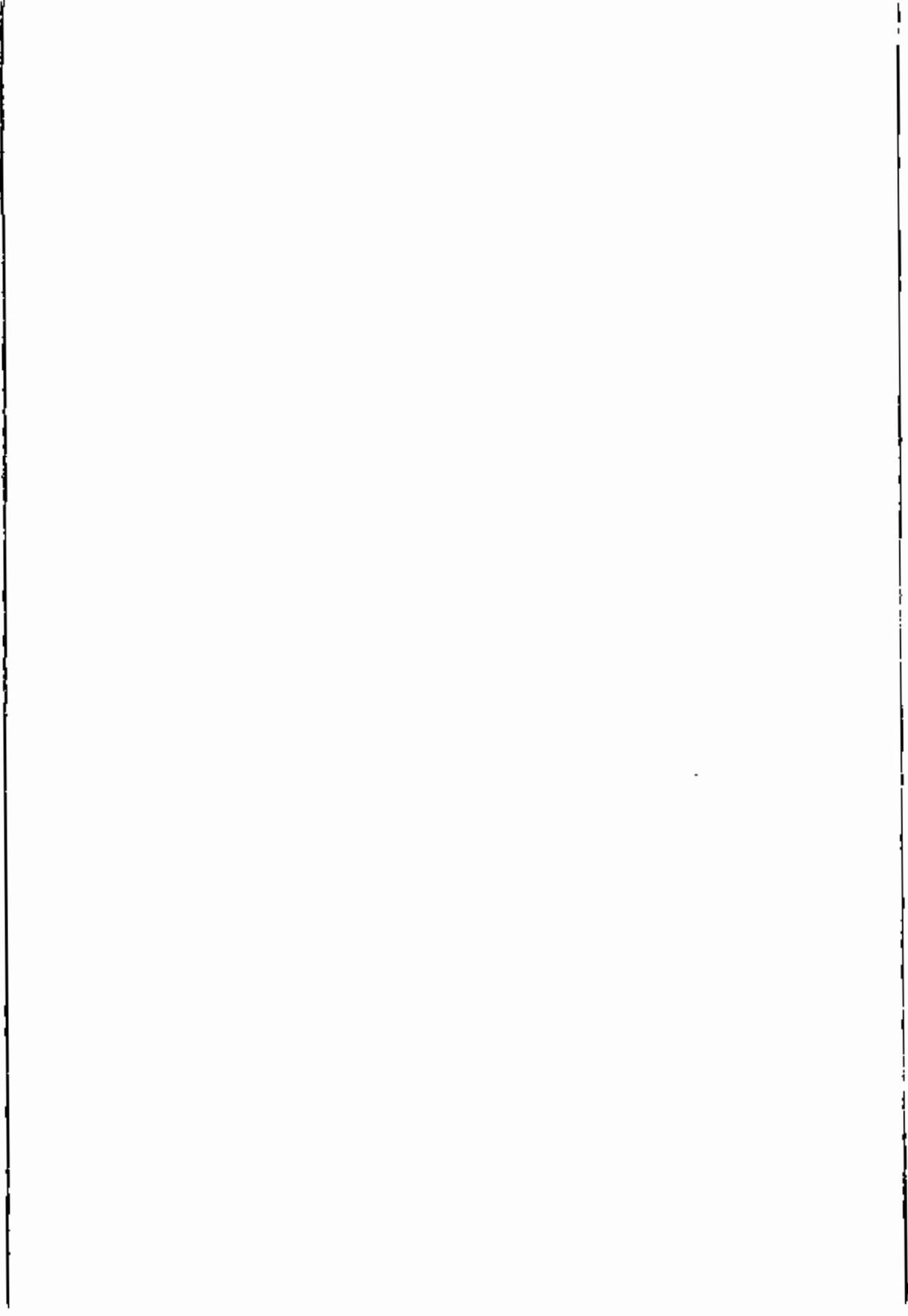
Il est chose manifeste comment grant temps ha trois grans pechies principaux entre les crestiens ont pris grant signourie, c'estassavoir, orguel avarice et luxure; car, selonc/

2. v. 1.

le dit de saint Jehan l'Evangeliste, tout ce qui est en ce monde ou c'est temptation et concupiscence de la char, ou concupiscence des yeux, ou vie orgueilleuse, par lequelz trois grans pechies, entre les autres et sur les autres inconveniens et orribles pechies, s'en sont esleves, et regnent aujourdui et peu s'en faut qu'il n'aient soullie et mis a nient toute la masse et le bien de la chevalerie crestiene. Par le premier pechie, c'estassavoir par orguel, et sa fille ainsee, qui est appelee ingratitude, le premier inconvenient s'en est ensivy, c'estassavoir que la Passion de Nostre Seigneur Jhesu Crist des cuers des crestiens est aussi comme mise en oubli, aussi comme se de sa Passion n'eust riens este. Et se peut dire, et non sans larmes, que le pris de si precieux sanc, pour nous expandu, les crestiens l'ont jecte aussi comme derriere leur dos et ne leur en souvient, nez qu'il fait a un hoste d'un pelerin trespassant qu'il n'a veu que une foyz, petitement considerans en leur pensee la tresgrant charite et amour non parelle, par laquelle nostre souverain évesque, Jhesu Crist, nous a daignie amer; loquel, par grant compassion qu'il avoit de nostre soif et secheresse ou lieu desert appelle Alhedemach, /

2. v. 2.

du fust de la croiz feri la pierre angulaire qui est Jhesu Crist, et lors sourdi une fontaine remplie d'abundance d'iaue et de sanc du coste dextre de Nostre Seigneur Dieu, Jhesu Crist; laquelle fontaine il nous offri



piteusement, pour retraindre l'ardeur de nostre soif a redemption des crestiens et les mener a vie pardurable. De ceste ingratitude on n'en porroit trop dire, car elle est ja, helas, partout enracinee.

Or venons au second inconvenient, c'estassavoir avarice, de laquelle le prophete Jeremie dit en lamentant que tous estudiant en avarice, voire grans, petis et moins; c'estassavoir du prestre jusques au prophete, tous s'estudiant a avarice. Et pour ce, disoit Saint Pol l'apostre, que le service d'avarice est servitude d'idoles, il s'ensuit donques que puis que noz crestiens ont servi et serve (n) t a avarice, selonc le dit de l'apostre il peuvent estre dit ydolastres, en laissant le vray Dieu des vertuz, nostre douz sauveur Jhesu Crist, qui dit en l'evangile que nulz ne puet bien servir a ii seigneur (s), en disant a chascun : La ou est ton tresor, la se treuve ton cuer. Et pleust a Dieu que noz crestiens catholiques eussent aussi grant cure et diligence de servir loiaument a leur Createur et de essauchier et accroistre la sainte foy catho- /

3. r. 1.

lique, en vengant la grant honte de Dieu qui en Jherusalem toujours croist, sicomme il ont de faire grans tresors et de la garde d'iceulz, lesquels seront mençie de vers.

Quant au tierce vice, c'estassavoir luxure, et l'inconvenient qui s'ensieut entre les crestiens, que s'en dira? Il seroit plus expedient de plore que de parler. Et est vraysemblable et grant doute que Dieu pour la pueur de ce pechie, si grant et si commun, ne se courrouse et die de rechief : Il me poise que je fis onques l'omme, et que pour ce vil pechie, avec lez autres sustouchiez, que la crestiente ne soit aussi comme destruite. Helas, cestui pechie anciennement se faisoit a honte et a vergoingne, mais aujourdui les plus grans et moins si s'en vantent, especialment es parties d'occident, la ou lez hommes sont fors de corps, de richesses et bien experts en bataille, voire pour destruire leurs freres crestiens et non pas les amis de la foy. Il font souvent guerre pour le pechie de luxure et destruisent l'un l'autre pour accomplir leurs folz delis charnelz, dont il sont devenus delicatis, glous et aussi comme tous effemines, comme il appert par la diversite et abhominacion de leurs habis et robes, devant Dieu deshonestes. Et sont devenus pececeux et remis /

3. r. 2.

d'empresendre la sainte bataille de Dieu. Et pour les pechies dessusdis noz chevaliers d'occident, hardis entre lez dames, helas, ont perdu

l'amour et charite de Dieu et de la foy. Si est chose bien digne qu'il soient banis et boute hors de la sainte cite de Jherusalem et de la Terre Sainte. Helas, il ont trop riex ame et desire plus ardamment demourer en la cuisine et pres de la char, vivant delicieusement ou pays d'Egipte es parties d'occident, en servant au roy Pharaon, qu'il n'ont une estre repeu et saoule de la manne du ciel et que de soy avancier d'aler et parvenir a la Sainte Terre de Promission et netoier et purgir lez saints lieux de nostre redemption, en excersant leur vraie chevalerie au service du douz Jhesu Crist. Pour laquelle deffaute, helas, Jherusalem est destruite et arses ses cites; gent estrange ont devource nostre region et propre heritage, acquis par le precieux sanc de l'Aiglelet ochis. Les crestiens l'ont abandonnee et loisee as mescreans Sarrasins; ses murs sont trebuchies et ses portes sont destruites, et ne se treuve qui li faice confort. Pour les pechiez des crestiens Jherusalem est oprimee et agravee d'amere douleur par/

3. v. 1.

l'oppression du tresfaux Mahommet.

Qui est celuy donques qui le cuer ait si dur comme pierre et ne soit amolie en plourant a grans larmes, oiant le deshonneur et vitupere si grant de toute la crestiente ? Pour extirper donques par la bonte de Dieu lez vices devantdis et reparer en bien les iii pechiez mortoux et les grans inconveniens qui s'en sont ensivis, par lez entraillez de la misericorde de nostre seigneur Dieu Jhesu Crist, et par la vertu de sa sainte Passion, avec l'intercession debonnaire de la tresdouce Vierge Marie, nostre sainte Chevalerie de la Passion Jhesu Crist sera produite et eslevee en lumiere. Et contre le pechie d'orguel et de sa fille, ingratitude, la sainte Chevalerie, bien garnie et targie de l'escu de la foy, en resistant combatera par vraie obedience et vraie humilite, en representant comme nouvelle entre lez crestiens, par vraie compassion, la souffrance du douz Jhesu crucifie, qui longuement a este comme en oubli et en petite reverence, en renouvelant aussi le pris de nostre redemption par le moien de larmes piteuses et des pechiez aucune satisfaction. Et ainsi par la grace de Dieu en/

3. v. 2.

notre Chevalerie, qui sera un biau miroir de toute la crestiente, sera mise a nient la male ingratitude et son pere de vent tout boussouffle.

Quant est au pechie de luxure et de ses inconveniens deshonestes, nostre sainte Chevalerie, bien arnee du haubert de justice et du hyaume de salut, bien fermee par l'ancre de vraie esperance en sobresse et a temp-

rance de tout delit charnel, de perresse, de mollesse et de negligence purgie par la bonte de Dieu. se trouvera aussi comme resussitez. Et en vivant saintement en chastete conjugale, toujours armee des armes de la sainte vraie crois et de la Passion Jhesu Crist, vaillaument resistera en Dieu a la male beste luxure, qui tout le monde assaut. Et benoit seront nos chevaliers qui ne chairont point en ses las.

Et quant au pechie d'avarice, qui est rachine et fondement de tous vices et destruction de la sainte foy catholique, nostre benoite Chevalerie de la Passion Jhesu Crist, armee et embrasee du fu ardent de charite de doulz Jhesu, et de povrete d'esprit saintement aournee, par la vertu de son fondement, c'est de la Passion du doulz Aignelet ochis, en conquistant la Terre Sainte merveilleusement d'une nouvelle lumiere enlumnera la/

4. r. 1.

sainte cite de Jherusalem, militant et les regions non tant seulement d'orient mais d'austre, ou midi, de septent (r)ion et de toute occident, voire d'une flambe de charite et d'amour tresperchant; en rappelant doucement par l'exemple d'un si gracieux miroir les pecheurs de toutes pars, et singulièrement les gens d'armes, a la bataille de Dieu et a douce et honorable penitance. Mais aussi par la tresgrant chalour et oudour du fu de charite et de dilection de nostre Chevalerie, par vray exemple espars par tout le monde, lequel fu, selonc la sainte escripture, est Dieu, voire consummant et anichillant, non tant seulement avarice et convoitise, laquelle selonc le dit de l'apostre saint Pol aucuns desirerent et errerent en la foy, mais tous les autres vices et pechiez enviellis par la mistere de la Passion Jhesu Crist, et nouvelle et devote renovation et raffressissement d'icelle, du tout en tout seront consummes et extirpes. et par consequant lez amemis de la foy a celle sainte Chevalerie ne pourront resister. Et ainsi, non tant seulement la sainte cite de Jherusalem et la Terre Sainte par la bonte et Dieu sera delivree, mais la foy catholique es parties d'orient et partout sera de nouvel resussitez, essaucie et en Dieu multipliee, voire ceste nouvelle et gracieuse Chevalerie du Crucifix en vertu de la foy combatant et glorieusement /

4. r. 2.

triumphant; laquelle chose Dieu par sa grace nous veulle otroier et ma viellesse eslecchier.

Pour conclusion donques de cest epistre, il se peut dire que ceste congregation de si noble chevalerie est expediente aujourdui, mais

tresnecessaire, en l'eglise de Dieu et ou convent des crestiens catholiques, voire pour la reformation de la religion crestienne et singulièrement es parties d'orient, sicomme il pourra apparoir plus clerement es chapitres cy dessoubz desclairies.

Les rubriques des causes pour lesquelles ceste Chevalerie de la Passion Jhesu Crist est necessaire, voire le tamps du jourduy mauvais et perilleus considere et le monde qui fort va a declin.

La premiere cause que ceste Chevalerie soit necessaire, c'est assavoir afin que par l'exemple d'une si nouvelle et si solempnele devotion les crestiens, et par especial lez hommes d'armes, soient esmeu de laisser leur pechies et de leur vie amander.

La seconde cause, c'est assavoir que par l'exemple de ceste sainte Chevalerie /

4. v. 1.

entre les crestiens par une nouvelle compassion soit rafreschie et renouvellee la Passion de Nostre Seigneur Jhesu Crist.

La tierce cause de la necessite de ceste noble Chevalerie, c'est assavoir que par luy soit mande le secours prumptement as crestiens d'orient qui en ont grant mestier.

La quarte cause de l'institution de nostre Chevalerie, voire principale, si est a ce que par ladite Chevalerie la Terre Sainte soit acquise et delivree de la main des anemis de la foy et, acquise en la foy, fermement retenue.

La quinte cause de la necessite et du bien qui pourra avenir de ceste sainte Chevalerie, c'est assavoir afin que par elle la sainte foy catholique par tout es regions d'orient soit multipliee.

La sixime cause de nostre Chevalerie, c'est assavoir pour resister, s'il sera besoing, a ceulz qui partourbent la foy catholique et l'eglise de Romme, si comme as hereges, tirans et scismatiques, dessa la demourans.

La septisme cause peut estre dite, c'est assavoir que nostre sainte Chevalerie en son chemin, passant par Ytalie, par aventure pourra estre necessaire sur le fait de la division et scisme de l'eglise, en querant et trovant /

4. v. 2.

aucun bon tractie sans effusion de sanc; a ce que l'eglise de Dieu, espouse de Jhesu Crist, divisee et tourblee, par la misericorde de Dieu soit ramenee a un seul et vray pastour dez ames; voire le roy de France et d'Engleterre ce procurant et ceste legation a ladite Chevalerie commettant.

La vilissime cause de l'institution de ceste sainte Chevalerie et de sa necessite puet estre dite, c'estassavoir que se la pais ferme une foy soit mandee du ciel, laquelle Dieu veuille oitroier, entre les roys de France et d'Engleterre, ceste Chevalerie sera necessaire pour aler devant les rois comme noble et puissant fourriere en la terre d'oultre mer et la fichier son pie et prendre terre vaillaument, en attendant les rois qui vendront au saint passage.

La neufvisme cause, c'estassavoir quant par la bonte de Dieu les roys a tout leur grant host seront descendu en la terre des anemis de la foy et chevauceront, ceste sainte Chevalerie, pour la garde et tuicion des personnes des roys et de tout l'ost des crestiens, aura toujours l'avant-garde; et certains vaillans chevaliers, esleus d'icelle Chevalerie, seront ordenes au frain dez dessusdis roys, et, outre ce, ladite Chevalerie aura toujours l'arrieregarde, afin que destroy en l'ost du Crucifix ne prengue signourie./

5. r. 1.

La disime cause, etc., c'estassavoir que as gens d'armes et de pie sans nombre, qui vendront en l'ost dez roys a leurs propres despens et sans maistres ou seigneurs et sans regle, lezquelz aucunesfoys vaudront es batailles, follement par culz emprises, faire leur volente, errans parmy l'ost comme ouelles sans pastour, par ceste sainte Chevalerie soient regulee et adrecie a ce qu'il auront a faire, et non destourber l'ost de Dieu par telle maniere de gens desregulee.

L'onzisme cause, etc., c'estassavoir quant aucunes fois es grans batailles dez roys et dez princes encontre lez anemis de la foy, par la permission divine lez victoires ne vendront pas toujours a souhait, ceste sainte Chevalerie, a la lettre regulee et experie en fait d'armes et en tous perils, aura souverainement et diligamment la cure possible des mors et des navres, afin qu'il ne doient pas demourer en la main des anemis, en confusion de la sainte foy catholique.

La dousime cause, etc., c'estassavoir que quant lez nobles et vaillans roys en la terre dez anemis de la foy seront en leur host hors de forteresse, leurs personnes soient gardees et de jours et de nuit par les plus vaillans chevaliers esleus de nostre sainte Chevalerie.

La tresime cause, etc., c'estassavoir/

5. r. 2.

quant par lez roys vaillaument combatans aucunes cites perilleuses ou forteresses seront prises et acquises et dangereuses a garder, par la sainte Chevalerie, apparellie a tous perils, pour la garde d'icelles a ce, sans arest, soit pourveu.

La quatorzime cause, etc., c'estassavoir que par la vigilant diligence et caute et subtile discipline de guerre de nostre Chevalerie, ses espies veillans et non dormans, lez roys, a toutes heures, de l'estat et secrets des anemis de la foy, comme il sera possible, soient garnis et enfourmes.

La quinsime cause, etc., c'estassavoir se par la bonte de Dieu il se pourra trouver aucun bon et honnorable tractie, a l'onneur de la foy, entre lez roys et lez anemis de la foy, le prince de la Chevalerie, en personne ou par sez sages et esleus chevaliers de la Chevalerie, sans faligation ou repos en ce se doit travailler par toutes manieres que faire se pourra, voire la majeste royale tousjours commandant et ordenant.

La sesime cause, etc., c'estassavoir quant les roys seront en l'ost du Crucifix enemy les champs encontre lez anemis a aucun siege, nostre sainte Chevalerie par l'ordenance roiale par certains vaillans chevaliers en quantite raisonnable de la chevalerie fera humblement/

5. v. 1.

visiter le gait de l'ost des roys et le gait des engiens a certaines heures de la nuit, en eulz doucement reconfortant de diligamment veillier, et en aucunement l'ost des espies dez anemis et faux crestiens, qui volentiers vont de nuit.

La disoceptisme cause, etc., c'estassavoir quant en l'ost des roys catholiques, l'anemi de l'umaine nature procurant, aucuns rumours, debas ou dissensions sourdront ou seront taillie de sourdre, comme il est bien a coustume es grans host, qui aucunsfois sont pas bien regule, tel

cas avenant, le prince de la Chevalerie du Crucifix, en personne ou par ses grans officiaux, selonc l'estat et dignite dez personnes esquelles sera le debat, se travaillera a son plain pooir d'estaindre lesdis debas, en ramenant lez personnes contrarians a bonne amour et charite, voire la Passion du doulz Jhesu moinec.

La diswitisime cause, etc., c'estassavoir que lez crestiens dez parties d'occident, qui aueront voue ou entretendent a vouer, ou leurs peres et parens, d'aler outre mer ou saint passage, dezquelz parens il aueront la succession temporele ou esperituele, ou par aventure seront obligie en aucune maniere ou saint passage d'outre mer telz genz devo-

5. v. 2.

tement et saintement en la compagnie de ceste sainte Chevalerie pourront bien acomplir leurs veus, debtes et promesses, voire l'eglise dispensant.

La disneufvisime cause, etc., c'estassavoir que les mainsnes filz dez freres dez noblez hommes de France, d'Engleterre et d'ailleurs, qui ont petite ou aucunesfoys nulle portion des heritages de leur pere, pourront servir a ladite Chevalerie et s'il se porteront bien, il aqusteront noble heritage.

La virtusime cause, etc., c'estassavoir que se par la permission divine lez roys seront destourbes, que ja n'aviegne, de tost faire le saint passage que pour satisfaire a Dieu dez veus et obligations de leurs grans peres touchans au saint passage, il doient mander oultre mer sans arceit ceste sainte Chevalerie. Et tout ce qui est dit es chapitres dessus que ladite Chevalerie devoit faire touchant les personnes des roys, elle le fera a la personne du prince de la Chevalerie et dez presidens en l'absence des roys.

Les motifs cy-dessus proposes asses briefment desclairies, au lisant clerement apparera que ceste sainte Chevalerie de la Passion Jhesu Crist en la crestiente d'orient doit estre ordene de pure necessite./

6. r. 1.

Quant a la prumie cause que ceste Chevalerie soit necessaire, c'estassavoir afin que par l'exemple d'une si nouvelle et si solempnele devotion lez crestiens soient esmeu de laisser leurs pechiez et de leur vie amender. Sans grans auctorites de l'escripture aleguer pour cause de briefte, mais vraisambablement demoustrant, il est asses congneu en

tous lez estas et degres des crestiens comment, helas, Dieu n'est ames ne doubtes comme il deust, ne le proisme aussi n'est ames. Par le premier pechie les crestiens sont devenus ingras et obstines, dont la sainte escripture dit que le mauvais qui se plonge ou parfent dez pechiez, chiet en contempr et en obstination. Par le secont pechie, c'est assavoir pou d'amour du proisme, lez crestiens, trop plus que autrefois, en nostre temps sont devenus orgueilleux, avarecieux, luxurieux et impaciens, et n'acontent riens au bien de leurs freres crestiens, sicomme par experience chascun le peut voir. Et, que pis est, aujourdui nus ne veut estre repris ne chastiez de ses deffaultes. Comme il soit ainsi douques que au malade il est expedient de donner douces chosez avec la medicine, comme il fu dit en la prefacion de ceste regle, a nostre propos il est expedient de presenter /

6. r. 2.

a nos crestiens aujourduy, et especialment a seculers et laie gent, aucun douz electuaire nouvel et delicatif par maniere de medicine, pour garir les des pechiez dessusdit et que du bon fusicien il ne soient pas abandonee. Car, selonc l'escripture saint Jerome tesmognant, les exemples meuvent trop plus lez cuers que les paroles.

Quant par la bonte de Dieu nostre sainte Chevalerie sera composee d'une gracieuse multitude des esleus de Dieu, chevaliers et autres combatans de la Chevalerie, et elle vivra virtueusement en delaisant lez pechiez acoustumes et en la vraie foy catholique, vaillaument courra sus et envaira lez anemis du douz Jhesu Crist. Lors se renouvellera en Dieu, comme l'aigle se rajovenist, la josnesse et vaillance de nostre Chevalerie, doz grans pechiez convertie. Et lors par l'exemple de si grant fait et nouvelle devotion, autrefois non auye, les crestiens de toutes pars, orans ce et ferus de l'amour de Dieu, doucement, raisonnablement, ou il enteront sans nombre en ladite Chevalerie ou les autres amenderont leur vie. Quel merveille ! Car il verront la Chevalerie du Crucifix large, honeste et honnorable entre toute la chevalerie du monde, voire /

6. v. 1.

fondee saintement en la Passion du douz Aiglelet ochis.

En laquelle Chevalerie chascun chevalier et combatant aura sa femme legitime en procreant sainte lignie a Dieu. Et si auront souffissamment vivres et toutes necessites sans grant sollicitude. Et, que plus est, nos chevaliers et combatans de la sainte Chevalerie ne doubteront pas que apres leur mort en Jhesu Crist, leurs femmes et enfans soient

mendier ne devenir povre; car nostre sainte Chevalerie aura la cure trespecialle, et autrefois non auye, de la sustentation dez dites veuves et orphelins de la sainte Chevalerie, sicomme en la regle clouement apparera. Par l'exemple donques d'une si nouvelle et meritoire devotion, plusieurs crestiens en chacun degre et estat vraisemblablement enterront en la sainte Chevalerie, et les autres par l'exemple d'iceulz leur vie amenderont.

Et par ce que dit est, se peut dire que ladite Chevalerie est bien necessaire. Et ce souffice de ce present chapitre.

A la seconde cause, c'estassavoir que par l'exemple de ceste sainte Chevalerie la Passion de Jhesu Crist entre lez crestiens par une nouvelle compassion soit raffressie et renouvellee : Na-/

6. v. 2.

turolement et selonc les philosophes moraux, chacun seif desire estre afranchis. Et quant il est afranchis, il aime celuy qui de servage l'a delivre; il l'a en douce memoire en grant reverence et toutes lez foys que li souvient de sa liberte il a joie parfaite, car c'est chose naturelle et morale.

Le lion sauvage qui par le glorieux saint Jerome fu delivre de l'espine de son pis et gari, reconnoissant le benefice devint prive et demoura au monastier ou service dez moines, aussi comme en regrant de sa delivrance. Les crestiens devant l'avenement de Jhesu Crist estoient tous serfs et en corps et en ame; en corps servans as ydoles et as hommes paicns, en l'ame il servoient au dyable et, pour guetredon du service, il lez convenoit tous aler en la chartre d'enfer. Mais a la venue et Passion du doulz Jhesu, lez hommes ont est rachate de la servitude susdite, et sont delivres les crestiens en la liberte des filz de Dieu, selonc ce que nous dit l'apostre saint Pol. Aucunefois, dist il, vous fustes tenebres, mais a present vous estes devenus lumiere en Dieu; c'estassavoir par sa sainte Passion.

Quant donques le convent dez crestiens verra ceste Chevalerie, fondee et affermee en la liberation de la Pas-/

7. r. 1.

soin de Nostre Seigneur Jhesu Crist, et merveilleusement (et) devotement, autrefois non auye, ceste Chevalerie en cuer, en parole et en euvre, en lumiere de toute gent, la liberation dez crestiens, en regrant doucement chantera comme une gracieuse melodie et jusques a la mort liement ladite

liberation, c'est la sainte Passion du douz Jhesu, renouvelera, il s'ensievrera que une nouvelle lumiere se trouvera estre mise en ce monde, non pas soubz le muyrussie, mais sur un chandeler, rendant clere lumiere a tous ceulz qui en la maison de Dieu habitent. Et que plus est, en ceste sainte lumiere lez crestiens seront enlumines de 'nouvel, recongnosissans leurs tenebres passees en rejetant arriere l'ingratitude maldite. Et diront lors a Dieu en grant joie avec le prophete : Biau Sire, Dieu, en ta (grace) sainte lumiere en grant joie nous nous sommes trouves, par ta grace de cy en avant en ladite lumiere nous adreceurons nos pas chascun jour, c'estassavoir ta sainte et amere Passion recongnosissans, renouvelans, regracians, et tes sains lieux de Jherusalem rachater desirans.

Et ce souffice de ce present chapitre.

La tierce cause de la necessite de ceste sainte Chevalerie est que/

7. r. 2.

par luy soit mande le secours prumptement as crestiens d'orient qui en ont grant mestier. Il est assavoir qu'il a deux generacions de crestiens es parties d'orient qui ont grant mestier de secours; l'une c'estassavoir qui par lez anemis de la foy jour et nuit sont envais et combatus, sicomme lez Cypriens, lez Hospitaliers, les Gre (c) s et leurs adherans. Et se par leurs freres crestiens des parties d'occident il n'aeront tost secours, il se peut dire certainement qu'il seront destruis et le nom de Dieu deffacie et oublie des parties susdites, comme il appert a grant confusion de la foy es empires et roiaumes d'Armenie, de Trepesonde, de Constantinoble, de Boulguerie, de Rasse et ja en une partie de Hongguerie, toutes subjectes as anemis de la foy, qui est et doit estre grant vergoingne a tous les grans princes catholiques.

Le tresvaillant et, en poissance de subjes, petit roy catholique, Pierre de Lizignen, roy de Cypre et de Jherusalem, avec sa petite famille de son royaume de Cypre, acompaignies d'aucuns Hospitaliers et d'aucuns chevaliers et escuiers des parties d'occident, quant de sa part vaillaument combati lez anemis de la foy, et li donna Dieu victoire de prendre par bataille/

7. v. 1.

les cites cy-dessus recitees, c'est assavoir Sathalie en Turquie, Leas en Armenie, Tourcouse et Triple en Surie, Alixandre en Egipte et plusieurs chastiaux fors es dites regions, il exposa sa personne, son royaume et sez amis a la sainte bataille de Dieu et non pas contre crestiens.

Il fit tout ce qu'il pooit, et trop plus qu'il ne pooit, mais de ses freres crestiens et parens d'occident onques secours il ne pot avoir, afin que lesdites cites il peut garnir et retenir a la sainte foy catholite (sic), qui est en grant dolour d'avoir perdu si grant commencement de conquerre la Sainte Terre de Promission.

L'autre generation des crestiens d'orient, c'estassavoir les Armens, les Grecs, les crestiens de la Chainture, les Nothorins, les Jacopins, les Georgiens, les Marouins, les Caplins, les Indiens, Nubiens et Ethiopiens, toutes ces generations de crestiens a grant dolour meurent en vivant soubz le treuage dez Sarrasins, Turcs, Tartres et autres enemis de la foy.

Aucune gens porroient dire que ces crestiens cy-dessus recites sont pou en nombre. Certainement il sont innumerable, espars par les regions d'oultre mer en la valee de larmes, batus et flagelles, en l'ombre de mort./

7. v. 2.

seans. Et pour aucun confort dient l'un a l'autre, helas ! verrons nous ja les jours desirables que nos freres crestiens d'occident, poissans en armes, en multitude de peuple et de vaillant chevalerie, a grosses batailles au service de Dieu viennent par dessa pour nostre delivrance. Helas, s'il fuissent bien enforme de nostre necessite, il n'eussent pas tant attendu.

Oui est celui catholique crestien qui a la poitrine ferree et le cuer dur comme pierre, qui ne soit esmeus a pitie et profondement larmoier oiant la dolour et affliction de noz freres crestiens et le vitupere de la foy catholique. L'apostre saint Pol dit que nous sommes tous freres en Jhesu Crist. Il s'ensuit donques que a nos freres susdis en telle necessite nous devons aidier et souvenir et vaillamment les secourre a present, voire par ceste sainte Chevalerie de la Passion Jhesu Crist qui sera avironnee, garnie et aournee d'une multitude de noble chevalerie, en Dieu regule et tresgracieusement armee des armes du doulz Aignelet ocis, voire preste et apparellie en la vertu de Dieu de trespercier les murs des anemis de la foy, en secourant a noz freres crestiens.

Et se souffice de ce present chapitre. /

8. r. 1.

La quarte cause de l'institution de nostre Chevalerie, voire principale, si est a ce que par ladite Chevalerie la Terre Sainte soit

delivree de la main as enemis de la foy et, acquise en la foy, fermement retenue, qui est chose tresnecessaire, car pou pourfiteroit l'acquisition d'icelle se prumierement n'est ordene de sa ferme retention.

Il est manifest a tous ceulz qui appellent le nom de Dieu la tres-grant honte et vergoingne de toute la chevalerie crestienne, c'estassavoit que Jherusalem la sainte cite est deserte et ses portes sont ases en feu. La chose publique des crestiens, helas, est transportee en la main des mescreans et enemis de la foy. Et parlant par maniere de lamentation, pleust a Dieu que le tresvaillant prince Cypion Africain, ardent zelateur de la chose publique des Rommains, aujourduy fust resussiter, afin qu'il peust racheter a l'espee la chose publique des crestiens. Et ce soit dite, non pas sans larmes, a la vergoingne des grans princes d'occident qui sont poissans a ce faire.

Que est donques l'omme mortel qui peust ymaginer ne par langue exprimer ne descripte et noter en ceste matere le grant vitupere et vergoingne de tous lez crestiens. et par especial dez princes catholiques ! Et pour ce/

8. r. 2.

a grant douleur de reciter je m'en passeray brievement, car il me souvient que en un petit volume, intitule *La Lamentation de Jherusalem*, de la negligence des crestiens je en ay escript assay largement.

Il se peut dire que se nous fuissimes vray et loial crestiens, nous contribueriesmes l'un avec l'autre et de nos biens une petite partie, ou la disme de la disime, ou nos personnes a Dieu offerriesmes, pour la redemption d'Israel; et diligamment volleriesmes et ne souffreriesmes pas la maison de nostre Dieu par ses enemis estre ainsi parforce et mal menes. Certainement il se peut dire avec le prophete : Il n'est qui face bien, il n'est jusques a un, tous se sont declines a sivre leurs concupiscences, leurs volentes et leurs grans vanities. Nostre Seigneur Dieu, Jhesu Crist, en l'evangile des grans princes catholiques fait mention disant que aucun d'iceulz a achete une ville, l'autre v. paire de deus et l'autre de nouvel a espouse femme; et pour ce il sont fort occupes et s'excusent de venir a la cene en Jherusalem du doulz Aignelet sans teeche.

Il est expedient donques de mander devant nostre sainte Chevalerie pour la redemption de la Terre Sainte, en attendant les grans princes de la crestiente quant il se seront/

8. v. 1.

bien avise, et que nostre sainte Chevalerie, bien regulee, soit souffisant et poissant par l'aide du douz Jhesu Crist pour conquerre et netoier le Temple de Dieu et les sains lieux de Jherusalem. Nostre Seigneur Dieu, par son prophete Helie, nous offre grant aide, disant : J'ay reserve a moy en Israel vij^m hommes eleus qui n'ont point le genoul ploie devant le dieu Baal. De ces vij^m chevaliers, esleus entre les crestiens par la bonte de Dieu, se fera nostre saint Chevalerie, laquelle avec son prince, en rafrescissant et reconnoissant la Passion de Jhesu Crist, garnie de la sainte vraie croiz, les portes des anemis de la foy destruira et les verrous de fer esracera, comme David le dit ou Psautier. Je croy fermement que l'aide de Dieu est grande. Il souffist a nostre Chevalerie les vij^m dessusdis a nous offers de Dieu, c'est assavoir d'Israel, de toute la crestiente. Quel merveille! Car la force et la victoire vient du ciel. Un de nos chevaliers mil Turs et Tartres enchassant poursievra. et deux x^m Sarrasins.

Aucuns pourroient dire autrefois et plusieurs la Terre Sainte a este conquese des crestiens, et toutefois peu de temps elle a este retenue a la foy crestienne, et samble fort chose a aucuns de pooir longuement/

8. v. 2.

retenir ladicte Sainte Terre par lez crestiens, voire la grant puissance des anemis de la foy et l'instabilite des catholiques d'occident consideres. A ce se peut respondre que, quant la Terre Sainte fu darrainement conquese ou temps du tresvaillant duc Godefroy de Buillon et apres, la terre se tint vaillaument et tant que lez roys, princes et peuples catholiques amerent Dieu, tindrent justice et furent obediens a discipline de vraie chevalerie; et demoura la sainte cite de Jerusalem en la main des crestiens environ cent ans. Mais quant orguel et envie, avarice et luxure entre les crestiens d'orient reprirent leur signourie, et la chose publique de ladicte crestiente fu ja devisee en parties, et que les princes, en multipliant leurs signouries s'estudioient plus au bien particulier que au bien commun de la crestiente, et qu'il devindrent delicatis, effeminez et en leur bouche non gardans verite, lors les divisions sourdoient entre les princes seculers, gent d'eglise et commun, sicomme plus clerement appert ou livre de la conquese et de la perte de la Sainte Terre. Lors Jherusalem fu perdue et, environ aprez cent ans, tout le royaume de Jherusalem et la Terre de Promission. Quel merveille! Car quant lez roys et graus princes d'occident passoient outre mer pour/

9. r. 1.

le secours de la Terre Sainte, il demouroient pau de lamps et puis si s'enportoient et laissoient aucunesfoys la povre crestiente d'orient en pieur estat que quant il y arriverent a consolation des anemis de la foy et desolation de la povre crestiente.

Pour remedier donques a l'inconvenient cy-dessus recite, et a tous autres, nostre sainte Chevalerie de la Passion Jhesu Crist, par la bonte de Dieu sera formee en la terre des anemis de la foy et non pas en terre des crestiens ne es illes de mer. En orient demourera en combatant, les terres conquestera et tout ce qui sera acquis fermement retendra jusques a la mort, sans jamais retourner es parties d'occident pour posseder priouries ou commanderies ou autres possessions donnees a la sainte Chevalerie. Et sera ostee de nostre sainte Chevalerie toute maniere d'occasion de posseder et de tenir propre.

Encores pourroient aucuns dire que entre les crestiens et en l'eglise de Dieu ha autres Chevaleries de combatans encontro les amemis de la foy, sicomme les Hospitaliers es parties d'orient, et pour ce on se pourroit bien passer de ceste nouvelle Chevalerie. A ce se peut responder que les dictes Chevaleries, confirmees et ordenees:

9. r. 2.

de l'eglise de Romme, en gardant bien leur regle sont saintes et approuvees, mais, belas, aujourdui, comme chacun le voit, elles vont en defalant et sont toutes envieillies; et par especial car ceulz qui es dites Chevaleries ou religions entrer desirant, considerans que chastete virginale est trop forte a garder es parties d'orient, il s'en retraient et la religion petit a petit va a declination.

A nostre propos chacuns scet que une nouvelle et josne plante fait plus doulz fruit que ne fait une vielle. Quel merveille ! Car la josne plante, plantee en bonne terre, bien arrousee et bien cultivee, toujours croist et ses rainsiaus et branches en haut s'estendent et produit le fruit sain. Nostre sainte Chevalerie donques, aussi comme une nouvelle palme en Cades de nouvel par le croisement du Saint Esprit, sera plantee et essaucie, c'estasavoir ou jardin de Dieu Sabaoth, et sera continuellement arrousee du sanc et de l'iaue de la fontaine du precieux coste de Nostre Seigneur Jhesu Crist; et nient mains elle sera multipliee de tresnoble lignie, qui seront enfans de la benediction de Dieu, voire chastete conjugale a la terre gardee. Et pour ce tresdoulz fruit ou champ/

9. v. 1.

de la sainte Chevalerie et en la maison spirituelle, siccome en Dieu, on espoire doucement elle produira. Et qui de ce douz fruit par grace pourra assavourer, avec l'apostre saint Pol il desirera estre dissoluës de son corps et estre avec Jhesu Crist.

Pour ce que dit est donques assez briefment il appert que nostre sainte Chevalerie est necessaire es parties d'orient a ce que par luy la Terre Sainte vaillaument soit delivree des anemis de la foy et apres fermement retenue et gardees, et les autres regions aussi d'orient, par luy acquises, en la foy crestienne soient gardees et honnorees a la loenge de Dieu qui soit et loes et beneis. Et ce souffice de ce present chapitre.

La quinte cause de la necessite et du bien qui pourra avenir de ceste sainte Chevalerie, c'est assavoir afin que par elle la sainte foy catholique par tout es regions d'orient soit multipliee. Laquelle chose est bien vraisemblable, car ladite Chevalerie sera fermee et confourmee est parties d'orient sans esperance de jamais retourner a lieux de sa nativite. comme dit est dessus./

9. v. 2.

ne de mettre soy es lieux lointains dez anemis de la foy, lezquelz anemis de toutes pars, en vertu de la Passion de Nostre Seigneur, elle envaira et poursivra jusques a confines de la terre et du monde, en vivant toujours en la doubtance de Dieu, sa loy et foy gardant en humilite a temprance, pitie et equite, voire justice, rendant a chascun, aussi bien a petit comme au grant, sans aucune dissimulation, ayans toujours compassion cordiale des povres, dez veuves et orphelins, en grant poissance regulee de noble chevalerie et en multiplication de lignie. bien doctrinee et enseignie, en vivant de jour en jour en grant sollicitude et douce pensee, de vraie et cordiale obedience, et charite de Dieu et du proisme, tant loco; c'est assavoir la Passion de Nostre Seigneur Dieu, Jhesu Crist co-operant et adrechant tout a bien, en gardant la regle de la sainte Chevalerie joyeu- sement a la lettre.

Ces choses-cy raisonnablement considerees et par la bonte de Dieu de fait executees, il est vraisemblable que ceste sainte congregation, combatant contre lez nations diverses dez anemis de Dieu, du ciel, dont la grant force vient, aura grant plente de victoires et, par consequant, la foy catholique en admiration du/

10. r. 1.

monde sera multipliee.

Derechief, quant les sectes sustouchies et generations dez crestiens orientalz scismatiques verront es parties d'orient si grant secours que Dieu leur aura mande, c'estassavoir de ceste Chevalerie, en laquelle il verront et congnoistront si grant maturite et deboinaicte, si grant foy, esperance et charite, prudence, temperance, force et diligence, justice et verite, comme autrefois fu dit, et lez autres vertus en la memoire de la Passion Jhesu Crist sans fixation estre renouvellees, avec une devotion en chevalerie autrefois non auye, il est doucement a croi (t) e que lesdis scismatiques, de tant de vertus enlumines, en Dieu se convertiront et retour (ne) ront a la sainte foy de Romme catholique. Et entretant par l'exemple de ceste sainte Chevalerie et sa tresgracieuse conversation, selonc ce que dit saint Bernart, les incredulez seront convertis a la foy et lez convertis ne se partiront pas de la foy et ceulz qui l'aueont delaissee, saintement retourneront, car, selonc le dit de l'apostre saint Pol. il doit avenir unefoys que la multitude de gens mescreans viennent a la foy et est necessaire. Laquelle chose nous attendons que la foy vien-

10. r. 2.

gne es dites gens mescreans. Et ainsi par ceste sainte Chevalerie, comme dit est, vivant vertueusement et religieusement selonc sa regle (de) la foy catholique es nations dez diverses regions es parties d'orient, par la benediction du doulz Jhesu sera multipliee et dilatee derechief les vrais catholiques et devor d'occident, de midi et de septentrion, desirans exercer leur chevalerie au service de Dieu en la Terre Sainte et es parties d'orient es tamps avenir, par la grace de Dieu toujours trouveront en la Terre Sainte nostre Chevalerie poissante et terres acquises sans nombre, esquelles il pourront seurement demourer et leur veus acomplir par l'aide de nostre sainte Chevalerie. Et ce souffice de ce present chapitre.

La sisime cause de nostre Chevalerie, c'estassavoir pour resister s'il sera besoing a ceulz qui pertourbent la sainte foy catholique et l'Eglise de Romme, sicomme a hereges, tirans et scismatiques dessa la mer demourans. Puis donques que nostre sainte Chevalerie principalement est dediee en l'observance, dessencion et multiplication de la sainte foy catholique, en renou/

10. v. 1.

vellant la sainte Passion du doulz Jhesu, pour l'acquisition de la Terre Sainte et destruction dez barbariens et anemis de la foy, il est bien digne chose et convenable que les heresges, tirans et seismatiques, perturbans nostre mere Sainte Eglise et inobediens, par la sainte Chevalerie en son chemin, s'il sera determine par lez roys et par nostre tressaint pere, Pape de Romme, par l'espee d'esprit et sage introduction soient reduit et ramene a la vraie lumiere de la sainte foy catholique, ou par l'espee temporele lez rebellez et obstines soient contraint d'estre vray obedient a leur mere Sainte Eglise et au Pape de Romme; auquel, comme au vicaire de Jhesu Crist et successeur de saint Pierre l'apostre, par tout et en tout nostre sainte Chevalerie, comme vrais filz de l'Eglise de Romme, entent humblement obeir et garder a la lecture ses sains commandemens. Et ce souffice de ce present chapitre.

La septisme cause de la necessite de ceste Chevalerie, aucunement touchant au chapitre dessus, etc.. Il fu dit que au remede convenable du seisme de l'Eglise, ladite Chevalerie pourroit bien travellier. Il est apparant et asses cler a chacun/

10. v. 2.

lisant la constitution de ceste Chevalerie comment par la grace de Dieu elle sera instituce et creee principalement de deux generations de catholiques, dezquelles l'une partie, jusques a present ou propos de cestui chapitre, a tenu et tient fort, aussi comme obstineement, se dire se doit, Clement souverain Pape de Romme, et l'autre partie Boniface, comme il appert par le roy de France et par le roy d'Engleterre, et ainsi des autres roys et princes catholiques ceste division maldite a pris sa signourie. Et se peut dire que lez dites parties, pour la substentation et confirmation de leur credulite en cestui propos, ont leurs motifs et argumens invincibles, voire siconme il leur samble; auxquelz argumens et probalions, comme il dient, l'autre part ne peut pas bien satisfaire. Et tant est creue, helas, ceste division maldite de la cote de Dieu inconsutable que, pour l'occasion de ceste division, tresgrant plente de sanc entre les crestiens a este espandu et entre les princes et communes des catholiques. Pour ceste division grans inmistes et haines en la crestiente sourdent de jour en jour, voire pourchassant l'anemi de l'umaine nature, qui ne dort pas mais continuellement/

11. r. 1.

impugne Israel. Et que pis est, hélas, et grant vergoingne a grant pastours des ames, car jusques a hores il ne s'est trove en Israel ne en la synagoge sage fusicien, prince pharisien ou sage escrivain qui a curer ceste frenosie et mortelle maladie ait offert son aide et ses mains debonnaires, se n'est par escripture ou par l'espee trenchant, en confourmant la maladie et lez plaies multipliant.

Or est ainsi que ceste nouvelle Chevalerie de la Passion Jhesu Crist des aigriiaux, dez ouelles et dez chievres, des aigles, faucons et vultoirs, dez leus, dez renars et dez lions de diverses fleurs, et especialment dez fleurs de lis dez leopars, en une douce compaignie, par la bonte de Dieu, sera assamblee; voire pour renouveler la Passion de Nostre Seigneur et acquerer la Terre Sainte. Et que plus est, la grace divine doucement distillant, comme il se dit en la Sainte Escripiture, en nostre Chevalerie de si diverses testes assamblee, l'aignel et le lion, le viau et le leu, le renart et la gelinc, en grant pais et amour ensamble mengeront paille et d'un seul pain, qui du ciel est descendu, sans division et par la grace du Crucifix saintement seront soutenus. Et combien que chascune partie de ceste Chevalerie /

11. r. 2.

par aventure tendra fort sa credulite et opinion en la matere du seisme proposee, non pas par maniere de obstination, desirant cordialment l'union, se autrement ne se pourra faire jusques a tant que le vray Orient de lassus ait visite et unie s'espouse, nostre mere Sainte Eglise, toutefois nostre sainte Chevalerie, apparellie toujours de croire et tenir tout ce ou cas propose et en tous autres que l'Eglise determina, alant en son chemin oriental et par Ytalie trespassant, de toutes ses poissances joieusement labourera afin que sa mere, Sainte Eglise, soit ramenee a une vraie unite, amour et charite; voire les roys, par le consent de nostre tressaint pere et par le bon conseil et avis dez prelas et preudommes de l'Eglise, et par le conseil aussi dez sages et preudommes seculers, ceste legation et commission a nostre Chevalerie commetans et commandans. Et ce souffice de ce present chapitre.

La witieme cause c'est assavoir que nostre sainte Chevalerie doie aler devant les roys qui feront le saint passage outremer et prendre terre comme bonne fourriere. Or soit dit a la loenge de Dieu comment une douce inspiration est entree es cuers dez preudommes de France et d'Engleterre, /

11. v. 1.

c'estassavoir que la vielle inimitie et haine, mortele et aussi comme convertie en nature, entre les Francois et Engles depuis lx ans en ensa, en effusion du sanc dez crestiens sans mesure, par la miseration de la bonte divine, en nostre tamps sera doucement apaisie. Et en recongnissant cestuy grant benefice et grace, grant tamps a pau pensee, les tresnobles et tresdebonnaires princes catholique, Charle et Richart, de France et d'Angleterre rois par la bonte divine, innocens et singulièrement de Dieu reserves de l'effusion du sanc dessusdit et dez mauz qui s'ensuiuent, acomplissans ce que a leurs peres ne fu pas ottoie, c'estassavoir le saint passage et redemption d'Israel. passans la mer aveuc leur poissant host, aueront bien mestier que, a l'ariver en la terre des anemis de la foy, il doivent trouver places et lieux, grans et aisies. es ques il puissent descendre sans le dangier des anemis de Dieu. Et aveuc ce aueront besoing de trouver bons ports de mer et larges, esquelz la navie de si grant host puist estre seurement anores. Esquelz lieux, ja pris dez crestiens, les dessusdis roys et leur grant host,

11. v. 2.

travellies et anies du labour de la mer, se doivent aucunement raffressir et reposer; et la, meurement et sans regart dez saiettes des Sarrasins, non pas en haste, es consaus roiaux meurement consellier tout ce qui sera a faire et emprendre a nos seigneurs et roys touchant a leur tres sainte emprise et bataille de Dieu, et nientmoins estre enfourmes de l'estat et conditions dez anemis de la foy, qui vaut la mottie de la victoire. Lesquelles choses se pourront trop mieuc faire se les roys trouveront les lieux devant pris, a consolation de l'ost du Crucifix.

Or est ainsi qu'il peut asses apparoir a chascun qui auera la congnoissance de nostre sainte Chevalerie, qui jugera chose vraisemblable, c'estassavoir que la Chevalerie du Crucifix, dedans et dehors armee et aournee du signe de la Passion Nostre Sengneur, et a la bataille de Dieu singulièrement et par veu dediee, et en sa vie et en ses meurs saintement et merveilleusement regulee, par la bonte de Dieu sera souffissant a faire et a acomplir tout ce qu'est dit dessus et propose, voire par le jugement des vaillans chevaliers et gens d'armes qui sont experts es batailles des anemis de la foy. Quel merveille, car nostre sainte Chevalerie, sicomme l'en espoire eu Dieu, a son premier passage aura iiii ou liii mille.¹ [lacuna]².

1. Ars, MS. f. 58 v. reads 'environ dix mille'.

2. Cf. op. cit. ff. 58 v. — 62 v.

12. r. 1.

Et ainsi le magnifique empereur, entre tous et surtout lez roys et empereux crestiens tresglorieux et victorieux, noble champion, augmentateur et deffenseur de la sainte foy catholique. pour les doubtes et paours de la nuit, c'estassavoir pour les traitres, tressagement estoit gardes.

A nostre propos or veons, de quelle generation de esleus de l'ost des roys leurs personnes roiales puissent estre mieux gardees que des chevaliers de nostre sainte Chevalerie de la Passion Jhesu Crist ? Et combien qu'il se pourroit dire que les roys aueront leurs barons, leurs vassaus et chevaliers tres loiaux, desquelz il deja orent mieulz estre gardes que d'autre gent quecunques, a ce se peut respondre qu'il est chose veritable, mais certainement lezdis barons ou chevaliers en l'ost des roys. pour l'occupation de leurs propres et familiares besongnes, mal porroient estre si franc et si despechie de leurs propres necessites comme seront lez chevaliers de nostre sainte Chevalerie, comme il fu dit asses largement Et que les roys puissent prendre plaine confiance de la garde de nostre sainte Chevalerie il appert, car nos chevaliers, du!

12. r. 2.

signe de la Passion du doulz Jhesu dedens et dehors devotement armes. qui aueront abandonne volontairement lez grans honneurs, richesses et delis du monde occidental, abandonnant leurs personnes chascun jour a la mort pour l'amour du doulz Jhesu crucifie, tell si noble et sainte Chevalerie ne gardera pas bien. loiaument lez personnes des roys, ceste suspicion ja ne viengne es premiers movemens de pensee raisonnable. Encores a ce se peut dire que les roys, pour acroistre la gloire du Crucifix, seront comme peres et createurs, se dire se doit, apres Dieu de ceste sainte Chevalerie de la Passion Jhesu Crist, et pour ce il est a croire doucement que lez combatans de ceste Chevalerie loiaument garderont lez roys a grant amour et reverence comme leurs peres, seigneurs et protecteurs et, se besoing sera, jusques a la mort. Et vraiment, l'envie, l'inconstance, la vanite, gloutonnie, avarice et vaine gloire en la chevalerie mondaine du jourduy parfondement considerees, les rois devroient avoir et acquerre grant gloire en Dieu de produire en lumiere une telle et si sainte nouvelle Chevalerie; de laquelle les combatans en la renunciation des vices dessusdis, comme il sera possible, par la bonte de!

12. v. 1.

Dieu et par la sainte regle de la Chevalerie devotement seront regules et a la Passion de nostre tresdoulz Sauveur Jhesu Crist dedies, offers et confirmes. Et ce souffice de ce present chapitre.

La tresime cause de nostre Chevalerie, c'est assavoir que par lez combatans de ladite Chevalerie soit pourveu de la garde des cites ou forteresses prises, auxquelles il convendra soudainement pourveoir. Il est asses notoire que se es cites et places a fortifier, car en Surie ne en Egipte n'a nulle forteresse se non trop peu, les vaillans chevaliers et gens d'armes de l'ost dez rois par avarice et pour pillage ou autrement es dites places s'arestoient, comme maintefois a este veu, ce seroit grant peril as personnes des roys demourans en leur host, et lez banieres roiales souvent demouroient desgarnies de vaillans chevaliers. Et est a croire que lez anemis de la foy sur lez champs se trouveront souvent ensamble et, sentans par leurs espies que es lieux pris les vaillans gens d'armes seroient occupes, trop plus hardiement envairoient l'ost des crestiens. A laquelle doute se peut bien pourveoir.

12. v. 2.

c'est assavoir par ceste sainte Chevalerie, car ladite Chevalerie, a la lettre regulee, auctra soubz soy trois ordenes de combatans : le premier, c'est assavoir tresvaillans chevaliers esleus, experts en l'art et pratique de toute chevalerie et, par la grace de Dieu, en grant quantite, car de toutes lez nations dez crestiens catholiques Dieu mandra lez meilleurs, comme doucement se peut croire, pour accomplir en Dieu la noble emprise et sainte entention de la regle. Le second ordene dez combatans de nostre Chevalerie seront lez freres de la Chevalerie, entre lezquelz il auctra une bonne quantite de tresvaillans combatans, et seront aussi en grant quantite et non pas tant comme des chevaliers. Le tierc ordene dez combatans de nostre Chevalerie sera une grant multitude de sergans de la Chevalerie.

Or venons au propos : Le prince de la Chevalerie, par le conseil de la Chevalerie, soudainement ordenera un ou deux vaillans chevaliers, sage, meurs, experts en la guerre, avec certain nombre de freres et de sergans es lieux et places prises, qui lesdites places garderont et fortifieront par grant diligence, trop plus que autres ne poroient faire, voire pour la regle et obediencie qui renuera en ladite Chevalerie. Et ce pourra faire le prince sans peril ou diminution perilleuse.

13 r. 1.

de ses batailles, car la multitude des vaillans chevaliers de la Chevalerie se tendra tousjours a la baniere du prince et dez grans officiaulz de la Chevalerie, appareillies joieusement d'obeir et jusques a la mort a leurs chevetaines.

Et quant lesdites places seront ainsi gardees et fortifiees, se le conseil royal ordenera que lez dites places doivent demourer a la sainte Chevalerie ou a autres personnes de l'ost, estre baillies apellee, en ce cas audit conseil ladite Chevalerie il sera fait tout ce qui sera ordene es grans consaulz roinaulz. Et ce souffice de ce present chapitre.

La quatorzime cause, c'est assavoir que par ceste Chevalerie et par sez sages et secretes espies des secretes et condicions des anemis de la foy les roys pourront plainement estre enfourme, voire comme faire se pourra bonnement. Il se peut dire que pour ce que ceste Chevalerie, par le commandement dez royz auera l'office d'aler devant, avec saint Jehan Baptiste, apparellier la voie devant dez rois en la terre dez anemis de la foy, il est vraisemblable et bien raisonnable que nostre Chevalerie, descendue en la terre dez anemis et ja fermee en certaines places fortes et convenables, par sez espies et par lez loiaulz crestiens, souz la

13. r. 2.

signourie du souldan nouris et demourans, sera enfourmee, comme faire se pourra, de l'estat et condicions dez anemis de la foy. Et outre ce il avendra que les crestiens catholiques conversans avec lez Sarrasins, lez scismatiques sans nombre demourans ou pays et aucuns, Sarrasins par dehors apparans et es cuers crestiens, pour la paour des ministres de la loy maldite, oyans et entendans si noble police, si grant justice, devotion, mansuetude, equite et verite en nostre Chevalerie regner et refflorir, ramenans aussi a leur memoire lez dessusdis lez prophesies des Sarrasins, ja grant lamps a notoires et divulgees, c'est assavoir de la destruction par les Frans de la fausse secte de Mahomet, vraisemblablement lez dessusdis scismatiques et autres conflueront et se retireront a nostre sainte Chevalerie, comme ceulz qui souffrent le naufrage se hastent de arriver au port de salut; ne entre lez mescreans lors n'aura si grant secret qui puist estre cele que par la bonte de Dieu tout ne soit revele a nostre sainte Chevalerie. Et par consequant, lez roys descendus a tout leur host en la terre des anemis, l'arche dez secretes de Mahomet par nostre Chevalerie as roys sera ouverte. Et par la grace de Dieu, il sera legiere chose a noz roys poissans,

13. v. 1.

devos catholiques, ainsi garnis des secretes des anemis de Dieu. ou par l'espee d'espirit, c'est assavoir par bon exemple, admonition debonnaire, et offres raisonnables, lezdis anemis faire venir a la sainte foy catholique, ou, lezdis anemis en leur loy obstines, par l'espee temporele et roiale de

leur confines et de la Terre Sainte du tout en tout hors geter, voire en multipliant et exaltant partout la gloire du Crucifix. Et ce souffice de ce present chapitre.

La quinsime cause, c'estassavoir que se par la bonte de Dieu en proces de tamps aucun bon tractie a l'onneur de la foy se pourra trover, sans esprendre sanc humaine, entre le souldain de Babilone ou autres grans princes mescreans et lez rois crestiens, nostre sainte Chevalerie y pourroit estre necessaire. Chascun sage peut asses ymaginer et es choses a avenir contempler que ceste Chevalerie, en tant de vertus fondee et a la lettre regulee, une si noble policie autrefois non auye, en justice et equite, es euvres de misericorde et en verite humblement excersans et en toutes ses euvres nouvelle lumiere rendans, vraisemblablement des sages hommes :

13. v. 2.

mescreans, au mains en leurs cuers, sera prisie et tenue en reverence, et singulièrement pour ce que ladite Chevalerie, as amis et as anemis, en tous sez dis et promesses, sans faindre tendra verite, par la grace de Dieu. Et outre plus elle aura une pratique debonnaire, c'estassavoir que lez prisonniers Sarrasins, pris en bataille ou ailleurs, humainement elle tracta, trop autrement qu'il n'est acoustume, et aucunefoys lez afrancira et renvoira sus aucune esperance d'aucun pourfit de l'ost ou d'atraire les a la foy, toute rigour delaissee sauve a l'eure de la bataille.

Et quant lez anemis de la foy congnoistront bien ceste grant humanite en nostre Chevalerie, raisonablement il ne prendront une nouvelle confiance par les euvres precedens, et par consequant, pour ce que le prince, et le conseil de la Chevalerie de la Passion Jhesu Crist sera continuellement, par ce que dit est dessus, plus plainement enfournee des persons secretes des anemis de la foy que autres presones quecunques de l'ost des rois, pour ce se puet jugier raisonablement que ceste Chevalerie de Dieu singulere en tous tracties qui seront de grant pois porra estre dite necessaire, voire la debonnairete et profonde sapiance des roys a nostre Chevalerie, comme a leur fille, par tout et en tout commen-

14. r. 1.

dant. Et ce souffice de ce present chapitre.

La sesime cause, c'estassavoir que par nostre Chevalerie l'ost des roys, les gait de nuit et des engiens doient estre singulièrement visite et conforte. Il est a croire vaillaument que les barons et vaillans chevaliers

des roys et de leur host. de nuit estans a leur gait et garde ordenee et bien faisans leur devoir, quant il verront lez chevaliers esleus de nostre Chevalerie, en moienne quantite, armes des armes du Crucifix et devotement aornes du signe de la crois, venir a eulz, sans noise et sans orguel, pour eulz humblement visiter et leur service presenter, vraisemblablement il seront esmeu et lez cuers esleves a une nouvelle devotion et a une magnanime et prouesse de vaillaument. c'est assavoir de envair lez anemis de la foy quant le temps l'offerra. Et se aucun entre ceulz du gait se trouvera, comme il avient souvent, qui soit endormis ou ferus de torpouir et de negligēce, en contemplant si noble chevalerie il se trouvera en Dieu raffressis et appareillies de bien vellier et de faire son devoir. Et ce qui est dit de la visitation dez grans gais, se peut dire des gardes des engiens et de :

14. r. 2.

tous autres offices perilleux a garder.

Il est escript que de nuit communaument regne la poissance de tenebres, c'est assavoir le dyable, pechie et traison; les espies dez anemis de la foy et lez faux crestiens, traitres de la foy trop plus Volentiers, ce leurs affaires malignes vont de nuit que de jour, car il heent la lumiere. Quant il verront nostre Chevalerie de nuit si meurement aler parmi l'ost dez roys et toutes choses perilleuses sagement visiter, vraisemblablement il doubtront que unefoy il ne doivent chair en la fosse, faite de leurs propres mains et se retrairont souvent de leurs grans traisons emprises. Et par consequant, en ce perseverant, nostre Chevalerie et toute la chevalerie de l'ost des roys en l'ost du Crucifix doucement de nuit et seulement reposeront. Et ce souffice de ce present chapitre.

La diseseptisme cause, c'est assavoir que par nostre Chevalerie en l'ost dez roys lez rimours et debas se doivent apaisier. Deux choses sont principales en toute policie, et par especial a nostre propos en l'ost des roys et expeditions dez crestiens encontre lez anemis de la foy et ailleurs, par lezquelles les combatans de l'ost chacun :

14. v. 1.

jour se renforcent et victoires multiplient; c'est assavoir vraie union et dilection mutuele, l'autre si est obedience volontaire et meritoire dez combatans envers le prince de la Chevalerie et les autres chevetaines. Comme il fu dit autrefoys, ces ii vertus susdites en tout l'ost deffaillans, tantost orguel, envie et avarice y prennent leur signourie. voire l'anemy

de l'umaine nature Israel continuellement impugnant et par ses disciples partout a son pooir zinzanie semant, car il se dit en proverbe que par le pieure roe du char les grans noisez sont esmeues.

Saint Augustin dit que l'archepirate, c'est le dyable, comme un lion rongant va cherchant partout, querant aucun qu'il puisse devorer. Et pource que ou champ de Dieu, c'estassavoir en la Chevalerie de la Passion de Jhesu Crist, comme en un champ de la houe de la doubtaunce de Dieu bien are, de la charrue aussi de la sainte regle a son droit labour, et dez males herbes netoie, cheluy archepirate, la Passion de Jhesu Crist distillant, ne trovera pas champ convenable la ou la zinzanie puisse rendre grant fruit. (et) pour ce il se retournera as autres champs en l'ost, qui par regle convenable ne seront pas si bien cultives. /

14. v. 2.

et la semera la zinzanie comme il a accustume, et par consequant un grant host communalment ne peut pas estre longuement sans debas et discentions.

Dont a nostre propos il est a noter que en toutes personnes qui sont tailliez et bien disposees d'apaisier lez debas, trois choses si requierent; la premiere si est que lez dites personnes soient notables et de bonne renommee et d'aucune reverencie apparant reputees, la seconde si est que lez dites personnes ne soient pas suspectes, ne haineuses a ceulz qui font lez debas et riotes, la tierce si est que telles personnes ne soient pas fictives et de double charge et que en l'art d'apaisier lez debas et riotes il aient verite en la bouche, par laquelle et conditions susdites plaine foy est prise d'eulz.

A nostre propos il se peut dire que par la bonte de Dieu toutes ces conditions se troveront en la Chevalerie de la Passion Jhesu Crist, laquelle Chevalerie de tout son pooir et outre en l'ost dez roys et partout procurera l'unité de ses freres crestiens et diligamment labourera et comme doucement se peut croire en la matere; et ailleurs doulz fruit elle produira. Et pour ce asses convenablement ladite Chevalerie peut estre jugie necessaire. Et ce souf-/

15. r. 1.

lice de ce present chapitre.

La disewitisme cause, c'estassavoir que lez loiaux crestiens de toutes nations qui aueront voue, ou entendront a vouer, ou leurs peres

et parens, d'aler au saint voiage d'oultre mer, ou par aventure en aucun cas se troveront obligie, au saint passage pource que par aventure il aueront la succession de leurs peres ou parens qui estoient obligie - telz gens preudommes et devos avec la sainte Chevalerie de la Passion Jhesu Crist tresgracieusement et seurement pourront accomplir leurs veus, debtes et promesses, voire l'eglise de Dieu consentant et saintement dispensant. Et a telz personnes, accomplissans leurs veus soubz l'ombre de nos combatans, la sainte Chevalerie en tous cas gracieusement leurs sera favourable. Et ce souffice de ce present chapitre.

La diseneufvisme cause, c'estassavoir que entre lez nobles de toutes nations des catholiques les mainsnes, c'estassavoir lez secons et lez tiers nes et autres qui selonc lez coustumes dez pays ont petite ou nulle partion en l'heritage de leurs:

15. r. 2.

peres, lezquelz souventefois sont contrains par povrete de poursuivre lez guerres injustes et sovent tyranniques, et, pour la sustentation de leur estat et noblesse, pource qu'il ne sevent autre mestier, il font tant de maulz que ce seroit horrible chose a escrire dez pilleries et oppressions qu'il font au povre peuple — tels gens nostre sainte Chevalerie benignement en certain nombre recevra et leur amenera honestement leur vivre, voire mais que de leur male vie a Dieu il soient converti et vrais obeissans a la regle de la sainte Chevalerie. Et ainsi lez grans serviteurs du monde, de la char et de l'anemy de l'umaine nature devendront par grace noblez combatans en la bataille de Dieu, au sauvement de leurs ames et a bonne aventure. Et ce souffice de ce present chapitre.

La vintisme cause et conclusion de la necessite et production de ceste sainte Chevalerie de la Passion de Jhesu Crist, c'estassavoir que se par la permission divine, que ja n'aviengne, lez tresexcellens, tresdebonnaires et trespoissans roys, tant de fois repetes, de France et d'Angleterre, pour aucune occasion survenant a present latente et non ymaginee, car toutes choses sont en la disposition divine, qui :

15. v. 1.

eternalment sect, et par non, sez esleus, par lezquelz il deliverra une fois la Terre Sainte de la main us anemis de la foy, lesdis roys ne soient bien disposez pour faire et accomplir le saint passage d'oultre mer, voire survenant cause legitime comme dit est : tel cas entrevenant, il samble chose debonnaire, raisonnable et asses necessaire que lez dessusdis rois,

pour satisfaire aucunement a Dieu de la grant et vielle debte de leur gransperes, touchant au saint passage, de laquelle debte a present je me tais, car il le doivent bien savoir et touche fort a leurs consciences, et en attendant le temps que en personne, par la grace de Dieu, lezdis roys puissent paier ladite debte, c'estassavoir d'aler outre mer, ors a present la douce pais du ciel venue, descendue et confirmee entre si nobles roys, a eulz appartient que, pour la reverence de Dieu, ceste noble et sainte Chevalerie de fait il doivent mander outre mer, comme une arres de leur venue apres, et comme une bonne et sage fourriere est mandee de loins par son seigneur, pour prendre l'ostel honorable et appareiller tout ce que mestier fait, voire en accomplissant a l'aide de Dieu par la sainte Chevalerie principau-

15. v. 2.

ment ce pourquoy et a quoy elle doit estre de nouvel creee et instituee, sicomme largement es chapitres dessus il a este propose, et aussi cy-dessoubz en substance sera plainement desclairé. Et par especial le cas entrevenant, que ja n'aviegne, c'estassavoir que a present lez roys soient occupe en personnes de faire le saint passage pour les causes sus touchies, tous lez fais dez articles par chapitres cy-dessus particulièrement proposes et touchans a personnes dez roys estans en la terre d'oultre mer, nostre sainte Chevalerie, par la grace de Dieu passee oultre mer, doie diligamment accomplir a son plain pooir en la personne du prince de la Chevalerie de la Passion Jhesu Crist et es personnes des presidans et chevetaines de la sainte Chevalerie, en conquerant et attendant une fois la venue des roys. Et ce souffice de ce darrain chapitre.

Il est asses desclairé, prove et demoustré par lez chapitres cy-dessus descripts et ordenes que la congregation de si noble chevalerie tant de fois repeteé, en Dieu saintement regulee, en la Passion du douz Jhesu fondee et / [lacuna] ¹

16. r. 1.

Comment la tresdouce Vierge Marie, qui fu tresperchie en son ame du glave de douleur de la Passion de son douz filz Jhesu Crist, sera tressingulere advocate de ceste sainte Chevalerie, representant la Passion de Nostre Seigneur, en gardant, deffendant et adrechant noz chevaliers et combatant encontre lez anemis de la foy, comme douce mere fait ses enfans.

1. Cf. Ars MS. ff. 68 v. — 69 v.

Comme il soit ainsi, selonc le dit du benoit apostre Saint Pol, que en ceste sainte Chevalerie de la Passion Jhesu Crist nulz bons vivans ne peut mettre autre fondement que celui qui y est ja mis, lequel fondement est Jhesu Crist en la memoire de sa sainte et amere Passion, pour ce il est chose digne et convenable et tresnecessaire que ceste dame, qui en la Sainte Escripiture se dit estre oree pardurablement et devant tous lez siecles, c'est la tresbelle Vierge Marie, roine de misericorde, soit prise et esleue par grant devotion de nostre sainte Chevalerie pour mere, maistresse et singulere advocate. Quel merveille, car en son palais roial ce tresfort et noble fondement fu fait et edifie. Et a l'edifica-

16. r. 2.

tion de cestui precieux fondement de Saint Pol, c'est assavoir a l'incarnation du benoit fil de Dieu au ventre de ceste benoite vierge, le Saint Esperit maistre masson, ceste benoite et souveraine vierge aminstra la premiere pierre, qui est dite pierre angulaire, qui conjoint lez deux paroires en un; elle aminstra aussi l'aue et l'arene de nostre humanite, c'est assavoir sa propre char et son pur et precieux sanc, a l'edification sustochie, voire quant elle offri a l'edification de si precieux fondement son consent et lez choses susdites necessaires, en disant treshumblement a l'angle Gabriel de soy mesmes : *Eccc ancilla Domini*, etc.

Encores se peut dire que en procez de tamps, quant cestui precieux fondement, par le commandement de Dieu le Pere, fu mis en ruine corporele et temporele en l'arbre de la vraie crois, c'est a entendre la Passion du douz Jhesu passionne, lors ceste souveraine vierge et mere sur toutes autres personnes et trop plus, que escrire ne dire se porroit, fu tresperechie au cuer du glaive de douleur non parelle, et lors elle ploura amerement et demoustra clerement par grant compassion la ruine susdite.

Et de la en avant tous les jours de sa vie autre mestier

16. v. 1.

elle ne fit que ensaignier lez apostres et disciples en la sainte foy catholique, et continuellement rafreschir, en amaritude de son ame renouvelant en grant compassion, la Passion de son tresdoulz, benoit filz, Jhesu Crist. Cestui mestier et euvre salutaire principalement a empris nostre sainte Chevalerie, c'est assavoir en rendant graces a Dieu de nostre redemption et sans cesser habituellement rafreschir l'amere Passion du douz Jhesu, pour nous crucifie.

Il est donques expedient et necessaire que noz chevaliers et combatans, fondez en ceste sainte Passion, doivent diligamment finir l'escole de la tresdoulce Vierge Marie, voire pour aprendre son mestier, car c'est elle qui est seule et souveraine maïstresse, qui doucement ensaigne ses devos en l'art et science sustouchies, et lez fait maïstres en brief tamps de toute bonne science, car, selonc ce que dit Saint Pol l'apostre, la vertu de Dieu et lez tresors de toute sapience et science sont en elle contenus.

Et pource que nostre Chevalerie est ordence d'aler outre mer et trespasser parmy ceste grant mer salce de ce monde, en laquelle a tant d'empeschemens et souverainement :

16. v. 2.

un grant dragon, qui est formes a decevoir a son pooir nostree sainte Chevalerie, et il soit ainsi que nostre Chevalerie soit dediee as grans batailles excerser, esquelles elle aera grant mestier de l'aide divine, pour ce est il qu'elle a besoing d'un singuler refuge en toutes ses necessites, lequel refuge soit fort et poissant de lui deffendre et aidier souverainement a la presence de Dieu en toutes ses necessites. Cestui refuge par la bonte de Dieu sera la tresdoulce Vierge Marie, qui sera moïens et deffendra les causes de nostre Chevalerie devant Dieu, comme bonne advocate, car elle sera douce lumiere pour (en) enluminer toutes les tenebres de nostre sainte congregation et les adrechier a la sainte cite de Jherusalem et a bon port de salut, pource que elle est estoille de mer appellee.

Encores se peut dire que la Vierge Marie non pas tant seulement sera a nostre Chevalier refuge, mere et advocate, estoille et lumiere, mais aussi elle sera a noz combatans une verge directive et en tous cas defensiva. Dont Saint Jerome dit qu'elle seule est la bonne aide general et la deffense et protection bien preste a chascun qui met son cuer et sa pensee a elle. C'est le refuge de tous lez:

17. r. 1.

crestiens, c'est le confort dez desolez; c'est la voie dez fourvoies; c'est la redemption des chetifs prisonniers; et est pour tous souverain refuge envers Dieu. Quel merveille, car elle a son sain toujours oert, afin que quant ses devos combatans, qui porteront la crois, seront temptes et en grant peril de defalir, qu'elle les doie recevoir en son sain et la lez reconfortera et lez aseurera et lez fera reposer.

Ces vertus sont si grant qu'elles ne se peuent descrire, et par especial a moy, viel pecheur aborrief et non digne tant seulement de appeler

son nom par ma bouche soullie, sicomme il appert plus clerelement et diffusement de ses grans vertus, par les docteurs recites, ou propre capitre de ceste matere en la regle de nostre Chevalerie.

O vous, tresloiaux et tresvaillans chevaliers de ceste noble Chevalerie, et nobles combatans esleus entre cent mille, qui si noblement estes armes des armes de la Passion de Jhesu Crist, voire pour renouveler de nouvel la Passion du doulz Aignelet Ochis, qui longuement a este aussi comme oublie, vous qui aves empris la bataille de Dieu pour destruire tous vices et les nations dez anemis de la foy, pour delivrer et racheter a l'espee lez sains lieux de Jherusalem, gardez bien que vous ne vous departes de vostre singulier refuge, la tresdoulce Vierge Marie et, comme hardis combatans, a l'aide de luy /

17. r. 2.

acqueres par force le royaume du ciel.

Si vous suppli treshumblement, mes tresames peres, que quant vous deprieres ceste noble dame et son doulz Filz par devote contemplacion, que lors veullies avoir memoire de moy, chetif pecheur, en requerrant de mes pechiez pardon.

Et pour conclusion de cestui brief chapitre je dira et par grace a la mere de Dieu : O tu Vierge Marie, plaine de grace, mere de misericorde, maistresse de toute gent et escole dez bons esleus de Dieu, ma doulce dame, daignes moy, ton petit et indigne serf, en pitie regarder; et avec moy veulles encliner tes doulz yeulz de misericorde a tes servans et enfans, lez combatans de ceste noble Chevalerie, qui sont ordones pour multiplier la foy par l'aide de ta sainte pitie, pour renouveler la memoire, en toy sivant, de la Passion de ton tresame Filz, pour acquerir et delivrer dez mains as anemis de la foy la Terre Sainte et la garder et retenir, et pour visiter aussi devotement et honnourer les sains lieux d'outre mer. Ma doulce dame, pour ceste Chevalerie soies doulce advocate et plege debonaire envers ton benoit Filz. Dame de grace, comme bonne maistresse veulles les chevaliers et combatans entredure en tout bien, et comme empererix souveraine soies leur loutis vraie deffense et /

17. v. 1.

aide, et comme leur doulce mere, aies les toujours en tout et par tout pour bien recommandes. Ainsi soit fait par toy, doulce Vierge Marie, qui vis et regnes perdurablement avec Jhesu Crist, ton benoit Filz, et te sies a sa dexture, vestue de robe doree et de gloire avironnee de parfaite lumiere

AMEN./

**LE PROLOGUE DE LA SAINTE CHEVALERIE DE LA
PASSION DE JHESU CRIST**

Manifeste chose est a tous loiaus catholiques comment pour lez pechiez des crestiens, c'estassavoit orguel, avarice et luxure, et les autres pechiez qui des devant-dis s'ensivent, Dieu en nostre tamps, comme vestu de jalousie, a vengeance plus qu'il n'avoit a coustume, le peuple catholique a batu et flagelle et bat continuellement qui a glaive, qui a mort, qui a famine, selonc ce qu'avoit devant dit Ysaie. Dont pour la mauvaise coustume, grant enormite dez pechiez et la mesprisement de Dieu, ja piessa es crestiens est une tathe levee, qui legierement ne peut pas este bien lavee; c'estassavoit ingratitude de la Passion du tresdoulz Jhesu Crist, sicomme en la prefacion de la regle plus largement fu touchie, lequel doubz Jhesu par seule dilection si chierement et si angoisseusement son peuple charitablement a volu racheter; voire les crestiens aujourduy devant le crucifix trespasans comme devant

une estatue ou ydole, sans reverence ou aucune devotion. Et que pis est, le nom de Dieu, son propre sanc pour nous espendu en l'arbre de la vraie crois, son chief, sa mort et sez membres precieux, en reproce chascun jour il blasfement horriblement par vilains saieriens et renouemens. Ceste malediction regnant ou peuple catholique, (et ?) noz crestiens, helas, en leurs affirmations ou negations et souvent sans nulle occasion, de si riches denrees, par maniere de proverbe, qui n'est pas de legier a laisser, ont fait si grant marcheie en dampnement de leurs ames, voire l'ingratitude susdite tout ce mal poutchassant; pour laquelle ingratitude maldite Dieu a baillic les princes crestiens et le peuple catholique, en sens et entendement reprouve, selonc ce que dit l'apostre Saint Pol. a ce qu'il fachent choses qui ne sont pas convenables; voire pource que lesdis malz et blasfemes il soustienent, lesquelz par la verge de justice il deussent corriger.

Helas, et nous, miserables crestiens, pour lez pechiez susdis, ja louc tamps a sommes prives et villement exclus et deboutes du saint lieu de la Passion Nostre Seigneur, lequel de son propre :

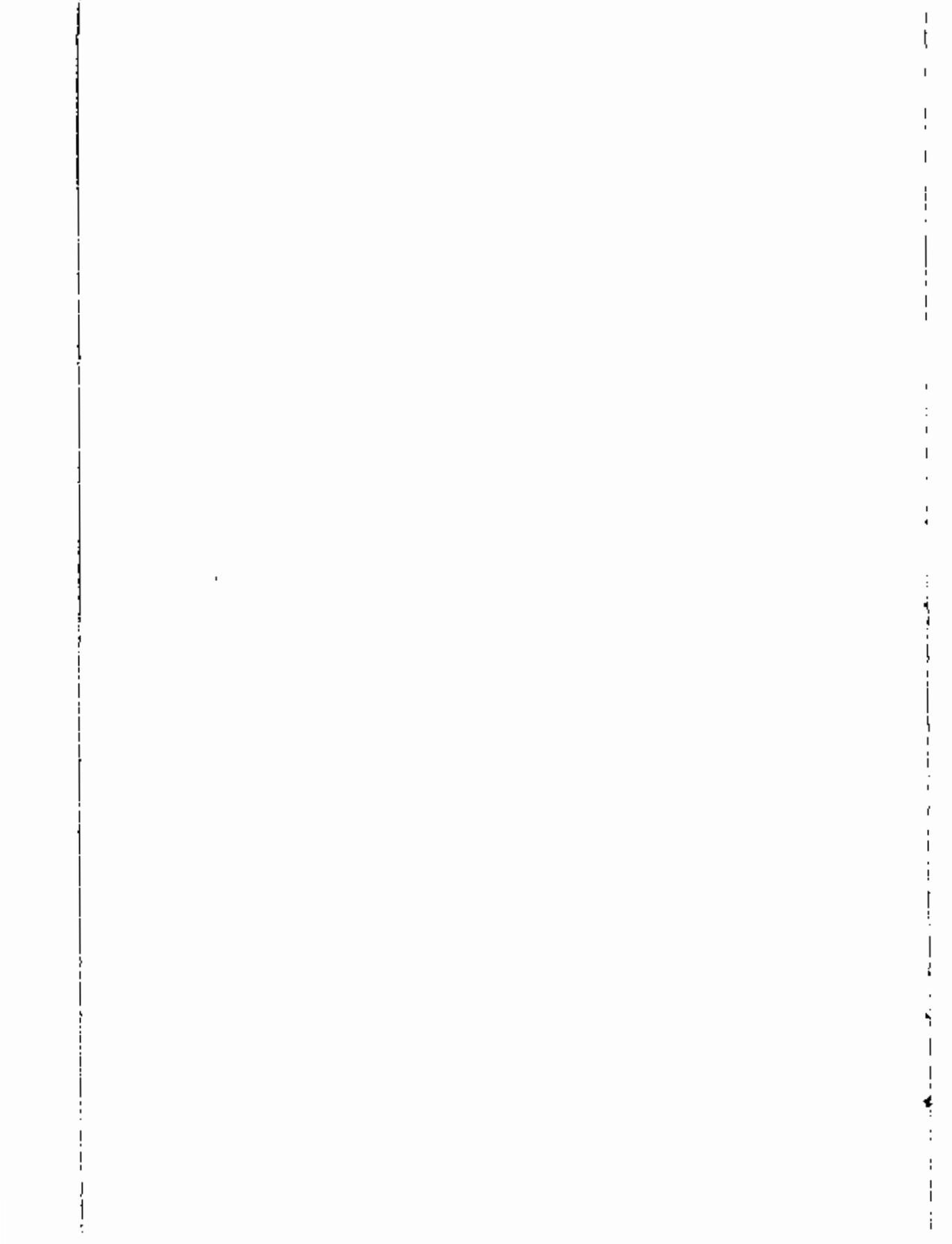
18. v. 1.

sane il nous avoit acquis, c'est de la sainte cite de Hierusalem, le premier fondement de nostre foy catholique. Et pour cause de nos pechiez, Dieu si a mieux ame que les enfans de Agar, les filz de la chambriere, c'estasavoir les Agariens, lez Sarrasins mescreans, habitent paisiblement ou saint palais roial, du precieux sanc Jhesu Crist couloure, que les enfans de la franche femme, regenerez ou saint sacrement de baptesme, lezquelz comme miserables et chetifs sont indignement banis de la sainte cite en vitupere pardurable et sibilation de toutes gens mescreans.

Ces choses-cy considerees, et non pas sans larmes, il est avis a aucuns devos crestiens -- et singulierement au dit Philippe, jadis chancelier apelle le Saint Esprit inspirant sicomme doucement se peut croire, qu'il soit expedient et chose tresnecessaire que ladite Chevalerie ou tamps present, en lumiere de toute gent, soit devotement esclavez. Et est assavoir que au dessusdit Philippe en sa jeunesse la substance de ceste Chevalerie et le bon fruit en Dieu d'icelle a avenir, en esprit outre mer li furent reveles, voire environ l'an de grace mil. ccc. et xlviii; duquel tamps en ensa, sicomme Dieu le seet qui

18. v. 2.

tout seet, l'ardant desir et douce memoire de ladite Chevalerie du cuer dudit Philippe depuis onques ne departi. Pour laquelle sainte Chevalerie estre produite au monde, ledit chancelier, non pas sans grant labour et perilz son nombre de son pelerinage, ouquel par xv. ans continuellement il ne reposa en alant et courant, message roial a trois papes de Romme, a Charle empereur de Romme, a tous lez rois et grans princes et communes de la crestiente catholique, pau de roys exceptes, partout querant et demandant aide pour son seigneur, le tresvictorieux en Dieu roy de Cipre, partout anunchant le saint passage et le bataille de Dieu, et ladite Chevalerie de la Passion Jhesu Crist estre produite en lumiere; mais quantefois et quantefois le duroureux chancelier de son labour et de son desirier se trouva aucunefois resjois et trop plus dise (s) pere, et



souverainement ou conseil de la grant trahison de la sainte foy catholique et du conseil d'Athilofeth qui fu donne a son seigneur et roy victorieux, c'est assavoir de laisser et abandonner si villement la cite d'Alexandre, roine d'Egipte. Et apres trop plus se trouva desespere, et non pas sans larmes et souspirs, recitant/ [lacuna]¹

19. r. 1.

Le seneschal de la sale du commandeur des chevaus.

Les facteurs de la chevalerie qui seront plusieurs.

Le lieutenant ou les adherens et servans en l'office du commandeur des chevaus.

Le premier enchausson ou principal convent.

Le premier panetier sur le pain.

Le recteur sur le sel.

Le recteur des boulenguiers.

Le recteur des bouchiers.

Le recteur des poissonniers.

Le recteur des fruis.

Le recteur des luminaires.

Le recteur des especes de cuisine et des confis.

Le maistre queus ou maistre de cuisine.

Le recteur des espiciers.

Le recteur des apoticaies.

Le recteur des tabernacles, tentes et pavellons.

Le recteur des barbiers.

Le recteur des couturiers.

Le recteur des cordouenniers.

Le recteur des nappes et touailles.

Le recteur des jardins.

Le recteur des wiles.

Le recteur des frommages et poissons sales.

Le recteur des chars salees.

Le premier recteur des machons.

19. r. 2.

Le premier recteur des charpentiers.

Le recteur des orgues et des orloges.

1. Cf. Ars. MS. ff. 73 v. - 79 r.

Le recteur des feures.

Le recteur de l'artellerie.

Le recteur des utensilles des buvrages et de la vaisselle du celier.

Le recteur des utensilles de la vaisselle de la cuisine.

Le recteur des leguns, c'estassavoir de pois et de feves, etc.

Le recteur des avaines, orges et grains pour les chevaux.

Le recteur des pailles et fains pour les chevaux.

Le recteur des cisternes et puy.

Le recteur des esclaves.

Et plusieurs autres officiers sans nombre des freres superasistens en tous offices pertienans a vivies (vivres) et a autres choses necessaires tant en repos comme en guerre.

Et le frere sans office sera nomme tel N. - , frere de la Chevalerie de la Passion de Jhesu Crist.

Les officiers des sergans de la sainte Chevalerie seront sans nombre, en tous offices de artifice et de labour, sur les vivres et garnisons et autres offices, voire souz les freres recteurs et autres dessus touchies; et especialment :

19. v. 1.

les sergans doivent estre arbalestiers, archiers, pavesais et combatans en leur degre; et qui ne sera convenable pour la guerre il exercera son propre mestier pour la saint Chevalerie.

Et est a noter que ou principal convent de la sainte Chevalerie de Dieu toutes les choses appartenans a la communaute de la sainte Chevalerie, c'est la chose publique de la Chevalerie, toujours seront discutees, conseillics et ventillees par V. consaulz autentiques en la presence du prince.

Le prumier conseil sera nomme le conseil cotidian des xxiii conseillers, sicomme il est dit dessus.

Le secont conseil sera dit et nomme le conseil particulier ou singular, ouquel seront environ quarante personnes autentiques de la Chevalerie, c'estassavoir avecques les xxiii grans conseillics, les viii executeurs de la justice et les iiii commissaires debonnaires des trespasans en la Chevalerie, et iij ou iiij docteurs en theologie et en droit, canon et civil. /

19. v. 2.

Le tierce conseil sera nomme le grant conseil, ouquel seront environ lxxx. ou cent personnes autentiques de la Chevalerie. c'estassavoir les xl. sustouchies et outre les officiaux des chevaliers autentiques avec certain nombre des freres, vaillans hommes. et des sages de la Chevalerie, jusques au nombre susdit.

Le quart conseil sera chascun an. et sera appele chapitre general, ouquel seront tous les dessusdis et les presidens et les deputes de par les provinces.

Le quint conseil sera appele chapitre universal de iiii et vi ans, ouquel seront mille chevaliers de la Chevalerie; ouquel chapitre universal sera reformee la Chevalerie et les grans officiers de la Chevalerie et, s'il sera necessite il seront punis selonc les decres de la sainte Chevalerie.

Item : Au grant justicier de la Chevalerie de la Passion Jhesu Crist appartendra la justice criminele des chevaliers et des freres et des presidens forains et des grans officiers. /

20. r. 1.

et de toute la Chevalerie. s'il sera mestier et le conseil de la Chevalerie le determine, c'estassavoir de quelque dignite ou office qu'il soient et de leurs filz et filles et femmes du principal convent. Mais la justice civile d'iceulz appartendra au grant balli, et le grant justicier nulle justice ne fera se elle n'est prumierement ventillee en conseil du prince et par grant deliberation determinee.

Item : Ou convent principal de la Chevalerie, et en tous autres convents, aura un chevalier de la Chevalerie, sage et discret, qui sera appele le grant balli, voire ou principal convent mais es autres convents ne sera pas appele grant, qui tendra commune justice, civile et criminele, ou convent principal de toutes manieres de gens militaires, serviteurs et forains demourans, alans et venans ou principal convent, excepte la justice criminele des chevaliers et autres dont il est cy-dessus faite plaine mention.

Item: (En) la principale cite de la Chevalerie et en toute cite et cha/

20. r. 2.

stiau de la Chevalerie aura un chevalier de la Chevalerie qui sera nomme potestat, et administra toute justice en la cite aux bourgeois, aux forains et aux habitans de la region et destrois environ de la cite.

Item : En chapitre general, chascun an une fois, sera esleu un chevalier de la Chevalerie solempnel et de vie approuvee, qui sera nomme le senateur du chapitre general, et xxiiii d'iteres dez chevaliers avecq luy, qui tous les ans tontont chapitre general ou principal convent ou es expedicions, c'est en la guerre.

Derechief ou chapitre universal aussi sera esleu un chevalier de la Chevalerie de grant prodomnie, qui sera appele le dictateur du chapitre universal, et avecq luy xii peres conseris, avecq xii coadjuteurs des chevaliers, et tontont le chapitre universal de liii en vi ans.

Derechief en la sainte Chevalerie ou principal convent aura x chevaliers de la Chevalerie corageus et de grant magnificence

20. v. 1.

et en sainte vie approuves, qui seront appeles les x executeurs de justice, qui devra estre faite par le grant justicier es personnes des grans officiers de la Chevalerie deffallans, et aussi y-ceulz seront nommes les x conservateurs de la sainte regle de la Chevalerie

Et quant il sera expedient, il seront assistens avecq le grant advocat de la Chevalerie et aussi avecq les grans protecteurs et le promoteur de la divine pitie de la Chevalerie, et soustendront es consaulz ceulz qui garderont et ameront la sainte regle et accuseront les transgresseurs en procedant contre eulz par le lieu de la sainte regle.

Derechief ou convent principal seront liii chevaliers de la Chevalerie, solempnelz hommes et devos, qui seront appeles les pitieus commissaires de la dairaine volente des chevaliers et combatans trespassans en Jhesu Crist, aux quelz commissaires es consaulz de la Chevalerie appartendra la cure, sollicitude et promotion des veuves et dez enfans;

20. v. 2.

qui leur seront commis, a ce que diligamment l'en puisse de eulz faire ainsi comme en la sainte regle il sera determine.

Derechief, pource que de viii langes et de viii languages sera faite et construite nostre sainte Chevalerie, ou convent principal, au conseil du prince et des conselleurs, aura toujours viii notaires de l'abit des freres, et ainsi chascune lange aura son propre notaire; et ainsi sera es autres convents des regions et cites, voire les choses en qualite et quan-

tite en equipolent gardees. Et es offices de la Chevalerie seront notaires seculers et escrivains a suffissance. selonc ce qu'il sera determine en la regle.

Derechief il est assavoir que lez chevaliers et combatans volontairement regules de nostre Chevalerie, a ce qu'il puissent vivre en estal et degre de perfection, iiii choses il promectront avec sacrement autentique; c'est assavoir, obediencie a leurs souverains, povrete d'esprit, et sacrement de chastete conjugale. car certainement en ces malz temps du jour/

21. r. 1.

duy, ouquel le monde va avesperant, il samble chose difficile et comme impossible as chevaliers et combatans, regules ou non-regules, vivans de vie temporele et active et excersans le fait d'arme, de pooir garde chastete virginale longuement, et especialment es parties d'orient chaudes et la char stimulans, esuelles, pour recouvrer la Terre Sainte et retenir, nostre sainte Chevalerie fermement aura a demourer et a vivre. Et pour ce il est expedient, mais tresnecessaire que noz combatans aient femmes espousees pour deux causes; prumierement pour eschever tout eschande de nostre Chevalerie et toute fornication et pechie de char, soit en nature ou contre nature, auquel nature humaine par l'instigation du dyable aujourduy est moult incline; et pour ce dit l'apostre Saint Paul: Qui ne peut estre continent si se marie en Jhesu Crist; Secondement car lez chevaliers et lez autres crestiens de Dieu esleus pour entrer en la sainte Chevalerie du Crucifix. en reconnoissant que plus seulement et mieux il pourront garder chastete de mariage que chastete virginale, et par procreation pourront lessier lignie au service de Dieu. plus volentiers ent (r) erront en la sainte Chevalerie, et :

21. r. 2.

ainsi la sainte Chevalerie sera multipliee, qui de necessite aura mestier de plusieurs chevaliers pour acroistre la foy es parties d'orient.

Nor chevalliers, donques, freres et sergans de la sainte Chevalerie auront femmes legitimes de religieuse vie, avec lesquelles chastement et honnestement il vivront et en la doubance de Dieu feront lignie, laquelle succedra en la Chevalerie du Crucifix selonc la teneur de la sainte regle. Car nous veons autres religions des crestiens en fait de chevalerie qui pour ceste cause sont venues comme a nient, especialment es parties d'orient. car plusieurs volontaires d'entrer es dictes religions se retraient, doubans qu'il ne puissent pas bien garder le veu de chastet virginale.

Encores nostre sainte Chevalerie fera la quatre promission, qui est de grant perfection, car noz chevaliers, freres et sergans de la sainte Chevalerie se off (r) erront a mort en memoire de la Passion du tresdoulz Jhesu Crist, pour la deffense et multiplication de la foy catholique, en combatant virtucusement les anemis de la foy, selonc l'ordene et fourjue de la regle en tamps et en lieu ordenee,;

21. v. 1.

Derechief, nostre sainte Chevalerie de la Passion Jhesu Crist, pour la sustentation de sa vie, possidera biens temporelz, muebles et non muebles, roiaumes, cites chastiaus, terres, fortresses, or et argent, et tous biens transitoires, ainsi comme Dieu les aminstera; mais tout sera en commun de la Chevalerie, afin qu'il pussent mieux vaquer et entendre et diligamment excercer ce qui appartient a fait d'armes et a vraie chevalerie.

Et ainsi nostre sainte Chevalerie, contente de la communaute, a son pooir ensivera la vie des apostres et selonc sa possibilite en nombre, pois et mesure, diligamment adminstera a un chascun ce qui li sera necessaire, a ce que noz combatans en Dieu par famine et povrete ne deffailent en bataille ou par habundance de richesse contre leurs souverains se rebellent ou rechaloitrent. Et, en fuiant toute propriete sur paine d'escommeniment, nos combatans seront contens de vivre en commun, seurs en nostre seigneur de leur vie et vestiaire et autres necessites.

Et aura la sainte Chevalerie cure singulere et perpetuelle des veuves de la Chevalerie du Curcifix et de nourrir leurs enfans, nos et a nestre, en la sainte congregation,;

21. v. 2.

Derechief, nos chevaliers et combatans, regules de la Passion Jhesu Crist a ce que en metant la main a la charrue il ne regardent derriere, jamais ne retourneront es parties d'occident pour posseder les possessions donnees a la sainte Chevalerie, soit priores ou commenderies; toutefois il pourront bien veuir es parties d'occident quant il seront par la Chevalerie envoies au pape a cause de legation, ou a l'empereur ou a autres rois et pour les besognes de la sainte Chevalerie. Et les possessions que aura la sainte Chevalerie es parties d'occident seront gouvernees par leaulz marchans et bourgeois honestes, amis de la Chevalerie, qui lealment par les facteurs, freres de la Chevalerie, envoieront es parties d'orient lez revenues desdites possessions.

Derechief, la sainte Chevalerie gardera justice civile et criminele, en rendant a chascun ce qui sera sien, en honnourant les bons et en les regraciant et remunerant, en chastiant les transgresseurs de la sainte regle. et les mauvais subjes metra en perdition, selonc les ordenances et decrees de la sainte regle militaire. :

22. r. 1.

Derechief, le prince de la Chevalerie de la Passion Jhesu Crist demourera toujours ou principal convent de la Chevalerie, qui sera assis ou chastel de la principale cite; et sera le chastel tressollemptelz et de grant magnificence; et avec soy ou dit chastel demourera le grant conseil de la Chevalerie; ouquel chastel avec le prince seront toujours ii, trois ou iiii presidens d'onneur. outre le president de la cite et du principal convent, lesquelz presidens soulz eulz aront chascun xxiiii chevaliers de la Chevalerie, xxiiii freres de la Chevalerie et cinquante sergans de la Chevalerie, en tel maniere que avec les officiers de la Chevalerie et non officers, filz, escuiers et serviteurs dez chevaliers et des freres de la sainte Chevalerie, toujours demoureront ou chastel avec le prince du mains v cens ou vi cens combatans, tousjours pres pour entrer en bataille, demourant le chastel souffissaument garni. Et sera la capacite et pourprise du chastel si grant que aucunefois et souvent oudit chastel aura mil combatans ou deux mille.

Derechief, ou chastel du principal convent aura une eglise, si notable et si merveilleuse que :

22. r. 2.

onques semblabe en fourme ne fu veue, et sera de cinquante coubtes de large, sans coulompnes, et de cent coubtes de long, et en hautesse jusques au plus haut des murs il aront xxv coubtes. Et chascun coubte sera de ii pies. et chascun pie de xvi ducas ou dois. Et en tel maniere sera faite l'eglise que tous coulz qui seront en ladite eglise, sans mouvoir de leurs propres sieges, pourront veoir clerement sans point de empechement iii grans autelz, qui seront en la face d'orient, et tous lez autelz des chapelles a la partie de austre ou midi ou septentrion. Et ainsi, sans soy mouvoir ou deambuler par l'eglise, trestous tant du cuer des chanoines comme de toutes pars, pourront veoir les prestres chantans et lever le precieux corps Nostre Seigneur. Et en ceste eglise aura environ lx chanoines et autres de la Chevalerie quant elle sera afermee du tout en tout, en commemorant et rafreschissant la Passion de Nostre Seigneur Jhesu Crist.

Derechief, ou chastel et convent principal aura un hospital solempnel, ouquel les veuves de la sainte Chevalerie serviront au maladez,⁶

22. v. 1.

en accomplissant les saintes cuvres de misericorde, et ou dit hospital pourra le prince et tous les autres grans officiers et combatans tous les jours acomplir les cuvres de misericorde.

Derechief, ou dit convent aura un baptistere aussi comme tout ront et bien large, fait par artifice merveilleux et delitable; ouquel lez filz et lez filles de nos chevaliers et de nos combatans seront sollempnelment et devotement baptisies.

Derechief, ou convent principal de la Chevalerie aura un palais tressolempnel, ouquel palais aura une sale, tres grande et larges consistoires, pour tenir lez consaulz par le prince et le conseil, et y aura habitation delitable pour le prince et la princesse et toute leur famille.

Derechief, ou dit cinvent aura i cloistre pour les chanoines et clers, qui sera large et delitable, et une grant sale avec galeries et beaux vergiers;⁷

22. v. 2.

laquelle habitation sera assise asses pres de l'eglise et sera close de tres haus murs.

Derechief, ou dit chastel ara un tres bel palais pour recevoir par le prince et la chevalerie les roys et les princes d'occident, quant pour cause de bataille ou de pelerinage il ventent es parties d'orient.

Derechief, ou dit chastel seront distinctes habitations en nombre, quantite et qualite pour les grans officiers de la Chevalerie, tant privees comme estranges, et pour lez chevaliers, freres et sergans de nostre Chevalerie et pour leurs femmes.

Derechief, ou dit chastel aura celliers a vins, granges et greniers, estables a bestes, et aysemens et habitations pour les garnisons du chastel, puits et cisternes a roc, moulins et fours et bains communs, necessaires pour la Chevalerie du Crucifix.

Derechief, ou principal convent seront iii sales ou tinclz principaux. c'est assavoir:

23. r. 1.

la grant sale du prince. en laquelle mengeront au jours des festes le prince et les tous chevaliers et freres du principal convent et aussi les forains, mais as jours feriaux chascun mangera en sa propre maison avec sa femme, ses enfans et sa famille; et a chascun en certain nombre, pois et mesure par la sainte Chevalerie sera faite distribution de vivres selon ce que en la sainte regle sera contenu.

La seconde sale sera la sale des chanoines, en laquelle continuellement mengeront tous les chanoines, les prelas forains, les clers et leur famille; et aussi les chevaliers et freres du principal convent qui ne seront point maries s'il vaudront il y pourront bien mengier, pour cause de honestete et de conversation regulere.

Le tierce tinel sera la sale du grant commandeur des chevaus, en laquelle mengeront avec luy et devant luy tous les menbres officiers du principal convent et tous les vales des chevaus et des bestes et les serviteurs es offices touchans l'office du commandeur des chevaus et plusieurs autres officiers.

Et est assavoir que les grans presidens des regions et les /

23. r. 2.

presidens des cites et les moyens presidens des chastiaus et aussi les chastellains en leurs convents du tout en tout ensiveront le gouvernement du principal convent, au service de Dieu, en edifices, habitations et maniere de vivre, soit en repos ou en guerre, selonc la possibilite du lieu et la faculte des biens et des personnes.

L'abit de la sainte Chevalerie de la Passion Jhesu Crist se conformera a l'entencion de la sainte regle, c'est assavoir en representant es vestemens la Passion du doulz Jhesu. Nos chevaliers donques porteront une robe honeste de drap de simple couleur, large et longue, jusques a demy-jambe, et sera appelee la cote principale de la Chevalerie, sur laquelle il seront cains d'une chainture de soie ou de cuir vermeil, large de ii doys ou ducas. Et sera la blouque ronde et de corne noir et le mordant aussi de corne noire, et la garnison des trous ou partuis sera de lecton. Et toujours nos chevaliers porteront chaperons rouges, representans le sanc de Jhesu Crist. Et dessus ladite cote principale et le chaperon vermeil il porteront un mantel /

honneste de drap blanc ou de sarge bien blanche, lequel mantel des espaulles jusques en bas sera ouvert de ii costes endroit les bras, et en la partie devant entre (les) ii ouvertures, devant la poitrine, aura une crois de drap ou de sarge vermelle tout du long du mantel; et procedera ladite crois par devant en travers jusques aux ouvertures du ma(n)tel. Et sera la crois du large de deux doits ou ducats et non plus. Et ou mantel du prince tant seulement la crois devant dite sera environnee de un frisel d'or du large de demy ducat ou environ. Et par dessous ce mantel treshonneste et habile apparera la cote de dessouz vers les pies ainsi comme iiii doits. Tel sera l'abit principal de la Chevalerie du Crucifix. Verites est que il aront autres mantiaulz feriaux et contre la pluie. Et aura peu de difference entre l'abit des chevaliers, des freres et des sergans, mais l'abit des chevaliers sera plus sollempnel en apparence et plus clerement la Passion du douz Jhesus representera que l'abit des freres ou sergans. Toutefois tout leur habit par dehors sera blanc, mais en la crois et en la fourme il y apparera aucune difference, sicomme il apparera plus clerement.

et a menu en la regle. ou livre des vestemens.

Les armes de la Sainte Chevalerie.

Le champ de la banniere commune de la sainte Chevalerie sera blanc, et en milieu aura une crois vermelle, de iiii ducats de le ou environ, du long et du travers du champ. Et en milieu de la crois aura un compas, a iiii demi-rons et iiii petis angles entre les demi-rons. Tel compas des peintres de France est apele philatiere. Cestui compas sera tout rempli de coulour noire, representant la douleur de la Passion de Nostre Seigneur; lequel compas en milieu de la crois sera de xii ducats de le en toutes ses parties ou environ. Ouquel compas noir aura i Agnus Dei bien figure de coulour doree resplendissant, representant la gloire de Jhesu Crist resussitant. Duquel compas noir procedera la crois vermelle as quatre parties de la banniere et des pavais, etc. Et sera ladite crois environnee, et ledit compas, d'une bordure d'or large de i ducat ou mains un peu. Et en l'extremite de la banniere de toute pars aura une petite bordure vermelle. du large de demy doit ou ducat.

Et si aura nostre sainte Chevalerie autre baniere singulere et plus solennuelle, qui ne sera portee que en grans batailles et :

24. r. 1.

fais perilleus et de grant doute, ainsi comme en la regle plus largement sera contenu. Ceste crois avecq l'Agnus Dei ainsi descripte portera le priuec quant il sera arme. Et nos chevaliers, aussi armes, et les freres, sur leur gros gipons ou sur leurs jaques blans, porteront la crois, en ladite baniere declaree, par devant et par derrière, excepte que, en lui de la bordure doree entour la crois vermelle, il aura une bordure de soie noire a freres seulement, mais le compas demotera tel comme dit est.

Il est assavoir que le moindre chevalier de la sainte Chevalerie, suppose qu'il n'aist aucun office, s'il sera convenable a bataille es expeditions et guerres, il aura un escuier, arme de toutes armes, et un petit valet qui portera sa lance et son heaume ou bachelin, et un autre gros valet arme d'un jaque, qui portera sa malle, et un valet de pie, qui conduira son sommier. Et ainsi en la guerre et expeditions, le chevalier aura v. chevaux et iiii personnes. Et quant il sera en repos, il aura ii chevaux ou iii, selon ce que la faculte de la Chevalerie se estendra.

24. r. 2.

Et le frere de la sainte Chevalerie aura es expeditions, c'est en la guerre, trois chevaux ou iiii, selon ce qu'il sera vertueux, et iii personnes, dont l'une ou les deux seront combatans. Et en repos aura un cheval ou ii, selon la possibilite de la Chevalerie.

Il est a noter que les chevaliers, freres et sergans de nostre sainte Chevalerie, et les veuves de y-ceulz, par le conseil de la Chevalerie se pourront bien marier le seconde, la tierce fois ou plus; lequel conseil aura grant diligence de marier en nostre Chevalerie, et pau dehors la Chevalerie, les filz et les filles de nos chevaliers et combatans, en appelant leurs parens quant on les vaudra marier.

Et pour extirper et destrachiner de tout point avarice et occasion d'orguel et singulièrement propriétaire possession, tous les officiers de nostre Chevalerie, de quelque dignite qu'il soient, une fois en l'annee ou chapitre general renonceront a leurs propres offices es mains du senateur, excepte tant seulement le prince, et se il est avis au senateur et au discrez et au conseil du chapitre;

24. v. 1.

qu'il doit estre absoulz de son office ou restitue ou mis en autre office, tantost il sera fait, selonc la deliberation du conseil et decret de la regle.

Derechief, nos chevaliers et combatans, de quelcunque dignite qu'il soient, a ce que des biens desquelz par la sainte Chevalerie les est octroie l'usage et qu'il ne puissent dire, "voei mes propres biens", tous universellement, du plus grant jusques au plus petit, du prince jusques au mendre sergant de la Chevalerie, tous les biens lesquelz par la Chevalerie et de la Chevalerie il possideront et qui honestement pourront estre escriz, une foyz l'annee seront mis en escript en cedula par le possesseur de nostre Chevalerie. Laquelle escripture presentera ledit possesseur une fois l'annee au senateur, c'est assavoir en chapitre general. Et se lesdis biens selonc le jugement du senateur et discrez excedent les metes et decres de la sainte regle, le surplus, en quelque maniere qu'il soit acquis, voire des biens de la Chevalerie, sera applique au commun de la Chevalerie ou sera baillie a un des autres combatans, qui n'aura pas souffisamment ses necessites.

24. v. 2.

Et l'aide de Dieu moienne, le prince, les presidens et officiers aront grant diligence que un chacun profes en la Chevalerie, soit homme ou femme, filz ou fille de la Chevalerie du Crucifix, ait estat honneste, habitation, vivres et vesture, non pas a superfluite mais a necessite, selonc la puissance et la faculte de la Chevalerie de Dieu.

Derechief, en toute election canonique du prince de la Chevalerie de la Passion Jhesu Crist, des presidens et de tous officiers de la sainte Chevalerie, par la grace de Dieu et le mistere de la Passion du Crucifix, l'entendra telle maniere et si bonne que onques telle en sa fourme ne fu auye, car symonie ne quelcunque faveur desordenee point n'y seront trouves par la bonte de Dieu.

Derechief, quiconques de sa propre auctorite s'avancera a office de la sainte Chevalerie, publiquement ou secretement, et par signe ou par parole ou autrement se ingerera, s'il est prouve contre luy, telz ne sera pas tant seulement de tel office ou dignite prive, mais avec ce selonc le decret de la regle il;

25. r. 1.

sera deboute de tout office et dignite de la Chevalerie par l'espace de iiii ans, et avec ce sera la peuitance qui est en la regle bauee et determinee.

Derechief, pour oster toute occasion de pchie de avarice, de peresce et de negligence, tous les officiers de nostre sainte Chevalerie, grans et petit et les moiens, tous les ans iiii ou iiiiii fois. ou au mains une fois, renderont compte et raison, distinctement et clerement, de leurs offices devant le grant conseil ou devant ceulz qui par le conseil a ce seront deputes. selonc ce que en la regle plus clerement sera determine.

Derechief, tous les officiers de la sainte Chevalerie, fines leurs offices, par les sindiques ou deputes du conseil diligamment seront examinez; et qui bien aura fait son office. il aura honneur, et qui mal, il sera punis selonc les decretes de la sainte regle.

Et est a noter pour conforter les entrans en ceste sainte congregation que lez chevaliers /

25. r. 2.

de la Passion Nostre Segneur, et les autres, excersans liement leur chevalerie au service de Dieu. seront plus seurs sans comparison du gouvernement et de la chevance ou provision de leurs femmes et enfans apres leur mort glorieuse ou service de Jhesu Crist, qu'il ne seroient s'il fuissent demoure es parties d'occident, et se leurs biens et leurs possessions fuissent demoure es mains de leurs amis ou excecuteurs et tuteurs, qui aucunesfoys, corrupus par faveur ou par hayne ou par avarice, les veuves femmes et les enfans, qui leurs sont commis, desheritent et despouillent, aucunesfois jusques as os.

Certainement la Chevalerie du Crucifix, saintement regulee par la vertu et decret de la sainte regle, aura plus grant cure des veuves et des enfans de la Chevalerie que des personnes, presidens et militans en la congregation. Et ainsi nos beneures chevaliers et de Dieu esleus, sans regart et sollicitude de leurs femmes et enfans, liement et du cuer et plus que l'en ne pourroit croire, se exposeront a mort pour l'amour de doulz Jesus, selonc ce que en la regle plus largement sera determinee./

25. v. 1.

Derechief, continuellement au conseil du prince et des presidens seront maistres en theologie, docteurs en droit, canon et civile, phisiciens et medecins sollennelz. de l'abit de la Chevalerie, a ce que la sainte Chevalerie en vie active, morale et civile et espirituelle, quant au corps et a l'ame, comme miroir cler et net de toutes gens, crestiens et mescreans, sagement et saintement, a l'aide du doulz Jhesu, soit bien gouvernee.

Derechief, en la sainte Chevalerie seront plusieurs et diverses escoles, esquelles les enfans de la Chevalerie de Dieu pourront apprendre diverses sciences et les langages d'orient necessaires a la Chevalerie.

Derechief, l'intencion de la regle si est, voire moienne la Passion de Nostre Seigneur les deys quers arousant et la vertu de la sainte croix triumphant, que, la Terre Sainte acquise par la Chevalerie et devotement et poissaument en la foy catholique gardee et retenue, nostre sainte Chevalerie par ses membres, pour la multiplication de la foy, s'estargira et estendra en orient jusques en Inde et Nubie et Tartarie, en rapellant et atraiant de:

25. v. 2.

toutes pars les anemis du Crucifix a la foy catholique: les uns par sainte predication, les autre par l'exemple de sainte vie, et en metant les resistans et obstines par l'espee materiele a subjection de la foy; en destruisant aussi de tous poins par la bonte de Dieu la mauvaise secte de Mahomet et de toute ydolatrie.

Derechief, on a esperance ou douz Jhesu Crist que si grant sera la vertu de la sainte regle de la Chevalerie de la Passion Jhesu Crist, et si grant sera l'amour de Dieu, et telle obediencie de la Chevalerie du Crucifix envers leurs souverains et presidens par effect se monstrera que, apres plusieurs et infinies victoires de Dieu donnees, nostre Chevalerie ne fera conte ou aucune mention es batailles du Crucifix ne d'or ne d'argent, ne de pierres precieuses, ne de la despouille des anemis de la foy, nient plus que les victorrez, departans la despouille des anemis paisiblement ensamble, font mention du peril de la bataille passee, ne que les vaillans chevaliers du peril de leurs songes communs sont espoventes.

Derechief, es victoires que Dieu mandera du ciel a sa sainte

26. r. 1.

Chevalerie, nos chevaliers et combatans au pillage et aus despouilles des anemis, comment qu'il soit, arster ne pourront, en laissant leurs banieres sur paine de tres grief coulpe, mais cheux qui par les presidens seront ordenes, et non autres, requelleront les despouilles apres la victoire, sans regart et avarice. Et tout sera requelli a l'utilite de la chose publique de nostre sainte Chevalerie. Laquelle despouille et proie des anemis en l'ost et a repos sera divisee et departie, et aucunefois non, par certains

esleus du conseil, sages et prodrommes et sans avarice, as combatans du Crucifix selonc le merite de chascun, tenant la sainte regle a la lettre par telle maniere que nostre chevalerie par raison sera contente du doulz Jhesu et des deeres de nostre sainte regle.

Derechief, a ce que les bons catholiques et singulièrement les hommes d'armes, aujourduy delicieusement nourris et souvent sans penitance, ne redoubtant d'entrer en la sainte Chevalerie pour aucune rigueur de la regle, il est assavoir que a nos chevaliers et combatans nous ne volons point imposer grans fais ne charger les de grievé penitance. Il jeuneront tant seulement les jeunes.

26. r. 2.

ordenees par l'eglise de Dieu, et as autres jeunes point ne seront obliges excepte que, puis qu'il sont fondez en la Passion Nostre Segneur, il jeuneront tous les vendredis, car c'est le jour de la Passion du doulz Jhesu, et en celuy jour ne mengeront ne oeus, ne poisson, ne lectage; mais celuy jour il mengeront bons potages et de toutes bonnes herbes et de tous fruis. La penitance donques de nostre sainte Chevalerie sera de avoir fresche memoire dedens le cuer par compassion de la Passion de Nostre Segneur, en combatant vaillaument les anemis de la foy, et a son plain pooir garder soy de pechie.

Derechief, nos chevaliers et combatans par nostre regle ne seront point obliges as heures canonians ne a grans oroisons, mais ceulz qui saueront les heures de Nostre Dame selonc l'usage de Romme, il les diront, car generalment en nostre Chevalerie quant a l'office divin l'entendra l'usage de court de Romme. Et aussi, ceulz qui le saueront, diront l'office de la crois, c'estassavoir, patris sapiencia, etc., avec certain nombre de Paternostres. Et ceulz qui ne seront point clers/

26. v. 1.

en la Chevalerie pour toutes heures il diront cinquante Paternostres et autant de Ave Maria.

Il est assavoir que entre les enfans de nos chevaliers et de nos combatans le premier ne, s'il est suffissant et habile en armes, succedra en la Chevalerie en lieu de son pere; et s'il n'est suffissant et il a autre ou autres freres, le plus suffissant d'iceulz sera chevalier de la Chevalerie

en lieu de son pere. Et les autres freres serviront a la Chevalerie siccome le conseil par deliberation le determinera, et seront damoiseiaus et escuiers des autres chevaliers. Et s'il se portent bien et vertueusement en la sainte Chevalerie, il monteront au degre de chevalier; et par la maniere, des freres et des sergans chacun selon son degre.

Derechief, en la sainte Chevalerie de la Passion Jhesu Crist sera faite juste monnoie, et tres belle, d'or et d'argent et d'autre metal; c'est assavoir besans d'or de deux manieres, sieles d'or, dragmes d'argent, soulz d'argent, deniers commun et mailles, esquelz manifestement apparront les signes de la Chevalerie, en memoire :

26. r. 2.

de la Passion du douz Jhesu Crist.

Derechief, les grans princes et barons qui vauront entrer en ceste sainte Chevalerie, outre les revenues perpetuelles qu'il donneront a la sainte Chevalerie, il pourront retenir aucunes autres rentes, revenues ou possessions pour culz a leur vie tant seulement, en telle maniere que pour leurs grans revenues particuleres, en tenant la regle a la lettre, il ne excedront point en estat, en vie, ou en famille et conversation, la sainte constitution pour telz seigneur en la regle determinee.

Derechief, les princes, les barons et les autres qui vaudront entrer en la sainte Chevalerie et aront enfans non volontaires de entrer en la Chevalerie, pourront donner une partie de leurs heritages a la Chevalerie et l'autre partie lessier a leurs enfans qui n'y vaudront pas entrer.

Derechief, nos chevaliers et combataus, combien qu'il soient astrains par habit et par

27. r. 1.

promesse a estre chevaliers du douz Jhesu crucifie, toutefois pourtant il ne seront pas prives de la succession des biens, muebles, et non muebles, de leurs parens et leurs freres ou cousins; car par le privilege de la Chevalerie il heriteront les biens aux quelz legitement il devoient succeder selonc ce que en ce present chapitre plus largement il sera declare a la louenge de Dieu et contentation des princes et des seigneurs feudaux.

C'est la substance de la regle de la Chevalerie de la Passion Jhesu Crist en brieve comprise; laquelle Chevalerie du Crucifix ou nouvelle monarchie, ou tamps avenir, des esleus crestiens des parties

d'occident, par la bonte de Dieu, sera suffisant de aler es parties d'orient, non pas tant seulement pour conquerre la Terre Sainte, mais pour toutes les regions d'orient convertir a la foy catholique, c'estassavoir se la sainte Chevalerie, ayant compassion du doulz Jhesu, ne mette pas en oubli la memoire de sa sainte Passion, et que loiaument elle gouverne le bien commun de la sainte Chevalerie et monarchie, et garde souverainement chastete de mariage, /

27. r. 2.

et aussi se garde diligamment des femmes des mescreans et des scismatiques. comme de venin toute la Chevalerie entachant, en administrant discipline de chevalerie et justice publique, sans acception de personnes, gardant aussi a la lettre la sainte regle de Dieu inspiree, laquelle regle en xxx livres et un volume ou deux, non pas petit, plus clerement sera contenue.

Et quicunques de ceste sainte et nouvelle congregation des crestiens et de son mistere et de la sainte regle plus plainement voudra estre enforme. et sera par grace inspire de dolessier pechie, et desirera de parvenir en benurete a la Terre de Promission longuement desiree, et pour le nom du doulz Jhesu et sauvement de son ame vaudra labourer, tel inspire viengne a un grant pecheur, envielli et ja vers la terre encline, de tout en tout indigne de si grant mistere anonchier; c'estassavoir a Philippe de Maysseires, indigne ministre et zelateur de tous les chevaliers, et ja piessa chancelier du tresvictorieux prince, Pierre de Lizignain, xv^e roi Latin de Jherusalem, apres le tresvaillant en Nostre Segneur Godefroy de Buillon, et Roy de Cipro.

27. v. 1.

Champ Alehademach aujourduy raisonnablement appele, pour la mort et effusion du sang du tresvaillant roy de lacrimable et de digne memoire. Lequel Philippe dessusdit, abortif et non suffisant messagier de la nouvelle Chevalerie de Dieu, ceste vingne du Dieu Sabaoth, seigneur des souveraines vertus, en laquelle vingne pres de quarante ans il a labouré, c'estassavoir ceste sainte Chevalerie de la Passion Jhesu Crist, a tres-excellans et tresdebonnaires princes Charle et Richart, de France et d'Engleterre de Dieu dignes roys esleus, et a mon desir predestines a vie perdurable, treshumblement et devotement il presente et recommande; a ce que par la vertu, devotion singulere et auctorite roiale de si poissans et de si tresnobles roys, ceste sainte Chevalerie du Crucifix, enluminee

de toute maniere de gens, fidelez et infidelz, soit produite, esleevee et
essaucie. au bien et a l'avancement de la sainte foy catholique.

Derechief, cestui Philippe, inutile et viellart. ladite Chevalerie
aveuc sa regle a la debonnairete, (de) devotion, magnanimite et magna-
ficence de si tresgracieux en Dieu priques et roys, ses souverain et singuliers
segneurs, et aussi a ses freres crestiens, est prest et apparellies:

27. v. 2.

treshumblement de manifester plus clerement et anunchier ladite viugne
de Dieu, c'est la sainte Chevalerie tant de foys repete, voire Nostre
Segneur aidant et sa parole confirmant, c'estassavoir a tout prodomme,
en disant a chascun des esleus, a ce preordenes : Toile crucein tuam et
sequere me filz (?) in Jherusalem, c'est a dire, Preng et porte ta crois et me
sicus (?) en Jherusalem. Laquelle chose Dieu nous veulle lottroier.

Il est escript par l'apostre Saint Pol : Qui a autel desert, d'autel
doit vivre. A ce donques que les cuers des oyans la volente de Nostre
Segneur et voullans entrer en la sainte Chevalerie ne aient formidation
et paour en disant: Qui nous menra a la sainte eglise? Ou sont les mises,
le navige et la finance? Et ou sont les vivres? Respont le messagier susdit
du douz Jhesu, ja (ja) piessa recomforte a ceulz qui vaudront entrer
en la sainte Chevalerie, que tous pres et apparellies sont certains lieux
notables des mescreans, lesquelz lieux la sainte Chevalerie, en
Nostre Segneur regulee, a l'aide de mille chevaliers de la Chevalerie,
aveuc les freres et sergans pour eulz convenables, sans grans bataille et
sans nul perilz qui face a redoub-

28. r. 1.

ter, voire precedant la baniere du tredouiz Roy Crucifie, prendra et
occupra et possidera perpetuellement et a tousjours, contre la volente et
poissance des mescreans. Esquelz lieux, qui doivent estre revele a trop
pau de gens et non pas souvent, la sainte Chevalerie trouvera vivres
souffissans et a tousjours mais, se dire se peut, pour Ix^{te} mille combatans;
et ces choses donques doivent souffrir en substance brieve pour donner
courage a la Chevalerie de Jhesu Crist, car les choses qui sont escriptes
sont vraies par le tesmoing de Dieu.

Et pour resveillir un peu l'ancienne proesse et vaillance en Dieu
de la noble chevalerie de France et d'Angleterre, et des vaillans gens
d'armes d'occident, en respondant a aucuns qui voultroient dire que le

nombre sustouchié de mille chevaliers de la Chevalerie, avec les freres et sergans, est trop petit pour emprenre si grant fais, voire la multitude des anemis de la foy considerée : a laquelle double et instanse se peut respondre par les exemples des tamps passés, et aussi du tamps present, touchant a la matere samblable; c'estassavoir comment le tresvaillant Duc Godefroy de Buillon, a tout v^e hommes a cheval;

28. r. 2.

tant seulement et xxii^m hommes de pie. assiegea la sainte cite de Jherusalem et vaillaument la prist par bataille. et conquist en celle meisme annee qu'il vesqui tant seulement une bonne partie du royaume de Jherusalem. Et sans reciter comment en Antioche le noble duc avec petite gent crestienne, mal menec et afamee, se combati a Corbaran. qui avoit gent sans nombre, lequel il trencha parmy et ot plaine victoire; et sans reciter aussi ses grans proesses particuleres en celle meismes annee qu'il prist Jherusalem avec son petit host crestien, qui estoit legier a nombror; il se combati au prince de la chevalerie du Souldan d'Egipte, qui avoit gens sans nombre, et plainement le desconfit.

Item : Bauduin, son frere et successeur, prumier roy Latin de Jherusalem, pource que le saint duc Godefroy de Buillon n'avoit voulu porter couronne d'or ou lieu la ou le doulz Jhesu, Roy des roys, avoit porte couronne d'espines. lequel roy Bauduin tresvaillant, avec iic et lx chevaliers tant seulement et ix^e sergans, desconfit le prince de la chevalerie du Galife d'Egipte, qui avoit avec luy ix^m chevaliers Sarrasins et xxx^m sergans.

Item : En un autre bataille desconfit tresgrant plente d'Egiptiens et de

28. v. 1.

Sarrasins d'Escalonne.

Item : En la tierce bataille ledit roy Bauduin, avec v^e chevaliers et u^m sergans, desconfit en bataille xxii^m d'Egiptiens et le seigneur d'Escalonne, qui fu mort en la bataille.

Item : Le roy Bauduin de Bourge, cousin et successeur du roy Bauduin et du duc Godefroy, avec viic chevaliers tant seulement se combati contre Gary, tres poissant prince des Turs, et le desconfit, et en ochist iiii milliers; lequel Gary avoit avec luy gens sans nombre.

Item : En la seconde bataille ledit roy Bauduin, avec mil et cent chevaliers, se combati au roy de Damas et le desconfi a pluim, qui avoit xv^m chevaliers Sarrasins.

En la tierce bataille il desconfi ceuz de Escalonne et grant plante d'Egiptiens qui leurs estoient venus au secours.

En la quarte bataille le roy Bauduin desconfi Dodequin, roy de Damas, et ochisi ii^m de ses gens.

Item : Fouque, conte d'Anjou, du Maine et de Touraine, gendre du devantdit roy Bauduin et roy par s'espouse, a peu de chevaliers et peu de sergans, es parties d'Antioche desconfi grant multitude de Turcs, qui estoient venus des parties de Perse, et en ochisi iii milliers, et en ramena grant plante de prisonniers a grant victoire.

28. v. 2.

de la crestiente.

Item : Bauduin, filz dudit roy Fouque, a peu gent, au regard de ses anemis, vainqui en bataille es parties de Gerice, nobles capitains des Turcs, qui avoient gens sans nombre, et en ochisi v^m, et les autres s'enfuiront.

A la seconde bataille ledit roy Bauduin se combati a Noradin, Souldan de Damas; lequel Noradin s'en fay et ses gens furent ochis.

Item : Almaray, frere dudit roy Bauduin, et roy de Jherusalem, au premier an de son regne, desconfi Dargael, prince de la chevalerie d'Egipte, es parties d'Egipte, et fu faite grant occision des anemis a la louenge du douz Jhesu Christ.

Item : En la seconde bataille ledit roy Almaray, avec lii et li chevaliers tout seulement (da) desconfi Sarracon, prince du Souldan de Damas, qui avoit avec liy xlii^m Turcs et xlii^m Arabes, et en ochisi lii et li, et li autre eschapperent pour la nuit qui s'ensuyvit.

Item : Baudun, filz du roy Almaray et roy de Jherusalem, vaillant et prodomme, par la permission d'unc lord de meschieles, avec liii et lxx chevaliers tout seulement, es parties d'Escalonne, vainqui Salhadin, qui avoit avec liy xxviii^m chevaliers, et en les anes s'enfuiront, avec liy et les autres furent ochis.